جمهورية مصر العربية

وزارة الدفاع



الندوة الاستراتيجية

حرب أكتوبر بعد ٢٥ عاما



المحور العسكرى وحلقة النقاش

جمهورية مصر العربية
وزارة الدفاع

■ الندوة الاستراتيجية
حرب أكتوبر بعد ٢٥ عاما

٣-٥ أكتوبر ١٩٩٨

الندوة الاستراتيجية
حرب اكتوبر بعد ٢٥ عاما
٣-٥ اكتوبر ١٩٩٨
الناشر :إدارة الشئون المعنوية -وزارة الدفاع

جميع الآراء الواردة فى بحوث هذه الندوة تعكس وجهة نظر الباحثين ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى وزارة الدفاع المصرية.

جميع المعلومات الواردة فى هذه الندوة مستقاة من المصادر العلنية المصرية والإقليمية والعالمية

روجعت مراجعة شاملة بواسطة :

اللجنة العلمية للندوة

واشراف منسق عام الندوة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية :١٥٥٨١ / ١٩٩٨
الترقيم الدولى .I.S.B.N: 977-5552-02-8

تصميم الغلاف والإخراج الفنى : حامد العويضى

اهداءات ١٩٩٩
إدارة الشئون المعنوية
بوزارة الدفاع المصرية

الندوة الاستراتيجية
حرب أكتوبر .. بعد ٢٥ عاما

تحت رعاية
السيد رئيس جمهورية مصر العربية
القائد الأعلى للقوات المسلحة

محمد حسني مبارك

اللجنة العلمية للندوة

رئيس الندوة

د. مصطفى خليل

رئيس وزراء مصر الأسبق

منسق عام الندوة

لواء أ.ح/ سمير سعيد فرج

مدير إدارة الشئون المعنوية

أمانة المحور العسكرى

لواء أ.ح/ أحمد فخر
رئيس المحور

لواء أ.ح.د/محمد رضا فودة
مقرر المحور

أمانة المحور السياسى

السفير/ عبد الرؤوف الريدى
رئيس المحور

لواء أ.ح.د/محمد نجاتى إبراهيم
مقرر المحور

أمانة المحور الاقتصادى

د. يوسف بطرس غالى
رئيس المحور

لواء أ.ح.د/محمد جمال الدين مظلوم
مقرر المحور

أمانة المحور الاجتماعى

د. ميرفت تلاوى
رئيس المحور

لواء أ.ح/أحمد عبد الغفار حجازى
مقرر المحور

سكرتارية الندوة

لواء أ.ح/ حسين على عبد الرازق
مساعد مدير إدارة الشئون المعنوية

عقيد/عبد الغفار عفيفى الدويك
رئيس فرع التوعية السياسية

المحور العسكرى

أمانة المحور العسكرى

لواء أ.ح
أحمد فخر
رئيس المحور

لواء أ.ح.د
محمد رضا فودة
مقرر المحور

المحتويات

صفحة

الجلسة الافتتاحية:

صفحة

الجلسة الثانية : تحديات التخطيط العسكرى لحرب أكتوبر واستراتيجية مواجهتها

الجلسة الثالثة : المراحل الرئيسية لإدارة الحرب وتطورها

الجلسة الرابعة : أثر حرب أكتوبر على نظام التسليح والقتال

صفحة

بحوث قدمت إلى الندوة لإثرائها

حلقة النقاش: كيف نمنع نشوب حرب جديدة؟

الجلسة الختامية

الجلسة الافتتاحية

كلمة السيد الرئيس

محمد حسني مبارك

رئيس الجمهورية

القائد الأعلى للقوات المسلحة

●● الأخوة والأخوات الأعزاء:

ربع قرن مضى على هذا اليوم المشهود الذي حقق فيه شعبنا العريق واحدا من أعظم انتصاراته على امتداد تاريخه الحافل ، وسجل به ملحمة رائعة في الوطنية ومعزوفة قومية مهيبة لا يمكن ان يمحوها الزمن إلى يوم الدين ، فليس هناك ما هو أغلى على المصري من تحرير الأرض والذود عن العرض وتخليص الإرادة وممارسة السيادة ، واسترجاع الحق والكرامة ، وليس هناك شعب على وجه الأرض يقدس التراب الوطني مثلما يفعل الشعب المصري ، يفتديه بروحه ودمه ، ويعلي قدره في العالمين ، فهي ارض الأجداد ، ومهد أصحاب الأمجاد ، صناع الحضارة ، وبناة المدنية والتقدم .

فليس غريبا إذن ان ينظر كل مصري أصيل إلى ارض الوطن المفدى باعتبارها كيانا عالي القدر لا يمس ولا يمتهن ، ولو كلفه هذا التضحية بنفسه وولده وقوته ورزقه ، لأن الأرض في ضمير المصري تنصهر في سبيكة واحدة مع العقيدة والقيم والتراث والمستقبل والعلم والمعرفة ، وهي عرين الرجال وقلعة الأبطال ، الذين يتحدون الدنيا بأسرها ، لكي تبقى رايات الوطن عالية فوق هامات البشر ، وتظل مصرنا الحبيبة مرفوعة الرأس خالدة الذكر بين الأمم إلى أبد الآبدين .

لم تكن حرب أكتوبر مجرد معركة عسكرية خاضتها البلاد وحققت فيها أكبر انتصاراتها ، وإنما كانت اختبارا تاريخيا حاسما لقدرة الشعب على أن

يحول الحلم إلى حقيقة ، ويترجم الأمل المنشود إلى عمل ، وان يفرض على الخبراء والمحللين أن يراجعوا أنفسهم ويعيدوا حساباتهم، وان يأخذوا بعين الاعتبار ان نتائج المعارك لا تتحدد فقط حسبما يتوافر لديها من سلاح وعتاد وإنما تتحدد أساسا بإرادة الرجال وعزائم الأبطال ، القادرة على اختراق أضخم الحصون وهز رواسخ الجبال .

واذا كان البعض يصف ما حدث في تلك الأيام المباركة بأنه كان إعجازا يفوق الخيال ، فقد كان عليهم ان يدركوا ان أي عمل بطولي خارق-مهما تكن تبعاته- لا يمكن ان يتجاوز قدرة الإنسان المصري الذي حقق للبشرية اعظم إنجازاتها في تاريخها الطويل ، وحطم كل الحواجز التي كانت قائمة أمام الإبداع البشري فبلغ الذروة في العلوم والآداب والفنون ، وتخطى حدود الزمن ، وانطلق يفكر في الحياة الأبدية . وباختصار فقد كانت أعماله الكبرى سلسلة من الإنجازات الخارقة بكل المعايير المتعارف عليها لدى سائر الأمم والشعوب ، أما بالنسبة لهذا الشعب العريق ، فقد كانت مواصلة لمسيرة حضارية كبرى سجلها التاريخ بأحرف من نور في اللوح المحفوظ .
لقد كان هذا الإنجاز العظيم عملا بطوليا فدائيا خالصا لوجه الله والوطن ، شارك فيه كل مواطن مصري بكل ما ملكت يمينه واستوعبت قدراته ، فجاءت المعركة في اليوم الموعود معزوفة عذبة كفيلة بان تتناقلها الأجيال القادمة من أبناء مصر بكل مشاعر الفخر والاعتزاز ، وبكل ولاء للوطن ووفاء للأبطال الذين حملوا رؤوسهم على اكفهم ، وخرجوا في مسيرة مظفرة ، يذودون عن الأرض ويدافعون عن الحق ويروون بدمائهم الزكية أشجار الحرية ، كما يروون للتاريخ أعظم قصص البطولة والفداء .

كان هذا الإنجاز الرائع إذن عملا جماعيا شارك فيه كل مصري ومصرية وتحمل

مسئوليته الكبرى أحد قادة مصر العظام الرئيس الراحل محمد أنور السادات ، بطل الحرب ورجل السلام الذي قدم حياته فداء لوطنه وأمته ، وكرس كل قطرة من دمه لخدمة الأهداف القومية العليا ، فكان عظيما في حياته .. شجاعا في مماته ، فلم يبال حين لقي قدره مقاتلا في أي جنب كان في الله مصرعه ، بل انه لم يأبه بالمخاطر والأهوال منذ اللحظة الأولى التي اتخذ فيها قرار الحرب ، وكان كل ما يشغل فكره ليل نهار هو مصير وطنه ومستقبل شعبه وأمته ، فاستحق بهذا ان يحتل منزلة عالية في صفوف الخالدين من أبناء مصر .

كان هذا العبور العظيم إنجازاً هائلاً غير مسبوق في التاريخ الحديث ، حققته القوات المسلحة المصرية الباسلة بالتخطيط السليم ، والإعداد العلمي القائم على احدث فنون العصر ، وتم هذا في ظل ظروف قاسية في ساحة البذل والعطاء ، ولم يضن أحد منهم على الوطن بقطرة من دمه أو حبة عرق سالت على وجهه المثقل بالهموم والأعباء ، ولم يتردد فرد واحد في خوض المعركة ببسالة وشجاعة منقطعة النظير ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر .

وسوف أظل اعتز ما حييت بالدور الذي هيأت لي المقادير ان أؤديه في هذه المعركة الفاصلة في اللحظات الأولى ، التي بدأت بدك حصون العدو المنيعة وقصف مواقع القيادة والتحكم لديه وقطع خطوط اتصاله في عمق سيناء ، وتم هذا خلال ساعات محدودة ، مما افقد العدو توازنه وأصابه باليأس والإحباط بعد أن كان يتباهى بقوته التى لا تقهر ، رغم أنه كان يعتمد في معظمها على مصادر خارجية ، تمده بأحدث الأسلحة والمعدات بغير حساب ، وتقدم له الغطاء السياسي والاقتصادي والدبلوماسي ، حتى يبدو صاحب حق وهو يحتل أرض الغير ويستمرئ الإثم والعدوان .

ولن تغيب عن مخيلتي لحظة واحدة صور بطولات خارقة شهدتها في تلك

اللحظات الخاطفة ، سجلها بدمائهم رفاق سلاح من كافة الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة وتشكيلاتها القتالية ، فلم يكتفوا بتحطيم مواقع العدو الحصينة ونسف خط بارليف الذي استغرقت إقامته سنوات طويلة ، ولكنهم حققوا لبلادهم وأمتهم العبور العظيم ، ليس فقط إلى أرض سيناء المباركة ، بل انهم عبروا بها إلى ما هو أخطر من ذلك وأجل ، وهو العبور من واقع النكسة الأليم إلى عصر الانتصار الكبير والفتح المبين ، واسترداد الحق والكرامة واستعادة الثقة بالنفس والعزة الوطنية .

ورغم ان الأداء الرائع للقوات المسلحة مكنها من تحقيق أهدافها المرسومة في ساعات قلائل ، وان بشائر النصر لاحت في الأفق بعد بدء المعركة بلحظات معدودة حين تبين بكل وضوح ان تشكيلات العدو قد انهارت وتفككت بعد الضربة الأولى ، إلا أن الحقيقة تظل أن توجيه تلك الضربة الناجحة وتحقيق النصر ما كان يمكن ان يتحققا بعد إعداد استغرق أشهرا معدودة ، وانما كان ضروريا ان يستمر هذا الإعداد ليل نهار سنوات طوالاً ، بذل فيها جميع أبناء القوات المسلحة جهدا يكاد يكون فوق مستوى البشر ، وتحملوا الكثير وهم صابرون ، ثابتة أقدامهم وقلوبهم ، كأنهم يمسكون بجمرة من نار حتى يعيدوا للوطن كرا ـ ـ ويصونوا له حقوقه ومصالحه .

استغرق هذا العمل المجيد سنوات ست ، هي الفترة التي انقضت بين النكسة الموجعة والانتصار الكاسح ، ودارت فيها رحى حرب استنزاف باهظة التكاليف بشريا وماديا ، وتطلبت من جميع فئات الشعب المصري تضحيات جسيمة لم يتردد أحد في تقديمها ، وتمثلت في إعادة بناء القوات المسلحة . واعادة بناء المواقع التي دمرتها حرب يونيو ١٩٦٧ ، وخوض حرب استنزاف ممتدة لم تترك لرجال القوات المسلحة - والملايين التي وقفت وراءها من العمال

والفلاحين وسائر فئات الشعب دون استثناء - لحظة سكون واحدة تستجمع فيها قواها وتراجع موقفها ، بل إن الإعداد لمعركة المصير والحسم مضى بإيقاع متسارع متصل ، وقاد هذا العمل البطولي الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ، وإلى جانبه كوكبة متميزة من القادة والمقاتلين الأشداء ، وعدد لا يحصى من المدنيين الذين جندوا أنفسهم للهدف الأسمى والإعداد للمعركة الفاصلة بصبر وأناة .

وكانت المحصلة أن ما كان يزهو به بعض الواهمين على الجانب الآخر مما أسموه حرب الأيام الستة ، تلاشى واندثر تحت أقدام فرسان مصر العظام في لحظات معدودة استغرق الإعداد لها أعواما ستة ، يجب ألا نسقطها من حسابنا فما كان يمكن ان يتحقق هذا النصر الكبير بغير هذا الجهد الضخم ، الذي تضافرت فيه جهود كل أبناء مصر البررة ، فخاضت مصر حرب أكتوبر المظفرة وهي على قلب رجل واحد ، فما خرج مصري واحد عن الجماعة وما تقاعس أحد عن العطاء والفداء .

سنوات طوال تحمل فيها أبطالنا الألم والعرق والدموع لكي يعدوا لعمل خاطف لم يستغرق أكثر من لحظات معدودة أعادوا به إلى المنطقة توازنها ، وصححوا ما اعترى النظام الإقليمي من خلل ، بل انهم قوموا جوانب القصور في النظام العالمي كله ، الذي كان قد اختل هو الآخر ، وأصبح يعاني تخبط القوى الكبرى وانزلاقها إلى شرك الاتفاق على تثبيت الأوضاع الإقليمية على ما هي عليه من خلل وجور ، دون اكتراث بالحقوق المسلوبة للشعوب الأخرى أو اعتداد بمصائرها وأقدارها .

وقد توافر لهذا العمل التاريخي عنصر لا يمكن أن نسقطه من حسابنا ، ، وهو

البعد القومي ، الذي تمثل في تنسيق خطة متكاملة بين مصر وسوريا اضطلع فيها أخي الرئيس حافظ الأسد حليفنا في الحرب وشريكنا في السلام بدور بارز ، فكان أزيز الطائرات المصرية المقاتلة والقاذفة في سيناء يختلط بزئير مدافع الأبطال في هضبة الجولان بإيقاع متناغم متجانس ، جدد الأمل في نفوس العرب ، وأحيا العزة في قلوبهم بعد كبتها ، فكان طبيعياً أن يهب الأشقاء في المشرق والمغرب للمشاركة في هذا الموكب الذي لن يمحى من ذاكرة عربي في أي عصر وتم توظيف سلاح البترول لخدمة الأهداف العربية بمبادرة من قادة عظام ، ارتفعوا إلى مستوى الحدث في لحظات محدودة وبادروا باتخاذ خطوات تاريخية من تلقاء أنفسهم اذكر منهم فقيد العروبة والإسلام الملك الراحل فيصل بن عبد العزيز الذي سنظل جميعاً نذكر له دوره وشهامته الأصيلة بكل إجلال وتقدير .

الأخوة والأخوات

وسط هذه النفحات المباركة لحرب أكتوبر المجيدة هناك حقيقة لابد أن نصارح بها أنفسنا وهي أن هذه الصفحة الناصعة من التاريخ المصري لم تحظ في تقديري وتقدير الكثير من المواطنين بما تستحقه من الاهتمام من مثقفي مصر ومبدعيها ، وكان جديراً بهم أن يسجلوا اللقطات الحاسمة فيها بأقلامهم ورسومهم وأشعارهم وأفلامهم حتى تظل حية في وجدان الأجيال المتعاقبة من أبناء مصر والأمة العربية تبقى إلى الأبد مثالاً مضيئاً لعودة الوعي وتجدد الثقة فى نفوس الملايين حين يتحدد أمامهم الهدف المشروع والأمل المنشود وحيث يعرف الشعب طريقه. وأقول مرة أخرى أننا كنا ننتظر ألا يقتصر على تسجيل كل ما يتصل بالحرب المباركة من الإعداد إلى الأداء ، وتلك مهمة تحملت فيها القوات المسلحة المسئولية الأولى والنصيب الأوفر ، وإنما كنا وما زلنا ننتظر من المبدعين المصريين والعرب أن يسهموا في تخليد هذا الحدث الخطير في

كتب رصينة وأبحاث مستفيضة ، وفي لوحات رسم وأعمال درامية محكمة ، تتناسب مع جلال المناسبة ، وطبيعة الإنجاز.

ولست أقول هذا ناقداً بل مراقباً ومعاتباً ، ولعل في الأبحاث التي تقدم في هذه الندوة والمناقشات التي تدور فيها ما يشحذ الهمم ، ويلهم العقول ، ويعبئ الطاقات الإبداعية فيطلقها من عقالها ، ويوقظها من سباتها ، ولاء للوطن ووفاء لتلك الفئة الباسلة من أبناء مصر البررة ، الذين جادوا بأرواحهم لكى تحيا مصر حرة تستعصي على الغزاة والمعتدين ولكي تكون كلمة الحق هي العليا ولكي ينتصر الحق المشروع على القوة الغاشمة ولكي تتفتح على ضفاف وادي النيل الحبيب كل يوم ملايين الأزهار .

وفقنا الله وإياكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة السيد المشير

حسين طنطاوي

القائد العام للقوات المسلحة المصرية
وزير الدفاع والإنتاج الحربي

●● الرئيس محمد حسني مبارك رئيس الجمهورية القائد الأعلى للقوات المسلحة : يشرفني - وأنتم تفتتحون الندوة الاستراتيجية لحرب أكتوبر - أن أهنئكم باسم رجال القوات المسلحة بالذكرى الخامسة والعشرين لنصر أكتوبر المجيد وأن أقدم لكم عظيم الشكر و الامتنان لشمولكم هذه الندوة برعايتكم لما ترتب على هذه الحرب من آثار خلال السنوات الخمس والعشرين الماضية .

أن نصر أكتوبر المجيد - الذي كان لكم فيه دور بارز - سيظل دوماً مبعث افتخار شعب مصر وقواته المسلحة - وتكتسب هذه الندوة أهميتها من أنها تنعقد لتتدارك نتائج حرب أكتوبر التي كانت وستظل منعطفاً تاريخياً مهما وطنيا وقوميا عندما انطلقت روح أكتوبر التي كان لها تأثيرها على الاستراتيجيات السياسية والاقتصادية في العالم كله ، مما جعلها تشكل مرحلة من أهم مراحل تاريخ مصر والأمة العربية ، وأثبتت قدرة الشعب المصري وقواته المسلحة على تخطيط وإدارة وتنفيذ هذا العمل البطولي بكل كفاءة واقتدار.

وكانت روح أكتوبر صحوة لها دويها على الصعيدين العربي والدولي استعاد بها الوطن أرضه وعزته واسترد بها المقاتل المصري كرامته وثقته في ذاته ، وأعاد للأمة العربية وحدة الهدف والمصير .

وتأتي هذه الندوة كحلقة تستكمل العمل الذي وجهتم به من قبل بضرورة تسجيل تاريخ وأعمال القوات المسلحة ، الذي قطعنا فيه شوطا طويلا .

أن توصيات هذه الندوة الموقرة التي تضم نخبة ممتازة من الخبراء والمختصين والتي ستبلورها الآراء والدراسات ووجهات النظر المتبادلة سيكون لها التقدير الكامل لما لها من أهمية في تقييم حرب أكتوبر ونتائجها ، وآثارها بعد ٢٥ عاما ، كما ستخرج بفكر عن كيفية تجنب نشوب حرب جديدة في المنطقة في المستقبل .

وإذ أرجو للندوة الموقرة كل التوفيق في عملها ، فإنني أتوجه بالشكر والتقدير إلى قائدنا الأعلى محمد حسني مبارك على كريم رعايته لهذه الندوة كما أوجه شكر القوات المسلحة لكل من ساهم في الاشتراك فيها .

تقديم الندوة

لواء أ.ح/سمير سعيد فرج

مدير إدارة الشئون المعنوية للقوات المسلحة
منسق عام الندوة

إن حرب أكتوبر مثلت لمصر وللعرب ولمنطقة الشرق الأوسط كلها نقطة التحول الفاصلة والأكثر حسماً في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي ، فقبل حرب أكتوبر كانت الاستجابة العربية للتحدي الإسرائيلي استجابة تنطوي علي تراجع في مواجهة التفوق الإسرائيلي والذي أدي في النهاية إلي نكسة ١٩٦٩.

إن حرب أكتوبر، هذا الإنجاز العظيم الذي ظل ينتظره الشعب المصري والعربي بكل شغف وقلق أكثر من ست سنوات قاسية ، لم يكن مجرد عبور للقوات المسلحة المصرية لقناة السويس بل كان عبورا بمصر والعرب من حالة اليأس والانكسار إلي شعور بالثقة والفخار والانتصار .

إن احتفالنا بنصر أكتوبر هو استلهام للطاقات المعنوية الهائلة والكامنة في شعبنا المصري العريق وحافز لروح أكتوبر الوثابة ونبراس لشبابنا في استكمال بناء مصر الغد ، خاصة ونحن علي مشارف قرن جديد ، البقاء فيه للأقوى و الأقدر ، ولقد جاء احتفال قواتنا المسلحة بالعيد الفضي للانتصار العظيم مغايراً حتى يكون مواكباً ومناسباً لعظمة المناسبة وكانت هذه الندوة الاستراتيجية لتحلل وتتعمق في ظروف وملابسات حرب أكتوبر والخروج بالنتائج والدروس المستفادة والعبر التي تؤدي إلي حفظ وصيانة وحماية السلام بالمنطقة .و تضمنت الندوة أربعة محاور رئيسية ، عسكرية و سياسية و اقتصادية واجتماعية ، تدراست جميعها أربعة موضوعات حيوية تعبر عن فترات الإعداد وإدارة ونتائج هذه الحرب :

الأول : من حرب الاستنزاف إلي حرب أكتوبر ١٩٧٣.

الثاني : تحديات وملامح التخطيط لحرب أكتوبر في كافة المجالات.

الثالث: المراحل الرئيسية لإدارة الحرب و تطوراتها .

الرابع : نتائج حرب أكتوبر بعد مرور ٢٥ عاماً .

و اختتمت الندوة أعمالها بحلقة النقاش ، اشتركت فيها كافة المحاور لإدارة حوار قومي يستلهم الإجابة عن تساؤل استراتيجي عن كيفية منع نشوب حرب جديدة في المنطقة ؟
ولقد شرف هذه الندوة وزاد من أهميتها تكرم الرئيس محمد حسني مبارك رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة بوضعها تحت رعايته ، بل لقد شرفها بالحضور في جلستيها الافتتاحية والختامية ، و أضافت كلمته الاحتفالية بهذا اليوم العظيم لشعب مصر وقواته المسلحة الكثير من التوصيات الفعالة.

لقد أكدت الندوة علي أن حرب أكتوبر انطوت علي إنجازات تضع بصماتها الواضحة علي التاريخ المصري المعاصر ، وكانت المقدمة الأساسية لإقامة السلام الذي لا يمكن أن يبني إلا علي القوة الذاتية والثقة بالنفس ، إن السلام هدف عزيز نعمل من اجله ونجاهد للحفاظ الدائم عليه من خلال قوة مسلحة تحميه .

■ الجلسة الأولى :

من حرب الاستنزاف إلى حرب أكتوبر

نفتتح أعمال المحور العسكري لندوة أكتوبر بعد ٢٥ عاماً وشعارها « حرب من أجل السلام » والتي تنظمها إدارة الشئون المعنوية للقوات المسلحة تحت رعاية بطل أكتوبر السيد الرئيس « محمد حسني مبارك » رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة.

اسمحوا لي أن أرحب بالحضور الكريم من كبار القادة وكبار المسئولين وبالأخوة والأبناء من الأجيال الجديدة وطلبة الكليات العسكرية المختلفة أمل مصر المستقبل .

عندما فكرت القيادة العامة للقوات المسلحة في إعداد وتنظيم وتصميم هذه الندوة ،كانت تهدف إلى طرح فكر وأداء كافة أفرع القوات المسلحة وكافة الهيئات والإدارات والمحاور التي شاركت في حرب أكتوبر باعتبارها حرب كافة الأسلحة المشتركة وحرب الجميع .. ولكننا وجدنا إننا نحتاج إلى أكثر من شهر كامل صباحاً ومساء لنحاول أن نغطي كل هذه الأنشطة .
ولكننا – بسبب ظروف الوقت المتاح – وصلنا إلى حل توفيقي – يرضي الجميع – هذا الحل هو أن نختار بعض رموز أبطال القوات المسلحة في بعض المجالات والذين أرتبط فكرهم وآراؤهم بفكر وآراء كافة جهود القوات المسلحة – رموزاً أشبه بقادة الأوركسترا الذين تجمعت لديهم منظومة نغم أكتوبر العظيم .

ولعلني لا أبالغ إذا قلت أن هذه الندوة موجهه إلى شعب مصر العظيم والشعب العربي الشقيق بصفة عامه ولكنها موجهة – على وجه الخصوص – للأجيال الجديدة التي لم تشارك في حرب أكتوبر ليتعرفوا عن قرب على الذين صنعوا أحداث التاريخ الحديث ويعرفوا كيف ارتفعت أعلام مصر وقامتها عالياً .. فمسئوليتهم أن يحافظوا على هذه الأعلام والقامات مرتفعة دواماً إلى عنان السماء .

وسوف يتناول المحور الموضوع في أربع جلسات كالآتي :
الجلسة الأولى : وموضوعها « من حرب الاستنزاف إلى حرب أكتوبر » .
الجلسة الثانية : وموضوعها « تحديات التخطيط العسكري لحرب أكتوبر وإستراتيجية مواجهتها » .
الجلسة الثالثة : وموضوعها « المراحل الرئيسية لإدارة الحرب وتطورها » .

الجلسة الرابعة : وموضوعها « نتائج حرب أكتوبر بعد ٢٥ عاماً » .
ثم يختتم المحور العسكري بالمشاركة في حلقة النقاش وموضوعها « كيف نمنع نشوب حرب جديدة» .

تقديم المتحدث الأول

• جلستنا الأولى بعنوان : من حرب الاستنزاف إلى حرب أكتوبر ١٩٧٣ .
• ومحدثنا الأول هو أستاذي وقائدي سيادة اللواء أ.ح / حسن الجريدلي الذي كان أميناً عاماً لوزارة الدفاع ثم رئيساً لهيئة عمليات القوات المسلحة وحاصل على نجمة الشرف العسكرية في أكتوبر ٧٣ . وحديث سيادته سيدور حول « إعداد الدولة للحرب » وهو خبرة ضخمة في هذا الموضوع بحكم العلم والخبرة والممارسة، فوجوده كأمين عام وزارة الدفاع أتاح له فرصة ومسئولية التنسيق مع كل قطاعات الدولة المختلفة لإعدادها للحرب القادمة . وهذا المفهوم تم تعديله ليصبح « إعداد الدولة للدفاع » .

• وإلى الأجيال الجديدة شباب مصر الغالي أتجه لأقول لهم أن بعد حرب أكتوبر ٧٣ تشكلت في إسرائيل لجنة لدراسة وتقصي أسباب تقصير جيش الدفاع الإسرائيلي في هذه الحرب ورأس هذه اللجنة قاض إسرائيلي كان رئيساً للمحكمة العليا الإسرائيلية وأسمه « أجرانات » وسمى التقرير عند نشره باسم تقرير أجرانات .
في النسخة الإنجليزية للتقرير استوقفني سطر واحد .. سطر يقول أن رئيس اللجنة وجه سؤالاً إلى أحد مسئولي المخابرات الإسرائيلية هو : Why did this happen ? لماذا حدث ذلك؟
وكانت الإجابة : « Sir, Egypt was ready to go to war ... we were not
سيدي لقد كانت مصر مستعدة للدخول في حرب ... ونحن لم نكن مستعدين » .
• ووراء هذا السطر الواحد كان هناك مفهوم شامل تبنته القوات المسلحة .. هو مفهوم إعداد الدولة للحرب .. إعداداً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وإعلامياً وعسكرياً وفي كافة المجالات باعتبار أن حرب أكتوبر المجيدة كانت حربَ تحرير وحرب الشعب كله وطليعة القوات المسلحة
• عن هذا المفهوم يتحدث إلينا أستاذي وقائدي السيد اللواء أ.ح / **حسن الجريدلي** .

الورقة الأولى :

إعداد الدولة للحرب

لواءأ.ح/ حسن الجريدلى

أمين عام وزارة الدفاع إبان حرب أكتوبر

أولا : مقدمة :

١- عندما نتحدث عن إعداد الدولة للحرب بصفة عامة نجد أنه يعني ببساطة تطوير قدرات وامكانيات الدولة وأسلوب استخدامها لكافة نواحيها العسكرية والاقتصادية والسياسية والبشرية لتحقيق أهداف وغايات الدولة .

والواقع أن هذا المفهوم لم يكن يأخذ اعتبارا قبل عام ٦٧ ، بل لم يكن هناك تخطيطا وتنفيذا لاعداد الدولة لتلك الحرب لتحقيق أول أهدافها ، وهو أمنها وسلامتها وقدرتها على صد أي عدوان يوجه إليها في أي وقت . ولعل هذا القصور كان أحد الأسباب الرئيسية لهزيمة يونيو ٦٧ .

٢- وكدرس مستفاد من تلك الهزيمة :

بدأت المرحلة التحضيرية للجولة الرابعة المصرية الإسرائيلية بمجرد انتهاء الجولة الثالثة عام ٦٧ نتيجة اليقين بأن هناك جولة رابعة للصراع يلزم الاعداد الجاد المكثف لها في كل نواحي الدولة إعدادا علميا واقعيا شاملا .

وظهر في تلك المرحلة التحضيرية لأول مرة موضوع إعداد الدولة للحرب كموضوع هام يجب أن يأخذ حقه من الاهتمام ، وتم البدء في تطبيق أسسه ومبادئه والتزاماته سياسيا واقتصاديا وعسكريا ، وكان لاعداد الشعب نصيب من الانجازات في تلك المرحلة ، إذ تم تطوير ودعم قوات الدفاع الشعبي والعسكري لتتولى مسئولياتها عندما يبدأ الصراع المسلح .

وبصفة عامة سار إعداد الدولة للحرب بمضمونه الشامل بتهيئة وإعداد الدولة اقتصاديا وسياسيا

وشعبيا ومعنويا - وبالمقام الأول عسكريا - مع اتخاذ الإجراءات التي تضمن استمرار العمل السليم في مجال الانتاج والخدمات في جميع مرافق الدولة سواء في مرحلة الاعداد أو أثنا . اندلاع الصراع مع المحافظة على الروح المعنوية العالية للشعب وقواته المسلحة والتصميم على بذل كل غال أو رخيص في سبيل الإعداد وتحقيق النصر .. كل ذلك طبقا لتخطيط سليم دقيق لجميع نواحي الإعداد مع التنسيق والتعاون الوثيق بين أجهزة الدولة جميعها سواء في المرحلة التحضيرية أو أثناء الحرب .

ولقد سار إعداد الدولة لحرب أكتوبر في خمسة اتجاهات رئيسية في آن واحد .. فبينما كان اعداد القوات المسلحة وتطويرها يسير على قدم وساق طبقا لمراحل مدروسة ومخططة ، كان الاقتصاد القومي بوصفه الاتجاه الثاني يتم تهيئته للحرب في مجالاته المختلفة .
أما الاتجاه الثالث فقد تركز على إعداد الشعب للحرب في كافة المجالات التقنية والعلمية والعسكرية والمعنوية والدفاع الشعبي .

ثم كان هناك الاتجاه الرابع ، وهو إعداد أراضي الدولة كمسرح للعمليات ، ثم يبقى الاتجاه الخامس الذي يخدم هذه الاتجاهات الأربعة وهو مجال السياسة الخارجية بما يتلاءم مع أهداف الحرب ، ويهيئ الظروف السياسية المناسبة التي تخدم الهدف من الصراع المسلح المقبل .

الإعداد السياسي :

٣- لقد سار الاعداد السياسي في اتجاه جميع المجالات العربية ، الأفريقية ، دول عدم الانحياز ، الاتحاد السوفيتي ، دول الكتلة الشرقية ، الولايات المتحدة الأمريكية ، الكتلة الغربية ، وأخيرا في مجال الأمم المتحدة .

أ- المجال العربي :

بذلت الدبلوماسية المصرية جهدا كبيرا في الساحة العربية لتنقية الأجواء ، وإزالة السلبيات وحشد الطاقات لدعم العمل العسكري الذي اعتزمت القيام به . وقد أثمرت تلك الجهود فيما قدمته العراق ، الكويت ، الجزائر ، المغرب ، السودان ، ومنظمة التحرير الفلسطينية من مشاركة عسكرية ، وما قدمته المملكة العربية السعودية ودولتا الكويت واتحاد الإمارات العربية من دعم مالي لخدمة المجهود الحربي قبل وأثناء الحرب .

وكانت سوريا هي الدولة العربية الوحيدة التي سار التخطيط المشترك معها على قدم وساق لشن الحرب ، وبالتنسيق الوثيق بالنسبة لتوقيت الهجوم ومراحله ونتائجه المرجوة بصفة أن جبهتها القتالية تشكل مع الجبهة المصرية أنسب مسارح العمليات لممارسة أسلوب العمل من خطوط خارجية لتفويت الفرصة على العسكرية الإسرائيلية لممارسة العمل من الخطوط الداخلية التي كسبت بفضلها أغلب الجولات السابقة .

ب- المجال الأفريقي :

كان مؤتمر القمة الأفريقي المنعقد في يونيو ١٩٧١ بمثابة نقطة التحول في الموقف الأفريقي من مجرد التأييد اللفظي للعرب في صراعهم مع إسرائيل إلى اتخاذ الخطوات الإيجابية لدعم قضيتهم العادلة ، فتشكلت لجنة الحكماء الأفارقة التي حاولت اختراق موقف الحكومة الإسرائيلية المتعنت دون جدوى مما أثار حفيظة غالبية الدول الأفريقية ضدها .

ثم عقد مؤتمر قمة منظمة الوحدة الأفريقية في مايو ١٩٧٣ ، واتخذ لأول مرة قرارا صريحا وواضحا بإدانة إسرائيل لاستمرار احتلالها لأرض العرب ، وإصرارها على رفض القرارات الدولية ، أو الاعتراف بحقوق شعب فلسطين . وقد أسهم هذا المؤتمر وقراراته الصريحة في زيادة عزلة إسرائيل في أفريقيا .

ج- مجال دول عدم الانحياز :

نشطت الاتصالات الدبلوماسية الشخصية بين رئيس جمهورية مصر ورئيس جمهورية يوغسلافيا في يناير ١٩٧٣ الذي أبدى دعمه الكامل لمصر من أجل إزالة آثار العدوان ، كما بعث الرئيس السادات عدة رسائل لرؤساء وزراء دول عدم الانحياز مؤكدا على أن استمرار احتلال إسرائيل لأرض العرب ورفضها الحلول العادلة يعطي للدول العربية التي وقع عليها العدوان الحق لإزالته بكل الطرق المشروعة ، وقد أيدته غالبية تلك الدول في ذلك الرأي ، ووعدت بمؤازرته دوليا .

وفي سبتمبر ١٩٧٣ - وقبل نشوب الحرب بثلاثة أسابيع فقط - عقدت حركة عد الانحياز مؤتمر القمة في الجزائر ، والذي حضره الرئيس السادات ، وأعلن فيه أنه لم يعد هناك مفر من المعركة ، حيث لا يمكن قبول السلام بشروط إسرائيل التعسفية . وقد لقي موقف مصر تأييدا جماعيا من المؤتمر الذي أعرب عن عميق اقتناعه بعدالة المطالب العربية ، وأن موقف إسرائيل يشكل تهديدا للأمن والسلام العالمي ، كما طالبها المؤتمر بالانسحاب الفوري وغير المشروط من كافة الأراضي المحتلة .

د- مجال الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية :

عندما لاحت بوادر عزوف الاتحاد السوفيتي عن مؤازرة مصر في تحرير أرضها بالعمل العسكري عزمت مصر على زيادة الاعتماد على قدرتها الذاتية في خدمة المعركة الوشيكة ، مع استخلاص كل ما يمكن استخلاصه من المساعدات السوفيتية والدول الدائرة في فلكه .

ولتحقيق تلك المرامي اهتمت الدبلوماسية المصرية برأب الصدع المترتب على إنهاء عقود الخبراء السوفيت في صيف عام ١٩٧٢ ، وفي المقابل أبدى السوفيت حرصهم على استمرار معاهدة الصداقة المصرية السوفيتية .

وقد شهد عام ١٩٧٣ نشاطا مصريا مكثفا في الزيارات الرسمية للاتحاد السوفيتي ، والتي قام بها السيد / محمد حافظ إسماعيل مستشار الأمن القومي ، وكذا الفريق أول / أحمد إسماعيل علي وزير الحربية والقائد العام ، لتوضيح أن أية تسوية سلمية للمشكلة العربية الإسرائيلية لابد وأن يسبقها تعديل التوازن المختل في القوى بالمنطقة ، بما يحتم توفير الفاعلية للقوات المسلحة المصرية برفع قدراتها القتالية وتطوير قوة الردع ، وقد نجحت هذه الجهود في عقد صفقة تسليح كانت من أكبر الصفقات التي عقدتها مصر مع السوفيت .

هـ- مجال الولايات المتحدة والكتلة الغربية :

كانت مصر قبيل جولة خريف ١٩٧٣ شبه محاصرة سياسيا من الغرب بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية التي انحازت بكل ثقلها إلى جانب إسرائيل ، وجرت معها غالبية الكتلة الغربية ، فيما عدا الجمهورية الفرنسية التي اتخذت موقفا وسطا يتسم بالاعتدال .

ولم تتوقف الولايات المتحدة عن الضغط على مصر لتقديم التنازلات لإسرائيل ، والتأكيد على عدم قدرتها على ممارسة أية ضغوط على إسرائيل أو وقف إمدادها بالأسلحة فائقة التطور التي تكفل لها اليد العليا في المسرح .

وخلال اللقاءات التي تمت بين مستشاري الأمن القومي للدولتين في فبراير ومايو ١٩٧٣ حرص هنري كسينجر على ألا يذكر كلمة واحدة عن انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية ، بل قال صراحة « أنه ليس هناك أفضل من قناة السويس ونهر الأردن كخطوط دفاع عن إسرائيل ، وأن الضرورة تقضي بوجود قوات إسرائيلية في شرم الشيخ » .

ورغم أن غالبية الدول الغربية كانت تعتنق تلك الآراء الأمريكية التي عبر عنها هنري كسينجر بوضوح مؤلم ، إلا أن زيارات الرئيس السادات لبعض تلك الدول قد خففت من حدة هذا الانحياز الشديد لجانب إسرائيل ، وخاصة بالنسبة لموقف فرنسا التي أدانت العدوان الإسرائيلي عام ١٩٦٧ ، وفرضت الحظر على بيع السلاح الفرنسي لها . كما أعادت مصر علاقتها الدبلوماسية مع دولة ألمانيا الاتحادية مما سبب تحسنا ملحوظا في موقفها من قضية الشرق الأوسط لصالح الحق العربي .

و- مجال الأمم المتحدة :

حرصت مصر مع بداية عام ١٩٧٣ على إثارة قضية الشرق الأوسط في مجلس الأمن بهدف الحصول على قرار قوي يدين إسرائيل . ثم انتهزت مصر فرصة عدوان إسرائيل على بيروت عن طريق البحر في يوليو ١٩٧٣ وقتلها بعض زعماء منظمة التحرير الفلسطينية فدفعت بالمسألة إلى مجلس الأمن في اجتماع طارئ بناء على طلب لبنان ، ورغم تهديد الولايات المتحدة باستخدام الفيتو إذا ما أدينت إسرائيل ، إلا أن المشروع الذي تقدمت به مجموعة عدم الانحياز حصل على الموافقة الكاملة ، فيما عدا دولة الصين الشعبية التي امتنع مندوبها عن التصويت لإصراره على أن تحمل صيغة القرار إدانة أشد .

أما الولايات المتحدة فقد استخدمت حق الفيتو الذي قابلته غالبية المجتمع الدولي بالاستهجان والاستنكار .

٤- الخلاصة :

لقد تركزت الانجازات الدبلوماسية بفضل الجهود السياسية المصرية قبيل جولة خريف ١٩٧٣ في المجالات الأربعة التالية :

أ- عربيا : جمع كلمة العرب على حتمية الحل العسكري ، وحشد طاقاتهم المادية والمعنوية لخوض الحرب .

ب- أفريقيا : الحصول على التأييد والمؤازرة من الدول الأفريقية مع تحقيق المزيد من العزلة لإسرائيل

في تلك القارة التي تعتبر سوقا تجارية لها ومجالا للتغلغل في أرجائها .
ج- العالم الثالث : الاقتناع بعدالة المطالب العربية والحصول على تأييد الغالبية العظمى من دول عدم الانحياز لوجهة النظر المصرية من المشكلة القائمة بينها وبين إسرائيل .
د - المحافل الدولية : الحصول على قرارات واضحة ومباشرة بإدانة العدوان الإسرائيلي ، وضرورة جلائه عن الأراضي العربية المحتلة على نحو ما تضمنه قرار مجلس الأمن بأغلبيته المطلقة في شهر يوليو ١٩٧٣ .

القرار السياسي للحرب :

٥- سننتقل بعد ذلك إلى أهم حدث في هذه المرحلة التحضيرية ، ألا وهو اتخاذ قرار الحرب ، والذي تأثر بعدة عوامل نجمل أبرزها في الآتي :
أ- إن استمرار احتلال إسرائيل للأراضي العربية سوف يتيح لها فرض حقائق ديموغرافية جديدة فيها نتيجة مشروعات التهويد النشطة التي تمارسها في تلك الأراضي ، وتعمل على تغيير معالمها بصورة جذرية ، مع فرض علاقات اجتماعية وأيدولوجية وقانونية من اختيارها على سكان تلك الأراضي .
ب- إن الاهتمام الدولي بالقضية سوف يتضاءل مع مضي الزمن بما يضر بالصالح العربي ، ويخدم الهدف الذي تسعى إليه إسرائيل بسقوط الحقوق بحكم التقادم .
ج- إن حالة اللاسلم واللاحرب تسبب أضرارا اقتصادية واجتماعية ومعنوية للصف العربي لا يصح السماح باستمرارها لمدة طويلة أخرى .
د- إن القوات المسلحة المصرية والسورية قد بلغت مستوى مناسبا من حيث الكفاءة القتالية يمكنها من تنفيذ مهامها في العمليات .
هـ- إن الموقف الدولي والمؤازرة والتأييد العالمي لوجهة النظر العربية قد بلغ ذروته في صيف عام ١٩٧٣ بما يدعم التحرك للحرب بصورة مؤكدة ، ولن يخدم الزمن ذلك الموقف بأكثر مما وصل إليه وقتئذ .

٦- وترتب على هذه العوامل المؤثرة أن صار استخدام القوة العسكرية لتغيير الوضع السياسي والعسكري ضرورة حتمية لتحريك القضية في أقرب وقت مناسب لبدء الحرب .
وكان طبيعيا أن يعقب ذلك بحث أفضل أساليب استخدام القوة العسكرية في المسرح لاختيار أكثرها تحقيقا للأهداف المنشودة ، مع مراعاة تحقيق التوازن بين تلك الأهداف ذات المحتوى السياسي ، وبين القدرات الحربية المتاحة بما يعني تحديد شكل الحرب ومدتها ومجالها الجغرافي في حدود ذلك التوازن

٧- بناء على قرار استخدام القوة العسكرية ، وبعد أن تم تحديد شكل الحرب التي اعتزمت القيادتان السياسيتان المصرية والسورية خوضها في أقرب وقت ، تحولت الدراسات السياسية إلى تحديد الهدف السياسي المنشود من تلك الحرب . وبعد تمحيص كافة المؤثرات على ذلك الهدف من كافة الجوانب السياسية والعسكرية ، استقر الرأي على الصيغة التالية :
« كسر جمود الموقف السياسي لأزمة الشرق الأوسط ، وإنهاء حالة اللاسلم واللاحرب من خلال العمل على قلب موازين الموقف الاستراتيجي في الشرق الأوسط ، وبالشكل الذي يهيئ أنسب الظروف السياسية والاستراتيجية لاستخدام باقي القوة العربية في تحقيق الأهداف القومية النهائية .

٨- تحديد الهدف الاستراتيجي العسكري للقيادة العامة للقوات المسلحة المصرية :
واستطرادا من الهدف السياسي للحرب سار تحديد الهدف الاستراتيجي العسكري الذي تلتزم به القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية في تخطيط وإدارة العملية الهجومية على النحو التالي :
تحدي نظرية الأمن الإسرائيلية عن طريق القيام بعمل عسكري حسب إمكانيات القوات المسلحة المصرية يكون هدفه الحاق أكبر قدر من الخسائر بالعدو ، وإقناعه بأن مواصلة احتلال الأراضي العربية يفرض عليه ثمنا لا يستطيع تحمله ، وبالتالي فإن نظرية الأمن التي يعتنقها على أساس التخويف النفسي والسياسي والعسكري ليست درعا من الفولاذ يحميه الآن أو في المستقبل .
٩- وكانت القيادة السياسية المصرية على ثقة من أن تحقيق ذلك الهدف في الميدان سوف تترتب عليه المكاسب التالية :أ- على المدى القريب : فتح الطريق للوصول إلى حل عادل ودائم ومقبول لأزمة الشرق الأوسط .ب- على المدى البعيد : إحداث تغيير جذري في الموقف العسكري يؤدي بالتراكم إلى تغيير مماثل في فكر العدو وسياسته المعتمدة .
١٠- تحديد وقت بدء الحرب :
والتقت الظروف والأوضاع السياسية والعسكرية الداخلية والمحلية مع الظروف السياسية الدولية على أن خريف ١٩٧٣ هو أفضل الأزمنة لخوض الحرب ، وأن التسويف فيها سوف يضر بالمصلحة العربية ، وقد يفوت عليها فرصة خوضها تحت مزايا تعاطف الرأي العام العالمي ، وتوفر الظروف السياسية والعسكرية الملائمة لذلك .

١١- تحديد المهام الاستراتيجية العسكرية للقوات المسلحة :
أ- بعد أن حدد الرئيس السادات الهدف الاستراتيجي العسكري أصدر إلى القائد العام للقوات المسلحة توجيها استراتيجيا حدد له فيه المهام التي يتعين على القوات المسلحة تنفيذها .
ب- وقد أعقب ذلك انكباب القيادة العامة للقوات المسلحة ، وقيادات الأفرع الرئيسية على وضع الخطط للعملية الهجومية الوشيكة ، وإنجاز كافة الأعمال المتعلقة بتنظيم التعاون وتنسيق الخطط المشتركة بين جبهتي قناة السويس والجولان .
١٢- كما نشطت إجراءات الإعداد والتحضير للعملية الهجومية ، واستكمال الترتيبات ، وتركيز التدريب على المهام القتالية ورفع المعنويات ، جنبا إلى جنب استكمال اعداد الدولة للحرب ، وحماية المنشآت والمؤسسات السياسية والاقتصادية بها .
١٣- وواكب الدراسات والأنشطة السابقة دراسات أخرى مكثفة للوقوف على ركائز ومكامن القوة ، ومواطن الضعف في جانبي العدو بهدف استغلالها في تخطيط وإدارة العملية الهجومية على أفضل الوجوه .
إعداد القوات المسلحة للحرب :
١٤- بدأ إعداد القوات المسلحة للحرب عقب انتهاء جولة يونيو ١٩٦٧ ، واستمر على قدم وساق حتى انطلقت الطلقة الأولى للجولة الرابعة يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، وسار الإعداد - ولأول مرة - طبقا لخطط مرحلية مرتبطة بفكرة الاستخدام السياسي الاستراتيجي للقوات المسلحة .

وقد تضمن إعداد القوات المسلحة للحرب مجالات كثيرة من أهمها الآتي :

أ- التخطيط الاستراتيجي .
ب- تحديد حجم وبناء القوات المسلحة .
ج- مراجعة وتطوير نظام التعبئة .
د- تجهيز مسرح العمليات .
هـ- إعداد عناصر القيادة والسيطرة .
و- إعداد الفرد المقاتل .

أ - التخطيط الاستراتيجي :

في أعقاب جولة يونيو ١٩٦٧ عقدت دراسات مستفيضة في عدة مجالات على مستوى الدولة وقواتها المسلحة بغرض تحديد أوجه القصور ، والخروج بالدروس المستفادة ، وعلى ضوء هذه النتائج والهدف السياسي الذي تحدد .

ثم وضعت خطة الاستخدام الاستراتيجي للقوات المسلحة في كل مرحلة بالتنسيق مع الخطط الاستراتيجية في المجالات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والمعنوية ، واعتبرت خطة الاستخدام الاستراتيجي للقوات المسلحة الوثيقة الرئيسية لإعداد القوات المسلحة للحرب .

ب- تحديد حجم القوات :

روعي عند وضع الهيكل التنظيمي للقوات المسلحة بعد يونيو ١٩٦٧ أن يحقق التوازن الاستراتيجي والتعبوي والتكتيكي في بنائها ، بما يخدم عمليات ومعارك الأسلحة المشتركة مع الحرص على استمرار تطوير الأسلحة والمعدات والأفراد . ولقد تحقق معظم هذه الشروط من ناحية الكم ، إلا أن أوجه القصور الرئيسية ونقاط الضعف ظلت تحد بدرجة كبيرة من التحرك نحو تحقيق الأهداف الهجومية الاستراتيجية ، وتركز ذلك في القيود التي فرضها الاتحاد السوفيتي على نوعية الطائرات وأجهزتها التكميلية المتطورة ، ووسائل الاستطلاع الجوي والبري والبحري مما عرقل القوات المسلحة لاستكمال العمليات التعرضية .

وفي محاولة استكمال أوجه النقص في بعض الأسلحة باستغلال مميزات أسلحة أخرى عمدت القيادة العامة إلى زيادة الكم للتغلب على ضعف الكيف ، كما عمدت إلى استخدام بعض الأسلحة الدفاعية في واجبات هجومية لموازنة تفوق العدو ، فأقيم حائط الصواريخ المضادة للدبابات للتغلب على تفوقه في قوة الصدمة ، كما طورت العناصر الهندسية كما ونوعا بما يضمن التغلب على المانع المائي وتحصينات خط بارليف مع استمرار السعي إلى تدبير ما ينقص من الأسلحة والمعدات المتطورة من المصادر الخارجية .

وصار الفصل بين قيادة قوات الدفاع الجوي وقيادة القوات الجوية فرعين رئيسيين من الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة ، كما أنشئت أجهزة جديدة مثل الهيئة الهندسية وإدارة الأسلحة والذخيرة وإدارة الحرب الالكترونية وإدارة أمن السيطرة وإدارة المياه .

وأعيد تنظيم المناطق العسكرية وزيد عددها لإحكام السيطرة على القوات الموضوعة تحت قيادتها في

الاتجاهات الاستراتيجية المختلفة .

كما اتبع أسلوب مركزية السيطرة على الأنشطة المشتركة في جميع أفرع القوات المسلحة مثل أنشطة التأمين الاداري والفني وأعمال المهندسين العسكريين والاشارة والكيمياء ، واعتبر الاستطلاع كيانا قائما بذاته نظرا لأهميته في تلبية مطالب العمليات من المعلومات .
ومن ناحية التسليح .. دخلت أنواع جديدة من المدفعية بعيدة المدى ، والصواريخ أرض/أرض المتوسطة والبعيدة المدى ، والمقذوفات الموجهة المضادة للدبابات والمضادة للطائرات ، والدبابات ت-٦٢ ، والمركبات المدرعة الحديثة مثل ب م ب والعديد من التطورات على المستوى التعبوي والتكتيكي في التشكيلات والوحدات الميدانية .

وواكب هذا التطور في التنظيم والتسليح تطورا آخر في نوعية المقاتل إذ تم تجنيد الحاصلين على المؤهلات العليا والمتوسطة مما رفع مستوى الفرد بصورة عامة ، فدخلت القوات المسلحة جولة الخريف بنوعية جديدة من المقاتلين .

ج- مراجعة وتطوير نظام التعبئة :
والواقع أن الأسلوب العلمي والعملي الذي تمت به إجراءات التعبئة في القطاع المدني وفي مجالات الصناعة والبترول والزراعة والنقل والصحة وأجهزة الدفاع المدني وتعبئة القوة العاملة والمعاهد العلمية ومصادر الاسكان وأجهزة الاعلام يرجع الفضل فيه إلى الاعداد المسبق في كل تلك المجالات .
أما بالنسبة لحجم التعبئة فقد تم تكوين رصيد كاف من الاحتياط الجديد المدرب، علاوة على مجموعات سد الخسائر من الاحتياط القديم . ومن ناحية أسلوب استدعاء الاحتياط تم التوسع في عدد من مراكز التعبئة ، إذ أنشئ مركز تجنيد وتعبئة في كل مركز أو قسم من أقسام الشرطة المدنية ، كما استخدمت الحواسب الالكترونية في عمليات التسجيل ، وطورت النماذج والسجلات المستخدمة ورسمت خطة الاستدعاء بحيث يرحل الفرد من محل إقامته بملابسه العسكرية إلى وحدته مباشرة عن طريق مركز التعبئة والتجنيد .

وقد نفذت التعبئة قبل جولة ١٩٧٣ مباشرة لأغراض التدريب كاختبار عملي لخطة تعبئة القوات المسلحة ومدى كفاءتها في تلبية احتياجاتها من قطاع الاحتياط والقطاع المدني .
وفي نفس الوقت خدمت التعبئة خطة الدفاع الاستراتيجي والتعبوي إذ تم استدعاء دفعات الاحتياط المسرح حديثا المخصصة لاستكمال التشكيلات في سرية تامة للانضمام إلى وحداتها تحت ستار المشروع الاستراتيجي التعبوي اعتبارا من ٢٧ سبتمبر ١٩٧٣ وأمكن خداع العدو بتسريح جميع الأفراد الاحتياط الذين سبقت لهم الخدمة بالقيادات والادارات من غير المطلوبين للقتال ، قبيل العمليات بمدة كافية مع نشر جدول زمني مخادع على التشكيلات يقضي بتسريح باقي الاحتياط في توقيتات مختلفة بعد ٦ أكتوبر وحتى نهاية الشهر ، وبالطبع لم ينفذ ذلك إذ كان الغرض منه القضاء على الشائعات التي انتشرت بين الرأي العام في ذلك الوقت بأن التعبئة العامة ستؤدي إلى حرب شاملة .

د- إعداد وتجهيز مسرح العمليات :

(١) بدأت إجراءات تجهيز مسرح العمليات في الجبهة وباقي المناطق العسكرية في أعقاب جولة يونيو ١٩٦٧ مباشرة .

وسارت عملية تجهيز المسرح في خدمة التخطيط طبقا لأهداف كل مرحلة من المراحل الرئيسية .

وفي مرحلة الصمود بدأ التجهيز الهندسي من الصفر لاعداد مواقع دفاعية تحولت بعد ذلك إلى نطاقات دفاعية ، وكانت المطالب من مواد التجهيز الهندسي وخاصة مواد التحصينات تتزايد بصفة مستمرة ، كما اشتدت حاجة القوات إلى الألغام لحماية مواقعها ونطاقاتها الدفاعية ، أما شكائر الرمل فكانت مستودعات المهندسين ترسل الآلاف منها يوميا إلى جبهة قناة السويس إذ كانت هي الوسيلة الرئيسية لتجهيز مواقع المشاة والمدفعية والدفاع الجوي والمركبات ومعدات القتال الأخرى .

وفي مرحلة الدفاع النشط أحست قواتنا بأهمية العناية بالتجهيز الهندسي ومراعاة مواصفاته الدقيقة كأعماق حفر الخنادق والمرابض ، وسمك الردم فوق التحصينات . وقد حققت قواتنا غايتها خلال مرحلة الاستنزاف ليحقق التجهيز الهندسي الوقاية من نيران العدو ، وخاصة قصفه الجوي ، فعمدت إلى تجهيز مواقع ابتدائية للسرايا ثم للكتائب المشاة المدعمة لتعبر منها إلى الضفة الشرقية للقناة لمهاجمة مواقع العدو . كما زاد الاهتمام بإنشاء المرابض التبادلية لكتائب المدفعية وسرايا الدفاع الجوي حتى يمكنها إجراء المناورات السريعة لتفادي القصف الجوي المعادي .

وفي هذه المرحلة أيضا بدأت مصر في إنشاء غابة صواريخ الدفاع الجوي ، وأصبحت المهمة الرئيسية لجميع القوات المسلحة بمختلف الأفرع الاشتراك في إنشائها . وفي صباح أحد أيام شهر يونيو ١٩٧٠ فوجئت الطائرات الإسرائيلية بالصواريخ المصرية تنطلق من كل حدب وصوب فتوقع بها الخسائر التي لم تكن على البال فوجهت ضدها هجمة مركزة لم تكسب منها سوى المزيد من الخسائر .

(٢) التجهيز الهندسي لتشكيلات النسق الأول :

وقد تم على أساس أن يتم الهجوم بفرق مشاة كاملة ، وبذلك ركزت الجهود لتجهيز المنطقة الابتدائية للهجوم لتكفي خمس فرق مشاة مدعمة في النسق الأول للجيشين الميدانيين ، فضلا عن الأنساق الثانية والاحتياط في نطاق الجيش الثالث والثاني الميداني .

وكان تجهيز المنطقة الابتدائية للهجوم يهدف إلى :

(أ) تحقيق تقدم القوات واتخاذها لأوضاعها في المنطقة الابتدائية في سرية تامة .

(ب) تحقيق الوقاية لقوات الجيشين من نيران العدو بجميع أنواعها .

(ج) تهيئة أنسب الظروف لتحول الجيشين بسرعة إلى الهجوم المفاجئ .

(د) القدرة على صد الضربات المعادية في حالة قيام العدو بالسبق بالهجوم .

كما تمت أعمال التجهيز الهندسي باستخدام كل طاقات الجيشين الميدانيين من أفراد ومعدات هندسية مع استغلال طاقات الشركات المدنية للانشاءات ، وشركات استصلاح الأراضي ، وكذا الهيئات التابعة لوزارة الري .

(٣) تجهيز شبكات الطرق والمدقات :
لتأمين تقدم القوات والأسلحة لاتخاذ أوضاعها في المنطقة الابتدائية ، وحتى تستطيع وحدات الكباري التحرك من مناطق تمركزها إلى حافة مياه القناة ، وكذا تقدم القوات والأسلحة إلى المعابر ، أنشئت شبكة ضخمة من الطرق والمدقات الطولية والعرضية إلى جانب عدد كبير من الوصلات التي تؤدي إلى مراكز القيادة ، ومرابض المدفعية والدفاع الجوي ، ومناطق تمركز الاحتياطيات .
ويلغ طول تلك الشبكة حوالي ألفي كيلو متر ، وتوفر في المنطقة الابتدائية لكل فرقة من ٢١ إلى ٢٥ مدقا طوليا ، وثلاثة مدقات عرضية .

(٤) تجهيز مراكز القيادة :
حظيت مراكز القيادة بالاهتمام نظرا لما تشكله السيطرة الثابتة والمستمرة من ركيزة أساسية لتحقيق النصر ، ولذا تم تجهيز مراكز قيادة وسيطرة رئيسية وتبادلية للوحدات والتشكيلات ، كما تم تجهيز قيادة كل جيش بمركز قيادة رئيسي محصن ، ومركزي قيادة متقدمين ، ومركز سيطرة خلفي .
وكانت فكرة إخفاء مركز القيادة بسيطة ، إذ اتخذ طابع القرى المنتشرة حوله على طول الشريط الزراعي الضيق ، وسرعان ما أقيمت المنازل الصغيرة من الطوب اللبن على مداخل مركز العمليات وبعض الملاجئ الأخرى ، وارتفع برج الحمام في الوسط ، كما امتدت أسوار التين الشوكي والمزروعات المختلفة في أحواض تماثل ما يجاورها .

(٥) تجهيز مناطق تمركز وحدات الكباري :
لتأمين تمركز وحدات الكباري المخطط دفعها إلى الجيش قبل بدء العملية الهجومية بأيام قليلة كان لزاما أن تجهز مناطق تمركز لهذه الوحدات بحيث تحقق استيعاب الحجم المخصص لكل جيش ، مع انتشارها ووقايتها من نيران العدو ، فضلا عن خداعه عن أماكن تلك المناطق .
وحتى لا يكتشف العدو احتلال وحدات الكباري عندما تصل إلى مناطقها فقد وضعت خطة خداع تقضي بأن تحتلها بعض العناصر الإدارية القريبة منها ليعتاد العدو على وجود مظاهر الحياة بها .
وقد تنبه على هذه العناصر الإدارية بأن تحتفظ بمناطقها الأصلية في حالة صلاحية تامة حتى يمكن المناورة إليها إذا لزم الأمر . وقبيل وصول وحدات الكباري كانت العناصر الإدارية تخلي مناطقها بعد آخر ضوء مباشر لتنزل الكباري في حفرها ، وتتم أعمال الإخفاء اللازمة قبل أول ضوء . ولقد نجح هذا الأسلوب إذ لم يكتشف العدو وصول وحدات الكباري إلى نطاق الجيوش ، والتي كان وصولها يعني بداية العد التنازلي للهجوم .

(٦) التجهيز الهندسي للقوات الجوية :
إلى جانب الأعمال الهندسية (١٤)التي نفذت لتحقيق صمود القوات البرية ، تم تنفيذ أعمال هندسية مماثلة وعلى نطاق واسع لتحقيق صمود القوات الجوية ومعاونتها على إنزال الضربات على العدو .
وروعي أن يشتمل المطار على ممر رئيسي لخدمة جميع أنواع الطائرات لسهولة المناورة بالتشكيلات الجوية ، علاوة على إنشاء ممر مساعد له لإخلاء الطائرات أو لاستخدامه كممر ثانوي . هذا فضلا عن

إنشاء ممر تبادلي لا يتقاطع مع الممر الرئيسي يمكن استخدامه خلال هبوب الرياح المتغيرة أو أثناء صيانة الممر الرئيسي ، وذلك بالإضافة إلى الممرات المخفاة والممرات الهيكلية .

وفي هذا المجال تم تطوير شبكة من المطارات والقواعد الجوية تضم عشرين مطارا جديدا مع إعداد الممرات التبادلية في جميع المطارات والقواعد الجوية . كما جهزت دشم للطائرات من الخرسانة المسلحة زودت بأبواب من الصلب وفق تصميم هندسي مبتكر ، كما تم إنشاء دشم للمعدات الفنية ، وملاجئ لذخيرة الطائرات .

وقام المهندسون بتشكيل وحدات هندسية لخدمة كل مطار اشتملت على عناصر قادرة على توفير حاجته من الأعمال الهندسية خلال المعركة ، مع استعادة كفاءته في حالة تعرضه للقصف الجوي في أسرع وقت ممكن ، بما في ذلك عناصر إزالة القنابل الموقوتة أو التي لم تنفجر .

(٧)التجهيز الهندسي لقوات الدفاع الجوي :
في نهاية ١٩٦٩ صدرت الأوامر بتركيز جميع الجهود والإمكانيات لإنشاء شبكة مواقع وحدات صواريخ الدفاع الجوي بما يحقق وقاية مناسبة للأفراد والمعدات ضد قصف العدو الجوي . وكان للمهندسين العسكريين سابق خبرة في تصميم المنشآت الوقائية بهذه المواقع ، والتي استفاد بها حلف وارسو كما استفادت الدول العربية الشقيقة .

وبدأ العمل بشكل مكثف في يناير ١٩٧٠ وتحت قصف جوي شديد استمر نهارا وليلا لعرقلة إنشاء مواقع الدفاع الجوي واحتلالها ، والتي كان العدو يعلم أنها تشكل بداية النهاية لتفوقه الجوي .
وتكاتفت جهود مؤسسات الإنشاء المدنية مع جهود وحدات المهندسين العسكريين لتنفيذ تلك المهمة .
وقبل إيقاف إطلاق النار في ٨ أغسطس ١٩٧٠ تمت المهمة واحتلت الصواريخ مواقعها المحصنة ، فأبعدت الطائرات المعادية من سمائنا .

هـ- إعداد وتحضير عناصر القيادة والسيطرة على القوات المسلحة :

إن الدرس المستفاد من جولة صيف ١٩٦٧ هو أن فقدان السيطرة على القوات في الميدان – ولو لبرهة قصيرة – غالبا ما تترتب عليه الهزيمة .
وقد أكد ذلك الدرس أهمية إعداد القيادات وأجهزة الأركان لتكون على درجة علمية وعملية رفيعة بفضل التدريب المستمر مع مراعاة ظروف التفوق الجوي وأعمال الإعاقة الإلكترونية والحرب النفسية . ومن أبرز الإجراءات التي اتخذت لإعداد وتطوير القيادات والأجهزة وفرض السيطرة استعدادا للجولة الرابعة ما تم من فتح مركز العمليات الدائم للقوات المسلحة في مطلع عام ١٩٦٨ بهيئة عمليات القوات المسلحة ، وربطه بمراكز العمليات الدائمة في قيادات الأفرع الرئيسية وقيادات الجيوش الميدانية والمناطق العسكرية مع توفير وسائل المواصلات الخطية واللاسلكية التي تضمن استمرار الاتصال تحت مختلف الظروف المعاكسة .
وخلال عام ١٩٧١ استمر تطوير مراكز القيادة والسيطرة للقوات المسلحة بتوفير غرفة عمليات رئيسية بها الموقف البري والبحري والجوي والدفاع الجوي ، يعمل بها ضباط عمليات واستطلاع

المحاور ، وقد زودت بوسائل الاتصال الخطية ، واللاسلكية ، ومتعددة القنوات ، والبرق الكاتب ، وأجهزة نقل الصورة . كما زودت القيادات والتشكيلات بالأجهزة اللاسلكية المتطورة ذات الحيز الجانبي ، والتي لا تتأثر بأعمال العدو الالكترونية المضادة .
أما من ناحية فرض القيادة والسيطرة المشتركة على المستوى العربي القومي فقد عقد اتفاق عسكري بين قيادتي القوات المسلحة السورية والمصرية في نوفمبر ١٩٧٠ بهدف توحيد الجهود العسكرية للدولتين تحت قيادة واحدة ، وتولى وزير الحربية المصري مهام القائد العام للقوات المسلحة للدولتين .

وفي يونيو ١٩٧٢ شكلت القيادة العامة الاتحادية من الضباط المصريين والسوريين ، وتم ترتيب الزيارات للجبهتين المصرية والسورية بواسطة قادة التشكيلات المصرية والسورية للتعرف على مسارح العمليات والتدارس في خبرة الحروب والمشروعات ، والوقوف على المشاكل والمصاعب وأفضل الطرق للتغلب عليها كما تم ربط مركز القيادة الرئيسي بالقاهرة بمركز القيادة الرئيسي بدمشق بكابل بحري ودوائر برق كاتب ، علاوة على الاتصال اللاسلكي مع استخدام الرمز .

و- إعداد الفرد المقاتل :
وبجانب كل هذا الإعداد كان هناك إعداد خاص حظي بالاهتمام الأول على كافة المستويات ، وهو إعداد الفرد المقاتل إعدادا بدنيا وثقافيا ومعنويا ، وتفهمه الكامل لمهمته بوضوح واقتناع ، وتدريبه عليها عمليا وفي جو مماثل لجو المعركة .
وكانت إعادة البناء للمقاتل من أكثر الأمور مشقة ... فاعتمد في ذلك أولا على البناء النفسي والمعنوي ، فلقد آمنت القيادات الجديدة - والتي تولت المسئولية بعد حرب يونيو ١٩٦٧ - إيمانا راسخا بأن القوة تكمن في أصالة شعبها ، لذلك كان من الضروري في بادئ الأمر إزالة الآثار الناجمة عن معاناة المقاتلين من جراء هزيمة لا يستحقونها ورفع معنوياتهم واستعادة ثقتهم بالنفس والقادة والسلاح وتطويره ، مع تسليح الفرد المقاتل بالعزم والإصرار وقوة الإيمان وبعدالة القضية كمقدمات حيوية لرفع الكفاءة القتالية والتي ستتيح لهم حتما أفضل أداء لتحقيق النصر كهدف نهائي .

ولقد سارت عملية بناء الفرد المقاتل على أساس الإيمان بأن الرجل - وليس السلاح - هو الذي يأتي بالنصر في النهاية ، وهذا النصر يجب أن تنمو بذوره في قلوب الرجال من جميع الرتب ، وأن القضاء على أسباب الهزيمة وآثارها داخل صفوف القوات المسلحة كان هو الهدف الأول .

وعلى هذا الأساس كانت مهمة إدارة الشئون المعنوية للقوات المسلحة والأفرع والأقسام التابعة لها ، والتي دفعت لتكون ضمن التركيب التنظيمي في التشكيلات والإدارات وأفرع القوات المسلحة المختلفة .
وبدأت قوافل التوعية بما لديها من إمكانيات مادية وعلمية تؤدي مهامها على الوجه الأكمل ، ومركزة على التصدي للشائعات الإسرائيلية التي كانت تروجها إذاعتها في نفس الوقت ، والتي كانت تستهدف المزيد من الاحباط لدى المقاتل والشعب المصري .كما تم البدء في التوسع في تجنيد حملة المؤهلات العليا والمتوسطة لكي تتمكن من سرعة الاستيعاب والفهم والتدريب على الأسلحة الحديثة

وتكنولوجيا الحرب المتطورة في البر والبحر والجو ، وعلى مستوى جميع التخصصات الفنية والإدارية الأخرى ، مع إرساء قواعد متطورة للفكر العسكري المصري بعيدا عن العقائد الشرقية أو الغربية بل بما يتلاءم مع فكرنا وأرضنا وإمكانياتنا .

وكان التعايش واللقاءات المستمرة مع القادة والجنود وبحث مشاكلهم والعمل على حلها مع توخي العدالة في الثواب والعقاب والواجبات والحقوق ، وتفهم الجميع بأن إدارة القتال في الوحدة تتوقف على العلاقات الاجتماعية والإنسانية التي تسود الأفراد ، وأن الوحدة العسكرية بمعناها الصحيح ما هي إلا رابطة بين مجموعة من الأفراد تجمعهم تحت كل الظروف وأمام كل الأخطار في عمل موحد متناسق ومتكامل بحيث يمكنها (أي الوحدة) بتسليحها الذاتي القيام بواجبها القتالي على أكمل وجه .

وحفلت الفترة من يونيو ٦٧ وحتى أكتوبر ٧٣ والتي تزيد على ٧٥ شهرا بالتركيز على تدريب وإعداد القوات للجولة القادمة ، وكانت هذه الحقبة الزمنية القاسية هي بالفعل البوتقة الحقيقية لكثير من التجارب والمنطق الهام لإرساء قواعد متطورة للفكر العسكري المصري الصحيح ، والذي خرج إلى حيز التنفيذ في السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ .
كانت عجلة التدريب الشاق في القوات المسلحة مستمرة على خط المواجهة وفي الخلف وفي عمق الدولة على أراضي مشابهة لمسرح الحرب القادمة ، وأجريت المشروعات التدريبية والتجارب المكثفة على اقتحام الموانع المائية وتدمير النقاط القوية والمواقع الحصينة ، هذا بالإضافة إلى الرمايات الليلية والنهارية بالذخيرة الحية ، ومشروعات مراكز القيادة على كافة المستويات والتدريب التخصصي المركز لكافة التخصصات والصنوف إلى أن أصبحت النتائج التدريبية بدرجة ممتازة خاصة فيما يتعلق بضرب أرقام قياسية في رفع درجات الاستعداد القتالي .
ولقد أفادت هذه الأنشطة التدريبية الايجابية في إزالة الكثير من الآثار الروتينية ، وأمراض الاكتئاب النفسي التي انتابت البعض والتي كانت مترتبة على الحركة ، وامتلكنا امكانيات المقاومة المادية عبر مسيرة شاقة وعسيرة جعلتنا بعد أشهر قليلة من النكسة نقف رجالا أقوياء ونزداد قوة مع كل يوم ، ونقترب بذلك خطوات من إمكانية تصحيح آثار الهزيمة وتجاوز سلبياتها .
وكان من أعظم ما حققناه من تطور في التدريب هو الواقعية وضرورة التصميم الدائم على حرية الفكر والابداع والمبادأة بغير عزلة عن تجارب التطور الأخرى الغنية بالأفكار ، وتحقيق الفهم المتبادل والمعرفة الكاملة لقدرات كل فرد .
للحق والحق يقال أن المفاجأة العظمى في حرب أكتوبر ٧٣ كانت الفرد المصري ، وأعني به كل فرد مقاتل في القوات المسلحة المصرية الذي كان النصر حليفه في النهاية بفضل إيمانه وتحمله لمسئولياته ، فاستحقوا عن جدارة قول الرسول صلى الله عليه وسلم: « إنهم خير أجناد الأرض» .

إعداد الاقتصاد القومي :
١٥- يعتبر الاقتصاد القومي الدعامة الأساسية التي يتوقف عليها إعداد الدولة بصفة عامة وقواتها المسلحة بصفة خاصة ، وهو عملية قومية لتحويل النظام الاقتصادي للدولة من اقتصاد السلم إلى

اقتصاد الحرب بالاستخدام المتوازن لموارد الدولة لتلبية مطالب المجهود الحربي ، وفي نفس الوقت تلبية مطالب استمرار الحياة الطبيعية وقت الحرب معتمدا على موارد الدولة الذاتية .

١٦- والواقع أنه بعد جولة ٦٧ كانت مصر قد فقدت عناصر أساسية مؤثرة في مواردها الذاتية ألا وهي قناة السويس والبترول ، وفي نفس الوقت ازدياد مطرد في مطالب المجهود الحربي فضلا عن ضرورة القدرة على البقاء والاستمرار في ظروف الحرب مع المعدلات العالية للاستهلاك المنتظرة أثناءها

١٧- وكانت هذه المشكلة أو المعادلة الصعبة هي الشغل الشاغل للقيادة السياسية ومسئولي الاقتصاد في مصر ، وخاصة مع ضرورة الاعتماد شبه الكامل على الموارد الذاتية .

ولكن في الواقع - ومع تحمل الشعب لبعض التضحيات في مطالبه - أمكن عبور هذه المرحلة واجتيازها وأيضا مرحلة الحرب النفسية وما تلاها من مطالب إعادة التعمير وخلافه .

١٨- كما أن الأمر أيضا تطلب توجيه عناية خاصة للاتجاهات الرئيسية التي لها أثرها على إعداد الاقتصاد القومي ، وسنذكر منها هنا على سبيل المثال اتجاهات الصناعة والنقل والبترول .

أ- ففي مجال الصناعة :

كان من الضروري تحويل جزء كبير من الصناعات المدنية إلى الانتاج الحربي أو ما أطلق عليه « التعبئة الصناعية » وهي عملية دقيقة تحتاج إلى تخطيط دقيق واقعي لهذا التحول مبنيا أساسا على المطالب الرئيسية للقوات المسلحة الخارجة عن قرارات الصناعات الحربية ، والمطلوب تدبيرها من قطاع الصناعات المدنية ، وأيضا أسلوب بناء المخزونات من المواد الأولية اللازمة لضمان استمرار الانتاج للفترة الزمنية المتوقعة للحرب .

وبجانب ذلك كان من الضروري تأمين منشآت الدولة الصناعية ووقايتها . وقد قامت قوات الدفاع الجوي بالدفاع عن عمق الدولة ونفذت هذه المهمة بنجاح ، فضلا عن إجراءات التأمين المحلي الذاتي بواسطة العاملين بالمنشآت أنفسهم تحت إشراف وتدريب القوات المسلحة ، كما تم أيضا تأمين السدود والقناطر ، وخاصة السد العالي وخزان أسوان ضد ردود الفعل المنتظرة من العدو . وقد استدعى هذا الأمر بالذات وجود دراسات تفصيلية في المجالات التقنية والفنية والعسكرية بتنسيق كامل بين الوزارات المختصة لمواجهة كافة الاحتمالات .

ب- وفي مجال النقل :

كان يجب إعداده لكل ما يشمله مفهومه من وسائل برية وجوية وبحرية ونهرية ، وإلى طرق تحرك هذه الوسائل ، وإلى معدات تشغيلها وصيانتها وإصلاحها ، وإلى الطاقات البشرية الكفء اللازمة لتشغيلها وإدارتها .

وقد نال هذا القطاع في الفترة التحضيرية اهتماما كبيرا من الدولة ، وخاصة مع الازدياد المطرد لمطالب المجهود الحربي من وسائل النقل المدنية لنقل احتياجات القوات المسلحة إلى الجبهة ، فضلا عن الاستعانة بالعديد من المعدات المدنية اللازمة لإنشاء الطرق العسكرية بالجبهة ، وأيضا في تجهيز الدفاعات والسواتر والمناطق الابتدائية للهجوم ، وبصفة عامة الاشتراك في تجهيز مسرح العمليات بمفهومه الشامل بتعاون كامل وثيق بين القوات المسلحة والمؤسسات المدنية المختصة .

ج- في مجال البترول :
كما كان للبترول وتوفيره عناية خاصة ، وعقدت الاجتماعات بين القيادة العامة للقوات المسلحة ووزارة البترول لمناقشة احتياجات الدولة والقوات المسلحة من البترول وخطة انتشار المخزونات وتأمينها ، مع دراسة الخطط البديلة لاستمرار توفر البترول أثناء العمليات ولمواجهة كافة الاحتمالات . ولقد أمكن تحقيق نتائج عملية لهذه الخطط البديلة .

إعداد الشعب :
١٩- لقد كانت صدمة هزيمة الجولة الثانية في يونيو ٦٧ قاسية ومريرة على شعب مصر بل والعرب أجمع ، ولكن في وسط الكم الهائل من اليأس انطلقت الإرادة المصرية تعلن رفضها للهزيمة وتصميمها على إزالة آثار العدوان مهما كانت التضحيات . وكان لزاما على مصر وشعب مصر أن يواجه قدره ، وأن تبدأ مصر فورا في ترسيخ قواعد وأسس ومبادئ سياسية وعسكرية سليمة لتقود مسيرتها الشاقة المقبلة ، والإعداد لجولة عسكرية مقبلة بديلة عنها من أجل استرداد الأرض والكرامة . وأصبح من الضروري - كخطوة أولى - نحو الهدف الأسمى أن نبدأ بالصمود - صمود القوات المسلحة على جبهة القتال ، وصمود الشعب في الجبهة الداخلية وتحمله مسئولياته في المعركة المقبلة .

وكان الهدف من إعداد الشعب لهذه المرحلة هو وضع الأسلوب الأمثل لاستغلال قدراته وإمكانياته وإعداده الاعداد المناسب عسكريا ومعنويا حتى يصبح قوة فعالة مؤثرة في أي صراع مقبل ، سواء كان لائقا لانضمامه للقوات المسلحة أو أن يكون صالحا لتنفيذ مهام المقاومة الشعبية وحراسة المنشآت الحيوية ، مع العمل على التوازن بين أداء الفرد للخدمة الوطنية وممارسة الحياة المدنية .
ومن ناحية إعداد الشعب سياسيا ومعنويا للجولة القادمة كان العمل الرئيسي لأجهزة الاعلام والمنظمات الشعبية هو إقناع الشعب بسياسة الدولة وجهودها في سبيل تحقيق أهدافها ، وتهيئة المناخ المناسب للقيادة السياسية وأجهزتها لنيل أقصى جهودهم لتحقيق أهداف الدولة السياسية .
وللحق فلقد تحمل شعب مصر الكثير في هذه المرحلة ، وخاصة أثناء حرب الاستنزاف ، ولكنه صمد وصمم على تكملة المسيرة مهما كانت التضحيات لتحقيق الهدف الأسمى والنصر في المعركة المقبلة .

إعداد أجهزة الدولة :
٢٠- كما كان من الضروري إعداد أجهزة الدولة نفسها للتحول من حالة السلم إلى الحرب ، والعمل تحت ظروفها دون توقف أو اضطراب بما يعني الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي للدولة وقت الحرب ، واستمرار سيطرتها على نشاطاتها المختلفة وتلبيتها لمطالب الشعب وقواته المسلحة معا.
وفي هذا المجال تم تحديد المسئوليات التفصيلية لكل جهاز من أجهزة الدولة وأسلوب التعاون بينها وقت الحرب ، مع القدرة على التنفيذ والحركة والسيطرة تحت ظروف المعركة ، وإنشاء غرف العمليات اللازمة في كل وزارة وجهاز من أجهزة الدولة وإجراء التجارب الفجائية لاختبارها ، مع وضع الخطط التبادلية لمواجهة أي مطالب أو مواقف فجائية .

٢١- ولقد تحددت الاتجاهات الرئيسية التالية لإعداد الوزارات للحرب :
أ - مشروعات إعداد الدولة للحرب في كل وزارة طبقا لتخصصها .
ب- حماية المنشآت الحيوية التابعة لكل وزارة .
ج- تلبية مطالب التعبئة والتكليف للقوات المسلحة وغيرها دعما للمجهود الحربي .
د- الاحتياطي الاستراتيجي من المعدات والخامات وقطع الغيار .
هـ- أسلوب عمل الوزارة وأجهزتها أثناء العمليات .
و- أية إمكانيات أخرى لدى الوزارة لمعاونة القوات المسلحة .
وبعد أن وضعت كل وزارة خططها طبقا لإمكانياتها ، راجع مجلس الوزراء هذه الخطط وقام بتنسيقها وعرضها على مجلس الدفاع الوطني لاعتمادها ثم إرسالها إلى الوزارات المختلفة للتنفيذ .
٢٢- ولقد اتسمت هذه المرحلة التحضيرية بصفة عامة بروح عالية من التعاون التي سادت خلال إجراءات التنسيق بين القيادة العامة للقوات المسلحة وباقي الوزارات المدنية منذ قرار مجلس الوزراء بتشكيل لجنة من القوات المسلحة لمعاونة الوزارات المختلفة في تحديد موقعها ودورها أثناء العمليات الحربية والإعداد لها ، كذا تحديد مطالب العمليات وأسبقياتها ووضع الخطط التفصيلية لتنفيذها بالشكل الذي يضمن السيطرة وحسن الإعداد ، مع حشد كافة الجهود المادية والمعنوية لخدمة المجهود الحربي مهما طالت مدة العمليات ، وفي نفس الوقت استمرار تلبية مطالب الشعب وخدماته .

الخاتمة :
٢٣- بهذا السرد المختصر لما قامت به الدولة لإعداد نفسها للجولة الرابعة من الصراع العربي الإسرائيلي يتضح لنا بكل الوضوح مدى ما كان لهذا الموضوع من أهمية قصوى ، فهو موضوع لم يكن بالهين أو السهل لتعدد أنشطته وتنوعها وشمولها ، مما استلزم اشتراك كافة الجهود القيادية والسياسية والاقتصادية والعسكرية ، بل جميع مؤسسات وإمكانيات الدولة ومنظماتها لتحقيقه ، وهو ما أدى في النهاية إلى استعداد مصر كلها لخوض المعركة القادمة التي شاء الله تعالى لمصر والعرب النصر فيها ، وما النصر إلا من عند الله ، وإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا .
تعليق المشرف على المحور :
أشكر قائدي وأستاذي سيادة اللواء أ.ح / حسن الجر يدلي على الالتزام بالوقت حتى إنه ترك لي ثلاث دقائق من الوقت المخصص له .
وأنا أرجو أبنائي طلبة الكليات العسكرية الجالسين بأعلى أن يأخذوا الدراسات التي قيلت في هذه الندوة وأن يقرأوا كل كلمة ذكرت في الندوة تحت عنوان «التعاون بين أجهزة الدولة» و يقرأوا بدقة المهام التي حددت لكل قطاع من قطاعات الدولة ، عندما يقرأوا كيف عبأ الاقتصاد والمجتمع والإعلام وأرجو أن يتمعنوا في ذلك ليعرفوا أنهم يتسلمون أعلام مصر مرفوعة وأن مسئوليتهم أن تبقى أعلام مصر دائماً مرفوعة .

■ تقديم المتحدث الثانى :

الورقة التالية : سيقدمها لنا رجل شارك في كل الحروب العربية الإسرائيلية، ثم أنتقل إلى معركة السلام ... سيادة اللواء ا.ح / السفير طه المجدوب وسيتحدث عن عمليات الاستنزاف وارتباطها بإعادة بناء المقاتل .

يقول الناس إننا نحن الذين نتحدث عن حرب أكتوبر وهذا الأسبوع في ٧ ندوات دولية ربما أعتذر قائدي هنا عن إحداها ففي أمريكا وإنجلترا ، فرنسا ، إيطاليا في إسرائيل وفي اليونان يتحدثون عن حرب أكتوبر ولسنا فقط الذين نتحدث ولسنا فقط الذين نكتب عن حرب أكتوبر ومعي كتاب أسمه : » توازن القوة العربية الإسرائيلية وفن العمليات القتالية أو الفن التعبوي « صادر عام ١٩٩٢ به فصل كامل عن حرب الاستنزاف .

اللواء أ.ح / طه المجدوب هناك نقطتان يجب معرفتهما ماذا يقول العالم عنا ، في هذا الفصل يقول :

«War of attrition faild to cover a proud of Israeli over countrY»

حرب الاستنزاف لن تنجح في إزالة الغطرسة التي توجد في عقل الإسرائيليين لأنهم لم يستد ' ' ن يدركوا قدرات وإمكانيات المصريين على الانتصار في هذه الحرب ، وقالت أنه وبكل أسف إسرائيل استمرت في ذلك لأن غطرستها مغالي فيها .. والأخطر من هذا يقول أن إسرائيل كانت تعتقد أن الفرد المصري ثقافياً وحضارياً غير قادر على التعامل مع التكنولوجيا الحديثة ومع فن القتال لأنه لا يستطيع أن يواجه العقلية الإسرائيلية المغرورة .. .. .. سيحدثنا سيادة السفير « طه المجدوب » عن حرب الاستنزاف وإعداد المقاتل وبنائه لدخول حرب أكتوبر ١٩٧٣ .. الذي كان رئيس فرع التخطيط في هيئة العمليات وشارك في جميع الحروب ثم كان رئيساً للوفد العسكري في مؤتمر السلام.

الورقة الثانية :

عمليات الاستنزاف وارتباطها بإعادة بناء المقاتل والقوات المسلحة

لواء أ.ح/ طه المجدوب

رئيس فرع التخطيط بهيئة العمليات إبان حرب أكتوبر

مقدمة :

١- لم يسبق أن تعرض جيش مصر في تاريخه الطويل لمثل هذه المرارة التي تحملها بسبب نكسة عام ١٩٦٧ .: وقد زاد من وطأة هذه المرارة .. شعور عميق بالظلم .. حيث لم يكن الجيش هو سبب هذه النكسة بقدر ما كان ضحيتها الأولى . غير أن كل هذه المشاعر لم تفقد تأثيرها الإيجابي . فقد ساعدت كثيرا على شحن الهمم من أجل الثأر .. وفي إفراز طاقة معنوية هائلة ورغبة جارفة في إزالة آثار النكسة ورد الكرامة والأراضي العربية وتحقيق النصر .

لقد احتمل جيش مصر هذا العبء الثقيل على مدى أكثر من ست سنوات .. قضى نصفها في القتال النشط وفي حرب الاستنزاف .. ونصفها الآخر في الاستعداد الصامت الذي أكسب هذه الفترة أهمية كبرى بما فرضه من تأثير حاسم على حرب أكتوبر ١٩٧٣. ورغم ذلك فقد أساء البعض تقويم مرحلة الإعداد فيما بين عامي ٦٧ و ١٩٧٣ . كما لم يولها البعض الآخر ما تستحقه من أهمية . والواقع أن هذه المرحلة الطويلة .. كانت مليئة بالجهد والعرق والدم والمعاناة .. لقد كانت مرحلة ضرورية على درب الاستعداد للمعركة الكبرى ، أو أن نقفز فوقها من أجل سرعة الوصول إلى أحداث حرب أكتوبر ١٩٧٣. كما أن أي محاولة للإقلال من أهميتها أو من أثرها على نصر أكتوبر يهدم الأساس العسكري والمعنوي الذي بنى عليه هذا النصر .. لأنه لا يمكن أن يكون قد أتى من فراغ .

من الضروري إذن أن نتعرض لهذه المرحلة الصعبة وتطورات الأحداث فيها لكي ندرك كيف قضت

القوات المسلحة الفترة بين الهزيمة والنصر . وكيف تخلصت من أسباب الهزيمة وأرست قواعد النصر . فإن ما بذل خلال الفترة من جهة العاملين والمقاتلين فضلا عن دماء الشهداء .. وما نفذ فيها من حجم هائل من الأعمال سواء كانت أعمال قتال أو تجهيزات هندسية لصالح الدفاع تحولت إلى الهجوم بعد ذلك .. أو تدريبا شاقا مستمرا ومناورات عسكرية لم تهدأ أو تنقطع .. أو تخطيط دقيق شامل لكل مراحل الإعداد ثم لمرحلة الحرب ذاتها .

إن ما حققته هذه الأعمال من نتائج حيوية كان لها تأثيرها الفعال والعميق على مسار الحرب يجعلنا نعتبر هذه المرحلة وكأنها حرب أخرى وقعت بين الحربين .. حرب قائمة بذاتها .. كانت بمثابة جولة رابعة سبقت الجولة الخامسة التي وقعت في أكتوبر ١٩٧٣ .. والتي يمكن أن نسميها « الحرب الانتقالية » خاصة في فترتها التي عرفت بـ « حرب الاستنزاف » .

٢- كان لزاما أن تواجه مصر قدرها وأن تعدل أوضاعها .. وتضع الأسس والمبادئ السياسية والعسكرية السليمة التي ستقود مسيرتها الشاقة المقبلة عليها . فبدأت ترسى قواعد جديدة لاستراتيجيتها نابعة من حقائق الموقف السياسي العسكري .. وأبرز هذه الحقائق .. إصرار إسرائيل على استمرار احتلال الأرض العربية ورفض التخلي عنها . وقد تبلورت القواعد العامة لهذه الاستراتيجية في النقاط الأربع التالية :

أ- إن شعب مصر وإن كان قد خسر معركة فإنه لم يخسر حربا .. وهو يعتبر أن معركة يونية ٦٧ ليست نهاية المطاف .. ويصر على ضرورة استرداد كل ما فقده .

ب- أن واجب مصر أن تعمل بكل ما تملك من قوة على تحرير الأرض المحتلة .. على أساس مبدأ : « «أن كل ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة » . لذلك من الضروري التركيز على إعادة تنظيم وبناء القوات المسلحة من القاعدة إلى القمة .. وتحديد مهمتها الأساسية لتكون « التفرغ الكامل للدفاع عن تراب مصر وتحرير الأرض المحتلة والدفاع عن الحقوق القومية للعرب » .

ج- إن جبهة مصر الداخلية يجب أن تقوم بمهمتها في حماية ظهر القوات المسلحة وتقديم الدعم المادي والمساندة المعنوية لها .. من أجل معركة تحرير الأرض وإزالة آثار العدوان .

د- لما كانت المعركة معركة قومية واحدة .. وكان هدف العدوان في عام ١٩٧٦ هو ضرب القومية العربية .. لذلك يجب أن تسقط مصر الشعارات التي تفرق بين نظم الحكم العربية من خلال توجهاتها السياسية ، وذلك من أجل تحقيق تضامن عربي قوي .. يحمي الأمن القومي للأمة العربية . وليس ثمة شك في أن عملية إعادة بناء القوات المسلحة وإعادة تنظيم فروعها وتشكيلاتها ووحداتها وتسليحها كانت عملية شاقة ولكنها لم تكن أشق العمليات التي واجهت القيادة المصرية ، بل كان البناء النفسي للرجال هو أشق الأعمال وأكثرها أهمية . وكانت قيادات مصر تؤمن أنه بالإصرار والروح المعنوية العالية يمكننا تعويض ما فقدناه وإضافة المزيد وبناء ما هدمته هذه الحرب من معنويات ونظم ووحدات .

٣- إن هذه السنوات الطويلة من العمل القتالي والإعداد التخطيطي والمعنوي قد شكلت - من وجهة النظر العسكرية المصرية - بوتقة للتجارب العسكرية .. والساحة التي انطلقت منها قواعد الفكر العسكري المصري وأرست مبادئ استراتيجية الحرب والسلام .. تلك القواعد والمبادئ التي خرجت إلى حيز الوجود في أكتوبر ١٩٧٣ .لقد حفلت الفترة من يونيو ٦٧ إلى أكتوبر٧٣ - والتي تزيد عن خمسة وسبعين شهرا - بالجهود التي استهدفت العبور بقواتنا المسلحة من يأس الهزيمة إلى آمال

النصر .. فامتلأت بكثير من الأحداث والتضحيات والعمل الدءوب .. من أجل إعادة بناء المقاتل المصري والقوات المسلحة على أسس معنوية ومادية متكاملة ،وخلقها من جديد لتصبح تلك القوات التي أذهلت العالم بخططها المحكمة وأدائها الرائع حينما حانت لحظة الفصل في أكتوبر ١٩٧٣ .

٤- لقد شهدت هذه السنوات أحداثا وتطورات في بناء وإعداد وتدريب القوات المسلحة وصبها في قالب جديد . فقد جمعت بين القتال الحقيقي في سنوات الاستنزاف والتدريب الشاق المتنوع في سنوات ما بعد الاستنزاف ، كما شهدت من الجهد والعرق والدم ما يجعلنا نطلق عليها « سنوات المخاض » التي سبقت ميلاد النصر .

القسم الأول : حرب الاستنزاف .. الأبعاد والنتائج (٦٨ ـ١٩٧٠)

مدخل لسنوات الاستنزاف :

٥- بعد حرب يونيو ٦٧ وصدور قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ في نوفمبر ١٩٦٧ ، وما مضى عليه من رفض الاستيلاء على الأرض بالقوة والمطالبة بالانسحاب من الأراضي التي احتلت في عام ٦٧ .. انكشفت حقيقة الأطماع الإسرائيلية والطموحات الصهيونية وأبعاد المخططات التوسعية في الأراضي العربية ، رغم محاولة سترها بنظريات خادعة تحت مسمى « نظرية الأمن الإسرائيلي » ، وكان لزاما على مصر أن تواجه قدرها وأن تتخذ قرارها بالبدء الفوري بالاستعداد من أجل شن حرب التحرير ، وما يتطلبه ذلك من تطوير شامل يتطلب إعادة تشكيل أوضاعها وسياستها واستراتيجيتها الشاملة .. مع إعادة تنظيم الجبهة الداخلية وبناء المقاتل المصري والقوات المسلحة .. لتبدأ المسيرة الشاقة نحو تحرير الأرض واسترداد الكرامة .. عن إيمان بأن النصر لا يمكن أن يأتي من فراغ .

وقد شكلت حرب الاستنزاف المنطلق العملي نحو الوصول إلى هذه الأهداف .. وهي تعتبر بما احتوته من تجارب مرحلة أساسية من مراحل إعداد القوات المسلحة للحرب .. وفي نفس الوقت كانت بمثابة رسالة موجهة لشعوب العالم وخطوة ضرورية استوجبتها معطيات الموقف العسكري والوضع السياسي . وفي هذا الإطار كان على مصر أن ترسي – من خلال حرب الاستنزاف ـ عدة مبادئ وقواعد حيوية سياسية نجملها فيما يلي :

أ- رفض الاستسلام للأمر الواقع والاحتفاظ بالجبهة العسكرية مشتعلة لكي تبقى القضية حية ، وحتى لا يتجمد الموقف السياسي عند هذا الحد ، ويتحول الوضع العسكري إلى أمر واقع .

ب- إبطال أى اعتقاد لإسرائيل بأنها قد أتت إلى الضفة الشرقية للقناة لكي تستقر وتبقى ، أو أن ما حصلت عليه من نصر سهل يمكن تقبله والسكوت عليه .. فهو أمر مرفوض تماما على مستوى مصر وكل العرب ، وأن أقوى وسائل التعبير عن هذا الرفض هو العمل العسكري الذي يمكن أن يخلق كل يوم حقائق متغيرة في جبهة القتال .

ج- إقناع إسرائيل بما لا يدع مجالا للشك .. أن ثمن استمرار احتلال الأرض المصرية ثمن باهظ يصعب عليها احتماله .. أو مواجهة التحديات الناجمة عنه على المدى الطويل .

د- العمل بكل الوسائل العسكرية والسياسية والدبلوماسية علي تحريك الأوضاع السياسية الراكدة ، وإحياء الجهود الرامية إلى تحقيق تسوية عادلة ، أو علي الأقل فتح الطريق نحو التسوية .

٦- أما علي الجانب العسكري فقد أرادت مصر أن تحقق عدة أهداف حيوية من أبرزها :

أ- فرض الإزعاج الشديد علي القوات الإسرائيلية الموجودة شرق قناة السويس .. ومنعها من إقامة دفاعات محصنة علي الضفة الشرقية .

ب- إنزال اكبر قدر من الخسائر بإسرائيل في الأسلحة والمعدات والأفراد ، ومما يؤكد فداحة الثمن الذي يمكن أن تدفعه في مقابل إصرارها علي البقاء في الأراضي المصرية .
ج- إعطاء الفرصة العملية للمقاتل المصري أن يخوض تجربة حية ضد عدوه يمحو من خلالها الآثار النفسية التي خلفتها النكسة ، ويسترد معنوياته وثقته بنفسه وبقدراته وبقياداته وبسلاحه .
٧- ولم يكن من السهل علي القيادة المصرية أن تقرر التحول إلى أعمال قتال نشطة قبل أن تؤمن دفاعها غرب القناة ، وأن تعيد تنظيم قواتها لتكون قادرة علي تنفيذ المهام الدفاعية أولا .. وبكفاءة عالية . وعندما أحست مصر بقدرتها علي تحريك الأوضاع الساكنة في الجبهة ، بدأت فورا في تنفيذ مخطط للدفاع النشط . وقد استغرقت مرحلة استكمال تنظيم القوات وتأمين الدفاعات في جبهة القناة خمسة عشر شهرا قبل أن تعمل علي تنشيط جبهة القتال في سبتمبر ١٩٦٨.
٨- ورغم الظروف الصعبة التي كانت تمر بها القوات المسلحة في مرحلة استكمال الدفاع .. إلا أن الموقف لم يخل في هذه المرحلة من تنفيذ بعض العمليات العسكرية البرية والجوية والبحرية .. والتي شكلت علامات مهمة علي طريق التحدي الصعب . من هذه الأعمال معركة « رأس العش » التي جرت جنوب بورفؤاد علي الضفة الشرقية للقناة بعد ثلاثة أسابيع فقط من وقف إطلاق النار حينما حاولت قوة إسرائيلية مدرعة التقدم شمالا للوصول إلى بورفؤاد ، ولكنها فشلت في تحقيق هدفها . لقد كانت هذه المعركة المحدودة أول شمعة تضيؤها القوات المسلحة لتبدد بعضا من ظلام الهزيمة وتفتح باب الأمل من جديد وتعطي جرعة من الثقة كانت القوات في أمس الحاجة إليها .

وبعد أسبوعين من هذه المعركة في ١٤ يوليو ١٩٦٧ .. قامت مجموعات من الطائرات المصرية بشن عدة هجمات خاطفة ومركزة ضد القوات الإسرائيلية المدرعة والميكانيكية على الضفة الشرقية للقناة ، كانت تلك العملية الجوية مفاجأة للإسرائيليين ، إذ كان الصلف الإسرائيلي قد أخذ بهم كل مأخذ إثر ضربتهم الجوية ضد طائراتنا في ٥ يونيو ٦٧ .. جاءت الهجمات المصرية بعد هذه الضربة بستة أسابيع فقط ، وبعد أن أكدت أبواق الدعاية الإسرائيلية بأن قوات مصر الجوية لن تقوم لها قائمة ، كانت هذه الهجمات إضافة قوية لدعم معنويات القوات المصرية .

أما في البحر فكانت الواقعة المشهورة الخاصة بضرب وإغراق المدمرة الإسرائيلية « إيلات » أمام سواحل بورسعيد في ٢١ أكتوبر ٦٧ . كان لهذا العمل البطولي أصداء واسعة لدى كل أطراف الصراع بل وعلى المستوى العالمي . فقد قامت زوارق الصواريخ المصرية بإطلاق صاروخين على المدمرة فتحطمت وغرقت .. عندما حاولت انتهاك المياه الإقليمية المصرية . كانت هذه العملية البحرية المصرية الناجحة أولى معاركنا البحرية باستخدام الصواريخ .. بل أولى معارك الصواريخ في تاريخ الحروب البحرية ، وقد أدت إلى تغيير العديد من النظريات البحرية العالمية . كانت هذه الأعمال هي السمات البارزة والعلامات المضيئة في مرحلة صعبة هي مرحلة النقاهة ورفع أنقاض الحرب . وفي مارس ١٩٦٩بدأت مصر في تنفيذ أخطر مراحل حرب الاستنزاف بل ومراحل الفترة الواقعية بين حربي ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ ، واستمرت عاما ونصف العام إلى أن توقفت في ٧ أغسطس ١٩٧٠ بقبول الطرفين للمبادرة الأمريكية التي عرفت بـ « مبادرة روجرز » .
٩- الجانب المعنوي لحرب الاستنزاف :
بمجرد توقف القتال في يونيو ١٩٦٧ قررت القيادة المصرية إعادة تنظيم وتسليح وإعداد القوات

المسلحة للحرب الجديدة ، بحيث يسير الإعداد المادي جنبا إلى جنب مع الإعداد المعنوي للمقاتل المصري .. بصقل قدراته ودعم معنوياته وإزالة معاناته النفسية ورفع مستواه التدريبي .. والوصول بمستواه التدريبي المعنوي إلى اقتحام أقوى العقبات .. ومواجهة أسطورة « الجندي الإسرائيلي الذي لا يقهر » فيقهره ويسقط هذه الأسطورة الكاذبة بيديه . كانت تلك هي المهمة الأولى لحرب الاستنزاف ، فلم يكن من المقبول أو من الممكن بعد حرب يونيو ٦٧ أن تترك هذه الأسطورة قائمة ترسخ وجودها في عقل ووجدان المقاتل المصري .. كان لابد أن تسقط الأسطورة ويتحطم الصنم .

هنا لابد من القول أن حرب الاستنزاف قد لعبت دورا أساسيا في الإعداد المعنوي والمادي لحرب أكتوبر .. فقد ساهمت في بناء المقدرة العالية التي تجلت في قواتنا المسلحة يوم ٦ أكتوبر ٧٣ .. والتي كانت في تدفقها كالنهر الهادر المتدفق من المنبع إلى المصب .. فإذا كان المصب هنا هو عبور واقتحام قناة السويس ثم اختراق دفاعات وتحصينات خط بارليف .. فإن المنبع الذي تدفق منه النهر الفياض كان « حرب الاستنزاف » .

إن حرب الاستنزاف كانت هي المحك الذي كشف عن قوة صمود المقاتل المصري وقدرته العالية على التحمل .. وإصراره على دحر عدوه . وقد شاركت هذه العناصر الثلاثة في أن يستعيد هذا المقاتل ثقته بنفسه بعد أن كادت النكسة تقضى عليها . فقد تحمل وحده الأعباء المعنوية لهذه النكسة .. وصمد أمام ضغوط نفسية هائلة ومواقف عسكرية صعبة أثناء حرب الاستنزاف والتي حاولت إسرائيل من خلالها أن تثنيه عن عزمه وأن تجبره على الرجوع عن هدفه .. ولكنه خرج منها أكثر عزما وأقوى إصرارا على تحقيق هدفه بأن يرد كرامته ويزيل آثار العدوان عن أرضه .

لقد أتاحت جرب الاستنزاف للمقاتل المصري - ربما لأول مرة - فرصة الالتقاء بعدوه وجها لوجه .. وأن يتعرف على حقيقة وأسلوب قتاله .. ويتأكد بنفسه من زيف الأساطير التي نسجت حوله وأطلقتها أبواق الدعاية الإسرائيلية .. بعد أن واجهه وقهره وأجبره على أن يفر من أمامه .من ناحية أخرى .. فإن فترة حرب الاستنزاف قد عاشها الجندي المصري تحت وطأة النيران الإسرائيلية الكثيفة من قذائف المدفعية وقنابل الطائرات وصواريخها ومستودعات النابالم الحارقة .. كما نفذ العديد من أعمال عبور قناة السويس الشاقة سواء تحت ستر الليل أو في وضح النهار ، حيث نصب الكمائن على الضفة الشرقية للقناة ، وفي عمق الدفاع الإسرائيلي في سيناء وهاجم الدوريات المدرعة والميكانيكية ، ودمر التحصينات ، وواجه الغارات الجوية الكثيفة . ولاشك في أن ذلك قد شكل عنصرا هاما في بناء المقاتل وهو ما نسميه « التطعيم للمعركة » وهو لم يجر في ميادين التدريب المجهزة لهذا الغرض .. ولكنه في ميادين القتال .. إنه تطعيم حقيقي واقعي لا صبغة فيه .. كان قتالا حيا محاطا بكل المخاطر الحقيقية للحرب . لذلك عندما خاض هذا الجندي حرب أكتوبر كان يعرف مسبقا كل ما سوف يقابله من أهوال الحرب وكان مستعدا لمواجهتها .. ولذلك لم يفاجأ بها .. بل كان هو « المفاجأة الكبرى » في حرب أكتوبر كما وصفه كبار جنرالات إسرائيل : موشيه ديان ، ديفيد أليعازر ، إريل شارون

وقبل أن نختتم حديثنا عن الجانب المعنوي لحرب الاستنزاف .. هناك حقيقة مؤكدة أفرزتها هذه الحرب

« أن سر النجاح الحقيقي يكمن في قدرة الإنسان على العطاء » . لقد شكلت هذه الحقيقة حجر الزاوية في بناء استراتيجية أكتوبر ..كما أنها دفعت القيادة العامة .. في بداية فترة الإعداد للحرب التي بدأت بعد حرب الاستنزاف إلى التركيز الكامل على « استكمال بناء المقاتل المصري » وإزالة الصدأ الذي علق بمعنوياته بعد فترة الركود التي جاءت عقب حرب الاستنزاف .

إن النجاح في تحقيق هذا الهدف هو العامل الأساسي في خلق الفارق الجوهري الكبير .. بين حقيقة القدرات الكامنة في القوات المصرية .. والقدرات التي حددتها الحواسب الإلكترونية الإسرائيلية والغربية .. إن هذا الفارق كان هو الحد الفاصل بين هزيمة مضت ونصر في الطريق . هنا يبرز مدى التكامل بين حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر .. خاصة من حيث البناء المعنوي للمقاتل المصري .. وهناك مقولة حول هذا التكامل أود أن أرددها تقول أنه إذا كانت حرب أكتوبر قد شكلت مرحلة إثبات وتأكيد الذات المصرية فإن حرب الاستنزاف التي سبقتها قد مثلت مرحلة البحث عن الذات .

١٠- الجانب الإستراتيجي لحرب الاستنزاف :

في حديثنا عن الجانب الإستراتيجي لحرب الاستنزاف سوف نتناول قضايا جوهرية : الأولى بشأن أهمية توفر المعلومات لبناء استراتيجية سليمة للحرب .. والثانية تتعلق بالقضايا الدفاعية التي أثرت بالإيجاب على مسار حرب التحرير .. والثالثة حول دور حرب الاستنزاف في اتخاذ قرار الحرب والتخطيط لها .

أ- القضية الأولى : أهمية توافر المعلومات

ومن أبرز الدروس ذات التأثير الإستراتيجي الكبير سواء في إعداد القوات المسلحة للحرب أو التخطيط لها هو ما أفرزته حرب ١٩٦٧ وأكدته حرب الاستنزاف من أهمية أساسية للمعلومات .. وللدراسات التفصيلية للعدو المقابل تكشف عن استراتيجيته وتكتيكاته وأساليب تخطيطه .. وسبر غور النظريات الأساسية للأمن الإسرائيلي ومكوناتها وأركانها . وكان هدف إسقاط هذه النظريات هو حجر الزاوية التي بنيت علية المهام الاستراتيجية لحرب أكتوبر لذلك فقد أولت القيادة المصرية عناية غير مسبوقة بدراسة عدوها دراسة وافية وعميقة .. لم تشمل قدراته العسكرية وحدها أو عقيدته واستراتيجيته .. بل امتدت إلى كل أنشطة الدولة وكل جوانب حياة المجتمع الإسرائيلي .. إضافة إلى دراسة شخصية مستفيضة لفكر قادة وزعماء إسرائيل السياسيين وكبار رجال المؤسسة العسكرية الإسرائيلية في ذلك الوقت واتجاهاتهم السياسية وعقيدتهم الصهيونية خاصة في مجال الأمن .

والواقع أن مرحلة حرب الاستنزاف قد كشفت عمليا عن حقيقة المفاهيم الإسرائيلية لمصطلحات عديدة كانت تردد في إسرائيل دون مضمون واضح .. مثل « الردع » و« الحدود الآمنة » و « الضربة المسبقة الوقائية » .. وغيرها من المصطلحات التي تحمل مفاهيم استراتيجية .. والتي كتب عنها كثيرون من القادة والكتاب الإسرائيليين في غمرة موجة الثقة المفرطة التي سادت إسرائيل في سنوات ما بعد انتصارها في حرب يونيو ١٩٦٧ .

وقد فتحت المعلومات التي جمعتها الأجهزة المصرية المختصة والدراسات التي أجرتها القيادة العامة مجالات واسعة للبحث عن أنسب الوسائل الناجحة في التعامل مع استراتيجية إسرائيل .. والتخطيط الدقيق غير النمطي من أجل إسقاط أركان نظرية الأمن الإسرائيلي .. وتحديد وسائل

إهدار قيمتها أو تحييدها وتجريدها من مضمونها العملي . وكما سبق القول فإن الدراسات التي أجرتها القيادة العامة حول نظرية الأمن الإسرائيلي وتحليل أبعادها وتحديد نقاط القوة الواجب تحديدها .. ونقاط الضعف التي يمكن استغلالها .. قد شاركت بتأثير كبير في بناء استراتيجية أكتوبر .. وفي دعم فاعليتها .. وتوفير المحاور التي دارت حولها خطط العمليات لحرب أكتوبر .

ب- القضية الثانية : القضايا الدفاعية التي أثرت بالإيجاب على مسار الحرب

من ناحية أخرى فقد أفرزت حرب الاستنزاف خبرات واسعة في مجالات التنظيم والتسليح ومتطلبات الدفاع الصلب خاصة في مجال الدفاع الجوي . الأمر الذي يسر للقيادة المصرية سبل جوانب مهمة في قضايا التسليح والتنظيم .. والتي أدت دورا حيويا فعالا بعد ذلك عند نشوب حرب أكتوبر .. حيث برزت الأهمية الأساسية للأسلحة الصاروخية التي حققت أروع النتائج .. وكان العمل الافتتاحي الذي لفت الأنظار بشدة للأسلحة الصاروخية هو الاستخدام الناجح لصواريخ البحرية المصرية في تدمير وإغراق المدمرة الإسرائيلية إيلات أمام بورسعيد في أكتوبر١٩٦٧ .. والذي أحدث دويا في مجال العلم العسكري .. وجذب اهتمام الدوائر العسكرية العالمية إلى الدور الحاسم الذي يمكن أن تؤديه الأسلحة الصاروخية في الحروب الحديثة .

أما على مستوى القيادة المصرية العامة فقد ركزت اهتماما خاصا نحو هذه النوعية من الأسلحة ليس فقط في المجال البحرى - ولكن وهو الأهم - في المجالين الجوى والبرى .. وإمكانية استخدامها بكثافة عالية في شل جناحي قوة الردع الإسرائيلية الأساسية بالنسبة للقوات الجوية التي تعتبرها إسرائيل « ذراعها الطويلة » أو قواتها المدرعة التي كانوا يطلقون عليها « القبضة الحديدية » . وقد لعبت هذه الأسلحة دورا حاسما أثناء حرب أكتوبر .. وكان لاستخدامها الكثيف تأثيره الإستراتيجي القوي الذي أدى إلى إحداث تغيير حاد في موازين القوى لصالح مصر .. وإلى قلب النظريات العسكرية الإسرائيلية رأسا على عقب .

وعلى صعيد التسليح فقد أدى استمرار حرب الاستنزاف لفترة طويلة .. وفشل المحاولات الإسرائيلية المستميتة لإيقافها .. إلى إجبار إسرائيل على إخراج معظم ما في جعبتها من أسلحة ومعدات حديثة ومتطورة .. من أحدث ما أنتجته الترسانة الأمريكية في ذلك الوقت خاصة في مجالي القوات الجوية والحرب الإلكترونية .. الأمر الذي أتاح للقيادة المصرية فرصة التعامل مع هذه الأسلحة المتطورة وفي مقدمتها الطائرة « فانتوم » الأمريكية وكانت تعتبر أحدث طائرات القتال على مستوى العالم في ذلك الوقت . ومع ذلك فقد نجحت وسائل الدفاع الجوي المصرية في إسقاطها فوق جبهة القتال وبأعداد كبيرة نسبيا .

هكذا تمكنت مصر من أن تجد الحلول العملية المناسبة للتعامل مع أي أسلحة متطورة بما في ذلك الطائرات والتي تضمن نجاح المواجهة المقبلة . كذلك أعدت القيادة المصرية العدة للقضاء على عناصر التفوق الإسرائيلي والتي تشكل قوتها الضاربة .

ومن أعظم ما حققته مصر من إنجازات عسكرية كنتيجة مباشرة لحرب الاستنزاف .. هو نجاحها في إقامة نظام متكامل للدفاع الجوي يحمي سماء مصر من خلال شبكة ضخمة من الصواريخ المضادة للطائرات والتي عرفت بـ « حائط الصواريخ » ، وعند نشوب حرب أكتوبر ٧٣ نجح هذا الحائط بالتعاون الوثيق مع مقاتلات القوات الجوية في شل قدرة القوات الجوية لإسرائيل وبتر « الذراع

الطويلة » التي طالما فاخرت بقدرتها على الوصول لأي هدف في البلاد العربية المحيطة بها والقريبة منها .

وما يزيد من قيمة هذا العمل الضخم أنه أقيم تحت ظروف القتال الضاري وفي مواجهة المحاولات الكثيفة والعنيفة من جانب إسرائيل لمنع إقامة هذه الشبكة ومحاولة تدمير كل ما يقام من مواقع للصواريخ .

غير أن التصدي المعنوي والعملي الذي واجهت به القوات المسلحة هذا التحدي .. والوقفة العظيمة التي وقفها شعب مصر والتضحيات الكبيرة في صفوف العسكريين والمدنيين من العمال والمهندسين على حد سواء .. كل ذلك يعتبر في حد ذاته عملا استراتيجيا حاسما ومؤثرا في الصراع الذي كان محتدما في ذلك الوقت ، بل هو في التحليل الأخير « الفيصل الذي جعل النجاح في نهاية هذا الصراع إلى جانب مصر » .

والواقع أن عملية بناء حائط الصواريخ كانت بمثابة ملحمة كفاح مصرية تستحق أن تدرس عسكريا واجتماعيا للكشف عن أغوار الشخصية المصرية المناضلة من أجل هدف أسمى . فقد تجلت قدرة هذه الشخصية على التحدي في ذلك الإصرار الذي أبداه المدنيون على سرعة بناء النظام الجديد للدفاع في مواجهة ظروف قاسية وفي فترة زمنية قياسية لم تتجاوز أربعين يوما لتوفير الحماية لسماء مصر وأراضيها من غارات المعتدين . لقد كان الصراع هنا صراعا بين إرادة الصمود وإرادة القهر .. صراع بين إصرار مصر علي حماية سمائها وإصرار إسرائيل علي فعل المستحيل لإيقاف البناء وتدمير شبكة الدفاع الجوي التي كلفتها كثيرا في أكتوبر ٧٣ . كانت فترة حرجة ولكنها انتهت بانتصار الإرادة المصرية .. واستكمال حائط الصواريخ .. بل توجيه ضربة قاصمة للطيران الإسرائيلي .. كانت من الأسباب الرئيسية لسعي إسرائيل إلى وقف حرب الاستنزاف بالوسائل السلمية .

ج- القضية الثالثة : ما أفرزته حرب الاستنزاف من فعاليات استراتيجية

فلقد كان لحرب الاستنزاف أبعد الأثر علي سير الصراع المسلح بعد ذلك .. فهي تتعلق بالدور العملي والضروري الذي لعبته هذه الحرب في محو الكثير من سلبيات حرب أكتوبر ٧٣ وآثار النكسة .. في مجالات عديدة ساعدت علي أن يصبح اتخاذ قرار شن الحرب أمرا ممكنا بعد أن خلقت المناخ الفكري المناسب والقاعدة المعنوية الوطيدة التي استند عليها هذا القرار التاريخي .

كذلك أتاحت حرب الاستنزاف فرصة واسعة للمخطط المصري للاهتداء إلى أفضل الوسائل القادرة على تحييد عناصر التفوق الإسرائيلي والتغلب علي عقبات العبور .. والقضاء علي الأساطير التي ترددها الدعايات الإسرائيلية حول قوة الجيش الإسرائيلي لسنوات طويلة حتى صدقوا أنفسهم إلى أن فاجأتهم الحقيقة علي ضفة القناة في أكتوبر ١٩٧٣.

١١- الجانب السياسي لحرب الاستنزاف :

كان لحرب الاستنزاف التي استمرت عدة سنوات بعدها السياسي الخارجي والداخلي ..إذ كانت تشكل رسالة يومية حية ومستمرة موجهة إلى كل شعوب العالم .. فحواها أن هناك شعبا - هو شعب مصر - لا يمكن أن ينسى أرضه المحتلة .. وأنه لن يتخلى عن إصراره وعزمه على تحرير هذه الأرض مهما كانت التضحيات .. وإلى أن يتمكن من فرض إرادته واسترداد الأرض في النهاية .

وكان لهذه الرسالة تأثيرها الكبير لدى الرأي العام العالمي . فقد لعبت دورا مهما في التمهيد لحرب التحرير بعد أن نبهت العالم إلى أن هناك صراعا مشتعلا في منطقة حيوية هي منطقة الشرق الأوسط .. وأن استمرار هذا الصراع سوف يهدد أمن وسلام هذه المنطقة الحيوية وما بها من مصالح عالمية .. وأن هناك شعوبا تناضل من أجل حقوقها المشروعة .

هنا يمكن القول أن حرب الاستنزاف قد شاركت بفاعلية في التمهيد السياسي لحرب أكتوبر .. حين نجحت في أن تخلق لدى الرأي العام العالمي اقتناعا بشرعية الحقوق العربية .. وحق الدول العربية في استخدام كافة الوسائل المتاحة لها في استرداد الأرض بما في ذلك استخدام القوة العسكرية ، وشن الحرب بعد أن فشلت كل الجهود الدولية على مدى ست سنوات في فتح طريق السلام بين العرب وإسرائيل .. ولم يبق من خيار أمام مصر سوى الالتجاء إلى الحرب « كملجأ أخير » . ولذلك فعندما شنت مصر وسوريا الحرب ضد إسرائيل في أكتوبر ٧٣ .. كان رد الفعل لدى الرأي العام العالمي ردا إيجابيا مؤيدا للموقف العربي ومساندا له .

أما على صعيد الجبهة الداخلية .. فقد كان الشعب على مستوى المسئولية حيث تلاحم مع قواته المسلحة في صراع من أجل بناء حائط الصواريخ مؤكدا قدرته على تحمل التضحيات مهما كان حجمها . وكان هذا التلاحم الحيوي أحد إيجابيات حرب الاستنزاف .. وشكل في نفس الوقت أحد الأركان المهمة لخطة إعداد الشعب للحرب القادمة لمواجهة التحدي الأكبر الخاص بتحرير الأرض .

لقد كانت حرب الاستنزاف بمثابة التحدي الأصغر الذي واجهه شعب مصر في ذلك الوقت والذي مهد لمواجهة التحدي الأكبر وتحمل تضحياته من أجل استعادة تراب مصر . وقد قبل الشعب الأصيل التحديين الأصغر والأكبر .. وقام بدوره العظيم على مدى السنوات الست سواء بوقوفه خلف قواته المسلحة أو إلى جانبها .. متصديا بمعنوياته العالية وتضحياته الغالية للتحديات المادية الكبيرة والضغوط النفسية الثقيلة التي فرضتها عليه حرب شرسة هي حرب الاستنزاف .

إن موقف الجبهة الداخلية المصرية أثناء حرب الاستنزاف كان أحد العناصر الأساسية التي شجعت الرئيس السادات على اتخاذ قرار الحرب .. متأكدا من أن صمود الشعب سوف يكون في التحليل الأخير العنصر الحاسم الذي يجعل النجاح في النهاية إلى جانب الإيمان بأن الذي يحتمل كثيرا ويصمد كثيرا .. لابد وأن ينتصر أخيرا .

القسم الثاني : إعداد المقاتل .. وإعادة بناء القوات المسلحة

النصر يصنعه الرجال :

١٢- كان السؤال الكبير الذي ردده الخبراء والمعلقون في أنحاء العالم .. عقب الإنجاز المصري العظيم الذي تحقق في أكتوبر ١٩٧٣ رغم الصعوبات العاتية : كيف أمكن لشعب مصر وجيشه أن ينهض من كبوته في عام ١٩٦٧ بهذه السرعة ؟ !وكيف جاء قرار مصر بشن الحرب في هذا التوقيت مخالفا لكل التوقعات ومتناقضا مع كل التقديرات والدراسات التي أجراها خبراء إسرائيل والعالم من السياسيين والعسكريين ؟ !وكيف أمكن لقيادة مصر ومن خلفها شعب مصر وقواته المسلحة أن تقبل

هذا التحدي الكبير ، وأن تتصدى له بنجاح بينما أجمع الخبراء على استبعاد إمكانية اتخاذ مثل هذا القرار المصيري قبل مرور سنوات طويلة قدرها البعض - كما سبق القول - بثلاثين عاما يأتي خلالها جيل جديد غير الذي عاش الهزيمة وتحمل وزرها ، يقوم بإعادة بناء مصر وقواتها المسلحة من جديد .. على أسس حديثة ووفق نظم متطورة .. ويزود هذه القوات بما تحتاجه الجيوش الحديثة من نظم متطورة للتسليح ؟ !.. كل ذلك كان ضروريا وحيويا حتى يتمكن جيش مصر من القيام بعبء المهمة الجسيمة المناط بها ، وأخيرا كيف أمكن لقواتنا المسلحة أن تعد نفسها رغم كل المعوقات السياسية والاستراتيجية والعسكرية والفنية في هذا الزمن القياسي .. فتقتحم كل الصعاب وتزيل كل المعوقات وتتغلب على كل ما هو مثير للتردد والإحباط ؟!

وما هو الدستور الذي اعتنقته القيادة المصرية في إعداد قواتها معنويا وتجهيزها ماديا لمواجهة مسئولياتها التاريخية .. مع توفير أقصى ضمانات ممكنة لتحقيق النجاح ؟

١٣- والواقع أن هؤلاء الخبراء قد فاتتهم عدة حقائق مهمة لعل أولها أصالة شعب مصر وعراقة تاريخه .. وثانيها جيشه الذي خاض تجربة مرة في عام ١٩٦٧ علمته الكثير ثم دخل بعدها تجربة أخرى صعبة هي « حرب الاستنزاف » خرج منها بخبرات متنوعة هائلة في شتى المجالات .. معنوية كانت أم عملية .. استراتيجية أم تكتيكية . وآخر هذه الحقائق هي سنوات شاقة من الإعداد الجيد والتخطيط المتميز .. وكلاهما لم يترك من الاحتمالات شاردة أو واردة إلا وضعت في الاعتبار واستعد لمواجهتها فكريا ومعنويا وعمليا . هذه السنوات قد مرت دون أن يشعر بها أحد .. حتى أنهم كانوا يصفوننا في هذه الفترة بأننا « جثة هامدة » بينما الحقيقة كانت عكس ذلك تماما .

إن خلاصة ما حدث وأثار دهشتهم أن جيش مصر الذي حارب في عام ٦٧ .. كان نفس الجيش الذي انتصر في حرب التحرير في أكتوبر ١٩٧٣ . لم يكن هناك جيل جديد كما قدروا .. إن الخلاف الجوهري الذي حدث في الحالتين - وقد فاتهم وضعه في الاعتبار - هو أن الجيش خلال هذه الفترة « أعاد اكتشاف ذاته » فقد بحث عن هذه الذات خلال حرب الاستنزاف حتى وجدها .. ثم جاءت الفرصة لكي يؤكد ذاته ويثبتها في حرب أكتوبر ٧٣ .

كان ذلك هو السر الكائن وراء الفشل الذي أصاب تقديرات خبراء إسرائيل بل والمراقبين الغربيين بشأن النتيجة المتوقعة لأي حرب تشتعل بين مصر وإسرائيل .. هذا التوقع قد انطبع على أول كلمة ينطقها وزير خارجية الولايات المتحدة هنري كيسنجر عندما أبلغوه لأول مرة بالهجوم المصري ضد إسرائيل إذ قال : « إن جوهر الخلاف بين حسابات مصر وحسابات إسرائيل والولايات المتحدة .. أننا أعطينا عدونا حقه كاملا من الدراسة بلا تهوين أو تهويل .. بينما هم أهملوا قدرات شعب مصر ممثلا في الإنسان المصري فلم يعطوه حقه وتعاملوا معه باستهانة أبعدتهم عن الواقع .. فوقعوا في خطأين استراتيجيين جوهريين :

أ- الاعتماد الكامل على حسابات العقول الإلكترونية الصماء .. التي التزمت بالدقة الرقمية .. ولكنها حرمت من الحس الإنساني .. فأخطأت الحساب وضلت الطريق نحو الاستنتاج السليم - فقد

أهملوا تقويم الإنسان المصري بقدراته الذهنية والمعنوية والعملية .. فهو ليس آلة حرب أو سلاح نزال .. فالسلاح مهما بلغت كفاءته يظل قطعة من الحديد .. إلى أن ينفخ فيه الإنسان من قدراته وروحه ومعنوياته . ولكنهم أسقطوا من حساباتهم تاريخ هذا الشعب وأصالته وتغاضوا عن حقيقة معدنه .. فحكموا على جيشه بالعجز وعلى قيادته بالضعف

ب- تقديرهم الخاطئ للزمن التي تحتاجه مصر لكي تقف على قدميها وتصبح قادرة على شن الحرب .. فقدروها بعشرات السنين . ولكن هذا الزمن لم يمتد أكثر من ست سنوات .. كان من الممكن أن تختصر لو استجاب الصديق لمطالب مصر واحتياجات جيشها من الأسلحة الهجومية المتطورة الصالحة للعمل في مسرح عمليات مكشوف وعبر أراض صحراوية شاسعة ، ولكن هذا القيد القوي لم يقلل من إصرار قيادة مصر ورجال قواتها المسلحة .. فبحثوا بجدية كاملة عن البدائل الضرورية .. واستحدثوا أساليب مختلفة لتعويض النقص ولرفع القدرة القتالية للقوات بوسائل أخرى .. معنوية وعملية وتكنولوجية » .

١٤- ولكي تكتمل عناصر النصر كان لابد من دراسة واعية تتناول أي مشكلات تعاني منها القوات المسلحة وتوفير العلاج المناسب لها . وبعض هذه المشكلات كان معنويا يمس روح القتال ويمثل العنصر الأخطر .. وبعضها ماديا يتعلق ببعض جوانب النقص في الأسلحة والمعدات الهجومية . وكان هو العنصر الأقل خطورة .. ولكن كلاهما كان من الممكن علاجه .

لذلك فعندما تولت القيادة العسكرية الجديدة مسئوليتها في أكتوبر ٧٢ .. بدأت عجلة الإعداد تدور بسرعة كبيرة .. وكان للجانب المعنوي اهتمام خاص .. إذ كان يتطلب العمل على استكمال ما حققته حرب الاستنزاف في هذا الجانب .. والقضاء على ما بقي من رواسب النكسة . يضاف إلى ذلك حالة الركود التي خيمت على الموقف العسكري بعد توقف حرب الاستنزاف في أغسطس ١٩٧٠ .. وما سببه هذا الركود من مشاعر سلبية بين الجنود الذين ظلوا مرابطين في الخنادق مقيمين في الملاجئ لمدة خمس سنوات .. حتى أصبحوا مهددين بما يطلق عليه عسكريا « مرض الخنادق » الذي عرفته جبهة القتال في أوروبا أثناء الحرب العالمية الأولى ، الأمر الذي قد يؤثر على الحالة المعنوية وبالتالي على الكفاءة القتالية للقوات

لذلك وضعت القيادة العامة معالجة هذا الوضع في مقدمة أعمالها ، فحددت له الحلول ورتبت الأولويات في إطار خطة استراتيجية متكاملة تنفذ على مراحل .. بدأت بتقدير شامل لكل جوانب الموقف .. وانتهت بوصول القوات إلى درجة الاستعداد القصوى .. واستعداد القوات المسلحة لشن العملية الهجومية ضد إسرائيل .. وتنفيذ المهمة القومية المكلفة بها .

من أجل ذلك حددت القيادة العامة هدفها الأول في هذه المرحلة وهو الاهتمام بروح المقاتل .. والعمل على دعم معنويات الرجال وإعادة الثقة إليهم .. وتهيئة المناخ النفسي الصحي الملائم لظروف الحرب القادمة .. والذي يساعدهم على مواجهة مسئولياتهم التاريخية بروح عالية وإصرار لا يلين .. وتأهيلهم لتحمل عبء المهام الجسيمة التي تنتظرهم .. ومواجهة التحديات واجتياز المصاعب

والعقبات .. وصولا إلى النصر في معركة المصير .
ومن أهم النقاط التي برزت في ذلك الوقت قضية تفرغ رجال القوات المسلحة تفرغا كاملا لمهامهم العسكرية ، وما يتطلبه ذلك من إعداد شامل ودقيق يبلغ حد الاحتراف .
كذلك من الأمور التي كانت تتطلب رؤية واضحة الفصل بين مفهوم السياسة ومفهوم الحرب . فبرغم أن الحرب هي امتداد للعمل السياسي كما يقال .. إلا أن الخلط بين الأمرين أو تداخلهما يمكن أن يعكس نتائج خطيرة ، فللسياسة رجالها وأصولها .. وللقتال رجاله وأصوله . وكانت هذه القضية قد برزت بوضوح أثناء أزمة ١٩٦٧ .. وكان لها أسوأ الأثر على الإدارة السليمة للصراع المسلح والذي انتهي بانتكاسة خطيرة .

من هذا المنطلق اكتسبت القرارات السياسة الذي اتخذها الرئيس السادات في النصف الثاني لعام ١٩٧٢ أهمية كبيرة ، وأقصد بها تحديدا قراري إنهاء خدمة الخبراء السوفييت في مصر في يوليو ١٩٧٢ ، وتغيير القيادة العسكرية المصرية .. وقد خلّص القراران القوات المسلحة من أى مؤثرات سياسية خارجية أو داخلية ، وبالتالي فتحت الطريق على مصراعيه للانطلاق نحو الهدف ، وهيأت المناخ الملائم للإعداد الجاد والمكثف لشن الحرب .. وفي نفس الوقت وفرت شرط التفرغ الكامل لها كأساس ضروري لضمان نجاحها .

مرتكزات استراتيجية الإعداد للحرب :
١٥- إن الحرب هي قدر القوات المسلحة .. وفي ظروف مصر في ذلك الوقت لم يكن هناك بديل عنها .. وأصبح استخدام القوة العسكرية ضرورة حتمية لإجبار العدو على التخلي عن الأرض التي يحتلها ، وكان ذلك هو جوهر « المهمة القومية » للقوات المسلحة ، وكان عليها أن تتحمل المسئولية ، وأن تأخذ على عاتقها مهمة تنفيذها مهما كان الثمن أو كانت التضحيات
وتأسيسا على طبيعة المهمة القومية ، كان لزاما رفع القدرات القتالية للقوات المسلحة وتنميتها لتصبح على نفس مستوى المهمة القومية .. وإطلاق ملكات الفكر بحيث تكون قادرة على مواجهة المشكلات المتنوعة وإيجاد الحلول المناسبة لها .. كذلك ضرورة وضع أسس وقواعد لتوفير ضمانات النجاح .

أ- بناء وتنمية القدرة القتالية :
لقد اعتمد بناء وتنمية القدرة القتالية للقوات على ثلاث دعائم أساسية :
القائد .. والمقاتل .. والسلاح .. لذلك كان تركيز القيادة العامة في مرحلة الإعداد منصبا على خلق القائد المؤهل معنويا وعلميا وعمليا .. والمقاتل المدرب جيدا والذي يمتلك روحا قتالية عالية .. ثم السلاح المصان جيدا والجاهز دائما للعمل بكفاءة .

والواقع أن تحقيق الكفاءة العالية لهذه العناصر الثلاثة كان من أهم ضمانات تحقيق النصر بما تمثله من مزيج متجانس يعطى أعلى مستويات العطاء الفكري والأداء الميداني وقوة الصدمة ، وبالتالي يضاعف من حجم المحصلة النهائية لقدرات القوات المسلحة ، فقد كان هناك إدراك واع بأن عصب

التنمية العسكرية هو الفرد المقاتل .. لأن السلاح وحده مهما بلغت كفاءته لا يحقق النصر.. «فالنصر يجب أن تنبت بذوره في قلوب الرجال أولا .. قبل أن يأتي حصاد ثماره في ساحة القتال ».

لقد كانت الثقة هي حجر الأساس في هذا النسيج الإنساني المتكامل ، الثقة في الحق المشروع ، الثقة في النفس والثقة في القادة والقيادة ، ثم الثقة في كفاءة السلاح الذي يستخدمه المقاتل ، فلا يمكن للمقاتل - مهما أعطيته من سلاح - أن ينجح وأن ينتصر إلا إذا كان على ثقة من نفسه ومن قادته ومن سلاحه . في ضوء هذا المفهوم المحدد ، كانت المهمة الأولى التي مارستها قيادات القوات على كافة مستوياتها هي غرس الثقة في نفوس الرجال ، بين الجنود وبعضهم ، وبينهم وبين قادتهم ، بين الجميع وسلاحهم أيا كانت نوعية هذا السلاح من البندقية إلى الصاروخ

ب- منطلقات الفكر وعناصر التوجيه :
كان لا بد للفكر المصري العسكري والإستراتيجي أن يتخلص من شبهة التبعية ، لكي تنطلق ملكاته الكامنة القادرة على العطاء والابتكار والتطوير ، وتقديم الأفكار والوسائل التي تساعد على مواجهة القيود الاستراتيجية والعسكرية التي فرضتها القوى الخارجية على مصر لمنعها من شن الحرب ضد إسرائيل . وقد حددت القيادة العامة لنفسها العناصر العلمية والتطبيقية التي تساعد على توجيه الفكر العسكري المصري الجديد في الاتجاه المطلوب ، ومن أبرزها :
(١) التحرر من النمطية وعدم التمسك بالنظريات الكلاسيكية وحدها حتى يمكن المشاركة بجهد خلاق في تقديم الحلول الضرورية للمشكلات الصعبة .
(٢) الاعتماد في أساليب التخطيط والإعداد على المفاهيم العلمية الحديثة أو المستحدثة في إرساء قواعد الحرب القادمة .
(٣) الاستفادة من الخبرات الأجنبية السابق اكتسابها خلال سنوات طويلة من الاحتكاك المباشر ، وبالقدر الذي يخدم أهدافنا الوطنية والقومية ، ويتفق مع قدراتنا المادية والمعنوية .
(٤) الاستفادة من الخبرات العسكرية الذاتية والدروس المستفادة التي اكتسبتها قياداتنا وقواتنا من الحروب السابقة وخاصة حربي يونيو ٦٧ والاستنزاف .
(٥) التنمية الشاملة للبحث العلمي كأساس مهم للتطوير ، وتطبيق أساليب التكنولوجيا الحديثة في حل المشكلات المثارة والتغلب على ما يعترض القوات من عوائق .

ج- ضمانات النجاح :
إن توفير ضمانات النجاح لمعركة لا يُقبل فيها احتمال الفشل ، كان يتطلب أن تكون بداية المعركة - أي مرحلتها الافتتاحية - قوية ودقيقة وحاسمة ، ولكي يتحقق هذا الحسم المبدئي ضد مانع مائي معقد ، ودفاعات حصينة مركّبة . لم يكن هناك بديل سوى الاعتماد على عنصرين أساسيين هما :
(١) قدرة المقاتل ومستوى تدريبه وروحه المعنوية العالية .
(٢) قوة نيران تنتجها كل أنواع الأسلحة بكثافة كبيرة ودقة عالية في إصابة الهدف وتدميره .
د- لقد كان العمل على دعم الثقة الكاملة لدى المقاتل سواء في نفسه أو قائده أو سلاحه يمثل أساسا جوهريا لتنمية القدرة القتالية العالية وتوفير الضمانات الكافية .. لذلك فقد اتبعت القيادة العامة

وباقي مستويات القيادة أسلوبا واقعيا وعمليا في دعم الثقة يستند على مخاطبة العقل والوجدان معا من خلال طرح الحقائق والمشكلات المنتظر أن تواجهها القوات أمام القادة والمقاتلين ، ومناقشتها بعقول متفتحة على كافة المستويات مع تبادل الآراء حولها وإتاحة الفرصة للقيادات المتوسطة والصغيرة نسبيا المشاركة في الرأي والتفكير كل في حدود مستواه القيادي ومهمته المنتظرة .. بذلك يمكن التغلب على كل نوعيات المشاكل مهما صغرت تكتيكية كانت أو فنية .. ويكون حل المشكلة نابع من داخل الطرف الذي سيواجهها على الطبيعة .. وبالتالي يكون مقتنعا بهذا الحل . وبهذا الأسلوب أمكن التوصل إلى الكثير من البدائل المطروحة أمام القيادة والمقبولة من كل الأطراف المشاركة في العمل من المخططين والمنفذين ولتأكيد هذه الضمانات تم إرساء عدة قواعد تساعد على ذلك وهي :

(١) المشاركة في تحمل المسئولية وحل المعوقات المحتملة ، ليس فقط من أجل التوصل إلى حلول قائمة على الابتكار ولكن - وهو الأهم - من أجل دعم الثقة في نفوس الرجال .

(٢) الاقتناع الكامل لدى القادة بما سيكلفون به من مهام من منطلق أن القيام بأي عمل ناجح كان لابد لمن يتولى القيام به أن يكون مقتنعا بهذا العمل وبقدرته على تنفيذه ومتحمسا لإنجازه على أكمل وجه .

(٣) أن هذا الاقتناع لابد أن يستند على عنصرين أولهما توفر القدرة الذاتية للفرد والجماعة على إنجاز المهمة بنجاح . وثانيهما أن تكون المهمة المخصصة في حدود الإمكانيات القتالية المتاحة فعلا .

خطة الإعداد .. المهام والأهداف :

١٦- الواقع أن خطة العمل التي وضعت للإعداد للحرب وما اشتملت عليه من تقديرات ودراسات خاصة بأعمال الإعداد الخططي والقتالي للقوات المسلحة كان يحكمها جميعا إطار واحد هو خدمة العملية القادمة وتوفير ضمانات النصر لها ، والذي لم يكن هناك بديل عنه رغم كل الظروف المعقدة التي كانت تواجهها القوات المسلحة المصرية .

كانت تلك الحقائق الأساسية قد سيطرت على أول اجتماع يعقده الفريق أول أحمد إسماعيل للمجلس الأعلى للقوات المسلحة يوم ٢٨ أكتوبر ٧٢ - أي بعد يومين من تعيينه وزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة - في هذا الاجتماع حرص القائد العام على تحديد هدف المرحلة المقبلة بوضوح ، وإرساء القواعد الأساسية المنظمة لمرحلة الإعداد والتحضير للعمل الكبير الذي ستتحمل القوات المسلحة تبعيته التاريخية ، وتحددت استراتيجية الإعداد ومراحلها سواء بالنسبة لإعداد خطط العمليات أو لإعداد الفرد المقاتل والقوات المسلحة .

وفي اليوم التالي - ٢٩ أكتوبر ٧٢ - أصدر القائد العام توجيها للقوات المسلحة تحدث فيه عن المعركة المصيرية المقبلة ، وأن النصر لا بديل عنه ، ثم حدد بعض النقاط المهمة الضرورية لمرحلة الإعداد وكان أبرزها :

أ- أهمية الثقة بين القادة والقيادات على كافة المستويات ، والارتفاع بمستوى التدريب القتالي مع بذل أقصى الجهد فيه .

ب- الارتقاء بالكفاءة القتالية إلى أقصى الدرجات ، خاصة كفاءة الأسلحة والمعدات وصيانتها .

ج- التركيز على دراسة العدو دراسة جيدة شاملة دون مبالغة في قدراته أو الإقلال من شأنه .
١٧- وفي نهاية التوجيه أكد القائد العام « أن أمرا واحدا هو الذي يشغل بالنا جميعا .. هو طرد العدو من أرضنا أو تدميره إذا لم ينسحب ، وهذا يتطلب تفرغا كاملا لمهمتنا ، فحرفتنا هي القتال ، وعملنا هو إدارة الحرب وليس رسم السياسة أو ممارستها » .

ومن الواضح في توجيهات القائد العام بعض القضايا المتعلقة بالقوات المسلحة ، التي كانت تشغل بال القيادة العامة في ذلك الوقت .. إذ كانت الظروف التي تمر بها القوات المسلحة تحتاج إلى وضع أولويات لأعمال الإعداد التي تبدأ بمواجهة بعض الأوضاع والمشكلات وفقا لخطة مدروسة تستهدف تصفية هذه المشكلات قبل تركيز الجهود على المهام الجديدة المتعلقة بشن الحرب ضد إسرائيل . من **أجل ذلك حددت القيادة العامة أهدافا واضحة لاستراتيجية إعداد المقاتل والقوات تضمنت العديد من النقاط كان أهمها :**
أ- إزالة الرواسب المعنوية التي ترتبت على مرحلة الركود العسكري بعد حرب الاستنزاف .
ب- تهيئة المناخ النفسي الذي يساعد القوات على مواجهة مسئوليتها التاريخية ، ويؤهلها لتحمل عبء المهام الجسيمة المنتظر تكليفها بها في المعركة القادمة .
ج- إبعاد أي مؤثرات سياسية ، والتركيز على التفرغ الكامل للقوات والاستعداد لتنفيذ مهامها العسكرية وواجبها القومي .
د- رفع مستوى الكفاءة القتالية للقوات والأسلحة بتعزيز الروح القتالية ، واستمرار التدريب الشاق للتوصل إلى الاتقان الكامل في الأداء القتالي وفي استخدام السلاح معا .
هـ- تحسين الكفاءة الفنية للأسلحة والمعدات ، وبذل العناية الفائقة بها باعتبارها الوسيلة المتاحة التي سندخل بها الحرب .
١٨- ولعل أحد المعالم المهمة لهذه الاستراتيجية هي مشاركة القيادة السياسية والقائد الأعلى للقوات المسلحة بدور هام في رفع معنويات المقاتلين وتحسين أوضاعهم المعيشية ، فضلا عن المتابعة المستمرة لأعمال الإعداد من أجل المساعدة في تقديم الحلول العملية وتوجيه أجهزة الدولة للمشاركة الفعالة في الأعمال التحضيرية التي تحتاج إلى مساعدة هذه الأجهزة .

١٩- ولعل أبرز مشاركات القيادة السياسية في هذه المرحلة كانت تتضمن ما يلي :
أ- إظهار التصميم الراسخ على خوض المعركة وتحرير الأرض مهما كان الثمن .
ب- الحرص على التقارب الدائم بين القوات وقياداتها ، وعقد الاجتماعات المتكررة لهذه القيادات وخاصة على مستوى المجلس الأعلى للقوات المسلحة ، وطرح الأفكار وتدارس الخطط المنطقية القابلة للتنفيذ وبحث الاستراتيجية الواجب إتباعها في مواجهة الظروف الدولية والإقليمية القائمة وقتئذ .
ج- القيام بزيارات ميدانية متعددة لجبهة القتال ، والاجتماع مع الضباط والجنود ، والاطلاع على أحوال معيشتهم وعلى تطورات أعمال الإعداد الجارية في الجبهة ، وخلال هذه الزيارات تعرفت القيادة السياسية على مدى ما كان يعتمل في صدور الرجال من مشاعر مكبوتة ومدى اقتناعهم بحتمية المعركة ، ورغبتهم الجارفة في الأخذ بالثأر واسترداد الكرامة التي جرحت بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ .
د- الحرص على معرفة أي عقبات تعترض أعمال الإعداد أو التخطيط للحرب ، والعمل بكل الجهد

على تذليلها ، وبحث الحلول للمشكلات القائمة خاصة في المجالات المعنوية والاقتصادية فضلا عن المجال العسكري ذاته .

محاور العمل الأساسية لإعداد القوات :

٢٠- كان ضروريا أن توضع خطة إعداد لخدمة خطة العمليات . ففي ظل المهام الجديدة للقوات المسلحة والنوعيات المنتظرة للعمليات البرية والجوية والبحرية تم تحديد استراتيجية عمل للمحاور الرئيسية لإعداد القوات المسلحة .. وقد نفذت من خلال هذه المحاور جميع الأعمال الأساسية لعملية الإعداد .. وكانت المحاور التالية هي أهم هذه المحاور :

أ- إعادة تنظيم القوات المسلحة :

كان التوجه الأول لعملية الإعداد هو إعادة النظر في تنظيم القوات المسلحة بأفرعها الرئيسية وتشكيلاتها الميدانية .. وذلك في إطار الالتزام بالمهام الاستراتيجية المحددة لها ، وقد أمكن التوصل إلى أفضل استخدام للقوات والذي ساعدها علي إنجاز المهام التي كلفت بها بنجاح . وفي نفس الوقت كان لابد للتنظيم أن يحقق التوازن الاستراتيجي داخل القوات المسلحة وبين أفرعها الرئيسية .. بحيث توفر لدى هذه الأفرع القدرة علي المساندة الفعالة والمتبادلة فيما بينها ومع التشكيلات البرية الميدانية . فمن المبادئ المهمة لتحقيق النصر في الحرب .. تضافر الجهود بين الأسلحة المشتركة والأفرع الرئيسية ، فالمعركة الحديثة كما يقول العلم العسكري هي معركة الأسلحة المشتركة . وفي إطار هذه القواعد أدخلت التعديلات اللازمة على تنظيم القوات وإعدادها وفقا لشكل ونوعيات المهام وبما يؤدي إلى تحقيق الأهداف الاستراتيجية المحددة .

وفي نفس الوقت اتخذت العديد من الإجراءات لرفع الكفاءة القتالية للقوات . وقد وجهت عناية خاصة وكبيرة لدعم القدرات الصاروخية للقوات البرية ، خاصة في مجال التصدي للقوات المدرعة المعادية ، فشكلت لهذا الغرض - ولأول مرة - وحدات كاملة من المدفعية الصاروخية المضادة للدبابات والتي لعبت دورا جوهريا في صد وتدمير الهجمات المدرعة الإسرائيلية أثناء الحرب ، وفي المحافظة على الأراضي التي حررت في سيناء خاصة في المراحل الأولى التي سبقت إقامة الكباري وعبور دباباتنا وأسلحتنا الثقيلة إلى الضفة الشرقية للقناة .

وقد أعطيت سياسة تزويد القوات المسلحة بالأعداد اللازمة من الأفراد المدربين جيدا أهمية خاصة حتى بلغ حجم القوات ثلاثة أضعاف ما كانت علية في حرب ١٩٦٧ . كذلك أعطيت أسبقية لتجنيد المؤهلات المتوسطة والعالية ، الأمر الذي أدى إلى الارتفاع بمستوى الأداء للقوات خاصة في الوحدات التي تستخدم معدات فنية حديثة أو أسلحة تعتمد على نظم إلكترونية خاصة .

ب - الإعداد المعنوي للمقاتل :

شغل الاهتمام بمعنويات القوات والارتفاع بروحها الهجومية جزءا أساسيا من خطط الاعداد للقوات

المسلحة .. باعتبار ذلك ضرورة حيوية لتحقيق هدفين :
(١)خاص بإزالة ما بقي من آثار معنوية سلبية للنكسة ، وظروف القتال خلال سنوات ما بعد الحرب ، الأمر الذي يؤثر على الكفاءة القتالية للقوات .
(٢)الارتفاع كثيرا بكفاءة الأداء القتالي في الميدان باعتبار أن ذلك يساهم في تعويض بعض جوانب النقص في الأسلحة ، كما أنه يمثل ضرورة تحتمها طبيعة المهام الصعبة التي تحتاج إلى روح قتالية عالية وإصرار على إنجازها .. الأمر الذي يساهم مساهمة إيجابية مباشرة في تحقيق النصر .
لذلك كان إعداد المقاتل نفسيا وجسمانيا يمثل أساسا جوهريا في خطة الاعداد للظروف غير العادية التي كانت تواجه خطة الحرب ، والتي كانت تتطلب طاقة معنوية وجسدية عالية فضلا عن الطاقة الذهنية .. وهذه الطاقات هي أساس القوة لأي عمل ناجح .

إن إعادة بناء المقاتل نفسيا ومعنويا كان يحتاج إلى جهد من القادة والقيادات حتى يمكن دعم ثقة المقاتل بقيادته فضلا عن ثقته بنفسه وسلاحه ، وقد تطب هذا وجود منهج متكامل ينفذ من خلال الزيارات الميدانية المستمرة للقائد العام للقوات المسلحة وقيادتها ورؤساء الهيئات والأجهزة حتى تجرى المناقشات المفتوحة ، التي لم تكن تتم داخل الغرف المغلقة كما قد يتبادر للذهن .

ولم يكن الهدف من هذه الزيارات قاصرا على مناقشة قضايا ومشكلات الحرب .. ولكن كذلك التعرف على أوضاع القوات وأحوالها وظروفها المعيشية ، وحل أي مشكلات إدارية لتوفير الراحة النفسية للفرد المقاتل .. وذلك قبل مناقشة المسائل المتعلقة بأوضاع العدو ووسائل التغلب على الموانع المعقدة وكثير من المسائل العامة والمتخصصة الواردة في المهام المحتملة ، والعمل على تذليل أي عقبات تعترض تنفيذها أيا كان نوعها تكتيكية أو فنية أو إدارية .
كان لأسلوب حل المشكلات على الطبيعة أثره الكبير وأهميته في تحقيق الربط المباشر بين القيادات الميدانية المختلفة من ناحية ، وقيادات القوات المسلحة من ناحية أخرى .. كذلك بث الثقة ودعم المعنويات في التشكيلات والوحدات الميدانية وعند المقاتلين . وقد وفر أسلوب مناقشة ودراسة الأوضاع الحقيقية في جبهة القتال وعلى أرض الواقع إمكانية الاستفادة المباشرة من الخبرات الميدانية الهائلة التي اكتسبها القادة والمقاتلين طوال عدة سنوات - خاصة سنوات حرب الاستنزاف - في التوصل إلى أفضل الأساليب العملية التي تتناسب مع المواقف ومع طبيعة العقبات والموانع ، وكيفية التغلب عليها بما هو متاح من وسائل وإمكانيات ومن روح معنوية وقتالية عالية .

ج- تدريب القوات :

مع انبعاث الروح القتالية لدى الضباط والجنود أصبح من السهل على القوات أن تتقبل وتستوعب جرعات التدريب الشاقة المتصاعدة .. سواء كانت بالنسبة للتدريب القتالي المتعلق بتنفيذ المهام ذات الطبيعة المعقدة ، أو بالنسبة للتدريب الفني اللازم لتحقيق أقصى كفاءة للأسلحة والمعدات . يمثل هذا الأسلوب المستنير أمكن خلق المقاتل المتميز وإعداد السلاح الجيد ، وكلاهما معا كان قادرا على التغلب على العقبات وإنجاز المهام الصعبة .
.والواقع أن جرعات التدريب المكثفة كانت ضرورية لإتقان التعامل الناجح مع المعوقات التي قد تعطل

اقتحام قناة السويس واختراق خط بارليف ، وكان هذا التدريب القتالي يجرى ليلا ونهارا في ظروف مماثلة تماما لظروف القتال المنتظرة .. الأمر الذي حقق قدرة عالية على المناورة بالقوات والنيران ، وتوفير قدر كبير من خفة الحركة .

ونظرا لدقة وصعوبة المهام الخاصة باقتحام قناة السويس واختراق خط التحصينات تطلب الأمر تنظيما دقيقا لأسلوب تنفيذ هذه المهام بنجاح .. وقد صدر لذلك منشورات تفصيلية تنظم تفاصيل العبور والاقتحام ، وتوحد أسلوب العمل بين القوات ، فالتدريب الشاق كان هو الحل المتاح لضمان القدرة العالية على تنفيذ المهام الصعبة ، كما أن التدريب الجيد يقلل من الخسائر ، وهناك مبدأ معروف في الحرب يقول : إن قطرة العرق في ميادين التدريب يمكن أن توفر قطرات من الدم في ميادين القتال .
ولهذا كان التركيز على واقعية التدريب واختيار ميادين التدريب بحيث تكون قريبة الشبه بميادين القتال المنتظرة ، وقد تم اختيار مجار مائية في الدلتا مشابهة لقناة السويس ، وأقيم على ضفتها السد الترابي العالي والتحصينات الهيكلية المماثلة لما هو موجود في خط بارليف الإسرائيلي .
وقد نفذ التدريب على العبور في بعض الحالات في القناة نفسها في منطقة البلاح حيث تنقسم القناة إلى فرعين تفصلهما جزيرة تقع في منتصف القناة .

د- رفع كفاءة استخدام الأسلحة والمعدات :
لما كانت مصر دولة غير منتجة للسلاح - إضافة إلى ما كانت تعانيه من امتناع سوفيتي عن توريد ما تحتاجه من أسلحة هجومية - فقد أصبح على مصر أن تحارب بما في يد قواتها من سلاح ، وكان لابد من بذل أقصى الجهد للعناية بهذا السلاح المتاح ورفع كفاءته الفنية ..
(١) بالتركيز على التدريب الفني للارتفاع بمستواه حتى يمكن تحقيق الاستخدام الأمثل لكافة الأسلحة والمعدات حتى تتضاعف فاعليتها ومردودها في ميدان القتال .
(٢) بالعمل على زيادة نسبة تعويض النقص في بعض نوعيات من الأسلحة بالعمل على تحسين كفاءتها الفنية بالاستفادة من البحوث العلمية والتكنولوجية في تنمية القدرات الأساسية للأسلحة بما يضاعف أو يزيد من دقتها ويحسن من قدرتها سواء في الحركة أو في إنتاج النيران المصوبة جيدا .

هـ- حل المشكلات الفنية لعملية العبور واختراق خط بارليف :
كان من المنتظر أن تلاقي القوات أثناء عملية عبور القناة والتغلب على الساتر الترابي وتحصيناته العديد من المشكلات الفنية ، خاصة في المراحل الأولى من عملية الاقتحام ، وكان لابد من العمل على إيجاد الحلول العملية المناسبة لهذه المشكلات ، بما يحسن كثيرا من مستوى الأداء القتالي ويقلل من جهد المقاتلين ، ويحد من احتمالات التعرض لخسائر كبيرة الأمر الذي سيزيد من فرص النجاح ، ويساعد على تحقيق المفاجأة .
كان على القيادة العامة في مجال الاستعداد للحرب أن تفحص هذه المشكلات ، وأن تجد العلاج المناسب لكل منها ، حتى يتحقق للمقاتل أفضل الظروف لاظهار كفاءته وقدراته ، إذ كان عليه أن يعبر القناة في وجه سد مرتفع من اللهب ، وأن يصل إلى الضفة الشرقية سليما هو وسلاحه ، ويتسلق الساتر الترابي العالي ويقتحم بما في يده من أسلحة خفيفة دفاعات خط بارليف ويدمر قلاعه

القوية ، ويرفع علم مصر فوق قمم هذا الخط الحصين .. ثم كان عليه أن يتابع تقدمه ويواجه دبابات العدو المنطلقة من العمق ويتصدى لها ويدمرها .. كل ذلك تحت ظروف القتال ولعدة ساعات حرجة تناهز الساعات الست . لقد كان على الجندي المصري المترجل أن يقاتل بمفرده ويتغلب على كل هذه العقبات إلى أن تقام المعابر وتصل الدبابات والأسلحة الثقيلة إلى الضفة الأخرى للقناة .

٢١- وأخيرا .. فقد نجحت مصر خلال هذه السنوات الست الصعبة في أن تتحدى كل القيود التي فرضت على إرادتها .. وأن تواجه أقوى المشكلات .. وتجتاز اعتي العقبات .. وفي مقدمتها العقبة النفسية التي خلفتها نكسة يونيو ١٩٦٧. استطاعت أن تخلق روحا جديدة في القوات المسلحة .. تلك الروح التي عرفت فيما بعد بـ « روح أكتوبر » .. وتمكنت من إعادة بناء المقاتل على أسس علمية سليمة .. كما أدخلت تغييرات جذرية على معالم القوات المسلحة من حيث المستوى التنظيمي والتدريبي فخلقت نوعية جديدة من الأداء الميداني المتميز .. والاعداد الخططي المبدع .. فكانت المحصلة الرائعة التي جمعت بين الفكر والعمل وتحولت إلى حقائق واقعة شهدتها ساحة القتال الذي تفجر في السادس من أكتوبر ١٩٧٣ لتؤكد أن ما أخذته سنوات الاعداد من جهد وفير وعرق غزير ودماء زكية .. لم تذهب سدا بل حققت في النهاية نصرا عظيما .

تعليق المشرف على المحور

نشكر سيادة السفير على هذه الورقة أرجو أخوتي الذين لم يحضروا حرب أكتوبر وأبنائي طلبة الكليات ، أن القاعة المكيفة ليست مركز عمليات ولا مركز قيادة تحت الأرض الكرسي الجالس عليه سيادتكم ليس كرسي دبابة ولا عربة مدرعة ولا محنزرة ولا كرسي وحدة رادار في وحدة صواريخ ، أنا أرجو أن تشعروا بمعنى الكلمات « **الترتيب التصاعدي العلمي لحرب الاستنزاف** » عندما يقول اللواء **طه المجدوب** يوم ١٤ يوليو سنة ١٩٦٧ قبل مرور عدة أسابيع من الهزيمة والطيران المدمر تنطلق القوات الجرية لعمل ضربة .أنا أطالب سيادة الفريق « **أحمد شفيق** » أن ينشر في مجلات القوات المسلحة صور القوات الإسرائيلية وهي تجري في سيناء يوم ١٤ يوليو سنة ، ١٩٦٧وسيادة الفريق «**أحمد فاضل**» يوضح لكم ماذا تعني مدمرة « إيلات » وماذا يعني صاروخ ، لأن الكلمات لها معاني وأنا أرجو أن تشعروا بالمعاني وستشعرون بها عندما تقرأوا الورقة بعمق ليس في هذه الجلسة المكيفة .



تقديم المتحدث الثالث:

معي الآن مفكر ومقاتل الأخ «محمد عبد المنعم» كان رائدا في القوات الجوية والدفاع الجوي، واستدعى في حرب الاستنزاف وحرب ١٩٧٣ ثم ترك الزي العسكري ليعمل في مجال التحرير العسكري العلمي محرراً عسكرياً في الأهرام ومتدرجاً إلى أن أصبح رئيس لمجلس إدارة ورئيس تحرير مجلة «روزاليوسف» ، وكان متحدثاً و سكرتيراً صحفياً للسيد الرئيس «مبارك» لمدة خمس سنوات ، وقد حصل أخيراً على جائزة أحسن تحقيق صحفي لحرب أكتوبر .. وأعتقد أن وجود «محمد عبد المنعم» اليوم يؤكد الرسالة البالغة التي أطلقها السيد الرئيس على مفكري مصر ومثقفي مصر و فناني مصر أن يشاركوا مصر والعرب حقيقة لحظات حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

الورقة الثالثة :

الحــــرب العـــــادلــة والســـــلام العـــــادل

الأستاذ/محمد عبد المنعم عبد الرحمن

رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير مجلة روزاليوسف

في هذا البحث اخترت تناول ثلاث زوايا رئيسية من حرب أكتوبر ٧٣ أتصور أن أحدا لم يشر إليها من قبل ، وان كان هذا ما حدث فانه لا يأتي من قبيل قصوراً أو إغفال ، ولكن مرده الأول هو أن الأحداث الكبرى تكشف عن طلاسمها مع مرور الزمن ، وأنها في ذلك تتفاعل مع العقول والأحداث قبل أن تكشف عن كل جوانبها ، وبواعثها ، ومبرراتها ، وجملة أسرارها .

وفي هذا الإطار اخترت تناول ثلاثة جوانب هامة رابعها يأتي ضمنيا ويتمثل في تصوير حجم الإنجاز التاريخي في أكتوبر ٧٣ ومدى تميز الأداء من الألف إلي الياء .

ويتعلق الجانب الاول بمرحلة الاعداد لحرب أكتوبر

وكلنا يلاحظ أن مرحلة الاعداد استغرقت سنوات طويلة كان يبدو فيها اننا لن نجرؤ علي دخول الحرب والجديد الذى يتكشف الان هو ان الصورة كانت بدورها عماد عمليات الخداع الاستراتيجي الذى اتبعناه علي مر هذه السنوات .

ونضيف الي ذلك انه في ظل الظروف السياسية والشعبية السائدة في ذلك الوقت كان من المستحيل ان تجرؤ أى قيادة سياسية علي إعلان عدم رغبتها او قدرتها علي دخول حرب التحرير لأن الشعب المصرى بأكمله ومن ورائه الرأى العام العربي كان يتطلع الى بدء القتال واسترداد الحقوق واهم من ذلك كله استرداد كبرياء شعب وأمة بأكملها .

وفي ظل هذه الظروف الصعبة كان علي القيادة السياسية للدولة ان تقنع العدو بانها لن تحارب وليس

لديها أى نية للحرب في ذات الوقت الذى كان عليها فيه تحافظ علي مشاعر الجماهير وتؤكد لهم انها في سبيلها لشن حرب التحرير ، هذا التناقض ، وهذه الفجوة يصوران لنا مدي صعوبة الظروف التى تم خلالها تنفيذ بنود خطة الخداع التى اتبعتها القيادة المصرية

فى ذلك كان على القيادة المصرية أن تقنع الدوائر الدبلوماسية فى واشنطن والدول الغربية أنها ترغب فى الوصول الى حل سلمى لمشكلة الاحتلال بينما هى فى الوقت ذاته تستعد لخوض معركة التحرير ، وفى نفس الوقت كانت عملية المحافظة على السرية وهى عملية مزدوجة ومتناقضة وتكاد أن تكون مستحيلة لأنه وفي الوقت الذى كنا نقنع فيه إسرائيل والدول الغربيه بأننا لن ندخل الحرب كان علينا أن نمنع وصول هذه المعلومات وهذا الإتجاه أو هذه النيه كذلك فإنه فى الوقت ذاته كان على القيادة السياسية أن تؤكد بشكل ما للرأى العام المصرى أنها تستعد لخوض معركة التحرير بينما هى حريصة كل الحرص على عدم وصول هذه المعلومات وتلك الحقائق الى إسرائيل والدوائر الأجنبية الأخرى التى كنا نغذيها بمعلومات زائفة عن عدم استعدادنا للقتال وعدم وجود أى نية لدينا لخوض حرب التحرير ... موقف غاية فى التعقيد والصعوبة .. لعب فيه الزعيم الراحل دورا أساسيا ربما كان أهم ما يمثله هو التصريحات التى أعلنها للشعب عن أنه كان ينوى الهجوم وفى اللحظات الأخيرة جاء « الضباب » فمنع طائراتنا من الإقلاع بهذا تأكد العدو والعالم كله أن الرئيس المصرى يخدع شعبه وينحو الى التهريج فى موضوعات أساسية تمس صميم الأمن القومى للبلاد وذلك فى ذات الوقت الذى لجأ فيه الشعب المصرى كعادته الى إطلاق النكات على قصة «الضباب» ولكن عندما اندلعت الحرب فجأة وبدون توقع من الجميع تكشفت الحقائق وتبدد «ضباب» ما قبل المعركة وجاء أصدق تعبير عن هذا الموقف كله على لسان جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل وقتذاك عندما قالت : «لقد أسأنا تقدير هذا الرجل » (تقصد الرئيس أنور السادات)
أما موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى وقتذاك فقد قال : لقد كانت شخصية السادات هى أكبر بند من بنود الخداع فقد كان الرجل كما نعلم وكما رأينا جميعا يتعمد إظهار نفسه بصورة تخالف تماما معدنه الحقيقى .. صورة العابث غير المكترث والتى تخفى وراءها معدنا من الفولاذ .

الجانب الثانى طبيعة حرب أكتوبر ٧٣

لقد ظهر فى الآونة الأخيرة تعبير جديد يسمى « الحرب العادلة » .. بمعنى أنها الحرب التى تستتبعها ردود فعل إيجابية ومساندة دولية بسبب عدالة المبررات والأهداف التى تقوم من أجلها مثل هذه الحرب .

وفى هذا الإطار فإنه على سبيل المثال تكون الحرب التى شنتها ألمانيا على كافة دول أوروبا فى إطار الحرب العالمية الثانية هى « حرب غير عادلة » ... ولكن فى الوقت ذاته فإن الحرب التى شنتها تلك الدول ومعها الولايات المتحدة الأمريكية على ألمانيا هى « حرب عادلة » بالدرجة الأولى ، وإذا نظرنا الى الحروب التى جرت فى منطقة الشرق الأوسط ، فإن العدوان الثلاثى الذى شن على مصر وسوريا والأردن فى يونية ١٩٦٧ هو بدوره حرب غير عادلة .
أما بالنسبة لحرب أكتوبر ١٩٧٣ التى شنتها مصر وسوريا ضد إسرائيل فهى نموذج فريد للحرب

العادلة ، وذلك لتوافر الشروط الأساسية التى تتطلبها هذه الحرب وهى :
١- المبرر أو السبب العادل لإستخدام القوة المسلحة ، ويتمثل فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ فى استرداد الأراضى التى احتلتها إسرائيل بغير وجه حق ، وفى الدفاع والتصدى ضد النزعة العدوانية الإسرائيلية التى تزايدت بعد حرب يونية ١٩٦٧ ..وكذلك فى إنزال العقاب العادل أو الإنتقام لما جرى لنا خلال حرب يونية ١٩٦٧ .

٢-كان قرار الحرب فى أكتوبر ١٩٧٣ هو قرار نابع أساسا من السلطة الشرعية للبلاد ، ومن رغبة شعبية جامحة تساند قرار السلطة الشرعية .. كذلك كانت هذه القرارات والرغبات تتفق مع ماجاء فى ميثاق الأمم المتحدة من حيث السماح بإستخدام القوة لإستعادة الشرعية الدولية أو الحفاظ على الإستقرار والسلام العالمين .

ومما لاشك فيه أن حرب ١٩٧٣ أدت إلى الحفاظ على هذا الإستقرار فى منطقة حيوية من العالم .. كذلك أدت فيما بعد إلى تحقيق السلام فى بؤرة من أكثر البؤر سخونة وأكثرها تأثيرا على الإستقرار والسلام العالميين .
٣- ان تكون هناك -وراء قرار استخدام القوة المسلحة-أهداف ونوايا عادلة لا ترمي أبدا الى توسع استعماري أو عدواني أو رغبة في العنف وفرض هذا العنف على الأحداث الجارية .. وفي ذلك كانت حرب أكتوبر ١٩٧٣ تحمل -كما نعرف- نوايا غاية في العدالة من حيث أنها كانت ترمي أولا واخيرا الى تحرير الأراضى المحتلة وتحريك وإيقاظ المجتمع الدولي لاستعادة ما احتلته إسرائيل من أراضينا في حرب توسعية وعدوانية واستعمارية من انطراز الأول دارت رحاها في يونيو ١٩٦٧ .
٤-أن يكون الهدف النهائي أو الاسمى لاستخدام القوة المسلحة هو تحقيق السلام.. وبمعنى آخر لا تكون الحرب من اجل الحرب فقط او استجابة لرغبات طائشة أو ميول عدوانية أو جهالة أو نزعة المغامرة.
وفي ذلك كانت حرب أكتوبر ١٩٧٣ نموذجا يحتذى من حيث أنها منذ البداية كانت ترمي الى تحقيق السلام .. ودليل ذلك أن الزعيم الراحل محمد أنور السادات وقف في مجلس الشعب يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ عندما كان الرجل في ذروة انتصاراته العسكرية ، وكانت قواته المسلحة قد تمكنت من الضفة الشرقية للقناة ونجحت في إقامة خمسة رؤوس كباري صامدة ثابتة فيما وراء ، وفوق أطلال ، «خط بارليف» المنيع .
في هذا الجو المفعم بنشوة الانتصار والزهو العسكري ، وقف الرئيس الراحل أنور السادات ينادي بالسلام.. ولكن بدلا من أن تستجيب إسرائيل لهذا النداء الذي طالما انتظرت انطلاقه من أفواه القادة العرب ، وخاصة القادة المصريين ، فانه بدلا من ذلك خرجت رئيسة وزراء إسرائيل وقتذاك «جولدا مائير» لتعلن أن إسرائيل لديها قوات عسكرية في غرب القناة !!وهي القوات التي عرفت بعد ذلك بقوات الثغرة.

ويجدر بنا أن نتوقف لحظة عند هذه النقطة ، وعلينا أن نتذكر جيدا انه قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ أعلن

الرئيس السادات مبادرة لاحلال السلام في الشرق الأوسط في ٤ فبراير ١٩٧١، وعرض فتح قناة السويس للملاحة الدولية مقابل انسحاب القوات الإسرائيلية الى شرق مضايق سيناء فلم يكن من إسرائيل وقادة إسرائيل ،الذين أصابهم الصلف والغرور من جراء النتائج التي حققوها في حرب يونيو ١٩٦٧ ، إلا أن استهزأوا بالسادات وبمبادرته ، وهذا الموقف كان دليلا جديدا على أننا نعيش فعلا في عصر لا يعرف غير لغة القوة وخطاب القوة وكان يدل أيضا على انه إذا كنا نريد الحقوق وإذا أردنا استرداد ما تم اغتصابه بالقوة المسلحة فإنه لا سبيل غير العمل العسكري القادر والمتفوق .

وهكذا فإننا نود أن نشير في هذه النقطة بالذات الى النداء الثاني للسادات بالسلام عندما كان الرجل في أوج انتصاراته العسكرية وعندما كانت بيارقه ترتفع خفاقة على ارض سيناء .. هذا النداء الثاني بدوره لم يلق قبولا من قادة إسرائيل لا لشئ إلا لأنهم كانت لديهم هذه المرة قوات نجحت في التسلل الى غرب القناة ، وظنوا انهم سيقلبون موازين المعركة عن طريق هذه القوات . علينا أن نتذكر ذلك جيدا عندما نصل الى الجزء الخاص بعملية السلام في نهاية هذه الورقة.

٥-توافر مبدأ التناسب والملاءمة في مدى ونوعية استخدام القوة المسلحة مع التهديد القائم من حيث مدى العمل العسكري ، وحجم الدمار والخسائر التي ستنتج عن هذا العمل ، ومن حيث الأهداف التي يتم انتقاؤها لشن هجمات عليها . وفي ذلك كانت حرب أكتوبر ١٩٧٣ مرة أخرى نموذجا فريدا كما لو كانت تطبق بالضبط كافة البنود والشروط التي تقوم عليها الحرب العادلة .

فقد كانت خطة القوات المسلحة تقوم أساسا على مهاجمة كافة الأهداف العسكرية والحيوية التي قامت إسرائيل بإنشائها على الضفة الشرقية من القناة وفي أعماق سيناء.. ولم تتورط القوات المسلحة المصرية مثلا في الهجوم على مراكز التجمع السكاني داخل إسرائيل. او في مهاجمة المواقع الاستراتيجية داخل إسرائيل، لان الهدف النهائي لحرب أكتوبر كان يرمي بالدرجة الأولى الى تحرير أراضينا المحتلة... وطرد العدو الإسرائيلي منها سواء عن طريق الفوة المسلحة في بداية الحرب أو عن طريق مفاوضات السلام بعد «تحريك» القضية وإيقاظ المجتمع الدولي الذي ظل نائماً ومستسلماً للأمر الواقع الإسرائيلي طالما كان الجانب العربي لا يمثل أي تهديد أو تأثير على مجرى الأحداث.

٦-أن يتوفر ما يسمى بأمل النجاح فيما يتعلق باستخدام القوة المسلحة لتحقيق الهدف المنشود.. وأن يكون هذا الاستخدام مستندا الى حسابات علمية وواقعية تكفل ضمان هذا العمل العسكرى المسلح وتحول دون تحوله الى مغامرة طائشة لا تجلب إلا المزيد من تدهور الموقف والأحوال.

وفى ذلك كانت حسابات علمية وواقعية من الطراز الأول لم تغفل شيئاً واحداً ابتداء من سرعة تيار المياه فى قناة السويس ،وانتهاء بمدى التفوق النوعي للأسلحة التى وفرتها الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل ، ولم تغفل أيضاً البعد الدولى لهذه الحرب وفى مقدمته المساندة الأمريكية الكاملة للجانب الإسرائيلي ،وفى هذه النقطة بالذات نود أن نقول هنا أنه عندما تطورت الأمور وتدخلت الولايات المتحدة الأمريكية بجسر جوى هائل من قواعدها فى أوروبا الى مدينة العريش مباشرة لمد إسرائيل بالطائرات والدبابات الحديثة تعويضا لما فقدته خلال عمليات القتال التى دارت فوق أرض سيناء ..

وعندما بات واضحاً أن الولايات المتحدة الأمريكية تقف بكامل ثقلها وراء إسرائيل ..عندما حدث :لك لم يتجاوز الزعيم الراحل أنور السادات حدود إمكانياته ..ولم ينفصل عن الواقع الذى انتهت ـه الأمور ..وردد مقولته الشهيرة «إنني لا أستطيع أن أحارب الولايات المتحدة الأمريكية ».

ى ذلك كان الرجل يعرف حجم ذاته ..ويعرف إمكانياته .. ويعرف الحدود التى ينبغى أن يتوقف ـندها ،وفى هذا المضمون تكمن أهم العوامل التى لا تعرض رئيساً وبالتالي المجتمع الذى يقوده والدولة التى يرأسها ..لا تعرضهم جميعا للعقوبات التي يمكن أن تنزلها بهم الدول الكبرى تماما كما فعلت الولايات المتحدة الأمريكية -وما زالت تفعل - مع الرئيس العراقي صدام حسين .
٧-أن يكون استخدام القوة العسكرية هو الملاذ الأخير لتحقيق أهداف الأمن القومي والمتطلبات الجماهيرية ، وفى ذلك فانه - مرة أخرى - كانت حرب أكتوبر ١٩٧٣ نموذجا فريدا يؤكد هذا البند الأساسي في الحرب العادلة ، فقد كان هذا هو السبيل الوحيد المتاح لنا بعد محاولات وجهود دبلوماسية باءت كلها بالفشل ، وبات واضحا أن الصلف تمكن من الجانب الإسرائيلي وجعله لا يبصر ما يمكن أن تتطور إليه الأمور ، وحتمية تطور الأوضاع الي صراع عسكري تلقي خلاله مصر ودول عربية أخرى بكافة إمكانياتها في معركة لا بديل فيها عن النصر ، لأن البديل الأخر معناه هو المستحيل بعينه ، فهو ببساطة شديدة يعني اندثار الحياة فوق أرض كانت هي مهد الحياة ومهد الحضارة الإنسانية .

الجانب الثالث : السلام العادل

وبعد الاتفاق علي وقف اطلاق النار في ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ بدأ التحرك نحو السلام ، وفي ذلك نعود الي ما ذكرناه في البند رقم (٤) من بنود الحرب العادلة عندما تحدثنا عن إقدام الرئيس السادات يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ عندما كانت القوا ت المسلحة المصرية في أوج انتصاراتها ليبدى السادات استعداد مصر للسلام مع إسرائيل إذا ما قبلت بالانسحاب من الأراضي التي احتلتها في عدوان يونية ١٩٦٧

ولكن لأن إسرائيل وقادتها كانوا يتصورون - وهم واهمون - أن قواتهم التي تسللت إلى غرب القناة يمكن أن تقلب الموازين فقد رفضوا مرة أخرى مبادرة الرئيس السادات ، وحاولوا جاهدين أن يصنعوا من تلك الثغرة شيئا ، ولكن الأداء العسكري المتميز للقوات المسلحة المصرية أحال وجود الإسرائيليين في الثغرة إلي فشل ذريع ، ونستطيع القول أن قتال القوات المصرية في مرحلة الثغرة كان من أشرس وأعنف عمليات القتال التي اندلعت منذ بداية أكتوبر ، ومن هنا فقط قبلت إسرائيل بالانسحاب من الضفة الغربية للقناة إلي شرق المضايق في إطار ترتيبات لفصل القوات ، وفي إطار أشمل وأعم وهو الدخول في العملية السلمية التعاوضية لإرساء قواعد سلام عادل ومتوازن ودائم .

الخاتمة

ونؤكد مرة أخري علي الأداء العسكري المتميز للقوات المسلحة المصرية .. ونؤكد أيضا علي العقلانية السياسية للقيادة المصرية ممثلة في الرئيس أنور السادات .. وحساباتها الدقيقة للموقف وللإمكانيات

والقدرات والظروف المحيطة بالصراع ، وبالتالي إمكانية تحقيق الأهداف الاستراتيجية التي كلفت بها القوات المسلحة المصرية .

لقد كانت كل هذه العناصر مجتمعة وراء دفع العملية التفاوضية ، وتحقيق الانسحاب الإسرائيلي من كل سيناء ، وتحقيق السلام بين مصر وإسرائيل بشكل هادئ وتلقائي لم تتخلله أي استفزازات علي غرار ما نراه الآن علي المسارات الأخرى وهي المسارات التي تخبط عندها السلام وتلكأ ،لا لشيء إلا لان لهيب المعارك كان قد خبا .. ولان المسافة الزمنية بين توقف القتال وتجربته المريرة ومحادثات السلام كانت مسافة شاسعة عمل علي اتساعها تلكؤ الأطراف العربية في البداية ، وعدم انضمامها لمسيرة السلام مع مصر التي قادت الحرب في جميع مراحلها وجولاتها .. والتي ارتأت ان كل الأوضاع والموازين الإقليمية والعالمية تجعل من اختيار السلام العادل هو الاختيار الأمثل في ظل هذه الظروف والأوضاع ، ولهذا السبب وحده وبعد الإنجاز العسكري المشرف في حرب أكتوبر ١٩٧٣ كانت مصر هي أول من قاد عملية السلام التاريخية في هذه المنطقة التي لم تعرف سلاما لأكثر من ٢٥ عاما ، ومازال السلام قائما حتي يومنا هذا لان مصر مازالت تصر عليه كاختيار استراتيجي من أجل مستقبل أفضل لجميع دول هذه المنطقة من العالم .

تعليق المشرف على المحور :

نشكر الأخ محمد عبد المنعم على توضيحه لموضوع الحرب العادلة واقترابه الجديد من موضوع حرب أكتوبر ١٩٧٣ ونرجو أن نجد سلسلة من المقالات في «روزاليوسف» ليس فقط عن البطولات العسكرية ولكن عن التحليل العلمي والعسكري لحرب أكتوبر .

التعقيب على الجلسة الأولى

لواء أ.ح/ محمد رضا فودة

أستاذ متفرغ بأكاديمية ناصر العسكرية العليا
وخبير بمركز الدراسات الاستراتيجية بالقوات المسلحة

لاشك أن التعقيب على قادتي هو أمر صعب ، خاصة وأن سيادتهما قد قاما بالتخطيط لإعداد الدولة للحرب ولحرب الاستنزاف وللحرب ثم شاركا في الإدارة .

وسيكون تعقيبي بالإضافة.

أولا :

أود أن أوضح أن حرب عام ١٩٦٧ فرضت على مصر هدفا قوميا ليس من اختيارها «وهو تحرير الأراضي المحتلة وتحقيق الأمن القومي المصري » ووضعت مصر هذا الهدف على قمة سلم الأولويات للأهداف المصرية .

ومن هنا جاء قرار الحرب وأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة ، وان تكون الحرب التى ستخوضها مصر هي حرب ناجحة ، وإلا انهارت الدولة لذا بدأت القيادة العامة للقوات المسلحة بالاشتراك مع جميع أجهزة الدولة المختلفة للعمل لتحقيق الهدف القومي والذي يمكن اعتباره الهدف الأوحد فى هذه الفترة ، واستخدمت القيادة العامة للقوات المسلحة الأسلوب العلمي للإعداد وهو الذى أدى إلى النصر .

ثانيا : إعداد الدولة للحرب :

في مجال إعداد الدولة للحرب سأوضح الدور الهام الذي قامت به وزارة الصحة وهو دور غير معروف بدقة ، فبجانب إعدادها للمستشفيات الثابتة والمستشفيات المتنقلة والمعدات المتنقلة قامت بتجميع الدم الذي يمكن أن يغطي مطالب العمليات العسكرية سواء في جانب جرحى القوات المسلحة أو الجرحى المدنيين. فتم عمل حملة للتبرع قبل الحرب، وتم ملء ثلاجات الدم بحوالي ٢٢ ألف لتر من الدم وهي السعة التي كانت متوفرة في هذه الآونة، وتم تقسيم القاهرة والإسكندرية والمدن

الكبرى إلى مربعات سكنية، خصص لكل مربع ثلاثة من الشباب يمثلون ٨ ساعات عمل كل منهم لمدة ٢٤ ساعة، وكل منهم يعرف المواطنين الذين يتبرعون بدمائهم، والذين أخذت منهم عينات قبل ذلك ومعروف فصائل دمهم ومسجلة، على أساس أنه عند الاحتياج للدم سيتحرك الشباب من مركز الدم في الحي لإحضار المتبرع عند الطلب، وبهذا الأسلوب تحول الفرد إلى ثلاجة بشرية للتبرع بالدم، وأصبح الشباب هم جهاز الاتصال بين بنك الدم والمتبرعين، ولا شك أن هذا الأسلوب يمكن التخطيط له حالياً وهنا يمكننا أن نطلق على مثل هذه الخطة « خطة تعبئة الدم ».

ثالثا : في مجال إعداد الشعب :

وقع على عاتق القوات المسلحة العمل على رفع معنويات الشعب المصري التي تأثرت بنكسة ١٩٦٧، ووجد أن هذه العملية يمكن إتمامها من خلال إعادة الثقة في قواته المسلحة، ومن هنا كانت حرب الاستنزاف ، والتي أدت إلى رفع الروح المعنوية للقوات المسلحة وللشعب المصري فى آن واحد وأعادت ثقة الشعب فى قواته .

رابعا : حرب الاستنزاف :

اعتبرت حرب الاستنزاف إشارة واضحة وجهتها مصر للعالم بأن مصر لم ولن تستسلم، وأنها ستسترد كرامتها بقواتها المسلحة، وأن حرب ١٩٦٧ ما هي إلا مرحلة من مراحل الصراع العربي الإسرائيلي. وأضيف إلى ما ورد بورقة السيد اللواء طه المجدوب بعض النتائج التي حققتها حرب الاستنزاف على أرض الواقع والتي أثرت على أداء القوات الإسرائيلية في الشرق:

١- نتيجة للكمائن التي دفعت والتي تمكنت من الحصول على أسرى في وضح النهار، أن قامت القوات الإسرائيلية بتقييد التحركات على الطرق في الشرق وأصبحت تدفع طائرة استطلاع مروحية لاستطلاع الطريق والمنطقة في أول ضوء، ثم تمر عربتان مدرعتان، ثم تبدأ التحركات في أرتال تحت حراسة من المدرعات والعربات المدرعة وتوقف التحركات بعد آخر ضوء تماما ولا شك أن هذا الأسلوب يمثل تكلفة ويظهر الرعب الذي أصاب هذه القوات.

٢-أضيف أيضا أن التلاحم شبه اليومي أثناء حرب الاستنزاف قد درب الجنود على التعود على الحياة اليومية تحت قصف نيران المدفعية المعادية والغارات الجوية ، بل إنه درب المدفعية والدبابات وعناصر المشاة المدرعة على أسلوب إجراء الإخفاء والتمويه السليم وإجراء التجهيزات الهندسية ، بل والمناورة بمرابض النيران عند اكتشاف المواقع الرئيسية.

٣-إن حرب الاستنزاف بقدر ما كانت فرصة للتدريب العملي الفعلي للقوات المسلحة إلا أنها كانت فرصة للتدريب العملي الفعلي لسلاح الحرب الإلكترونية وقد ظهرت آثار هذا التدريب بوضوح كامل في الحرب والذي تمكن من إعاقة أجهزة الاستطلاع الإلكترونية الإسرائيلية والتنصت على الأوامر التي تصدر من مراكز قيادات القوات الإسرائيلية للوحدات وبالتالي التمكن من رصد أماكن مراكز القيادة وتدميرها بواسطة القوات الجوية أو المدفعية وإعاقة أعمالها واتخاذ الإجراءات المضادة طبقا للتعليمات التى صدرت للقوات على الأرض .

٤-إن حرب الاستنزاف مكنت قوات المهندسين من إجراء استطلاع للساتر الترابي الذي أقامته إسرائيل على الضفة الشرقية ، وتم وضع خطة فتح الثغرات والتي أدت إلى عبور القوات المدرعة وانتشار الكباري والمعديات بنجاح .

٥-كذلك كان لتدريب عناصر الصاعقة البحرية في فترة حرب الاستنزاف أن نجحت في تعطيل وإيقاف عمل مواسير النابالم أمام النقط القوية مما أدى إلى عبور القوات بأقل خسائر ممكنة حيث عملت عناصر الصاعقة البحرية مع قوات للمشاة فى أول داوريات عبرت القناة .

٦-على مستوى الحصول على المعلومات فقد نجحت القوات في الجبهة في دفع عناصر استطلاع مؤخرة العدو والتي أمدت القوات بالمعلومات الدقيقة ، والتي عوضت بها النقص في عملية الحصول على المعلومات بواسطة الأقمار الصناعية أو القوات الجوية

٧-ساعدت حرب الاستنزاف فى إخفاء العملية الهجومية حيث تم مسبقا تهجير مدن القناة ، وكان لا يمكن أن نبدا الحرب وهذه المدن مكتظة بالسكان ، وكان لابد من تهجيرهم قبل الحرب وهنا كانت ستنكشف نوايانا للهجوم

خامسا: مجال إعداد القوات :

ركزت القوات المسلحة على رفع مستوى القوات في استخدام أسلحة القتال والرؤية الليلية، وهذا ما مكن قواتنا من صد وتدمير هجمات العدو المضادة التي تمت ليلا ، بالإضافة الى تمكن عناصر النسق الأول من القتال حوالي ٦ ساعات دون وجود دعم من الدبابات في الشرق .

إن مشروعات التدريب التي أجريت للوحدات أجريت على مشروعات تطابق المهام التي ستكلف بها الوحدات في الحرب ووصلت الى مستوى اللواء المشاة ، وجهزت مناطق التدريب بالنقط القوية المماثلة للنقط الحصينة ، وكذلك الساتر الترابي والتي ترتكز على مانع مائي .

٣-ابتكر القادة الأصاغر العديد من الابتكارات التي ساعدت على إمكان القوات لحمل ذخائر إضافية تساعد في قتال الدبابات الإسرائيلية قبل عبور دبابات قواتنا مثل عربات اليد لحمل الذخائر المضادة للدبابات والصواريخ الموجهة .

الحرب المشروعة

أضيف إلى ما تفضل به الأستاذ محمد عبد المنعم وأوضحه فى ورقته الآتي :

فى عهد عصبة الأمم :

إن استخدام القوات المسلحة فى العلاقات الدولية ، بغية حسم المنازعات الدولية يعتبر مشروعا فى ظل عهد عصبة الأمم ، كلما جاء ذلك الاستخدام للقوة المسلحة بعد استيفاء الالتزام بالتسوية السلمية لتلك المنازعات فى حدود ما كانت تقضى به المادة ١٢ من عهد عصبة الأمم .

وهنا يظهر مشروعية الحرب فى حالة لجوء الدولة إلى الحرب بغية فض نزاع دولي تكون طرفا فيه، بعد عرض هذا النزاع على التحكيم أو القضاء أو مجلس العصبة ، ومرور ثلاثة شهور من تاريخ صدور قرار هيئة التحكيم أو حكم القضاء أو تقرير مجلس العصبة . ويتضح هنا مشروعية الحرب . على أن يكون الطرف الثاني قد رفض الانصياع لقرار هيئة التحكيم أو الحكم القضائي أو تقرير مجلس العصبة (مادة ١٥ فقرة ٦) من عهد عصبة الأمم.

فى ظل ميثاق الأمم المتحدة

يمكن من استقراء نصوص ميثاق الأمم المتحدة تبيان وجود حالات خمس تجيز اللجوء إلى القوة المسلحة .

أ-الحالتان الأولى والثانية : خاصتان بالحرب العالمية الثانية

ب-الحالة الثالثـة : خاصة بنظام الأمن الجماعي

ج- الحالة الرابعـة : وهى خاصة بالدفـاع الشـرعي والذى يشـتمل على صورتين: الدفاع الشـرعي الفردى والدفاع الشرعي الجماعى . حيث أباح ميثاق الأمم المتحدة اللجوء إلى ممارسة الدفاع الشرعي الفردي باستخدام الدولة للقوة المسلحة لأغراض دفع عدوان وقع عليها ووضعت خمسة شروط لهذه الحالة .

(١) وقوع عدوان مسلح على إقليم الدولة

(٢) نسبة العدوان المسلح إلى الدولة الذى يرخص بمباشرة حق الدفاع الشرعي فى مواجهتها .

(٣) ألا يتجاوز الاضطلاع بمباشرة رخصة الدفاع الشرعي الحد اللازم لرد العدوان .

(٤) خضوع لممارسات العسكرية للدولة ، الذى يرخص بالاضطلاع بها وفقا لحق الدفاع الشرعي ، للرقابة اللاحقة لمجلس الأمن

(٥) أما الشرط الخامس : فهو استنفاد الحق فى مباشرة رخصة الدفاع الشرعى بمجرد تدخل مجلس الأمن لأغراض إعادة السلم والأمن الدولي إلى نصابهما .

وبذا يتضح أن مصر خاضت فى عام ١٩٧٣ حربا مشروعة من وجهة نظر القانون الدولي والمنظمات الدولية والتزمت بما فرضه ميثاق الأمم المتحدة .

وأخيرا أقول أن الإعداد الجيد والتدريب السليم مع تلاحم الشعب مع قواته المسلحة قد أدوا إلى نجاح قواتنا المسلحة في حرب أكتوبر ١٩٧٣ . وقد حققت هذه الحرب الأمن القومي المصري.

■ المناقشات

السؤال الأول :

١- ما هو تأثير الظروف المحلية والإقليمية والدولية على إعداد القوات المسلحة للدفاع في ظل الدور المتنامي لكل من إسرائيل وتركيا وإيران كقوة إقليمية في المنطقة ؟

لواء حسن الجريدلي: الرد على التساؤل

سوف أرد على هذا السؤال بصفة عامة لعدم التدخل في ماهى القدرات الحالية للقوات المسلحة حيث توجد بعض الشواهد الملموسة لنا والتي توضح هذه القدرات .

أولاً : أريد أن أقول شيئاً هاماً وهو أن المبدأ الأساسي بل الغاية الأساسية لكل دولة هي الحفاظ على أمنها وسلامتها و المسئول الأول عنها هي القوات المسلحة . العالم الآن في ثورات ،ثورة معلومات وثورة اتصالات وثورة تكنولوجية ، لذا يجب على كل دولة ان تطور من نفسها لكي لا تتخلف ، وأعتقد أن مصر في هذه الآونة تسير بخطى كبيرة . هناك ثورة كبيرة جدا ، فقواتنا المسلحة لديها أشياء ملموسة وهو شئ ملحوظ أن هناك مناورات عالمية ومحلية مشتركة ، ومعنى ذلك أن قواتنا المسلحة قد وصلت إلى مصاف هذه الدول ، وأنا أتصور انه لايمكن لهذه الدول أن تقبل باشتراك مصر في هذه المناورات دون أن تستفيد منها ، حيث أن هناك استفادة متبادلة بين مصر وهذه الدول ، وهذا يؤدي إلى رفع الكفاءة القتالية لقواتنا.

ثانيا : إن بقاءنا في بوتقة مغلقة علينا ، لا نعلم ما يدور حولنا يشكل خطورة علينا ، ومما لا شك

فيه ان القوات المسلحة لديها من الأجهزة والإدارات والخبراء والضباط على أعلى مستوى علمي يتابعون ما يدور حولنا والتطوير في الأسلحة والمعدات ، ويوجهون قواتنا المسلحة . إن القوات المسلحة جاهزة بنسبة ١٠٠ %ومستعدة لأي صراع يوجه في المنطقة لصد أي عدوان يحدث ضدها وردع من تسول له نفسه العدوان عليها .

السؤال الثانى :
نحن والحمد لله خير أجناد الأرض لكن كيف نلقن أبنائنا روح انتصار أكتوبر المجيد كيف نحافظ على روح أكتوبر في شعبنا وفى أجيالنا القادمة ، وماهى الطريقة للحفاظ على أكتوبر المستقبل ؟

لواء أح حسن الجر يدلي : الرد على التساؤل
سوف أتحدث من جهة واحدة وهى الشباب وهم مسئولية كل فرد في هذه الدولة ، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فكيف أتت روح أكتوبر ، فالفرد المقاتل المصري هو أحد أفراد الشعب وكل هؤلاء الأفراد انصهروا سويا مع روح أكتوبر التي نبعت من أن كل فرد شعر وآمن أن له دوراً في المعركة ، فكل مخلوق له دور وأيا كان هذا الدور فهو مؤثر ، ويجب على كل فرد أن يؤمن إن دوره مؤثر ، وهى فعلا روح أكتوبر ، وقد كان لكل فرد فى القوات المسلحة دور وتفهم هذا الدور واقتنع به وأحس بمسئوليته عن تنفيذه وهذه روح أكتوبر ، وإذا آمن كل فرد بهذا الكلام ستشتعل روح أكتوبر في كل أفراد الشعب

السؤال الثالث :
كانت حرب الاستنزاف هي الخيار الوحيد في هذه المرحلة وقد شنتها مصر من أجل تحريك الموقف الدولي ، ورفضت أن تكون خطوط إيقاف النيران في هذا الوقت هي خطوط هدنة جديدة ، وقد قابلت إسرائيل هذه الحرب بحرب استنزاف مضادة كان لها تأثيرها المباشر وغير المباشر، فأرجو إلقاء الضوء على حرب الاستنزاف المضادة .

لواء أ ح / طه المجدوب الرد على التساؤل
في الواقع أنا أشرت إلى عدة أشياء وأنا أتحدث، فمثل ما حدث في حرب الاستنزاف هو نتيجة التدخل الإسرائيلي والحرب المضادة التي شنتها إسرائيل ضد مصر ، عموما مصر في جميع الأحوال في هذه الفترة هي التي كانت قد بدأت بالقتال ، هي التي بدأت القتال في ١٩٦٨ وردت عليه إسرائيل ، ثم بدأت في تصعيد القتال في مارس ١٩٦٩ واستمر هذا التصعيد ومحاولات إسرائيلية مستمرة لإيقاف القتال وليس عملية استنزاف لمصر بقدر ما كانت عملية لإجبارها على وقف هذا النوع من العمليات إلى أن وصلت في يوليو ١٩٦٩ لدفع القوات الجوية لأول مرة منذ سنتين من انتهاء حرب ١٩٦٧ في القتال ضد الجبهة ثم تطور هذا التدخل إلى العمق ، هذا الاستنزاف المضاد تصاعد لأنه كان يستهدف إجبار مصر على إيقاف حرب الاستنزاف ، ولم تتوقف مصر عن القيام بأعمالها بل كانت توسع من نطاقها كلما وسع العدو من نطاق أعماله وتدخلت القوات البحرية وتدخلت القوات الجوية بعد ذلك حينما تدخلت القوات الجوية الإسرائيلية في الجبهة ثم في العمق .

وتلك الأشياء كان لها مردود ممتاز على مصر ليس فقط في الخبرات بل وتنظيم القوات والبحث عن وسائل التصدي لأعمال العدو ، وقد تحدثت قبل ذلك عن الدفاع الجوى بشيء من الإسهاب ، وهى إحدى نتائج حرب الاستنزاف وإحدى نتائج تصعيد إسرائيل لهذه الحرب، بدأنا نشعر بأن هناك مهمة أساسية وهى مهمة الدفاع عن سماء مصر ليس فقط في الجبهة ولكن كذلك في العمق وتدخلت السياسة والعسكرية في هذه المرحلة لإجبار إسرائيل على الآتى:

أولا : أن توقف غارات العمق .

ثانيا : أن تقصر ضربتها على الجبهة ثم في النهاية أن تتخلى عن ذلك وتطالب بوقف حرب الاستنزاف .

الظاهرة التي كانت تتسم بها عمليات الاستنزاف الإسرائيلية تدل على أن هذه القوات تريد أن تواجه شيئاً فيما عدا التدخل الجوى أو التدخلات البرية كانت محدودة ولا قيمة لها من وجهة النظر العسكرية وكلها قائمة على تفادى القوات الإسرائيلية ، أي صدام مباشر مع قواتنا المصرية فلم يحدث انهم عبروا إلى الغرب وقاموا بعملية ضد قواتنا ، وحينما أرادوا القيام بعملية ضد قواتنا في غرب القناة قاموا بها في الساحل الغربي لخليج السويس حيث لا توجد قوات ، وقاموا بعمليات كوماندوز في نجع حمادى في أقصى الصعيد حيث لا يوجد دفاع وهناك أهداف مدنية حتى في القناة ضرب السويس وضرب منشآت البترول وضرب بورسعيد وضرب الإسماعيلية ، كل هذه الظواهر لم تكن ظاهرة طيبة و تدل على أن القوات الإسرائيلية لا تريد فعلا أن تقاتل ، ولكنها تريد أن تتحاشى القتال المباشر مع القوات المصرية، وأركز اهتمامي الآن على : ١- كيف خرج المقاتل المصري من حرب الاستنزاف وهذه نتيجة في حد ذاتها كانت كافية جدا لأننا خلقنا رجلاً جديداً كان فاقد الثقة وكان خارجاً من مأساة لابد أن تزال آثارها ثم أضيفت إلى ذلك جرعات معنوية قوية جددت روحه الهجومية والقتالية وانطلقت يوم ٦ أكتوبر وصرخت الله اكبر وهو يعبر قناة السويس ويقتحم خط بارليف بشكل أذهل الأعداء . ٢- أن هذه الحرب استفدنا منها الكثير ولايمكن طبعا أن ننكر إن هناك خسائر ولا يوجد قتال بدون خسائر ويوم ان صعدنا القتال كنا نعلم ان العدو سيصعد هو الآخر.

السؤال الرابع :

ذكر هنرى كيسنجر في كتاب سنوات البيت الأبيض أن مهمة السفير السويدي جونار يارنج ممثل السكرتير العام للأمم المتحدة ، كانت تمثيلية لإضاعة الوقت وان مبادرة مستر وليام روجرز وزير خارجية أمريكا قام الرئيس الأمريكي بوضعها على الرف ، وتتكرر نفس الأحداث بواسطة مادلين اولبرايت في مفاوضاتها مع فلسطين ، إلى متى الوثوق في منظمة دولية ودولة عظمى تعمل لصالح اليهود وتفرض على العرب عقوبات تزيد من تعنت وصلف إسرائيل ؟

لواء أحمد فخر الرد على التساؤل

أنا ياسيدى الفاضل اتفق معك في أن مهمة جونار يارنج كان القصد منها مد الوقت ومطه في إطار تمثيلي في إطار إضاعة الوقت في إطار أن يمثل سكرتير عام الأمم المتحدة منظمة دولية كان فيها وقت ذاك ١٥٨ دولة لايمكن أن تتفق على شئ إذن أنا اتفق معك في هذا التحليل ولكن ياسيدى

لقد حدث خلط بين اثنين روجرز وكيسنجر والذين يعرفون إدارة العمل السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية واتخاذ القرار يعرفون نقط التصادم والصراع في اتخاذ القرار. هنرى كيسنجر كان مستشارا للأمن القومي ، روجرز كان يتبنى فكرة أن الصراع العربي الإسرائيلي صراع إقليمي تتولى حله أو تعمقه أو تقلل منه الأطراف الإقليمية. هنرى كيسنجر كان يجهز لسياسة الوفاق بين نيكسون وبريجنيف التي حدثت في أبريل سنة ١٩٧٢ في موسكو وطالبت بالاسترخاء العسكري كان يقول في تحليله في مجلس الأمن القومي أن الصراع له أبعاد دولية ولايمكن أن نغفل دور الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في أي صراع عربي إسرائيلي ، مبادرة روجرز الأولى كانت تتحدث عن الوضع الإقليمي ووضعها نيكسون على الرف ، أما روجرز الثانية بعد تعديلها ووضع البعد الدولي العالمي تمشيا مع وجهة النظر التي تبناها كيسنجر ، مرت وقبلت من الأطراف.

السؤال الخامس : مقدم طيار عادل عبد العزيز عامر
أرجو إلقاء الضوء على أسباب فصل القوات الجوية عن قوات الدفاع الجوى أثناء الإعداد للحرب .

لواء أحمد فخر الرد على التساؤل
من وجهة نظر علم الإدارة نحن كنا فرع المدفعية المضادة للطائرات رئاستنا إدارة المدفعية ، عندما ترفع درجات الاستعداد ننتقل لنوضع تحت قيادة القوات الجوية ، أول قاعدة في علم الإدارة uni-ty of commands لايمكن أن يكون هناك ناس لهم أكثر من قائد وبالتالي لايمكن أن تتضح المهمة أو تنفذ ، إذن كان مطلوباً وحدة في القيادة تكون في القوات الجوية أو في المدفعية والذين نجحوا فيه أن تكون قوات الدفاع الجوى لأن القوات الجوية لها مهام استراتيجية ومهام استطلاع تخدم مع القوات البرية والبحرية والدفاع الجوى .

الشيء الثاني في علم الإدارة أنه من الضروري أن تكون هناك continous horizontal communication نتحدث سويا نعرف بعضنا ، نعرف قدراتنا وإمكانياتنا ومواردنا ، فكيف تعطى مهمة لمنظمة وأنت لاتعرف مواردها ، كانت هناك أسباب علمية تدعو إلى إنشاء قوات الدفاع الجوى وفصلها عن القوات الجوية ، ثم إسرائيل كانت تقول أن لديها ذراعا طويلة أنا عملت ليه عضلة قوية عندما تمتد هذه الذراع تخبط في العضلة تنكسر وانكسرت الذراع .

■ الجلسة الثانية :

تحديات التخطيط العسكرى لحرب أكتوبر واستراتيجية مواجهتها

تقديم اللواء أحمد فخر للجلسة في البداية :

انتهينا من مرحلة الإعداد، و بدأنا مرحلة الإبداع في مدرسة الفكر العسكري المصري « التخطيط » ، الشباب الحاضر اليوم في لحظة تاريخية أمامكم روح أكتوبر ، منصة عليها القادة المشير محمد عبد الغني الجمسي والمشير محمد علي فهمي- إلى جانبهما معاونوهما و مرؤوسوهما ومساعدوهما ، كل في تخصصه أدى واجبه بكفاءة وإبداع ، وجاء ليتحدث إليكم ، هذه لحظة في تاريخكم ، معي كتاب صادر عام ١٩٩٤ -للذين يقولون لنا أنتم تتحدثون عن حرب أكتوبر- صادر من مطبعة جامعة أكسفورد في بريطانيا ثلثه عن حرب أكتوبر ١٩٧٣

سوف أقرأ لكم فقرة واحدة منه ترتبط بالتخطيط ذكر فيها أن « العقيدة المصرية المبدعة الخلاقة المبتكرة - أى عقل القوات المسلحة - كانت من الناحية الاستراتيجية » اقتحام قناة السويس « تحتل مواقع دفاعية تكبد العدو أكبر خسائر ممكنة ، عكس إسرائيل حيث تدعي إن استراتيجيتها الدفاع عن دولة إسرائيل ، لكن تكتيكيا هجوميا ، لقد كانت القوات المسلحة المصرية قادرة علي إنتاج وتبني و أداء فكر عسكري حديث ومتميز » .

هنا الإبداع عندما ننظر للسادة القادة من ٢٥عاما كانوا شبابا ، لكن الإبداع في الفكر العسكري المصري موجود .

وهنا يأتي دور رئيس هيئة العمليات في ذلك الوقت السيد المشير/ محمد عبد الغني الجمسي

الذى بدأ كضابط مدرعات إلي ان اصبح قائدا للواء مدرعات ، قائدا لمدرسة للمدرعات ، ثم انتقل إلي تدريب القوات المسلحة ، ثم عمليات القوات المسلحة ، ثم رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة ، و الذى تقلد مناصب عديدة ، نائبا لرئيس مجلس الوزراء ، وزيرا للدفاع ، وزيرا للحربية ، قائدا عاما للقوات المسلحة ، شارك في كل الحروب ، العدوان الثلاثي ١٩٥٦ ، حرب الاستنزاف ١٩٦٧ ، أكتوبر ١٩٧٣ ، حاصل علي ٢٤ وساما أخرها وسام نجمة الشرف العسكرية في ١٩٧٣ أعلي الأوسمة .

باسمكم جميعا أرحب بالسيد المشير / محمد عبد الغني الجمسي .

الورقة الأولى:

التخطيط للحرب

المشير/محمد عبد الغني الجمسي

رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة إبان حرب أكتوبر

١- لعلنا نتذكر أننا كنا نلعق جراحنا منذ حرب يونيو ١٩٦٧ ، هذه الحرب التي خسرناها لأخطاء سياسية وعسكرية ارتكبناها ، وانتهت باستيلاء إسرائيل على سيناء والضفة الغربية وغزة والجولان .

ومررنا بست سنوات عجاف ، أعيد فيها بناء القوات المسلحة ، وخاضت هذه القوات معارك متتالية في منطقة قناة السويس ضد إسرائيل تدرجت من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الدفاع النشط وتصاعدت إلى حرب الاستنزاف ، ووصلنا إلى حالة اللاسلم و اللاحرب ، منها إلى طريق مسدود أمام الحلول السلمية لمشكلة الشرق الأوسط .

٢- فرضت إسرائيل الأمر الواقع بالقوة العسكرية في الأرض المحتلة منذ حرب يونيو ومعنى ذلك أن يكون لها التفوق العسكري على الدول العربية الأمر الذي يمنعها من التفكير في حرب شاملة ضدها ، وخلق الإحساس لدينا بالعجز واليأس من جدوى الصراع المسلح .

تحقق لإسرائيل هذا التفوق بمعاونة الولايات المتحدة الأمريكية التي أصبحت حليفاً مضموناً لها بشكل واضح وسافر ، تؤيدها سياسياً ، وتدعمها عسكرياً واقتصادياً .

وكان الانعكاس الواضح لسياسة القوتين العظميين ، أن الولايات المتحدة تغدق على إسرائيل الأسلحة بالأنواع والكميات وفي التوقيتات التي تضمن لها التفوق العسكري الدائم على الدول العربية مجتمعة . وكان الاتحاد السوفيتي يقدم الدعم العسكري لمصر وسوريا بالأنواع والكميات وفي التوقيتات التي لا تسمح بالتفوق على إسرائيل ولا تسمح بسباق التسلح في المنطقة . تلك كانت معايير القوتين العظميين في ظل سياسة الوفاق بينهما تحقيقاً لمصالح كل منها .

بالإضافة للتفوق العسكري الذي تتمتع به إسرائيل ، فإنه - نتيجة لحرب يونيو - وصلت قواتها إلى قناة السويس جنوباً ، ونهر الأردن شرقاً ، والمرتفعات السورية (الجولان) شمالاً ، وهي كلها موانع

طبيعية . وأصبحت هذه الخطوط تشكل أفضل الأوضاع العسكرية الاستراتيجية لها .
٣ -ولما كانت القوات المصرية هي العدو الرئيسي لإسرائيل ، فقد ركزت جهودها ضدنا فى سيناء أقامت التحصينات ، ونظمت الخطوط الدفاعية ، وأنشأت المطارات ، ومدت الطرق، ووضعت القوات الكافية المدربة فى سيناء لمواجهة أى هجوم مصري محتمل ، مع اعتمادها بصفة رئيسية على المدرعات . وقدرت إسرائيل أن عبور قواتنا بتشكيلات كبيرة قناة السويس ، وهى مانع فريد فى مواصفاته ، فى مواجهة مقاومة شديدة من جانب القوات الإسرائيلية يعتبر مشكلة ضخمة أمامنا ، يصعب علينا – من وجهة نظرهم حلها إن لم تكن مستحيلة . فإذا خاطرنا بالإقدام على هذا العمل فستكون القناة - كما قال الجنرال « اليعازار » رئيس الأركان الإسرائيلي – مقبرة لنا .
ونتيجة لكل ما سبق ، قدرت إسرائيل أنها تفرض الأمر الواقع بالقوة حتى يستسلم العرب. وهذا الموقف ، يحقق أيضاً أهداف الولايات المتحدة الأمريكية فى صراعها السياسي ضد الاتحاد السوفيتي فى المنطقة حينئذ .

وجاء عام ١٩٧٢ وأصبحت الحرب حتمية:

٤ – رغم الجهود السياسية والدبلوماسية التي بذلتها مصر والدول العربية منذ عام ١٩٦٧ لإيجاد حل سياسي للأزمة « إلا أنه مع بداية عام ١٩٧٢ كانت الجهود المبذولة لتحقيق الحل السلمي قد توقفت نهائياً ، وسعى الرئيس الأمريكي « نيكسون » إلى مزيد من إرضاء إسرائيل ، فأصدر تعليماته إلى وزارة الخارجية الأمريكية بتجميد أى تحرك أو مبادرة بالنسبة للشرق الأوسط وقرر الاستجابة لطلبات إسرائيل لتزويدها بالمزيد من الطائرات .
ولكن الأمر الأكثر خطورة من ذلك هو أن الولايات المتحدة تعهدت فى مذكرة قدمتها لإسرائيل فى الوقت نفسه بأنها لن تتقدم بأي مبادرة سياسية جديدة فى الشرق الأوسط قبل مناقشتها مع إسرائيل . ونتيجة لهذا التعهد أصبح الموقف الأمريكي رهينة للسياسة الإسرائيلية ، وكان هذا أخطر تعهد تقدمت به الولايات المتحدة .
وكان أمام مصر فى ذلك الوقت – عام ١٩٧٢ – إما قبول الأمر الواقع بمساوئه السياسية والعسكرية والاقتصادية والمعنوية أو خوض حرب جديدة ضد إسرائيل فى ظل ظروف سياسية وعسكرية صعبة . فكان قرار الحرب هو النتيجة الطبيعية للطريق المسدود الذي وصلت إليه الجهود السياسية ، وبالتالي أصبحت الحرب حتمية.
لقد كان الهدف السياسي للدول العربية بعد حرب يونيو ١٩٦٧ هو تحرير الأراضي العربية التي احتلتها إسرائيل في هذه الحرب وهو ما أطلق عليه » إزالة آثار العدوان « .
٥ – وعلى ضوء الخبرة السابقة منذ ١٩٤٨ عن إمكان إيجاد تخطيط عسكري عربي مشترك لم يكن أمام مصر إلا التخطيط للقيام بعمل عسكري وحدها لتحرير سيناء ، وكان على سوريا أن تقوم بنفس العمل وحدها لتحرير المرتفعات السورية (الجولان) ، وينطبق نفس الشيء على الأردن وحدها لاسترداد الضفة الغربية .
كانت البدائل التي طرحت أمام القيادة العسكرية لتحرير سيناء هي العودة إلى حرب استنزاف مرة أخرى أو القيام بعملية هجومية شاملة لتحرير الأرض . لقد كانت العودة إلى حرب استنزاف مرة أخرى لا تحقق هدفاً استراتيجياً أو هدفاً سياسياً يترتب عليه تحرير سيناء ولذلك كان استبعاد هذا الحل مقبولاً فى مصر من الناحيتين العسكرية والسياسية .

٦ - واستقر الرأي على القيام بعملية هجومية ضد العدو في سيناء ضمن إطار استراتيجية شاملة للدولة ، يكون الدور الرئيسي فيها للقوات المسلحة ، بغرض تغيير موازين الموقف السياسي والعسكري فى المنطقة وتهيئة الظروف المناسبة لاستخدام باقي اوجه القوة . وكان من الضروري تحديد نوع العملية الهجومية ومداها ويتحكم في تحديدها عوامل كثيرة أهمها قدرة القوات المسلحة للطرفين المتحاربين - مصر وإسرائيل - والموقف العسكري الإستراتيجي الذى يواجه كلا منهما .

٧ - وبدأ التفكير الإستراتيجي المصري ، أن تقوم مصر بعملية هجومية واحدة لتحرير سيناء هذا يتطلب أن يكون لدينا تفوق عسكري على إسرائيل وهو غير موجود ، لأن ذلك كان يتطلب أسلحة ومعدات كثيرة يحتاج توريدها إلى عدة سنوات من الاتحاد السوفيتي التي تحكمها معايير القوتين العظميين مع عدم وجود مصدر آخر للتسليح ، فضلاً عن ذلك فإن الاتحاد السوفيتي لم يكن يرحب أو يشجع على قيام العرب بحل المشكلة عسكرياً . هذا فى الوقت الذي لم تكن الولايات المتحدة تسمح بسياستها المعلنة وتنفيذها الفعلي - بغير تفوق إسرائيل عسكرياً على الدول العربية تحت شعار وستار توازن القوي فى المنطقة .

ولمواجهة الموقف على ضوء هذه الحقيقة ، لم يكن أمام مصر سوى التخطيط لتحرير سيناء على مراحل طبقاً لنمو وتطور القدرة القتالية للقوات المسلحة .

٨ - ولما تولى الرئيس حافظ الأسد مسئولية الحكم فى سوريا عام ١٩٧٠ ، كانت القوات السورية فى وضع عسكري لا يمكنها من تحرير الجولان بعمل عسكري وحدها . وعندما تم التقارب والتعاون السياسي بين »السادات والأسد« تطورت العلاقات إلى تعاون عسكري يحقق هدف الدولتين لتحرير سيناء والجولان بعمل عسكري مشترك . ولم تنقطع الجهود السياسية والعسكرية حوالي سنتين ونصف السنة حتى تحقق هذا التعاون العسكري الذي أصبح عاملاً هاماً ومؤثراً في الحرب وعاملاً رئيسياً من عوامل النجاح في الحرب

٩ - وبناء على الهدف السياسي والعسكري كان على القيادة العامة المصرية التخطيط للقيام بعملية هجومية استراتيجية تنفذ بالتعاون مع القوات السورية ، تقوم فيها مصر بالاقتحام المدبر لقناة السويس وهزيمة التجميع الرئيسي لقوات العدو في سيناء والوصول إلى خط المضايق وتأمينه استعداداً لتنفيذ أي مهام قتالية أخرى . وفي نفس الوقت تقوم القوات السورية بالهجوم لاختراق دفاعات العدو في الجولان وتدمير قواته والوصول إلى خط نهر الأردن والشاطئ الشرقي لبحيرة طبرية وتأمينه.

الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية:

١٠ - لقد كان قرار الحرب من جانب مصر وسوريا هو النتيجة الطبيعية للطريق المسدود الذى وصلت إليه جميع الجهود الدبلوماسية والسياسية لحل مشكلة الشرق الأوسط خلال الأعوام الخمسة الماضية حتى أصبحت حالة اللاسلم و اللاحرب هي السائدة فى المنطقة . والحقيقة أن حالة اللاسلم و اللاحرب كانت تحقق أهداف القوتين العظميين وسياسة إسرائيل منذ إنشائها ، والدراسة المتعمقة لإسرائيل توضح أن خطوطها الرئيسية هي :

أ - التوسع الجغرافي التدريجي على حساب الأرض العربية .

ب - الاحتفاظ بقوة مسلحة قوية على الدول العربية تكون هدفاً ووسيلة .

ج - الارتباط بقوة دولية كبرى كحليف مضمون يعاونها فى تحقيق أهدافها .

د - إضعاف وتبديد الطاقة العربية .

١١ - وتنفيذاً لهذه السياسة نجد أن أسس استراتيجية إسرائيل العسكرية بنيت على أساس الردع السياسي والعسكري لمصر وباقي الدول العربية لخلق الإحساس لديها بالعجز السياسي لاتخاذ قرار الحرب والعجز العسكري للقيام بحرب شاملة وأنه لا مجال أمامها إلا الرضوخ لشروط إسرائيل تحت ضغط نتائج الهزيمة التي لحقت بها عام ١٩٦٧ .

وكان علينا إهدار نظرية إسرائيل وأسس استراتيجيتها العسكرية .

الاستراتيجية العسكرية المصرية:

١٢ - في ظل هذه الظروف السياسية الصعبة والظروف العسكرية المعقدة تم التخطيط للحرب على أنها حرب محلية شاملة تستخدم فيها الأسلحة التقليدية فقط ويكون لها أهداف استراتيجية تقلب الموازين في المنطقة وتتحدى نظرية إسرائيل في الأمن ودعائم إستراتيجيتها وتمتد لفترة من الزمن تتيح تدخل الطاقات العربية الأخرى وأهمها تشكيل موقف عربي موحدا واحتمال استخدام البترول كسلاح سياسي حتى تفرض ثقلها على نتائج الحرب .

١٣ - وتحقيقاً لذلك كان الهدف الاستراتيجي هو تحدي نظرية الأمن الإسرائيلية وذلك عن طريق القيام بعملية هجومية يكون من ضمن أهدافها العمل على تحرير الأرض المحتلة على مراحل متتالية حسب نمو وتطور إمكانيات وقدرات القوات المسلحة وتكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة في الأفراد و الأسلحة حتى يقتنع بأن استمراره في احتلال أراضينا يكلفه ثمناً باهظاً لا يتحمله وبالتالي فأن نظريته في الأمن القائمة على أساس التخويف النفسي والسياسي والعسكري ليست درعاً من الفولاذ يحميه الآن أو في المستقبل .

١٤ - وكان الأساس الأول : دروس حرب يونيو ٦٧:

لقد أمكن تدارك الأخطاء التي حدثت في حرب يونيو ٦٧ بالنسبة للاستراتيجية العليا للدولة حيث وضعت استراتيجية عليا للدولة قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ تلعب فيها القوات المسلحة الدور الرئيسي تؤيدها مصادر القوى الأخرى وأعطيت الأسبقية لإعداد الدولة للحرب ولعل من أبرز سمات الاستراتيجية أن الجهد السياسي المخطط هيأ أنسب الظروف العربية والدولية لبدء الحرب بعد أن عزلت إسرائيل سياسياً واصبح المجتمع الدولي يتعاطف مع الحق العربي .

وبعد أن استعدت قواتنا المسلحة للحرب في صبر وصمت وحتى لا ينفصل القرار السياسي عن القرار العسكري فقد وضعت القيادة العامة للقوات المسلحة أنسب ثلاثة توقيتات خلال عام ١٩٧٣ للهجوم - من وجهة النظر العسكرية - ليكون أمام القيادة السياسية ثلاثة بدائل لبدء الحرب .

١٥ - وكان الأساس الثاني : تحدى نظرية الأمن الإسرائيلي:

وكان ذلك يعنى تحدى النظرية الإسرائيلية التى تعتمد على الردع النفسي والسياسي والعسكري والاحتفاظ بالحدود الآمنة - من وجهة نظر إسرائيل - على خط القناة :

أ - وكان القرار السياسي بشن الحرب فى تلك الظروف السياسية الصعبة والظروف العسكرية المعقدة هو التحدي الحقيقي القوى لأسلوب الردع السياسي

ب - كما أن قرار قيام القوات المسلحة بعملية هجومية شاملة وليس مجرد استنزاف أو معارك

تكتيكية محدودة يعنى هدم أسلوب إسرائيل فى الردع العسكري .

ج - أما عن احتفاظ العدو بحصون وخطوط دفاعية محصنة على الضفة الشرقية للقناه استناداً على قناة السويس كمانع مائي يصعب اقتحامه ، ويتحدث عنها على أنها تكفل له الأمن ، فقد كان علينا - تخطيطا وتنفيذا - اختراق وتدمير هذه الخطوط مهما كلفنا من جهد وتضحيات حتى تكون الحقائق تحديا لأسلوب العدو الإسرائيلي فى الردع النفسي .

د - واعتمدت النظرية الإسرائيلية فى تطبيقها على عدة عناصر قوية ، كان علينا تحييدها أو إبطال تأثيرها ، كما كانت هناك نقط ضعف للعدو يجب استغلالها .

(المبادأة بتوجيه الضربة الأولى - شل فعالية السلاح الجوي الإسرائيلي - الدفاع الجوي المصري أصبح شبحا مخيفا للسلاح الجوي الإسرائيلي - شرم الشيخ وإهدار أهميتها لإسرائيل - الحرب القصيرة لابد أن تكون طويلة - تشتت جهود العدو على جبهتي مصر وسوريا فى وقت واحد - تضليل وخداع العدو لتحقيق المفاجأة ....الخ).

١٦- وكان الأساس الثالث : إعداد الدولة للحرب:

لقد بذلت الدولة الكثير - بكل أجهزتها وقطاعاتها - للإعداد للحرب ، وضحى الشعب بالكثير فى سبيل الاستعداد للحرب لتحرير الأرض .

لقد بدأ التخطيط لإعداد الدولة للحرب عقب حرب يونيو ١٩٦٧ ، بحيث يتمشى مع الموقف السياسي والعسكري والاقتصادي والمعنوي الصعب الذى نتج عن الهزيمة . ففي الوقت الذى كان يتم فيه إعادة بناء القوات المسلحة ، كان يتم إعداد اقتصاد الدولة لمواجهة الموقف الجديد ، وإعداد أراضي الدولة لتكون مسرحاً للعمليات ، وإعداد الشعب عسكرياً ومعنوياً للحرب .

وقرر مجلس الوزراء فى ١٣ ديسمبر ١٩٧٢ تشكيل لجنة من القوات المسلحة لمعاونة الوزارات فى إعداد تصورها وموقفها ودورها أثناء العمليات الحربية ومراجعة خطط الطوارئ للوزارات ، والاتفاق مع الوزارات على أسلوب عملها خلال الحرب بالشكل الذى يضمن استمرار السيطرة وحسن الأداء وحشد الجهود المادية والمعنوية لدعم المجهود الحربي طوال فترة الصراع المسلح .

١٧ - وكان الأساس الرابع : دور الطاقات العربية:

وبنيت الاستراتيجية المصرية على أساس إدارة الصراع المسلح ضد إسرائيل بالإمكانيات الذاتية لمصر بالتعاون مع سوريا ، وأن القتال نفسه يتيح الفرصة لاستغلال الطاقات العربية بالطريقة التى تراها كل دولة عربية .

لقد بذلت الدول العربية جهودا مخلصة للتعاون فى سبيل » إزالة آثار العدوان « وكان أبرز هذه الجهود هو ما يتم على المستوى السياسي الدولي ، وتقديم دعم مالي من بعض الدول العربية إلى دول المواجهة مع إسرائيل . وأصبحنا نتكلم فى الوطن العربي عن » دول المواجهة « و » دول مساندة « وترسب فى النفوس أن تقوم دول المواجهة - مصر وسوريا والأردن - بالعمل العسكري ضد إسرائيل ، وأن يقتصر عمل باقي الدول العربية على الجهد السياسي وتقديم الدعم المالي لدول المواجهة حسب قدرتها ورغبتها . وكان واضحا أن إسرائيل بدعم أمريكا والدول الكبرى تنظر إلى » توازن القوى « فى الشرق الأوسط على أنه يأتي عن طريق مقارنة القوات العسكرية الإسرائيلية بالقوات العسكرية للدول العربية مجتمعة وليس دول المواجهة فقط .

وظهر شعار » قومية المعركة « يتردد فى الوطن العربي . وكان معناه - عملياً - أن المعركة بين

العرب وإسرائيل هي معركة قومية سياسيا وعسكريا واقتصاديا لتحقيق هدف قومي عربي . ورغم الجهود التي بذلت لوضع هذا الشعار موضع التنفيذ في المجال العسكري إلا أنه ظل أملاً .

الخطة بدر

١٨ -وعلى ضوء الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية والاستراتيجية العسكرية المصرية ، وضعت مصر خطتها للهجوم في حرب أكتوبر ، كما وضعت سوريا خطتها الهجومية أيضاً وعندما تم الاتفاق على تعاون القوات في الجبهتين المصرية والسورية تحت قيادة قائد عام واحد - القائد العام للقوات المصرية - أطلق على الخطة المصرية السورية بعد إجراء التنسيق وتنظيم التعاون بين الجبهتين اسم « بدر » .

١٩- وكانت فكرة الخطة تقضي بأن تقوم القوات الجوية في الدولتين بتوجيه ضربة جوية في وقت واحد ضد الأهداف العسكرية المعادية في سيناء والجولان ، وتحت ستر تمهيد نيراني بالمدفعية في كل من الجبهتين ، تقوم القوات المصرية بالهجوم مع اقتحام قناة السويس ، وتقوم القوات السورية بالهجوم في الجولان .

وكان مقدراً أن القوات السورية يمكنها تحرير الجولان خلال أربعة أو خمسة أيام وتستمر في تأمينها حتى تصل القوات المصرية إلى الأهداف الإستراتيجية المحددة لها في سيناء .

٢٠ - وكانت فكرة الخطة المصرية هي اقتحام قناة السويس بالجيشين الثاني والثالث على طول مواجهة القناة (حوالي ١٧٥ كيلو متر) وإنشاء رؤوس كباري جيوش تشمل خمس فرق وقوة قطاع بورسعيد بعمق ١٥ - ٢٠ كيلو متر مؤمنة بواسطة قوات الدفاع الجوي . وبعد » وقفة تعبوية أو بدونها « يتم تطوير الهجوم شرقا حتى خط المضايق الجبلية لاحتلاله والتشبث به وتأمينه .

وبذلك تصبح القوات الإسرائيلية في أرض مكشوفة في وسط سيناء ، لا تتمكن من إنشاء خطوط دفاعية بها للعوامل الطبوغرافية من جهة ، وعدم قدرتها على توفير القوات اللازمة لذلك من جهة أخرى ، وتعرضها للهجمات المصرية - شرق المضايق - حسب تطور الموقف .

٢١ - وطبقاً لفكرة الخطة تقوم القوات البحرية بتأمين سواحلنا البحرية ، والتعرض لخطوط المواصلات البحرية الإسرائيلية في مضيق باب المندب لإيقاف الملاحة من وإلى إيلات.

مما يؤثر على اقتصاد إسرائيل وحرمانها من الإمداد بالبترول من إيران وتنفيذاً لهذه الفكرة ، كان علينا التغلب على كل المشاكل التى تواجه القوات المسلحة تخطيطاً وتنفيذاً .

خطوات سريعة في الطريق إلى الحرب:

٢٢ - وشهد عام ١٩٧٢ خطوات سريعة في الطريق إلى الحرب . فقد كان من الضروري أن يتخذ الرئيس السادات عدة قرارات هامة خلال ذلك العام لشن الحرب في أقصر وقت ممكن.

أ - كانت الخطوة الأولى : إنهاء مهمة المستشارين السوفيت (يوليو ١٩٧٢):

وكانت الخطوة الأولى للإسراع في الطريق إلى الحرب هي إنهاء مهمة المستشارين السوفيت، فالأمور كانت تسير في مجراها الطبيعي فوق السطح ، إلا أن العلاقة السياسية بين مصر والاتحاد السوفيتي كانت تتطور تدريجياً إلى الأسوأ نتيجة لإحجام الاتحاد السوفيتي عن تزويدنا بالأسلحة التى نريد الحصول عليها لشن الحرب.

وقال »السادات« للسوفيت - طبقا لروايته لنا - » قلت لهم أنكم خلتوني وراء إسرائيل بخطوتين

.... أنا معتدى علي........ ومع ذلك لا أطلب التفوق على إسرائيل ولكن أطلب المساواة .... وهنا كان الخلاف « وجاء عام ۱۹۷۲ وأصبح واضحاً أن إسرائيل لن تتحرك لتغيير موقفها سياسياً إلا إذا شعرت أن قواتنا العسكرية أصبحت قادرة على خوض الحرب ضدها . ومن هنا كان الخلاف مستمراً بين مصر والاتحاد السوفيتي بخصوص التسليح ، ووصلت العلاقات السياسية بين الدولتين إلى أسوأ حالة فى يوليو ۱۹۷۲ عندما قرر الرئيس السادات إنهاء مهمة المستشارين السوفيت .

وفى تقديري إن العلاقات الطيبة التى كانت سائدة بين مصر والاتحاد السوفيتي منذ زمن طويل - سياسياً وعسكرياً - لم تعد كما كانت بل ظلت الشكوك وعدم الثقة المتبادلة هى السائدة بين الطرفين حتى نشوب حرب أكتوبر ، وظهرت واضحة خلال الحرب ، وأصبحت سافرة وتطورت إلى الأسوأ بعد الحرب . ويمكن القول أنه حدث شرخ فى العلاقات المصرية السوفيتية ، ازداد اتساعاً خلال الحرب وأصبح غير قابل للإصلاح بعد الحرب.

ويقول السيد **محمود رياض** وزير الخارجية الأسبق ثم مستشار الرئيس السادات للشئون السياسية فى مرحلة تالية ، عن موضوع إنهاء عمل المستشارين السوفيت في مذكراته :

»كان قرار إنهاء عمل الخبراء السوفيت من مصر هو هدف أمريكي أعلنه كسنجر« عام ۱۹۷۰ وأشار إليه روجرز فى مباحثاته بالقاهرة عام ۱۹۷۱ . ولذلك فإن خروج السوفيت من مصر على هذا النحو يمثل هزيمةً سياسية للاتحاد السوفيتي بقدر ما يمثل مكسباً سياسياً ضخماً للولايات المتحدة .

وفى تقدير **محمود رياض** أن من العوامل التى ساعدت على صدور قرار إخراج السوفيت من مصر ، هو إسراف السوفيت فى ترددهم من ناحية ، وإسراف الأمريكيين فى وعودهم للرئيس السادات من ناحية أخرى .

ويستطرد السيد **محمود رياض** ويقول: «بالنسبة للولايات المتحدة ، فنظراً لغياب أي تفاهم مسبق لمصر معها حول إخراج السوفيت ، فإنها تجاهلت تلك الخطوة الخطيرة من جانب السادات تماماً ، متناسيةً كل التصريحات التى صدرت رسمياً عن الإدارة الأمريكية باستعداد الولايات المتحدة الأمريكية للتحرك نحو التسوية الشاملة فى حالة إنهاء الوجود السوفيتي من مصر . ولكن ما حدث هو أن الولايات المتحدة الأمريكية أدارت ظهرها تماماً لهذا القرار الخطير الذى اتخذه السادات ، وكأنه لا يعنيها بالمرة » .

ويقول محمود رياض أيضاً أن أحد الأصدقاء قال له أنه سأل كسنجر بعد تركه لمنصبه عن سبب موقف الولايات المتحدة السلبي من القرار الذى اتخذه السادات ، وكان رد كيسنجر هو « أن الموقف الأمريكي السلبي هو الموقف الطبيعي تماماً فى هذه الظروف ، فالسياسة لا تعرف الأخلاقيات ، وليس من مهمة الولايات المتحدة أن تتطوع بدفع ثمن شئ تم تقديمه لها مجاناً ولم يشترط عليها أحد دفعه»

ب -الخطوة الثانية : الحرب بما لدينا من أسلحة (٢٤ أكتوبر ۱۹۷۲)

وكانت الخطوة الثانية للإسراع فى الطريق إلى حرب أكتوبر هى القرار الذى اتخذه الرئيس السادات بأن » ندخل الحرب بما لدينا من أسلحة « ففى ٢٤ أكتوبر ۱۹۷۲ عقد المجلس الأعلى للقوات المسلحة فى مكتب الرئيس السادات بمنزله فى الجيزة . بدأ الرئيس السادات يشرح طويلاً الموقف السياسي وتطور العلاقة بين مصر والاتحاد السوفيتي منذ عام ۱۹۷۱ ، ولماذا لم يتم الحسم فى عام ۱۹۷۱

الذى أطلق عليه عام الحسم لعدم وصول الأسلحة التى طلبتها مصر من الإتحاد السوفيتي . وشرح أسباب إنهاء مهمة المستشارين السوفيت لأنه لم يقبل وجود المستشارين والقوات الصديقة السوفيتية على أرض مصر عند قيام الحرب حيث » لا يمكن أن نبتدي عمل أي حاجة والمستشارين في وسطنا ....في وسط قواتنا......... أبداً ده مستحيل......... ده كان مبدأ أساسي عندي . ومن ضمن الحاجات التى جعلتني اتخذت قراري ، وأنا سعيد ، ان معركتنا نعملها احنا ونتقبل كل ما هو مقدر علينا لأن هذه هى الحقيقة .... والفشل والنجاح علينا مش على حد ثاني إطلاقاً .... احنا نحارب معركتنا « وأثناء هذا المؤتمر الطويل قال الرئيس السادات » تكلمت مع صادق (فريق أول محمد صادق وزير الحربية حينئذ) من الصيف وقلت له ما أقدرش أدخل الجولة القادمة فى نوفمبر بدون تحريك عسكري . بصراحة مفيش حل سلمي . احنا بننتظر لنوفمبر كظرف عالمي مناسب (انتخابات رئيس الجمهورية الأمريكي) .... لو كنا جاهزين من زمان كنا دخلنا معركة فى أي وقت ، الحل السلمي معناه استسلام.

أنا قلت لصادق أن القرارات ما تكملش ، لابد أن تتحرك القضية عسكرياً بما نستطيع وغملك، الاتحاد السوفيتي يهمه جداً أن تنتهي القضية بحل سلمي ولو بتنازلات من جانبنا ، في تصوري ، والأحداث تثبت ، أنه لا يجب أن ندخل المرحلة الجاية من موقف السكون ، لقد أصبح أمراً حتمياً لصالح البلد . نحن اليوم أمام امتحان للقوات المسلحة ، خلاصة هزيمة يونيو ١٩٦٧ جعلت العدو والصديق لا يثق أننا سنقاتل ، ولذلك فإن الحلول التى تعرض علي كلها من منطق أننا لن نحارب نحن نضع مسئوليتنا أمام امتحان ، أنا غير مستعد لقبول حلول استسلام ، ولن أجلس على طاولة مع إسرائيل ، وأنا فى هذا الوضع المهين ، لأنه معناه أن استسلم . أمام شعبنا وأمام العدو والصديق لازم نثبت أننا نستطيع أن نناضل ونضحي ونحرك الموقف بما معناه بالأسلوب الذى يمكننا به ما عندنا بتخطيط تام وبدون إنفعال .

وسيظل الموقف العربي كما هو واقع الآن تماماً طالما إن احنا فى موقف السكون . لن يتحرك بل سيسوء أكثر مع العرب ، مع الأمريكان ، مع الروس ، مع شعبنا . وفى تقديري أن القضية ستنتهي إلى السكون والموت .

أنا قلت مراراً وسأقول ، لا أمريكا ولا روسيا ولا أي أحد سيحارب لنا معركتنا أو يعطينا اللي احنا عايزينه ، احنا لازم نحرك الروس عشان يدونا ولازم نحرك الأمريكان علشان يحلوا ،احنا قوة الدفع ، وصلنا إلى المرحلة اللي القضية فيها مهددة .

ما ندخلش الجولة اللي جاية من موقف السكون اللي احنا فيه ، وإلا القضية تنتهي ، وإذا انتهت القضية على جبهتنا فإنها تنتهي على الأمة العربية كلها ، إسرائيل تعرف إذا ضمنت جبهتها انتهت القضية . ما لم نفعل شيئا ستنتهي القضية فى أوائل عام ١٩٧٣ ، ولو سكتنا ستنتهي القضية وتموت وتتآكل في أوائل عام ١٩٧٣ .

للتاريخ اعتبر هذه جلسة تاريخية ، المعركة ستنتهي على أي وضع ، وبإرادة الله وبإرادة هذا الشعب لن نخسر ، ولن نكون أسوأ من ذلك أبداً

ج - وكانت الخطوة الثالثة : تعيين الفريق أول أحمد إسماعيل وزيراً للحربية وقائداً عاماً للقوات المسلحة (٢٦ يوليو ١٩٧٢):

وجاء ينادي بما ينادي به السادات ، فقد أعلن فى القوات التى يزورها أثناء مروره عليها الآتي :

(١) ضرورة الاستعداد لدخول الحرب فى أقصر وقت ممكن ، حيث فشلت الجهود السلمية ولا بديل

عن الحرب لتحرير أراضينا .
(٢) لا انتظار لأسلحة جديدة تصلنا .
(٣) المهام التى تخصص للقوات تكون فى حدود قدراتها .
(٤) ناقشني الفريق أول إسماعيل عن كفاءة القوات المسلحة وما وصلنا إليه فى التخطيط وإعداد القوات للحرب والتعاون العسكري مع سوريا ، وكنت صريحاً معه عن حقائق الموقف ، وقلت له أننا نحتاج إلى عام لتحقيق الآتي :
أ - التدريب المركز على المعارك فى كل أفرع القوات المسلحة والتعاون بينها .
ب ـ استكمال التعاون مع القوات السورية ، لأنها عملية مطولة ودقيقة قطعنا فيها مراحل ، ومازال أمامنا مراحل أخرى تحتاج التنسيق واتفاق محدد بين القيادة العسكرية المصرية والقيادة العسكرية السورية . كما أن العمل العسكري المشترك يحتاج إلى قرارات سياسية على مستوى الرئيسين السادات والأسد.
د - وكانت الخطوة الرابعة : التعاون العسكري بين مصر وسوريا:
وكان وزير الحربية فى مصر ، بحكم اتفاقية مصر وسوريا ، هو القائد العام لقوات الجبهتين المصرية والسورية ، وهو الذى يتولى مسئولية تعاون قوات الجبهتين فى العمل العسكري المشترك . والحق يقال أنه لولا الاتفاق والتعاون بين القيادة السياسية للدولتين - الرئيسين السادات والأسد - لما أمكن إيجاد التعاون العسكري بين الدولتين ووضعه موضع التنفيذ وإتخاذ قرار الحرب بقرار مشترك .

متى نحارب (الكشكول)
٢٣ - وصلنا فى أوائل عام ١٩٧٣ إلى أن عامل الوقت ضدنا . و ازداد اقتناعي - منذ مؤتمر الجيزة يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢ - أننا نقترب من شن الحرب . و لفت نظري ما قاله الرئيس السادات فى هذا المؤتمر « أن الحلول التى تعرض على كلها من منطق أننا لن نحارب ... .أمام شعبنا و أمام العدو و الصديق لازم نثبت أننا نستطيع أن نضحي و نناضل ... بما لدينا نرسم و نخطط ... ... مع الجميع سنغير شأننا أو ستنتهي القضية إلى السكون و الموت ».
و إلى أن يتم الاتفاق السياسي بين الرئيسين السادات و الأسد على بدء الحرب بتعاون مصر و سوريا ، كان من الضروري أن نقوم فى هيئة عمليات القوات المسلحة بتحديد انسب التوقيتات للقيام بالعملية الهجومية خلال عام ١٩٧٣ حتى توضع أمام الرئيس السادات ليكون أمامه حرية الاختيار على ضوء الموقف السياسي المناسب و الاتفاق مع الرئيس الأسد علية . و بذلك يكون العمل العسكري متمشيا مع العمل السياسي ، ويكون العمل السياسي منسقا مع العمل العسكري . وضعنا فى هيئة العمليات - بمبادأة من الهيئة - هذه الدراسة بحيث تحقق أحسن و أنسب الظروف لنجاح العملية ، و تحقيق أسوأ الظروف لإسرائيل .
٢٤ - وضعنا هذه الدراسة على ضوء الموقف العسكري للعدو و قواتنا ، و فكرة العملية الهجومية المخططة ، و المواصفات الفنية و الطبيعية لقناة السويس من حيث المد و الجزر و سرعة التيار و اتجاهه ، و ساعات الظلام و ضوء القمر ، و الأحوال الجوية ، و حالة البحرين الأبيض و الأحمر و عوامل أخرى .

درسنا كل شهور السنة لاختيار افضل الشهور لاقتحام و عبور القناة ووجدنا
أ - فارق المنسوب بين أعلى مد و أدني جزر هو ٨٠ سم في القطاع الشمالى للقناة (الإسماعيلية - بورسعيد) بينما فرق المنسوب فى القطاع الجنوبي (الإسماعيلية و السويس) هو متران .
ب - سرعة التيار فى القطاع الشمالى ١٨ مترا فى الدقيقة ، بينما سرعته في القطاع الجنوبي هو ٩٠ مترا فى الدقيقة .
ج- أما اتجاه التيار فانه يتغير دوريا كل ٦ ساعات من الشمال للجنوب و بالعكس .
درسنا طول الليل يوميا لاختيار الليالي بحيث يكون النصف الأول منه فى ضوء القمر و النصف الثاني فى حالة إظلام ، حتي يسهل تركيب و إنشاء الكباري فى ضوء القمر
و يكون عبور القوات و الأسلحة و المعدات فى الظلام . و كان من الضروري دراسة حالة الأرصاد الجوية المناسبة لعمل القوات الجوية ، و حالة البحرين الأبيض و الأحمر لمعرفة أنسبها لعمل القوات البحرية .
٢٥ - و اشتملت الدراسة أيضا على جميع أيام العطلات الرسمية فى إسرائيل بخلاف يوم السبت و هو يوم إجازتهم الأسبوعية ، حيث تكون القوات المعادية عادة اقل استعدادا للحرب. وجدنا أن لديهم ثمانية أعياد فى السنة منها ثلاثة أعياد فى شهر أكتوبر ١٩٧٣ ، هي عيد الغفران (يوم كيبور) و عيد المظلات و عيد التوراة . و لكل عيد من هذه الأعياد تقاليد و إجراءات يقومون بها تختلف من عيد لآخر . و كان يهمنا فى هذا الموضوع معرفة تأثير كل عطلة على إجراءات التعبئة فى إسرائيل التى تعتمد اعتماداً رئيسياً فى الحرب على قوات الاحتياطي ، و كما يقولون فان جيش إسرائيل يشبه » جبل الجليد « قمته الظاهرة هي الجيش العامل أما قاعدته العريضة فى القاع هى القوات الاحتياطية . و لإسرائيل وسائل مختلفة لاستدعاء الاحتياطي بوسائل غير علنية و أخرى علنية تكون بإذاعة كلمات أو جمل رمزية عن طريق الإذاعة و التليفزيون . ووجدنا أن يوم عيد الغفران -يوم كيبور- هو يوم سبت، و الأهم من ذلك هو اليوم الوحيد خلال العام الذى تتوقف فيه الإذاعة و التليفزيون عن البث كجزء من تقاليد هذا العيد الذى يعتبر يوم سكون كاملا . أى أن استدعاء قوات الاحتياطي بالطريقة العلنية السريعة غير مستخدمة ، و بالتالي يستخدمون وسائل أخرى تتطلب وقتا أطول لتنفيذ تعبئة الاحتياطي .
٢٦ - ثم انتقلنا إلى دراسة »الموقف الداخلي فى إسرائيل« فقد كانت تجرى انتخابات اتحاد العمال (هستدروت) في سبتمبر ، و تجرى انتخابات البرلمان الإسرائيلي (الكنيست) يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣ . و من المعروف أن الحملة الانتخابية تجذب أفراد الشعب لها ، علماً بأن أغلب الشعب يشكل الجيش الاحتياطي مع تعبئة الدولة أثناء الحرب . و من هنا كان من المفيد أن يوضع شهر أكتوبر ١٩٧٣ فى الاعتبار كشهر مناسب للحرب إذا كانت العوامل الأخرى السابق شرحها تعتبر مناسبة للعملية الهجومية .
و عن الوقت المناسب للهجوم فى الجبهة السورية ، فقد كان لا يجب أن يتأخر بعد شهر أكتوبر ١٩٧٣ حيث أن حالة الطقس و الجو تصبح غير مناسبة نظراً لبدء تساقط الجليد. ووصلنا من هذه الدراسة المستفيضة إلى تحديد أنسب الشهور خلال عام ١٩٧٣ للقيام بالعملية الهجومية ، و كان أنسبها ثلاثة توقيتات هى مايو أو أغسطس أو سبتمبر / أكتوبر.
و استكملنا فى نفس هذه الدراسة الطويلة اختيار اليوم المناسب فى كل شهر وقع عليه الاختيار بحيث يكون عطلة رسمية ، وأن يكون فرق المنسوب بين المد و الجزر فى القناة أقل ما يمكن لتوفير ظروف

افضل لعبور القوارب و تشغيل المعديات و إنشاء الكباري ، وأن يتميز بضوء القمر الساطع فى النصف الأول من الليل حتى تقام الكباري ليلا فى ضوء القمر، ثم يبدأ عبور القوات فى الظلام خلال النصف الثاني من الليل .

وكان يوم السبت - عيد الغفران - ٦ أكتوبر ١٩٧٣ (١٠ رمضان ١٣٩٣) هو أحد الأيام المناسبة ، و هو الذى وقع علية الاختيار فى مجموعة سبتمبر / أكتوبر ، فقد توفرت فيه الشروط الملائمة لاقتحام القناة و الهجوم .

سلمت هذه الدراسة بنفسي - مكتوبة بخط اليد لضمان سريتها - للفريق أول أحمد إسماعيل الذى قال لي انه عرضها و ناقشها مع الرئيس السادات فى برج العرب

(غرب الإسكندرية) فى أوائل إبريل ١٩٧٣ . و عبر الفريق أول إسماعيل عن شكره لهيئة عمليات القوات المسلحة لمجهودها فى إعداد هذه الوثيقة الهامة ، و كان تعليقه عليها - مسجلا - بقوله :

» لقد كان تحديد (يوم الهجوم) عملاً علمياً على مستوى رفيع ، أن هذا العمل سوف يأخذ حقه من التقدير ، و سوف يدخل التاريخ العلمي للحروب كنموذج من نماذج الدقة المتناهية و البحث الأمين «

مؤتمر الإسكندرية - ٢٢ ، ٢٣ أغسطس ١٩٧٣

٢٨ - فى إبريل ٧٣ جاء الرئيس حافظ الأسد إلى مصر فى زيارة سرية ، اجتمع الرئيسان السادات و الأسد فى برج العرب حيث اطلع الرئيس الأسد على الدراسة التى قدمتها هيئة عمليات القوات المسلحة المصرية بخصوص التوقيتات المقترحة للهجوم . اتفق الرئيسان على أن يجتمع مجلس أعلى مشترك للقوات المسلحة المصرية السورية (١٣ قائدا مصريا وسوريا) لوضع اللمسات الأخيرة للمعركة .

٢٩ - اجتمع المجلس الأعلى المشترك فى مدينة الإسكندرية (مكتب قائد القوات البحرية) يومي ٢٢ ، ٢٣ أغسطس ١٩٧٣ للبت النهائي فى بعض الموضوعات العسكرية المشتركة والاتفاق النهائي على توقيت بدء الحرب .

تم الاتفاق فى الاجتماع على بدء الحرب فى أكتوبر ١٩٧٣ ، وسجلت القرارات بخط اليد لضمان سريتها . وكانت نتيجته تحتاج إلى تصديق القيادة السياسية ، لذلك سافر الرئيس السادات لزيارة المملكة العربية السعودية وقطر وسوريا ، حيث اجتمع مع الرئيس الأسد فى دمشق يومي ٢٨ ، ٢٩ أغسطس ، واتفقا على أن يكون يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ هو يوم بدء الحرب .

لقد كان مؤتمر الإسكندرية هو الخطوة الأخيرة فى طريق التعاون العسكري بين مصر وسوريا ، هذا الطريق الذى استغرق وقتاً طويلاً ، وكللت الجهود المبذولة فيه بالنجاح. ولا شك أن اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية و السورية لتقرير بدء الحرب ضد العدو فى وقت واحد ، وخوض الحرب بجهد منسق مشترك هو حدث تاريخي، حيث لم يسبق أن حدث مثل هذا التعاون العسكري بين دولتين عربيتين ضد إسرائيل منذ إنشائها ، وأصبح علامة بارزة من علامات حرب أكتوبر ١٩٧٣ وهو ما لم تتوقعه أو تكشفه إسرائيل أو أي دولة أخرى .

٣٠ - ومن المفارقات التى تذكر أنه فى الوقت الذى قررت فيه مصر وسوريا خلال أغسطس ١٩٧٣ دخول الحرب ، كانت إسرائيل ترى فى نفس الشهر أنها ليست فى حاجة إلى السلام مع العرب ، وأنها

فرضت الأمر الواقع على الدول العربية بالقوة العسكرية منذ حرب يونيو ١٩٦٧ . إنه الغرور الإسرائيلي الذى تحكم فى تصرفاتهم منذ انتهاء حرب يونيو حتى ترسب فى عقول قادتهم أن تلك الحرب هى التى أنهت لهم كل الحروب .

قرار الحرب :

٣١ - واستمرت عجلة الاستعداد للحرب دون أن تتوقف لحظة ، إلى أن جاءت الأيام القليلة الباقية قبيل نشوب الحرب حيث كان العد التنازلي لدخول الحرب قد بدأ فعلاً . وفى يوم ٣٠ سبتمبر ١٩٧٣ ، اجتمع مجلس الأمن القومي بدعوة مفاجئة من الرئيس السادات جرى فيه استعراض للموقف من الجانب السياسي والعسكري - ولا يحضر اجتماعات المجلس من القوات المسلحة عادةً سوى وزير الحربية .

ويقول محمد حافظ إسماعيل مستشار الأمن القومي في كتابه » أمن مصر القومي « أن فى هذا الاجتماع شرح الفريق أول أحمد إسماعيل تصوره للمعركة ، كما أكد عدداً من الاعتبارات ، كما أجاب عن بعض ما أثير من ملاحظات :

أ- تشن مصر العمليات بالتنسيق مع سوريا ، واثقة من نتيجتها بتحقيق الضغط على إسرائيل لإرغامها على قبول حلول سلمية .

ب- إن المعركة التى نخوضها فى حدود قدرتنا ، فالإمداد من الاتحاد السوفيتي يتم بحساب ، ولهذا فإمكانياتنا لا تسمح بتحرير سيناء كاملة .

ج- إن القوات المصرية - السورية ستوجه ضربة قوية ، ولا تقبل تكرار حرب الاستنزاف ، وتعمل على إطالة أمد الحرب ، وتتوقع أن تتكبد خسائر كبيرة ولكنها ستنزل بالقوات الإسرائيلية خسائر أكبر .

د- إن الوقت ليس فى صالحنا معنوياً و مادياً ، ولهذا لا يجب أن نؤخر توقيت التدخل العسكري ضد إسرائيل .

هـ - قد تبدأ إسرائيل الحرب وتأخذ فى يدها المبادرة إذا قدرت أننا نستعد للهجوم، ولهذا أصبح تحقيق المفاجأة عاملاً حيوياً لنجاحنا .

و- تفتقر قواتنا إلى » التفوق الجوي « كما تفتقر لإمكانيات الاستطلاع التعبوي الاستراتيجي ..ولكن إسرائيل لن تكسب المعركة .

٣٢ - وكانت عملية الاستعداد لشن الحرب تدور بسرعة وفى سرية مطلقة داخل القوات المسلحة دون أن تتوقف لحظة ، إلى أن جاء اليوم الأول من أكتوبر ١٩٧٣ .

فى هذا اليوم - أول أكتوبر ١٩٧٣ - بدأ تنفيذ المشروع التدريبي الذى يتم تحت ستارة اللمسات الأخيرة للاستعداد للهجوم بواسطة القوات فى جبهة القناة وفى كل فروع القوات المسلحة .

٣٣- وفتح » مركز عمليات القوات المسلحة « فى المكان المخصص له وبدأ العمل فيه ، وفى مساء هذا اليوم - أول أكتوبر ١٩٧٣ الذى يوافق ٥ رمضان ١٣٩٣ - اجتمع المجلس الأعلى للقوات المسلحة برئاسة الرئيس السادات فى وزارة الحربية ، استمع الرئيس إلى تقارير القادة ، ثم تحدث عن الحرب ، وطلب الالتزام بخطة العمليات الموضوعة ، وأن يعمل القادة بهدوء وحرية ، وقال : « على كل واحد أن يؤدي واجبه ، أنا أتحمل وراءكم المسئولية كاملة تاريخياً ومادياً ومعنوياً ، وأقولها بصراحة وفى نفس الوقت : أثق ثقة كاملة فيكم ، وعلى هذا الأساس تصرفوا بكل ثقة وإطمئنان

وحرية » .

٣٤ -فى هذا اليوم أصدر الرئيس السادات قراره بالحرب تحت عنوان » توجيه صادر إلى القائد العام للقوات المسلحة ووزير الحربية الفريق أول أحمد إسماعيل على موقعاً بتاريخ ٥ رمضان ١٣٩٣ - أول أكتوبر ١٩٧٣ حدد فيه تقديره للموقف السياسي والهدف الاستراتيجي للقوات المسلحة ، وكان هذا التوجيه يعبر تعبيراً دقيقاً عن الوضع العام ، واستراتيجية العدو ، واستراتيجية مصر فى تلك المرحلة ، وأن الوقت ملائم كل الملاءمة من وجهة النظر السياسية لتنفيذ استراتيجية مصر .

٣٥ -نص التوجيه المؤرخ أول أكتوبر ١٩٧٣ (٥ رمضان):

أ- عن الوضع العام:

ب - عن استراتيجية العدو :

إن العدو الإسرائيلي كما نرى انتهج لنفسه سياسة تقوم على التخويف ، والإدعاء بحقوق لا يستطيع العرب تحديها ... وهذا هو أساس نظرية الأمن الإسرائيلي التى تقوم على الردع النفسي والسياسي والعسكري .

إن نقطة الأساس فى نظرية الأمن الإسرائيلي هى الوصول إلى إقناع مصر والأمة العربية بأنه لا فائدة من تحدى إسرائيل ، وبالتالي فليس هناك مفر من الرضوخ لشروطها حتى وإن تضمنت هذه الشروط تنازلات عن السيادة الوطنية

ج : عن استراتيجية مصر فى هذه المرحلة:

إن الهدف الاستراتيجي الذى أتحمل المسئولية السياسية فى إعطائه للقوات المسلحة المصرية... وعلى أساس كل ما سمعت وعرفت من أوضاع الاستعداد ، يتلخص فيما يلي :

تحدي نظرية الأمن الإسرائيلي وذلك عن طريق عمل عسكري حسب إمكانيات القوات المسلحة يكون هدفه إلحاق أكبر قدر من الخسائر بالعدو وإقناعه بأن مواصلة احتلاله لأراضينا تفرض عليه ثمناً لا يستطيع دفعه ... وبالتالي فإن نظريته فى الأمن - على أساس التخويف النفسي والسياسي والعسكري - ليست درعاً من الفولاذ يحميه الآن أو فى المستقبل . وإذا استطعنا بنجاح أن نتحدى نظرية الأمن الإسرائيلي ، فإن ذلك سوف يؤدي إلى نتائج محققة فى المدى القريب وفى المدى البعيد .

(١) فى المدى القريب : فإن تحدى نظرية الأمن الإسرائيلي يمكن أن يصل بنا إلى نتائج محققة تجعل فى الإمكان أن نصل إلى حل مشرف لأزمة الشرق الأوسط.

(٢) فى المدى البعيد : فإن تحدي نظرية الأمن الإسرائيلي يمكن أن يحدث متغيرات تؤدي بالتراكم إلى تغيير أساسي فى فكر العدو ونفسية نزعاته العدوانية .

د - عن التوقيت:

إن الوقت من الآن ومن وجهة نظر سياسية ملائم كل الملائمة لمثل هذا العمل الذى أشرت إليه فى (ثالثاً) من هذا التوجيه .

إن أوضاع الجبهة الداخلية وأوضاع الجبهة العربية العامة بما فى ذلك التنسيق الدقيق مع الجبهة الشمالية ، وأوضاع المسرح الدولي ، تعطينا من الآن فرصة مناسبة للبدء .

٣٦ - نص التوجيه المؤرخ ٥ أكتوبر - ٩ رمضان:

كانت قواتنا المسلحة فى أقصى درجات استعدادها للقتال ، كما فى « مركز العمليات » نتابع نشاط العدو أولاً بأول ، فلم يبق سوى ٢٤ ساعة وتبدأ الحرب .

في هذا اليوم أصدر الرئيس السادات توجيهاً استراتيجياً إلى الفريق أول أحمد إسماعيل - مؤرخاً في ٩ رمضان - ٥ أكتوبر - نصه الآتي :

أ - بناءً على التوجيه السياسي العسكري الصادر مني فى أول أكتوبر ١٩٧٣ ، وبناءً على الظروف المحيطة بالموقف السياسي والاستراتيجي ، قررت تكليف القوات المسلحة بتنفيذ المهام الاستراتيجية الآتية :-

(١) إزالة الجمود العسكري الحالي بكسر وقف إطلاق النار اعتباراً من يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

(٢) تكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة فى الأفراد والأسلحة والمعدات .

(٣) العمل على تحرير الأرض المحتلة على مراحل متتالية حسب نمو وتطور إمكانيات قدرات القوات المسلحة .

ب - تنفذ هذه المهام بواسطة القوات المسلحة المصرية منفردة أو بالتعاون مع القوات المسلحة السورية .

عندما أطلعت على هذا التوجيه الاستراتيجي، سألت المشير أحمد إسماعيل عن أسباب إرساله لنا رغم أن لدينا التوجيه الاستراتيجي المؤرخ اول أكتوبر الذى يقضي بالحرب ، وأن الهدف الاستراتيجي محدد فيه وان خطة العمليات التي ستنفذ معروفة تماماً .

قال لي الفريق أول أحمد إسماعيل : إنه هو الذى طلب هذا التوجيه حتى تكون الأمور - للتاريخ - محددة بوضوح . ففي الوثيقة الجديدة نص صريح بكسر وقف إطلاق النيران اعتباراً من يوم ٦ أكتوبر ، ولم يكن ذلك محدداً من قبل، علماً بأن هذا القرار سياسي قبل أن يكون عسكرياً . كما أن الوثيقة الجديدة تنص صراحةً على العمل على تحرير الأرض على مراحل متتالية حسب نمو وتطور إمكانيات القوات المسلحة ، حتى لا يفهم مستقبلاً أنه كان مطلوباً تحرير سيناء بالكامل . وهذا يؤكد مرة أخرى - للتاريخ - المهام الاستراتيجية المحددة من القيادة السياسية للقوات المسلحة .

المفاجأة :

٣٧ - كان على قواتنا المسلحة أن تدخل حرب أكتوبر ١٩٧٣ فى ظروف عسكرية صعبة ومعقدة لهدم « نظرية الأمن الإسرائيلي » التى وضعتها إسرائيل لتكون ستاراً لتحقيق أهدافها التوسعية وفرض الأمر الواقع على العرب .

ولعلنا لا ننسى ما قاله ديان قبل الحرب بحوالي شهر ونصف « إن السلام الذى تريده إسرائيل قد تحقق منذ عام ١٩٦٧ ، وان السلام الرسمي مع العرب يضر بالحالة التى تحرص عليها إسرائيل وهى تثبيت الأمر الواقع الذى فرضته تلك الحرب » وكان على قواتنا خوض الحرب مهما كانت المصاعب ومهما كانت التضحيات لاستعادة أراضينا .

أ- كنا سندخل الحرب بينما العدو له التفوق العسكري والوضع الطبيعي أن يكون المهاجم متفوقاً على المدافع ، وكان من الضروري إهدار هذا التفوق العسكري فى المرحلة الافتتاحية للحرب ، وهى

مرحلة الهجوم مع اقتحام قناة السويس .

ب - وكنا سندخل الحرب ، بينما يستند العدو إلى خط بارليف على الضفة الشرقية للقناة وله القوات المدربة على أنساق متتالية فى سيناء ، وكان لابد من نجاح العملية الهجومية وبذلك يتم تحدي نظرية الأمن الإسرائيلي .

ج - وكنا سندخل الحرب ونقدر أن الاقتحام المدبر لقناة السويس بقوة جيشين (حوالي مائة ألف مقاتل) يعتبر من أصعب العمليات العسكرية ، فإن أصعب الموانع المائية اثنان لا ثالث لهما فى العالم هما قناة السويس وقناة بنما .

د - وكنا سندخل الحرب ، ونحن نعلم أن نجاح العبور يتطلب كباري وتشغيل معديات فإذا تحققت المفاجأة يمكننا كسب الوقت ومنع العدو من التدخل السريع لعرقلة عمل الفتحات فى الساتر الترابي أو إنشاء الكباري وبالتالي يتم العبور .

هـ - وكنا سندخل الحرب ضد عدو لديه جهاز مخابرات اشتهر بكفاءته وتعاونه مع أجهزة المخابرات الأمريكية لمعرفة كل ما يدور فى الوطن العربي ، فإذا اكتشفت هذه الأجهزة نوايانا الهجومية فإن إسرائيل ستبادر بتوجيه ضربة وقائية - ضربة إحباط - تجعل عمليتنا الهجومية أكثر صعوبة وأشد تعقيداً ، مع تعبئة الاحتياطي وإرساله للجبهتين المصرية والسورية خلال يومين .

٣٨ -ومن هنا ، ولكل هذه الأسباب ، كان من الضروري أن نبذل كل جهد ممكن لتحقيق المفاجأة حتى تكون المبادأة لنا لأول مرة فى الحرب ضد إسرائيل ، وحرمان العدو من فترة الإنذار اللازمة للتعبئة ، وعدم إعطائه فرصة توجيه ضربة وقائية ، وضمان نجاح العبور والهجوم - وكذلك فى الجولان - بأقل خسائر ممكنة .

لذلك فقد اشترك فى وضع خطة المفاجأة عدد محدود جداً من ضباط هيئة العمليات ، وكتبت بخط اليد كخطة العمليات تماماً - واشتملت الخطة على إجراءات وأعمال كثيرة فى مجالات مختلفة بحيث تتكون صورة كاملة أمام العدو أن قواتنا فى مصر وسوريا ليس لديها نية الهجوم ، بل نعمل لتقوية دفاعاتنا واستعدادنا ضد هجوم محتمل تقوم به إسرائيل .

٣٩ -الأعمال الخداعية التى تمت لتحقيق المفاجأة :

أ - مناورة للتدريب .

ب - المدمرات فى باب المندب .

ج - أداء العمرة والإعلان بالصحف عنها .

د - السرية المطلقة فى العمل .

هـ - اختيار يوم وساعة الهجوم .

وقد حدثت ثلاثة أحداث مزعجة كادت تكشف نوايانا عن بدء العمليات الحربية وهى : (إخلاء العائلات السوفيتية بالطائرة يوم ٤ أكتوبر - تأمين شركة مصر للطيران - سفينة أمريكية تعمل فى مسح الشاطئ الشمالي يوم ٦ أكتوبر) .

خداع فى الجبهة السورية (معركة جوية يوم ١٣ سبتمبر ١٩٧٣) .

٤٠ - الأيام الحرجة قبيل الحرب :

أ - **يوم الخميس ٤ أكتوبر** (٨ رمضان):

علمت إسرائيل برحيل العائلات السوفيتية بالطائرات من مصر وسوريا .

ب - يوم الجمعة ٥ أكتوبر (٩ رمضان):
اجتماع السيدة مائير مع مجلس وزراء مصغر ، كان تقدير مدير مخ + رئيس الأركان (كما يقول ديان) كالآتي :
(١)(السوريون والمصريون في حالة طوارئ تصلح تماماً للدفاع والهجوم . عدم احتمال شن أي هجوم مدير المخابرات قال : « من غير المحتمل إلى أبعد حد أن يعبر المصريون القناة بقوات كبيرة ، ولكنهم قد يفتحوا النيران ويحاولوا القيام بغارات » .
(٢) تقدير المخابرات الأمريكية « ليس في نية كل من مصر وسوريا شن هجوم في المستقبل القريب » .
(٣) اتصال مائير ليلاً برئيس الأركان (عبور المصريين للقناة مستحيل .)
ج- السبت ٦ أكتوبر / ١٠ رمضان (زيارة ديان لخط بارليف .)
وفي الساعة ١٤٠٥ يوم السبت ٦ أكتوبر - ١٠ رمضان - يوم كيبور حدث الانفجار على الجبهتين المصرية والسورية لتنفيذ العملية « بدر » .
٤١ -الخلاصة :
أ - وهكذا تحققت المفاجأة الاستراتيجية ، وأصبح لنا المبادأة - لأول مرة - في الحروب ضد إسرائيل . وحرمانها من تعبئة الاحتياطي أو توجيه ضربة وقائية واقتحام القناة والهجوم في الجولان في ظروف أفضل وبأقل خسائر ممكنة .
ب - ديان يقول : كان الهجوم المصري والسوري - في يوم كيبور - مفاجأة لنا برغم أنه كان متوقعاً .. قوات العدو شنت هجوماً بكفاءة أكبر بكثير مما كان مقدراً .
ج- اليعازار رأح (جيش الدفاع الإسرائيلي) .
حرب أكتوبر تختلف عن كل الحروب التي خضناها - المفاجأة لنا - كنا ندافع.
د - دكتور وليم كوانت مساعد كيسنجر : كان نشوب حرب أكتوبر مفاجئاً لإسرائيل والدول العربية والعالم بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية حيث لم تتوقع أغلب دول العالم نشوبها .

تعقيب المشرف على المحور

ليس لي أن أعلق علي سيادة قائدي وأستاذي المشير محمد علي الجمسي ، أكثر من أن أقول لقد قدم إليكم السهل الممتنع ، أعقد قضية التخطيط للحرب ،لقد قيل أنه من المستحيل عبور القناة ، من المستحيل التصدي للقوات الجوية الإسرائيلية ، ولكن كما ذكر سيادة المشير العقل المصري والساعد المصري نفذها ، الذين حاولوا أن يقللوا في قلوبنا الأمل ، وفي عقولكم الحلم الكبير ، لا تصدقوا أحدا ،عندما تتعمقوا في كلام المشير الجمسي ، ستعلمون أننا قادرون علي صنع المستحيل بأذن الله ، بالنسبة لرجال للصاعقة الذين ذكرهم المشير الجمسي أنا معي كتاب أريل شارون ذكر فيه « أنه استدعي يوم ٦ أكتوبر وعند وصوله إلي الطاسة -مركز القيادة - رأى الطائرات المصرية الهليكوبتر الصاعقة في عمق ٥٠ كيلو مترا ،وضعتنا تحت نيران قاتلة ، أخرتني ساعتين وأطالت الحرب لمدة أسبوعين » ، تحية للاخوة في الصاعقة
وشكرا للمشير محمد عبد الغني الجمسي .

الورقة الثانية :

التخطيط التخصصي للأفرع الرئيسية

١- التخطيط للقوات البحرية وتنفيذ المهام

لواء بحري أ.ح/ محمد يسري قنديل

رئيس فرع العمليات بشعبة دجو إبان حرب أكتوبر

مقدمة :

١- في الخامس من فبراير ١٩٧١ أعلن الرئيس « السادات » عن مبادرة السلام وحدد معالمها بعد ذلك بالتفصيل في خطاب خاص القاه في أول مايو ١٩٧١ .. وجاء رد الفعل الإسرائيلى معبرا عن نواياها الحقيقية في عدم الاستجابة لنداء السلام والحق والعدل ... واستمرت مصر في بذل الجهود لتحقيق السلام العادل في المنطقة والتنبيه إلى ضرورة اضطلاع المجتمع الدولي بمسئوليته تجاه السلام العادل ... ثم طالبت ببحث ذلك على ضوء تقرير يقدمه السكرتير العام للأمم المتحدة عن طريق ممثله الخاص السفير « يارنج » بهدف اتخاذ الإجراءات المناسبة لإقرار السلام طبقا للقرار رقم ٢٤٢.

وخلصت مصر من كل هذه المباحثات والمحادثات والمبادرات إلى أنه لا فائدة ترجى من إسرائيل التي عقدت العزم على مواصلة العدوان ، وفرض الأمر الواقع والتلويح باليد العليا وذراع الردع الطويلة .

وأكد ذلك ما توصلت اليه القيادة السياسية المصرية عقب عدوان إسرائيل عام ١٩٦٧ من أن « ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة » وأيقن كل منصف بحتمية اللجوء للعمل العسكري لكسر الجمود الذي أحاط بالقضية ، والتوصل إلى تسوية سياسية عادلة للنزاع . وكان لابد من إعداد سياسى حاذق لعزل إسرائيل دوليا مع مواصلة العمل لحل القضية بالطريق السلمي . فإذا ما فشلت هذه الجهود ، يصبح لا مفر من استخدام القوة لإيقاظ إسرائيل من أحلام الغرور .

وهكذا أصبح الضمير العالمي في أشد لحظات تعاطفه مع العرب ، وتفهمه لعدالة قضيتهم ، ثم دخل العرب أروع أيامهم في السادس من أكتوبر ١٩٧٣، فجعلوا بفضل الله هامتهم هي العليا ، وحطموا نظريات وأقاموا محلها نظريات ، وغيروا الخريطة السياسية للشرق الأوسط . وأصبحت الأمور بعد ٦ أكتوبر المجيد جد مختلفة عن قبلها...

أ - لقد تم تنفيذ الإعداد العسكري الجيد للحرب مما حقق النصر بعد بذل العرق والدم في التحضير لها عقب حرب ٦٧ وحرب الاستنزاف .

ب - إن حرب أكتوبر لم تكن حرباً عدوانية بل كانت حرب تحرير عادلة ومشروعة دافع فيها عن العرب عن حريتهم وكرامتهم وتاريخهم وحقوقهم المغتصبة .

٢- لقد أعادت حرب رمضان المجيدة الثقة إلى العرب بقدر ما هزت ثقة إسرائيل في جيشهم وخلعت عنه مزاعم « الجيش الذي لا يقهر » ، وبفضل الإعداد والتخطيط الجيد دخلت هذه الحرب التاريخ كنقطة تحول في مسار الصراع العربي الإسرائيلى وأثبتت ان هذه الأمة قادرة على المضي قدما على طريق النصر .

وعلى الرغم من أن عمليات أكتوبر هي الجولة الرابعة بين القوات المسلحة المصرية وإسرائيل إلا أنها تعتبر الجولة الأولى التي أتيح فيها للقوات المسلحة المصرية - وبالتالي للقوات البحرية - فرصة القتال الفعلي وفقا للأسلوب العلمي السليم ، وبهذا فإن عمليات أكتوبر تعتبر الاختبار الحقيقي للعسكرية المصرية الذي يمكن على أساسه الخروج بالاستنتاجات وعمل المقارنات بين القوات العسكرية المصرية بأسلحتها المختلفة والقدرات الإسرائيلية .

٣- وتتناول هذه الورقة التخطيط وتنفيذ مهام القوات البحرية في إطار التخطيط الإستراتيجي للقيادة العامة للقوات المسلحة لاستعادة الأرض المغتصبة يوم التحرير .

لقد وضعت قيادة القوات البحرية عدة اعتبارات عند تقدير الموقف البحرى للتخطيط لعمليات أكتوبر ١٩٧٣ من بينها مراجعة الإستراتيجيات البحرية المضادة لطرفي الصراع « مصر وإسرائيل » وهل طرأ تغيير على هذه الإستراتيجيات ؟

إستراتيجية مصر البحرية

٤- واقع الأمر أن قوام استراتيجية مصر البحرية لم تتغير عن سابق عهدنا بها . هذه الإستراتيجية تهدف إلى حصار إسرائيل عن طريق تصديع خطوط مواصلاتها البحرية ومعاونة عمليات قواتنا البرية بالنيران وحماية جانبها المعرض للبحر والابرار البحرى خلف خطوط القوات الإسرائيلية وعلى أجنابها ، وتطوير استراتيجية حصار إسرائيل بإضافة أبعاد جديدة اليها يتعذر على الإسرائيليين التعامل معها وغني عن الذكر أن الفضل في ذلك يرجع بالأساس للدور الذي لعبته القيادة السياسية المصرية في ازالة الكثير من الخلافات التي كانت تشوب علاقاتنا ببعض الدول العربية ، وثانيها للتحرك الدبلوماسي الواعي الذي اتاح لنا حرية استخدام تسهيلات كانت شبه محرمة علينا . وهنا تبرز فعالية التجانس بين القيادتين السياسية والعسكرية وما يمكن ان يقدم العمل السياسي من خدمات

لإنجاح العمل العسكري ، وهو تجانس افتقدته مصر في حرب « يونية ٦٧ » .

ولما كانت الحرب البحرية تهدف في المقام الأول إلى التأثير على اقتصاد الخصم عن طريق السيطرة على البحر وتهديد خطوط مواصلاته البحرية . من هنا أولت قيادة القوات البحرية هذه المهمة اهتمامها . فمع تزايد اعتماد إسرائيل - اقتصادياً وعسكرياً - على حركة النقل عبر البحار ، ازدادت تبعا لذلك كثافة شبكة خطوط مواصلاتها البحرية ، ولاسيما بعد أن سيطرت على مضايق خليج العقبة في أعقاب حرب يونية ٦٧ ، وأصبح الطريق مفتوحا لتجارتها مع الشرق الأوسط وبلدان شرقي أفريقيا عبر البحر الأحمر . ولعل أهم وارداتها المنقولة عبر هذا البحر هو البترول الخام الذي تحمله الناقلات إلى ميناء إيلات على خليج العقبة ، ومن ثم ينقله خط الأنابيب - بعد حصول إسرائيل على حصتها منه - إلى « عسقلون » على البحرالمتوسط حيث يعاد شحنه على الناقلات إلى أوروبا - ومن ناحية أخرى ، تمر خطوط تجارة ومواصلات إسرائيل البحرية - في البحرين الأحمر والمتوسط - بمناطق حاكمة يمكن استغلالها بنجاح كبير ، في عمليات التعرض لخطوط المواصلات الإسرائيلية كجزء من الهدف الإستراتيجي الأكبر : تشديد قبضة الحصار على إقتصاد إسرائيل ، وعلى مجهودها الحربي . إلا أن إسرائيل اعتادت - منذ بدء حروبنا معها - أن يأخذ حصارنا البحري لها الشكل المباشر القريب ، أي غلق مضايق خليج العقبة في وجه الملاحة الإسرائيلية أو عرقلة حركة السفن التجارية المترددة على موانيها المطلة على البحر المتوسط بواسطة الوسائل التقليدية المعروفة ، والتي يصاحبها عادة إعلان مناطق عمليات حربية في مساحات محدودة من مياه البحار التي تحيط بالأراضى الإسرائيلية. ولكن ارتباط هذا الأسلوب في الحصار - رغم التهديد الذي ينطوى عليه - بشكل مباشر بنتائج العمليات الجوية والبرية التي تدور بالمنطقة جعله لا يؤتي الثمار المرجوة منه ، هذا فضلاً عن تعرض الوحدات البحرية المصرية القائمة بالحصار لخطر الهجمات الجوية من ألد أعداء هذه الوحدات وذلك لوقوع مناطق عملياتها في مدى عمل الطائرات الإسرائيلية . ومن هنا نبتت فكرة تطوير أسلوب حصارنا البحرى لإسرائيل بحيث يحقق أهدافاً إستراتيجية مؤثرة بعيدة عن ردود فعل نتائج العمليات الجوية والبرية ، بل وبعيدة أيضاً عن مضمار المعارك البحرية المباشرة بين قواتنا وقوات إسرائيل .

٥- لقد أسفرت الدراسات ، والحسابات عن أن المدخل الجنوبى للبحر الأحمر ، والمياه المحدودة الاتساع عند المشارف الغربية للبحر المتوسط هما أصلح المناطق التي تحقق أكبر قسط من النجاح لعمليات التعرض لخطوط مواصلات إسرائيل البحرية في إطار إستراتيجية تهديد خطوط المواصلات البحرية لإسرائيل. ونود أن نشير هنا إلى أن اختيار هاتين المنطقتين لم يكن لأننا بصدد التخلى عن العمل في مضايق خليج العقبة ، أو عند مداخل الموانى الإسرائيلية ، على العكس لم يقل تمسكنا بهذه المناطق لما تهيؤه لنا من إقامة » نطاق حصار بحري داخلياً « يزيد من صدع حركة اتصال إسرائيل بحراً بالعالم الخارجي . ولأن هذا الأسلوب - الحصار البحري البعيد - مغاير تماماً لما ألفته إسرائيل ، فقد أحطنا إجراءات وتدابير تنفيذه بتكتم شديد ضماناً لمفاجأة إسرائيل به. لم يكن فيما أعتزمنا القيام به في البحر المتوسط ما يمكن أن يثير أى مشاكل سياسية ، أو أزمات دبلوماسية لأن المنطقة المختارة هى مياه « أعالي البحار » ، أما استخدام مياه منطقة « باب المندب » التي تحكم المدخل الجنوبي للبحر الأحمر فهو أمر يتطلب تحركا دبلوماسيا على أعلى مستوى نظرا لأن مياه المنطقة تحيط بها أراضي أكثر من دولة وتتخللها جزر تابعة لدولة أخرى . وقناعة منها بفاعلية الحصار البحري البعيد واستيراتيجيتة ، قامت القيادة السياسية المصرية باتصالات مكثفة مع بلاد المنطقة أثمرت في

الحيلولة دون احتلال إسرائيل لبعض جزر جنوب البحر الأحمر . (وهو أمر كانت تبيته إسرائيل منذ وقت طويل) ، وإعطائنا حرية اختيار أصلح الموانئ والمراسي لإستخدام وحداتنا التي ستضطلع بمهمة إعتراض حركة الملاحة الإسرائيلية إلى البحر الأحمر .

ومع أن امتداد أرض الوطن العربي يشكل عمقا إستراتيجيا فريدا ، إلا أنه حتى ذلك الوقت لم يلعب دورا إيجابيا في حروبنا البحرية مع إسرائيل . ولم يكن إلا في « حرب أكتوبر ٧٣ » عندما استغل هذا العمق لاسيما في البحر الأحمر .

أستراتيجية إسرائيل البحرية

٦- أما على الجانب الإسرائيلي ، فإن نتائج تحليل قيادة القوات البحرية للموقف لاسيما البحرى والجوى - بعد ان آلت لإسرائيل سواحل طويلة على البحرين المتوسط والأحمر ، ودراستنا للتعديلات التي أدخلتها على تشكيل وتسليح أسطولها البحرى عقب إغراقنا للمدمرة » إيلات « أقنعتنا بأن إسرائيل لابد أن تغير استراتيجيتها البحرية تغييرا جذريا . فلابد من خوض حرب دفاعية في مياهها ، أو على مقربة من قواعدها الجوية . وستعتمد إسرائيل إلى نقل الحرب إلى مياهنا وسواحلنا . وهي بذلك تأخذ بإستراتيجية ضرب المنبع وتضعنا في موقف الدفاع ... فضلا عما ينجم عن هذه الإستراتيجية من ردود فعل سيئة في نفوس المواطنين ، والمقاتلين على السواء . وتشير كل هذه الدلائل إلى أن زوارق الصواريخ المدعمة بطائرات الصواريخ جو/ سطح ستكون هي الأداة الرئيسية التي ستستخدمها البحرية الإسرائيلية « ضرب المنبع » موضع التنفيذ . ومن ناحية أخرى ، فاتساع الرقعة الساحلية التي أصبحت تحيط بقوات إسرائيل البرية ، ومستعمراتها ، وثغورها يجعل البحرية الإسرائيلية أشد تمسكا بإبعاد الحرب عن مياهها في محاولة للتقليل من احتمالات قيامنا بعمليات ابرار بحرى على أجناب ،أو خلف القوات البرية في سيناء ، أو قصف مدنها الساحلية الآهلة بالسكان

وتنبأت قيادة القوات البحرية نتيجة لدراستها الجادة للعقلية الإسرائيلية ، بأن إسرائيل لن تغير استراتيجيتها حيال نظرية « الأمن » أو حيال استراتيجية حصارنا لها التي أعتادت عليها ، وأنها لذلك - ستزداد تشبثاً بالحفاظ على وجود قواتها بمنطقة شرم الشيخ لضمان تأمين حرية الملاحة عبر مضيق خليج العقبة . وهذا ما دعانا لإيهام إسرائيل بأن استراتيجيتها مازالت تعتمد أساساً على هذه المضايق إمعاناً في تكتم أمر « باب المندب » .

توقعت قيادة القوات البحرية ان إسرائيل سوف تعهد إلى اسطولها الحربى بدور أكثر فعالية من الأدوار التي لعبها في الحروب السابقة ولكن ، ماذا عن تصورنا لشكل العمليات المتوقعة في الحرب المرتقبة ؟

تدل كل الشواهد على أن من المتوقع ان تتخذ العمليات البحرية الرئيسية الشكل الآتي:

أ - بصفة عامة تتسم الأعمال القتالية بطابع السرعة بعد أن حلت الوحدات الخفيفة محل المدمرات ، الفرقاطات ، وما شابهها ، وان القذائف الصاروخية - موجهة وغير موجهة - ستحل محل قذائف المدفعية التقليدية مع استمرار اشتراك الطيران في المعارك كعنصر عضوي في التشكيلات المقاتلة ، وعلى وجه الخصوص التشكيلات الإسرائيلية .

ب - تركيز مجهودنا البحرى الرئيسى في معاونة الأعمال القتالية للجيوش أثناء مرحلة التمهيد النيرانى للاقتحام ، وخلال المراحل التالية التي قد تتطلب أيضا حماية أجناب جيوشنا ، أو القيام بعمليات إبرار بحري محدودة خلف خطوط العدو ، وهو ما ستحاول إسرائيل منعه باستخدام قواتها

الجوية بصفة أساسية .
ج - التوسع في استخدام الألغام من جانبنا في اعاقة الملاحة بالمضايق ، وبمداخل الموانى الإسرائيلية ، والتي سيتعذر على الإسرائيليين التخلص منها ، لافتقارهم لكاسحات الألغام .
د - تتزايد المعارك البحرية التصادمية في مسرح البحر المتوسط نظرا لكثرة القواعد والمراسى المصرية والإسرائيلية على ساحله ، على حين ستقل مثل هذه المعارك نسبيا - في القطاع الشمالي للبحر الأحمر بسبب نقل جانب كبير من نشاطنا إلى باب المندب ، وبذا يكون الأفضل لإسرائيل بنوع خاص استخدام الطائرات في الأعمال القتالية المحدودة التي تنشب في هذا القطاع .
هـ - أسلوبنا المتطور في حصار إسرائيل عند « باب المندب » يخلق نوعا جديدا من العمليات لم يألفه الإسرائيليون لا يتيح لقواتهم الجوية أو البحرية التدخل فيها بفاعلية ، ولاسيما أن منطقة « باب المندب » تبعد حوالي ١٢٠٠ ميلا عن اقرب قاعدة إسرائيلية ، الأمر الذي يتيح لنا فرصة استخدام المدمرات كقوة حصار خارج وداخل البحر الأحمر ، وممارستها لأي شكل من أشكال عمليات الحصار البحري المعترف بها ، التي تتخذ ضد السفن التجارية مثل : الاعتراض ومنع المرور وحق الزيارة والتفتيش ، والاحتجاز والمصادرة ،ثم القصف بقصد الإغراق ان كانت السفن التجارية تحت حراسة حربية ،أو ان كانت مسلحة .
و - تزايد الخطر على قواعدنا وقواعد إسرائيل البحرية نتيجة لزيادة المدى المؤثر للقذائف الصاروخية ، وسرعة طيرانها الفائقة ، واشتداد قوتها التدميرية بالإضافة إلى صغر حجم حاملاتها الذي يجعلها هدفا يصعب إصابته بدقة خصوصاً أنها -أي زوارق الصواريخ - أصبحت تتمتع بالسرعة والمدى الطويل .
٧- ومن ناحية أخرى ، تغيرت الحدود الجغرافية لمسارح العمليات البحرية ، واتسعت مساحتها كثيرا عما عهدناه في الحروب السابقة . فباحتلال الإسرائيليين لكل شبه جزيرة سيناء اقتربت الحدود الجغرافية لمواقع قواتهم ولا سيما قواتهم البحرية - بنحو ١٢٠ ميل للغرب حتى أصبحت على حافة مواقع قواتنا بينما يترتب على نقل نشاطها الرئيسي لعمليات حصار إسرائيل إلى منطقة » باب المندب « أن تبتعد الحدود الجغرافية لمسرح عمليات البحر الأحمر قرابة ١٢٠٠ ميل للجنوب و ٦٠٠ ميل للغرب بعيدة عن قواعد إسرائيل في البحر المتوسط
وكان لهذين العاملين - تغيير الحدود الجغرافية ، واتساع رقعة المسارح - بالإضافة إلى المانعين الكبيرين : قناة السويس ، خط بارليف اعتباركبير في اقتناعنا بحتمية إحراز نجاح مبكر ، وحاسم في المراحل الأولى لنشوب العمليات ، ثم الرد العنيف على أى ضربة مضادة قد توجهها لنا إسرائيل .
ومعنى هذا من وجهة النظر البحرية - أن يبدأ الحصار عند باب المندب ووسط البحر المتوسط في وقت مبكر ، وأن يستمر في أداء وظيفته إلى أن تئن إسرائيل من وطأة ضغط الحصار عليها .. بغض النظر عن سير القتال البحري والجوي .

التخطيط للعمليات البحرية

٨- بجانب الاعتبارات والظروف العامة التي تحكمت في الخطة الهجومية كان هناك عوامل ومؤثرات تحكمت بدورها - في رسم الخطوط الرئيسية للعمل البحرى .
كان هناك اتفاق بين القيادة العامة للقوات المسلحة وقيادات افرعها على الالتزام بعدد من المبادئ الأساسية : السرية ، الخداع...المبادأة ، المفاجأة ... التركيز الشديد للأعمال القتالية لا سيما في المرحلة الافتتاحية للعملية الهجومية .

ويمكن إيجاز العوامل والمؤثرات التي تحكمت في رسم الخطوط الرئيسية لخطة العمل البحري المرتقب في النقاط الآتية :

أ - الإبرار البحري :

وهو أحد الأعمال المرجح أن تقوم بها القوات البحرية ، لذلك حرصت قيادة القوات البحرية على أن تكون دراسته غاية في الدقة والتمحيص ، فبرغم توافر أعداد مناسبة من ناقلات الجند ، لا سيما في مسرح البحر المتوسط ، وما قد يفرضه تطوير العمليات البحرية من الحاجة إلى تنفيذ عملية برمائية لزيادة معدل تقدم تشكيلات الجيش الميداني الثاني العامل على المحور الساحلي بشمال سيناء ، فقد أسفرت نتائج الدراسات والحسابات التكتيكية مدى الصعوبات التي قد تحول دون تنفيذ مثل هذه العملية وفي مقدمتها :

(١) أن ساحل منطقة » رمانة « ، باعتبارها المنطقة الوحيدة التي تناسب إبراراً بحرياً تكتيكياً شرقي بور سعيد ، لا يصلح لرسو ناقلات الجند ، الأمر الذي يستوجب إبرار القوات على مسافة ٦٠٠ إلى ١٠٠٠ متر من الساحل ، وهذا بالتالي يقتضي استبدال معدات الإبرار العادية التي لدينا بمعدات برمائية أخرى ، وإدخال بعض التعديلات على أبواب الناقلات لتسمح بالتعامل مع المعدات الجديدة

(٢) أن ناقلات الجند لا تحمل أي تسليح يؤمنها ضد خطر هجوم العدو الجوي أو السطحي.

(٣) لم يكن لدينا وسيلة لنقل عناصر المشاة غير المحملة على مركبات برمائية من مواقع الناقلات إلى الساحل ، ولكن أهمية العملية دفعتنا إلى : تعديل أبواب الناقلات للتعامل مع المركبات البرمائية ، وتسليح الناقلات بمواقع مدفعية قريبة المدى مضادة للطائرات ، وقواعد صواريخ سطح / سطح غير موجهة ، وتجهيز زوارق مطاط لنقل المشاة من الناقلات إلى الساحل .

ب - المعاونة بالنيران من ناحية البحر :

رغم أن المدمرات تعتبر المصدر الرئيسي لهذه النيران ، إلا أن تسليح مدمراتنا لم يكن يسمح بدرء خطر هجوم العدو الجوي ، أو خطر قذائفه الصاروخية سطح / سطح . لذلك أسندت هذه المهمة - وغيرها من المهام المشابهة - إلى الوحدات الخفيفة المجهزة بالصواريخ غير الموجهة نظرا لأنها تمثل هدفا صغيرا ، ولأن تسليحها يتيح لها فرصا أفضل للتعامل مع الأهداف الإسرائيلية القريبة من الساحل

ج - التعرض لخطوط مواصلات إسرائيل البحرية :

طورت قيادة القوات البحرية الأسلوب الذي ألفته إسرائيل ، لنجني ثمار المفهوم الحقيقي لمعنى « الحصار » ، وذلك عن طريق إحكام السيطرة على حركة النقل البحري بمنطقتي « باب المندب » في أقصى جنوب البحر الأحمر ووسط البحر المتوسط ، دون التخلي - كلية - عن عرقلة حركة النقل البحري الإسرائيلي وأي نشاط آخر في القطاع الشمالي للبحر الأحمر . إلا أن المهام الجسام التي كان متوقعا أن تسند إلى قواتنا الجوية ، وقوات الدفاع الجوي قد لا تسمح بتدبير حماية لوحداتنا - خصوصا في المراحل الأولى للحرب - دفعتنا إلى تخفيف كثافة عمليات الوحدات البحرية في القطاع الشمالي لمسرح البحر الأحمر ، واستعاضتها بتكثيف حقول الألغام في مياه المدخل الجنوبي لخليج السويس لإعاقة نشاط إسرائيل البحري ، وخاصة نقل بترول سيناء عبر الخليج إلى ميناء « إيلات »

أما العامل الرئيسي الذي تحكم في التخطيط لعملياتنا البحرية على المستويين التعبوي والتكتيكي

فكان الافتقار « لعنصر الجو » . فالعمليات البحرية لاغنى لها عن المساندة الجوية سواء كان ذلك على شكل طلعات استطلاع لأوضاع وتحركات وحدات العدو البحرية أو في شكل اشتراك مباشر في القتال البحرى أو حماية الوحدات والقواعد البحرية ضد هجمات العدو الجوية . لقد كان على القوات الجوية المصرية التزامات تكاد تستنفذ كل جهودها : » الضربة الجوية الأولى المركزة ، والتي قدر لنجاحها استخدام نحو ۲۰۰ طائرة ، ومطاردة طائرات العدو التي تحاول التدخل في عمليات مرحلة الاقتحام الحرجة ، والمعاونة في التمهيد النيراني والدعم المباشر لمعارك الدبابات ، والتصدي للطائرات الإسرائيلية التي قد تحاول الضرب على عمق الأراضي المصرية أما قوات الدفاع الجوى فقد تركزت في « حائط الصواريخ » المضادة للطائرات التي أقيمت على الضفة الغربية لقناة السويس ، وعهد اليها بأصعب وأعقد المهام ألا وهي حماية خط المواجهة « ٢٥٠ كيلو متراً طولا وبعمق ٥٠ كيلو متر » هذا فضلاً عن مهامها المألوفة في الدفاع عن الأهداف الحيوية داخل أرض الوطن،بل وحماية مواقع مرابض الصواريخ ذاتها ضد القصف الجوى .

وأمام كل هذا ، لم يكن لنا خيار الا أن نقبل النذر الضئيل من المجهود الجوى الذي أمكن - بصعوبة - تدبيره لمعاونة عملياتنا البحرية في مواجهة قوات إسرائيل الجوية التي تجيد الأعمال القتالية فوق البحر ، ولم يكن افتقارنا لقدر كاف من المعاونة الجوية بالأمر الهين نظراً لما ينجم عن « العرى الجوي » من زيادة نسبة خسائرنا في الوحدات والمعدات والأفراد يقابلها خفض نسبة خسائر العدو ، هذا فضلاً عما يترتب على ذلك من آثار تحط من نفسية ومعنويات القوات .

وإذا كنا قد تفادينا جانباً من آثار هذا « العرى » بالتعديلات التي أدخلناها على أسلوب العمل البحرى في أشكاله الثلاثة السابق عرضها : الإبرار البحرى ، والمعاونة بالنيران والتعرض لخطوط المواصلات ، فإن الأمر لم يكن بمثل هذه السهولة بالنسبة للأشكال الأخرى للعمليات البحرية ، وفي مقدمتها المعارك التصادمية مع العدو الإسرائيلى الذي أعد نفسه وأتقن أساليب القتال البحرى الجوى المشترك ،لذلك رأينا أن نستعوض بعضا من هذا النقص عن طريق إضافة مزيد من المدافع المضادة للطائرات إلى تسليح وحداتنا البحرية ، واستغلال فترات الظلام لأقصى مدى - لستر عملياتنا والتخفيف بقدر الإمكان من خطر الهجوم الإسرائيلي مع استبعاد الوحدات الكبيرة - مثل المدمرات - من العمل في المناطق التي تقع تحت التهديد الجوى المباشر ، واحلال الوحدات الخفيفة الصاروخية محلها .

ويمكن القول بأن خسائرنا - نتيجة لهذه التدابير - قد انخفضت بنسبة كبيرة عما كان مفروضا أن تتكبده لو أننا لم نعالج هذا النقص .

وجهة نظر القوات البحرية في اختيار توقيت العملية الهجومية :

٩- هناك عدة عوامل طبيعية تؤثر بشكل ملحوظ على العمليات البحرية بوجه عام ، وفي مقدمتها الأحوال الجو مائية ولاسيما حالة البحر التي تلعب دورا كبيرا في كفاءة أداء الوحدات البحرية من حيث المناورة ، والسرعة ، واستخدام الأسلحة ، الامر الذي يستوجب دقة بحث ودراسة النمط الذي سارت عليه مثل هذه الظواهر في السنوات الماضية ، والتنبؤ العلمي لما ستكون علية في الفترة من سبتمبر إلى ديسمبر عام ۱۹۷۳ ، لاختيار الشهر الذي تقل فيه النوات البحرية ، والعواصف الرملية والتقلبات الجو بحرية ، والتنبؤ بما ستكون علية في مسرح البحر الأحمر كانت اشق بكثير من قرينتها في البحر المتوسط ،نظرا لأن المسرح الأول امتد ليغطي طول البحر الأحمر الذي يضم ثلاثة نطاقات هيدروجرافية وجو مائية متباينة لكل منها خصائص ، وأنماطا تختلف عن الآخرين كان علينا أن ندرس

كلا منها على حدة ، ثم التنسيق بين نتائج دراسة هذا المسرح ، ونتائج دراسة مسرح البحر المتوسط ، للخروج بتوقيتات متجانسة .

١٠- ومن ناحية أخرى هناك عوامل تنبع من واقع إمكاناتنا القتالية ، وإمكانات إسرائيل والتي كان تفوق الإسرائيليين الجوي فوق البحر أهمها وأكثرها خطراً ، خصوصا أن وحداتنا البحرية لم تتوافر لها وسائل الدفاع الجوى بالقدر الذي يسمح لها بإحباط التفوق الإسرائيلى وعلى ذلك فإن فترات الظلام تلائم عمليات وحداتنا ، هذا فضلا عما يتيحه الظلام من فرص مواتية ، للحفاظ على سرية تحركاتنا ، وبالتالي مفاجأة الخصم ، بل أنه كلما طالت فترة الإظلام كلما ازداد العمق الذي يمكن دفع قواتنا اليه بما يكفل تنفيذ مهامها والعودة قبل أول ضوء اليوم التالي . بناء على ذلك ، قامت الأجهزة البحرية المختصة بدراسة الظواهر الطبيعية المؤثرة خلال السنوات السابقة ، للخروج بالشكل المنتظر لحالة الطقس والبحر في المسرحين المتوسط والأحمر في الثلث الأخير من عام ١٩٧٣ ، وقد قدمت هذه الأجهزة رسما بيانيا - غاية في الدقة - لحركة العوامل التالية :

أ - **حالات البحر** (القوة ، ارتفاع الأمواج ، سرعة واتجاه التيارات البحرية ، والرياح.. الخ) وقد أخذت دراسة منحنى حركة المد والجزر وما نجم عنها من تغيير في منسوب سطح البحر بعناية كبيرة نظرا لتحكمها في توقيت واسلوب اقتحام قناة السويس ، وفي توقيت تنفيذ عمليات الإبرار البحرى

ب - **ساعات الليل** من آخر ضوء (الشفق) إلى أول ضوء اليوم التالي .

ج - **فترة الإضاءة القمرية** ، وأوجه القمر وموعدا شروقه وغروبه .

د - **الضباب الصباحي** ، وتوقيتات أشد الكثافة والانقشاع .

١١- وأسفرت محصلة المنحنيات البيانية عن أن أي يوم من الأيام الواقعة في الفترة بين الأسبوع الأخير من شهر أكتوبر والأسبوع الأول من شهر نوفمبر ، يعتبر صالحا لاختياره يوم (ى) نظرا لأن تلك الفترة تتمتع بأكبر قدر من الاستقرار المناخي وتتجمع فيها أفضل الأحوال الجو مائية والظروف الهيدروجرافية والفلكية المناسبة لعملياتنا في مسرحي البحر الأحمر والبحر المتوسط .

أما بالنسبة لاختيار ساعة الصفر - لحظة بدء الهجوم - من وجهة النظر البحرية فقد كان الوضع الأمثل يقتضي توافر فترة اظلام تتراوح بين ١٠-١٢ ساعة ليتاح الوقت لوحداتنا لاتخاذ مواقع عملياتها وتنفيذ مهامها والعودة إلى نطاق الدفاع الجوى عن الجمهورية بين آخر ضوء يوم بدء الهجوم وأول ضوء اليوم التالي . وقد توفرت هذه المتطلبات ايضا في ليالي أيام الفترة السابق تفضيلها ، حيث تراوحت مواعيد انتهاء آخر ضوء بين الساعة ١٨.٥ إلى ٣٥.٤ صباحا .

١٢- ولكن الأمر لم يكن يخص أو يعني القوات البحرية وحدها ، فهناك قواتنا الجوية والبرية وقوات سوريا التي يجب ان تدخل في الحساب الختامي انسب توقيت لبدء العملية الهجومية ، وقد أمكن التوفيق بين متطلبات العمليات البحرية ، وعمليات سائر القوات والجبهات وفي مقدمتها متطلبات مرحلة اقتحام قناة السويس ، وإقامة الجسور والكباري عبرها واقتحام خط بارليف بالمواجهة . هذا فضلاً عن بعض العوامل السياسية وتوقيتات الأعياد الإسرائيلية والتي تضافرت جميعها - في النهاية - على تحديد توقيت بدء العمليات الهجومية ، ليكون الساعة الثانية من بعد ظهر يوم السبت السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ الموافق العاشر من رمضان عام ١٣٩٣ هجرية .

الخطوط الرئيسية لفكرة العمليات الهجومية :

١٣- شهد مبنى قيادة القوات البحرية بالإسكندرية في الفترة بين شهري مايو وسبتمبر ٧٣ ، عدة

اجتماعات مصيرية مع ضباط هيئة الأركان والفنيين الأخصائيين استهدفت إضافة لمسات للحظة الأصلية لتساير أي تغيير في الموقف أو لإدخال تعديل على أحد الاتجاهات أو على أحد الأسلحة - كالألغام ، والطوربيدات مثلا - وقد قام قائد القوات البحرية أثناء هذه الفترة بزيارات متكررة إلى مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة بالقاهرة لتبادل الرأي في موقف ما ، أو لاستعراض فكرة . كما انتقل القائد العام للقوات المسلحة ، المشير/ أحمد اسماعيل - رحمه الله - إلى الإسكندرية مراراً ليلتقي بالضباط ، والجنود وفحص دقائق التخطيط والتعرف على الطبيعة على خصائص الوحدات البحرية ، وأطوار تجهيزها الأخيرة . ولم يكن الاتصال قاصرا على كبار قادة القوات ، بل اتخذت الاتصالات الأدنى أسلوب الإعداد المشترك بين الأجهزة المتجانسة ، وفي التخصصات المتوافقة .

١٤- وفي النهاية تبلورت فكرة العملية البحرية في خطوط عريضة ، نوجزها فيما يلي :

أ - الحرص الشديد على التمسك بعنصر المفاجأة للعملية الهجومية الرئيسية العامة ولاسيما بالنسبة للجيوش الميدانية والقوات الجوية ، حتى ولو كان ذلك على حساب جانب من المبادأة البحرية .

ب - العمل على أوسع مواجهة ممكنة في مسرحي البحر المتوسط والبحر الأحمر لتشتيت جهود العدو مستفيدين في ذلك بالعمق العربي الإستراتيجي .

ج - العمل بأقصى جهد ، وبتركيز شديد عند بدء العمليات وتكبيد إسرائيل أقصى قدر من الخسارة

د - تركيز الجهود الرئيسية على المستوى التكتيكي ، في معاونة ودعم العمليات الهجومية للجيوش الميدانية على الجبهة المصرية .

هـ - الإغارة بالنيران بحراً على قواعد وموانى ومراسي العدو بالبحرين المتوسط والأحمر ، وبعناصر من الصاعقة البحرية .

و - إحباط أي محاولة قد يقوم بها الإسرائيليون لإبرار قواتهم على أي جزء من سواحل مسرحي البحر المتوسط والبحر الأحمر ، أو التدخل بأى شكل آخر في عمليات قواتنا البرية من جهة البحر .

ز - الاستعداد للقيام بعمليات إبرار محدودة بعناصر من قوات الصاعقة وقوات الجيش شرقي نقط العدو القوية : شرقي بورفؤاد ، وعلى الساحل الشرقي لخليج السويس بالإضافة إلى المعاونة بالنيران لتسهيل مهمة الاستيلاء على النقطة القوية شرقي بورفؤاد .

ح - تشديد قبضة الحراسة بفرض سيطرتنا على حركة النقل البحرى والتجاري بمياه « باب المندب » والتوسع في استخدام الأسلحة والوحدات المناسبة في إعاقة حركة الملاحة الإسرائيلية بخليج السويس وعلى مشارف الموانى الإسرائيلية ، والمداخل الملاحية بغربي البحر المتوسط .

ط - نخلص من ذلك إلى أن الهدف التعبوي للعملية البحرية في إطار الإستراتيجية الشاملة للعملية الهجومية كان إنجاح عملية اقتحام قواتنا لقناة السويس وخط بارليف ، وتأمين نطاقات الجيوش من ناحية البحر ، على حين كان الهدف الإستراتيجى للعملية البحرية هو الضغط على الاقتصاد الإسرائيلى .

كيف تخدع إسرائيل ؟

١٥- كانت المبادأة والمفاجأة دائما بيد إسرائيل ، وكان لها كل الحرية في اتخاذ ما تشاء من تدابير خداعية على الصعيدين السياسي والعسكري قبل أن تشن عدوانها ، إلا أن الأمر يختلف - لأول مرة - في حرب أكتوبر لأننا قررنا - لأول مرة أيضاً - أن نملك زمام المبادأة ، بالإضافة إلى ما دمته القيادة السياسية المصرية من صنوف الخداع الدبلوماسي ، والمبادرات السياسية . وسنعرض بصفة

عامة لبعض جوانب خطة الخداع التعبوي التي وضعتها قيادة القوات البحرية في إطار خطة الخداع الاستراتيجية الشاملة للقوات المسلحة .
أ- استهدفنا أولا إيهام إسرائيل بأن قواتنا لم تفرغ بعد من استكمال استعداداتها الدفاعية ، وأن استكمالها ما زال بحاجة إلى فترة زمنية طويلة ، بمعنى أن تبدو حالة القوات وكأنها غير قادرة على الاضطلاع بعمليات هجومية ذات شأن. وفي هذا المجال وضعنا خطة لخداع إسرائيل ذات شقين رئيسيين :
(١) إبعاد انتباهها عن التجمع الرئيسي لقواتنا واتجاهاته الرئيسية قبل العمليات وأثناءها .
(٢) وإخفاء الهدف المباشر للعملية الهجومية ، وحرمانها من استنتاج صحيح لتوقيت بدء الهجوم .
وكنا نود أن نعطي السادة حضور الندوة صورة مفصلة لهذه الخطة ، وما حققته من نجاح ، إلا أننا نرى أن الوقت لم يحن بعد لازاحة الستار عن الكثير من عناصر الخداع التي تضمنتها الخطة البحرية . ومع ذلك فسوف نوجز فيما يلي بعض التدابير الخداعية التي يمكن الافصاح عنها في الوقت الحاضر
ب - تنشيط الاتصال مع شركات أجنبية لطلب أسلحة ومعدات ، بل ووحدات أيضا ، يستغرق توريدها شهورا عدة .
ج - قبول الدعوة التي وجهتها الأدميرالية البريطانية لرئيس أركان القوات البحرية لزيارة معرض « جرينتش » بالمملكة المتحدة ، وبصحبته عدد من الضباط ، رغم اقتراب موعد هذه الزيارة من موعد بدء العمليات .
د - الاستفادة من الطلب الذي تقدمت به ليبيا باشتراك البحرية المصرية في الاحتفال العسكري الذي كان مزمعا اقامته في ميناء طبرق لارسال وحدات بحرية للغرب لأغراض الفتح التعبوي تحت ستار مشاركتها في الاحتفال .
هـ - استغلال الترتيبات العلنية المتعلقة باصلاح الغواصات بباكستان ، لكي تتخذ الغواصات مواقعها في مسرح البحر الأحمر في سرية ، والإيحاء بأن شدة حاجتها للإصلاح تجعلها غير صالحة للعمليات ، والتي أبرزناها بتكثيف اتصالنا - عن عمد - بالسلطات الباكستانية لسرعة نقل التجهيزات الخاصة بأحواض إصلاح الغواصات إلى ميناء كراشي .
و - استغلال المناورة التعبوية السنوية للقوات البحرية في رفع درجات استعداد القوات ، وتحميل الألغام ، واتخاذ الوحدات مواقع عملياتها تحت ستار التجهيز التمهيدي للمناورة ، ثم تنفيذ الفتح الفعلي على أنه تحركات داخل إطار المناورة ، وفي حدودها .

تنظيم القوات ، وتوزيع الأدوار :
١٦- تعيش القوات البحرية حياتها اليومية - في زمن السلم - من خلال تنظيم « نوعي » للوحدات البحرية عل هيئة « ألوية » ينضم تحتها نوع واحد من أسلحة الحرب البحرية مثل : المدمرات ، الغواصات ، زوارق الصواريخ غير الموجهة ، زوارق الصواريخ ، السفن المساعدة ... لكل لواء قائده ومن وحدات لهذه الألوية تشكل - عند الاستعداد للحرب - « مجموعات قتال » يراعى عند تشكيلها أن تكون متكاملة القوة ، متوازنة العناصر حسب المهام التي ستكلف بها كل مجموعة ، وبما يتناسب مع طبيعة منطقة عملياتها ، وبعدها عن قاعدة ارتكازها ... وهو ما نسميه « التنظيم القتالي » للقوات .

١٧- ومن ناحية أخرى ، يقوم تدريب القوات على أساس التنظيمين :
أ - تدريب عام متجانس لكل لواء طبقا لخصائص وحداته ووظائفها الأساسية .
ب- تدريب خاص طبقا للمهام القتالية لأشكال العمليات المختلفة والذي يتم بالمجموعات القتالية .
هذا فضلا عن التدريب المشترك طبقا لمهام خاصة تشترك فيه عناصر من الجيش ، أو من قوات الصاعقة ، أو حتى من المظليين .
وبانتهاء التدريبات أو المناورات تعود الوحدات والقوات إلى أوضاعها الأصلية في « التنظيم النوعي » إلى أن يحل موعد التدريبات والمناورات التالية وهكذا ، أو عندما يأزف وقت الدخول في العمليات ، فتنتقل القوات المقاتلة في سهولة - وفي أقل وقت - إلى تنظيم « المجموعات القتالية » .
١٨- وعلى هذا أخذت القوات البحرية تنتقل - تباعا - وبتكتم شديد - إلى تنظيم الحرب بتنظيم الوحدات البحرية في مجموعات قتال نوجزها فيما يلي :
أ - أربع مجموعات ضاربة للعمل بمسرح البحر المتوسط .
ب - مجموعتان ضاربتان للعمل بمسرح البحر الأحمر .
ج - مجموعة قتال مستقلة للعمل بمنطقة باب المندب .
د - ثلاث مجموعات قتال مستقلة تضم عددا من الغواصات للعمل بمسرحي البحر المتوسط والبحر الأحمر .
هـ - مجموعتا قتال مستقلتان تضمان عناصر من قوات الصاعقة للعمل بمسرحي البحر المتوسط والبحر الأحمر .
و - احتياطي تعبوي خفيف الحركة في كل من المسرحين .
١٩- ونظرا لأن « التنظيم النوعي » للقوات البحرية الرئيسية ، وقواتها العضوية وكذلك قوات الصواريخ ، والمدفعية الساحلية لا تختلف كثيراً عن « تنظيم الحرب » فقد أبقينا على تنظيماتها مع دعم دفاعاتها لمواجهة احتمالات تعرضها للقصف بالصواريخ الإسرائيلية.
وبدأت « مجموعات القتال » و « المجموعات الضاربة » تتخذ مواقع عملياتها في مسرحي الحرب - وهو ما يعرف باسم « الفتح التعبوي » - على مراحل ، وعلى فترات متباعدة حتى لا نلفت الأنظار ، أو نثير انتباه أجهزة المخابرات والاستطلاع التي تعمل لصالح إسرائيل .
ولم تواجهنا صعاب تذكر في « فتح القنوات » بمسرح البحر المتوسط نظراً لأن قواعد ومراسي هذا المسرح كانت مجهزة مسبقاً ، على عكس قواعد ومراسي البحر الأحمر التي زاد عددها كثيرا لتغطي متطلبات عمليات التعرض لخطوط مواصلات إسرائيل البحرية التي تمتد بطول هذا البحر ، هذا فضلاً عن تعزيز تجهيزات القواعد البحرية، والمراسي الصديقة المحيطة « بباب المندب » ، لخدمة الوحدات البحرية المصرية العاملة بالمنطقة . ومع كل ما صادفناه من مشكلات إدارية ، وصعاب فنية في تجهيز مسرح البحر الأحمر ، إلا أننا نجحنا - بفضل التعاون البناء بين أجهزة القوات البحرية ، وأجهزة سائر أفرع القوات المسلحة ، وسلطات الدول الصديقة المعنية - في الانتهاء من تلك التجهيزات في الوقت المناسب ، لاستقبال وحداتنا البحرية طبقا لتوقيتات خطة « الفتح التعبوي » وبالقدر المطلوب من السرية والتمويه .
وتحت ستار مشروع تدريب استراتيجي تعبوي مشترك ، والمناورة البحرية السنوية ، رفعت درجة استعداد القوات المسلحة المصرية إلى الحالة الكاملة في تمام الساعة الثامنة من صباح يوم أول أكتوبر

عام ١٩٧٣ ، وتم احتلال جميع مراكز القيادة والسيطرة على مختلف المستويات .
وبدأت آلة الحرب الضخمة تدور بسرعة عجيبة مع دوران عقارب الساعة ، وانتهت قيادة القوات البحرية - خلال الأيام القليلة السابقة - من « تلقين » قادة القواعد والتشكيلات وكبار ضباط الأركان بالمهام التي سيضطلعون بها ، وأسلوب القيادة والسيطرة .
وقد حددت تعليمات القيادة العامة للقوات المسلحة الساعة السادسة من صباح الخامس من أكتوبر ١٩٧٣ موعدا لتمام استعداد القوات المسلحة المصرية للعمل في جميع المسارح ، والجبهات .
وفي خلال المدة بين التوقيتين ، ٩٤ ساعة قامت القوات البحرية بأكثر من ١٥٠ تحركا وطلعة في اتجاهات مختلفة ، بعضها فعلي لأغراض العمليات ، والبعض الآخر تمويهي لأغراض الخداع . وإمعاناً في التضليل توجه قائد القوات البحرية كعادته إلى نادي اليخت المصري بالإسكندرية أيام الثلاثاء ، والأربعاء ، والخميس (٤،٣،٢ أكتوبر) للاشتراك في مسابقات القوارب الشراعية ، والتي يشترك فيها أيضاً مجموعة كبيرة من الضباط البحريين والضيوف الأجانب ، فبدت الأمور طبيعية . كما اتفق قائد البحرية مع بعض أعضاء مجلس إدارة النادي - بوصفه رئيس المجلس - على الاجتماع بهم بعد ظهر يوم السبت ٦أكتوبر للنظر في بعض الأمور ، واشترط أن يكون اجتماعه بهم عقب انتهائه من سباق ذلك اليوم ... ومن الطبيعي أنه لم يكن هناك ما يدعو لعقد هذا الاجتماع عندما استمع العالم في الساعة الثانية والربع من اليوم الموعود للبيان العسكري « رقم ١ » يعلن إطلاق « شرارة أكتوبر »

السادس من أكتوبر ٧٣ يوم ي :

ساعة الصفر باقي من الزمن ستون دقيقة

٢٠- المشهد جد رهيب : الغواصات المصرية تتسلل بهدوء إلى مناطق عملياتها للتعرض لخطوط المواصلات الإسرائيلية بالبحر المتوسط ، وإلى مناطق عملياتها في وسط وجنوب البحر الأحمر ، المدمرات تنطلق بسرعة إلى مواقعها داخل وخارج مضيق باب المندب في أقصى جنوب البحر الأحمر ، وحدات التلغيم تناور وتخادع في مياه خليج السويس لبث حمولتها بمياه المدخل الجنوبي للخليج ، قوات الصاعقة تنقل في صمت قواربها وأسلحتها عند بورسعيد ، وفي مراسي الساحل الغربي لخليج السويس ، والمركبات والزوارق في حركة دائمة تحمل الصواريخ والألغام إلى مواقع سرية على ضفاف المسرحين ، ناقلات البترول بحركاتها الرتيبة المألوفة تقترب من مناطق عمليات مجموعة « باب المندب » لإمداد وحداتها بحاجتها من الوقود ... ثم صمت وترقب ، وعيون تبرق داخل مراكز القيادة بعد أن رفعت خرائط المناورات التعبوية ، وحلت محلها خرائط العمليات البحرية الفعلية .
ولابد أن تكون إسرائيل قد استشعرت شيئا نتيجة لحدثين كادا يكشفان نوايا هجومنا الوشيك لو أنهما لقيا ما يستحقانه من دراسة وتدقيق من أجهزة المخابرات الإسرائيلية.
ففي يوم الجمعة الخامس من أكتوبر ... اليوم السابق على الحرب ، وقع حدثان :
أولهما : كان هبوط طائرات سوفيتية بمصر وسوريا لإخلاء الرعايا السوفييت من البلدين على وجه السرعة .
أما الحدث الثاني : فكان قرار وزارة الطيران المدني المصرية بإيقاف حركة الطيران المدني في سماء مصر اعتباراً من ظهر ذلك اليوم ، وهو قرار أذيع على جميع مطارات وشركات طيران العالم ، إلا أن القيادة العامة سارعت إلى تدارك الموقف باصدار الأمر بإلغاء هذا القرار وإعلان استئناف حركة الطيران المدني بشكلها الطبيعي المعتاد ، والاعتذار بأن الإيقاف كان لأسباب فنية أمكن تلافيها .

٢١- ورغم أن الحدث الأول تم سرا ، والثاني علنا ، إلا أننا نعود للقول بأن إسرائيل لابد وأنها استشعرت شيئا ، لأن الوزارة الإسرائيلية عقدت اجتماعا صباح يوم السبت ٦ أكتوبر - الحاقا للاجتماع الذي عقدته في اليوم السابق - وانتهى ظهرا ، إلى أنه لا خطر لحرب ولا احتمال لهجوم عربي وشيك ، وإلى تكليف السيدة / جولدا مائير رئيسة الوزارة بإجراء اتصالات سياسية لتخفيف حدة التوتر ، فطلبت « مائير » من وزير خارجيتها « ابا ايبان » - الذي كان متواجدا بالولايات المتحدة وقتئذ - الاتصال بوزير الخارجية الأمريكي بدعوى طمأنة العرب ، بألا يخشوا هجوماً إسرائيلياً ، لأن إسرائيل لا تعتزم القيام بأي هجوم ، والطريف أن المحادثة التليفونية بين « ايبان » و « كيسنجر » تمت في حوالي الساعة السادسة من صباح يوم السبت ٦ أكتوبر بتوقيت واشنطن أي الواحدة بعد الظهر بتوقيت القاهرة ... قبل أقل من ٦٠ دقيقة من بدء الهجوم العربي .

وبالتصاريف القدر ، أين نحن من يونيو ٦٧ ؟ تريد إسرائيل أن تمارس هوايتها في التضليل والخداع ، ولكن هيهات فالضربة العربية الشاملة كانت أقرب كثيراً مما حدثت ، فقد توقعت « جولدا مائير » عقب اجتماع مجلس الوزراء - ومن تحذير الجنرال « اليعازر » في ذلك اليوم - أن القوات المصرية ستشن هجوما عقب غروب شمس يوم السادس من أكتوبر فأرادت أن تكسب الوقت ، أو على الأصح تسابقه بأن تعد نفسها لتوجيه ضربة إجهاض ضد القوات المصرية إلى أن تنتهي من التعبئة العامة والتي بدأت إجراءاتها بالفعل في نفس اليوم بعد أن رفعت درجة استعداد القوات الإسرائيلية إلى أقصى حالاتها .

ولكن الوقت - لأول مرة - كان قد فات ، وانحصر التخطيط الإسرائيلي - لأول مرة أيضا - أمام روعة التخطيط العربي ، ليجد شعب إسرائيل نفسه وجها لوجه أمام المارد المصري يطل عليه بشموخ من فوق حطام « بارليف » و « الله أكبر » تدوي أصداؤها في سماء سيناء الحبيبة . وفي الساعة الثانية تماما من بعد ظهر السادس من أكتوبر ٧٣ بتوقيت القاهرة بدأ العد التنازلي إلى ساعة الصفر ، وما كادت عقارب الساعة تشير إلى خمس دقائق بعد الثانية حتى انطلقت شرارة أكتوبر .

٢٢- وفي تمام الساعة الثانية وخمس دقائق بعد ظهر السادس من أكتوبر عبرت ٢٥٠ طائرة مصرية خطوط العدو الإسرائيلي شرق قناة السويس لتبدأ ضربتها المفاجئة لقوات العدو الجوية في سيناء ... وفي نفس الوقت انطلقت فوهات أكثر من ألفي مدفع من الضفة الغربية للقناة تصب حممها على العدو الإسرائيلي على طول الجبهة ، وبعدها بخمس دقائق دخلت زوارق الصواريخ والمدفعية الساحلية المصرية معركة التمهيد النيراني ضد العدو شرق بورفؤاد ، وتجاه منطقة رأس مسلة / عيون موسى عبر خليج السويس ... وتفجرت الأرض والسماء والمياه بنيران الجحيم ، واندفعت الموجات الأولى لجيوشنا تقتحم المستحيلين : قناة السويس وخط بارليف . ولم تكد تمضي ثلاثون دقيقة على بدء الهجوم ، حتى كانت أعلام مصر ترفرف فوق سيناء ، وصيحات « الله أكبر » تنطلق من أعماق قلب المقاتل المصري ، لتطغى على أصداء هدير المدافع وأزيز الطائرات وقعقعة الصواريخ .

وفي الساعة الثالثة والنصف ، أعلنت مصر في بيان عالمي أصدرته وزارة الخارجية المصرية عن مناطق العمليات الحربية في مسرحي البحر المتوسط والبحر الأحمر ، وهي المياه التي يحدها خط العرض ٣٣ درجة شمالا ، وخط طول ٢٩.٥ درجة شرقا في المسرح الأول ، والمياه الواقعة شمالي خط العرض ٣٣ درجة شمالا بالمسرح الثاني . وأصدرت أيضاً حكومة اليمن الجنوبية إعلانا مشابها يشمل مياه منطقة باب المندب ، وأصبحت العمليات البحرية المصرية ضد إسرائيل تغطي أكثر من نصف مليون كيلو متر مربع من مياه البحرين المتوسط والأحمر .

٢٣- وتجدر الإشارة هنا إلى أن غالبية مياه هذا المسطح الكبير تعتبر صالحة لجميع أشكال العمليات الحربية ، فيما عدا أجزاء مضايق خليجي السويس والعقبة ، ومياه أقصى جنوب البحر الأحمر التي يمكن الاستفادة بعوائقها الطبيعية في ممارسة أشكال خاصة من العمليات مثل : الألغام ، وانقضاضات زوارق الصواريخ ، وقصفات المدفعية والصواريخ الساحلية .
هذا وقد مرت العمليات البحرية - فيما عدا عمليات الحصار عند باب المندب والقطاع الجنوبي للبحر الأحمر - بنفس المراحل التي مرت بها سائر العمليات الحربية ، والتي يمكن تقسيمها بشكل عام على النحو التالي :
أ - الاقتحام ، واحتلال رؤوس الكباري في المدة من ٦ - ١٣ أكتوبر .
ب - تطوير الهجوم والضربات المضادة في المدة من ١٤ - ١٦ أكتوبر .
ج - تطوير أعمال القتال غربي القناة في المدة من ١٧ - ٢٦ أكتوبر .
د - إيقاف النار حتى فصل القوات .
إن هذا التقسيم ليس معناه وجود فواصل أو وقفات بين كل مرحلة والتالية لها ، بل هو يعني أنه حدث أثناء انسياب العمليات مما أدى إلى تحول استراتيجي أو تعبوي بارز في مسار الحرب ككل .

مهام القوات البحرية وكيف تم تنفيذها أثناء حرب أكتوبر ٧٣

التعرض لخطوط مواصلات إسرائيل البحرية في البحرين المتوسط والأحمر :

٢٤- من المعروف أن الأسطول التجاري الإسرائيلي يعتبر إحدى الركائز والدعائم الأساسية للاقتصاد الإسرائيلي ، على أساس أن البحر هو المنفذ التجاري الوحيد لها على العالم الخارجي ، حيث يحيط بها من ناحية البر نطاق كامل من الدول العربية . لذلك قامت قواتنا البحرية بتنفيذ مخطط التعرض لخطوط مواصلات إسرائيل البحرية في البحرين المتوسط والأحمر بكفاءة تامة لإنزال أكبر خسائر ممكنة في أسطولها التجاري بهدف خلخلة نظام الإمداد والنقل البحري لحرمانها وقواتها المسلحة من الحصول على الإمدادات والمواد الاستراتيجية وعلى رأسها البترول ، وبالتالي التأثير على موقفها العسكري والاقتصادي .

٢٥- تمكنت قواتنا البحرية باستخدام سلاحي « المدمرات » و « الغواصات » علاوة على سلاح الألغام البحرية من تنفيذ هذه المهمة بنجاح للمرة الأولى ، وبفاعلية تامة وعلى أعماق بعيدة ، محققة آثارا عسكرية واقتصادية ومعنوية على إسرائيل وقواتها المسلحة ، خاصة في مجال الامداد بالبترول عبر باب المندب وخليج السويس ، مما ترتب عليه تعطيل حركة الملاحة البحرية من وإلى ميناء « إيلات » بالكامل ، وتوقف عمليات نقل البترول الخام من خليج السويس والذي كان يسد معظم احتياجات إسرائيل .

٢٦- في مدخل خليج السويس أغرقت قواتنا البحرية بسلاح الألغام ناقلتين للبترول تمتلكهما إسرائيل ، حمولة إحداهما ٤٦ ألف طن، مما أدى إلى غلق خليج السويس أمام الملاحة الإسرائيلية تماماً ، وبعدها لم تدخل أو تخرج أية سفينة من ميناء « إيلات » حتى توقيع اتفاقية فصل القوات .
وكانت إسرائيل تمتلك في ذلك الوقت ٢٤ ناقلة بترول كانت تشترك في نقل (١٨) مليون برميل من إيران إلى ميناء (إيلات) . وبعد إطلاق الغواصة المصرية وسط البحر الأحمر طوربيداتها على ناقلة بترول إسرائيلية توقفت الملاحة تماماً إلى ميناء إيلات .

٢٧- وفي البحر المتوسط انخفضت حركة الملاحة من وإلى مواني إسرائيل بشكل حاد مما أثر على احتياجاتها الملحة لأستعواض خسائرها من الطائرات والدبابات والأسلحة والذخائر عن طريق البحر .
وتبين الإحصائيات أنه نتيجة لاستخدام قواتنا الضاربة الرئيسية من الغواصات والمدمرات في البحر

المتوسط في مهمة التعرض لخطوط مواصلات إسرائيل البحرية انخفض معدل دخول السفن التجارية إلى موانيها الواقعة على هذا البحر من مائتي سفينة شهرياً إلى (٢٣) سفينة فقط في خلال الفترة ما بين يوم ٦ أكتوبر إلى يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٧٣ أي بواقع (١٢٪) من حجم النقل البحري الطبيعي لإسرائيل .

تدمير وحدات إسرائيل البحرية على مشارف
القواعد البحرية ومدخل خليج السويس :

٢٨- قامت القوات البحرية المصرية بتنفيذ مهمة تدمير وحدات إسرائيل البحرية . استخدمت في ذلك مجموعات من زوارق الصواريخ على مشارف القواعد البحرية . كما استخدمت المدفعية والصواريخ الساحلية بالتعاون مع زوارق الصواريخ بمدخل خليج السويس .

لقد اتسمت عمليات تشكيلاتها البحرية من زوارق الصواريخ في تنفيذ هذه المهمة بالجسارة والضراوة وبقصص البطولة والفداء والتضحية بالرغم من الظروف الصعبة التي نفذت خلالها أعمالها القتالية .

الإغارة بالنيران على المواني والمراسي والأهداف الساحلية الإسرائيلية :

٢٩- الإغارة بالنيران على المواني والمراسي والأهداف الساحلية الحيوية لإسرائيل بتسديد الضربات ضدها بالصواريخ . ولقد قامت القوات البحرية المصرية بتنفيذ هذه المهمة بأسلوب متطور حقق خفة الحركة وسرعة المناورة مع توفير قوة نيران عالية ، حيث قامت بتوجيه قصفات نيرانية مركزة بالصواريخ غير الموجهة ضد أهداف وتجمعات إسرائيل الساحلية بشمال وجنوب سيناء والضفة الشرقية لخليج السويس . ونفذت قصفاتها في الأيام الأولى للعمليات على جبهة عريضة شملت رأس بيرون وشرق بورفؤاد ورمانة و رأس سدر وشرم الشيخ ورأس محمد .«هذا بالإضافة إلى الاشتراك في التمهيد النيرانى بمناطق » عيون موسى ورأس مسلة وشرق بورفؤاد ، وأحدثت خسائر في المعدات والأفراد وتعرضت لتدخل الوحدات البحرية والطيران الإسرائيلي أثناء عودتها بعد تنفيذها مهامها .

تأمين النطاق التعبوي لمسارح العمليات بالبحرين المتوسط والأحمر :

٣٠ - في مجال تأمين النطاق التعبوي لمسارح العمليات بالبحرين المتوسط والأحمر وتنظيم الدفاع عن قواعدنا البحرية ونقط التمركز ، فقد كان لكثافة الإجراءات التي تم تنفيذها بمناطق عمليات القواعد البحرية لتأمينها أثره الفعال في إحباط محاولات إسرائيل لاستخدام غواصاتها في مواجهة وحداتنا البحرية أو تنفيذ عمليات خاصة بالبحر المتوسط ، مما جعل العمل بميناء الإسكندرية وهو الميناء الرئيسي في الدولة يجرى بطريقة طبيعية ليلاً ونهاراً طوال فترة العمليات .

كما أن محاولات التسلل بالضفادع البشرية والكوماندوز البحرية التي قامت بها إسرائيل في بورسعيد والسويس والغردقة قوبلت بدفاعات يقظة من جانب قواتنا بالقواعد البحرية .

لم تستطع إسرائيل المساس بأمن وسلامة حرية الملاحة البحرية المصرية والصديقة من وإلى المواني البحرية المصرية خاصة « الإسكندرية » و « سفاجا » بل استمرت هذه المواني في العمل بحالة طبيعية وبنفس الطاقة إن لم يكن أكثر . فعلى سبيل المثال (كان عدد السفن التجارية التي دخلت وخرجت من ميناء الإسكندرية يوم ٣ أكتوبر ١٩٧٣ (١٠) سفن بينما بلغت (٢١) سفينة في يوم ١٧ أكتوبر١٩٧٣ .

وقد أدى تنفيذ البحرية المصرية لهذه المهمة على الوجه الأكمل إلى تأمين وصول الإمدادات المختلفة وعدم إتاحة الفرصة لقيام البحرية الإسرائيلية بأي عمليات ضد خطوط مواصلاتنا البحرية .

أعمال فدائية ناجحة :

٣١- أما عن أعمال قتال القوات الخاصة للبحرية المصرية ، فقد قامت بتنفيذ الأعمال البطولية التالية :

أ - عمليات الإغارة الناجحة المتكررة على دفاعات إسرائيل الساحلية في « رأس سدر » و« أبو دربة » و « رأس بيتان » بخليج السويس .

ب - الإغارة الناجحة على المنشآت البحرية الإسرائيلية وبث كمائن الألغام البحرية بخليج السويس لعرقلة إسرائيل في نقل البترول من مصادر إنتاجه .

ج - الإغارة على حقول البترول التي كانت إسرائيل تقوم باستغلالها ، وحفار البترول « بلاعيم » .

د- إغراق ناقلة بترول تعمل لصالح إسرائيل حمولتها حوالي (٢٠٠٠) طن تقريباً بميناء « الطور » .

إحباط محاولات إسرائيل للتدخل ضد قواتنا

البرية العاملة على المحاور الساحلية :

٣٢- كان للنشاط البحري المكثف لتأمين النطاق التعبوي للقوات البحرية في المسرحين (المتوسط والأحمر) أثره الفعال في إحباط جميع محاولات البحرية الإسرائيلية للتدخل ضد قواتنا البرية العاملة على المحاور الساحلية ، وبذلك فشلت إسرائيل في تحقيق نشاط ضد القوات البرية من ناحية البحر سواء بالنيران أو بالإبرار البحري على الأجناب أو خلف الخطوط .

القوة البحرية في ميزان أكتوبر ٧٣ :

٣٣- رغم وفرة ما نشر وأذيع عن حرب أكتوبر ٧٣ إلا أن الجانب البحري لم ينل القدر الذي يستحقه من الدراسة والتحليل ولعل مرجعه إلى أن الدور الذي لعبته القوات البحرية المصرية في حرب أكتوبر ٧٣ كان في المقام الأول دوراً إستراتيجياً أستهدف أساساً العمل على إنجاح « الأعمال القتالية للجيوش الميدانية أما الدور الرئيسي الثاني » الحصار الاقتصادي لإسرائيل فهو أيضاً من الأدوار الإستراتيجية التي تظهر ثمراتها على المدى الطويل وهو ما لم يتحه له تدخل العوامل السياسية والاقتصادية التي أدت إلى إنهاء الحصار قبل أن يبلغ غايته النهائية وبالتالي قل حجم المادة التي يبنى عليها التقييم .

ومع ذلك ورغم النقص الكبير فيما كتب وقيل عن الجانب البحري لحرب أكتوبر ٧٣ فيكفي دليلاً على فعالية العمليات البحرية المصرية صرخة « جولدا مائير » رئيسة وزراء إسرائيل في حمى انفعالها ، وانزعاجها - « أيها المصريون ، ارفعوا أيديكم عن باب المندب » .

وننتقل إلى تحليل دور القوات البحرية إلى حرب أكتوبر ٧٣ ونتائج خبرات العمليات البحرية في هذه الحرب :

٣٤- العمليات البحرية ونظرة مقارنة :

قد يكون ميزان حجم الخسائر التي نجمت عن عمليات حرب أكتوبر ٧٣ في صالح إسرائيل ولكن **ماذا كانت النتائج النهائية للحرب البحرية ؟**

يقول الأدميرال « بنيامين تيلم » قائد البحرية الإسرائيلية في الندوة الدولية التي عقدت بمدينة القدس في المدة ١٢ - ١٧ أكتوبر ١٩٧٥ رداً على أسئلة بعض الصحفيين :

« كانت المهمة الرئيسية للقوات البحرية الإسرائيلية هي حماية سو احلنا ... والمهمة الثانية كانت الحفاظ على أن تظل خطوط مواصلاتنا البحرية مفتوحة **« ليست كلياً ولكن جزئياً »**

سوف لا نناقش في هذا المجال مهام البحرية الإسرائيلية ، فهي مهام تقليدية معروفة لا خلاف على مفهومها رغم اختلاف أساليب تنفيذها بين الجانبين المتحاربين . إلا أن العبرة هي فيما تحرزه هذه المهام من نتائج تضاف في النهاية إلى حصيلة الحرب ككل . وانطلاقا من هذه القاعدة سنبدأ بتقييم أعمال الحصار البحري الذي فرضناه على إسرائيل في مقابل المهمة الثانية التي أسندت للبحرية الإسرائيلية وهي الحفاظ على أن تظل خطوط المواصلات البحرية مفتوحة - باعتبارهما من وجهة نظرنا يمثلان اتجاهين إستراتيجيين متضادين - فقد استخدمنا الألغام في الممرات الملاحية الضيقة بخليج السويس كنطاق حصر قريب لأن البحرية الإسرائيلية تعوزها وسائل الكشف عن الألغام وإزالتها ، فنجحنا في أن نوقف حركة نقل بترول سيناء المحتلة إلى ميناء إيلات رغم سيطرة القوات الإسرائيلية على مضايق خليج العقبة . استخدمنا الغواصات والمدمرات في البحرين المتوسط والأحمر بوضعهما في المناطق الحاكمة بغرض تصديع حركة النقل من وإلى موانى إسرائيل بعيداً عن إمكانيات تدخل القوات الإسرائيلية البحرية والجوية . فنجحنا في إيقاف حركة الملاحة في البحر الأحمر وإيقاف حركة خروج السفن التجارية من موانى البحر المتوسط التجارية وتعطيل وصول الشحنات إلى تلك الموانى طوال فترة الحصار ... أي أن إحرازنا الهدف الثاني من الحصار وهو تصديع حركة النقل البحري الإسرائيلي واستخدامنا سفن السطح كنطاق حصر بعيد عند مضيق باب المندب لتشديد قبضة الحصار بعيداً عن إمكانات التدخل الإسرائيلي البحري والجوى فنجحنا في إيقاف حركة النقل تماماً إلى ومن ميناء إيلات وفي مقدمتها نقل البترول الإيراني وبذلك نكون قد استثمرنا خصائص وحداتنا البحرية بطريقة متوازنة ومتكاملة للحصول على أكبر عائد من الحصار وأقل التكاليف .

٣٥ - ومن المؤكد أن البحرية الإسرائيلية نجحت في مهمتها الرئيسية - حماية السواحل الإسرائيلية - إذا اعتبرنا أن الساحل الإسرائيلي ، في أكتوبر ٧٣ ، كان ينتهي عند » غزه « على البحر المتوسط ، وعند » إيلات « على خليج العقبة بالبحر الأحمر... وهي مناطق لم تكن واردة في خطتنا البحرية إلا كأحد الاتجاهات الثانوية .

لقد كان الاتجاه الرئيسي لقواتنا البحرية : هو إنجاح عمليات جيوشنا الميدانية ، أي العمل ضد المحاور الساحلية المحيطة بشبه جزيرة سيناء . وقد حققنا أهدافنا باستخدام زوارق الصواريخ ، والمدفعية والقيام بعمليات أبرار محدودة ضد النقاط الحصينة ، ومراكز القيادة في شمال سيناء ، وشرقي بورفؤاد ، وبنفس الأسلوب حققنا أهدافنا في خليج السويس أي المحور الساحلي غربي وجنوبي سيناء .ويجدر الإشارة هنا إلى أن العمل العسكري المصري - ككل - كان بالقدر وفي الاتجاه الذي يحقق الهدف السياسي المراد بلوغه ، ولذلك لم يكن ضرب العمق الإسرائيلي أو إصابة مراكزه الآهلة بالسكان من الأعمال الواردة في خططنا إلا - كما أسلفنا كاتجاه ثانوي ، أو إذا ما أكرهتنا ردود الفعل الإسرائيلية على تنفيذها .

٣٦ - وعلى العكس حافظنا نحن على سلامة وأمن خطوط مواصلاتنا البحرية مع العالم الخارجي ، وفي نفس الوقت حرمنا إسرائيل من هذه الميزة ... وهما شقا الدور الأساسي ، والرئيسي الذي تلعبه القوة البحرية في زمن الحرب ، وقد ترى إسرائيل حرمان قواتنا من نقطة تمركزها بالأدبية ، وفي غاراتها على الغردقة نوعا من التهديد لحركة تجارتنا البحرية بالبحر الأحمر ، إلا أن الحقيقة المعروفة للجميع هي أن الحكومة المصرية - منذ عام ١٩٦٧ ، وحتى إعادة فتح قناة السويس في عام ١٩٧٥ - اتخذت التدابير التي تكفل الإقلال من الاعتماد على مينائي السويس والأدبية ، وحولت الحجم الأكبر من الحركة التجارية إلى موانى أخرى على البحر الأحمر .ونحن لا ننكر على الدبابات

الإسرائيلية نجاحها في تدمير نقطة تمركز قواتنا بالأدبية في ٢٤ أكتوبر ٧٣ ، ولكن هل كانت الأدبية هي هدف عملية » الغزالة الإسرائيلية أم هدفاً طارئاً « أريد به تغطية فشل العملية في تحقيق هدفها ؟

الخاتمة :

٣٧- إن الفكر الإستراتيجي التعبوي للقوات البحرية مأخوذ من الأهداف السياسية العسكرية للقوات المسلحة ككل .وأهم ما فيه أن تكون جهود القوات البحرية وتوقيتات عملها منسقة مع باقي أفرع القوات المسلحة و ان تحتفظ قيادة القوات البحرية بقوة ردع بحرية فعالة تحت تصرفها لخلق الأوضاع البحرية المناسبة للجهود الرئيسية للقوات المسلحة بالإضافة لتوفير قوة دفاعية فعالة لتأمين خطوط مواصلاتنا البحرية .

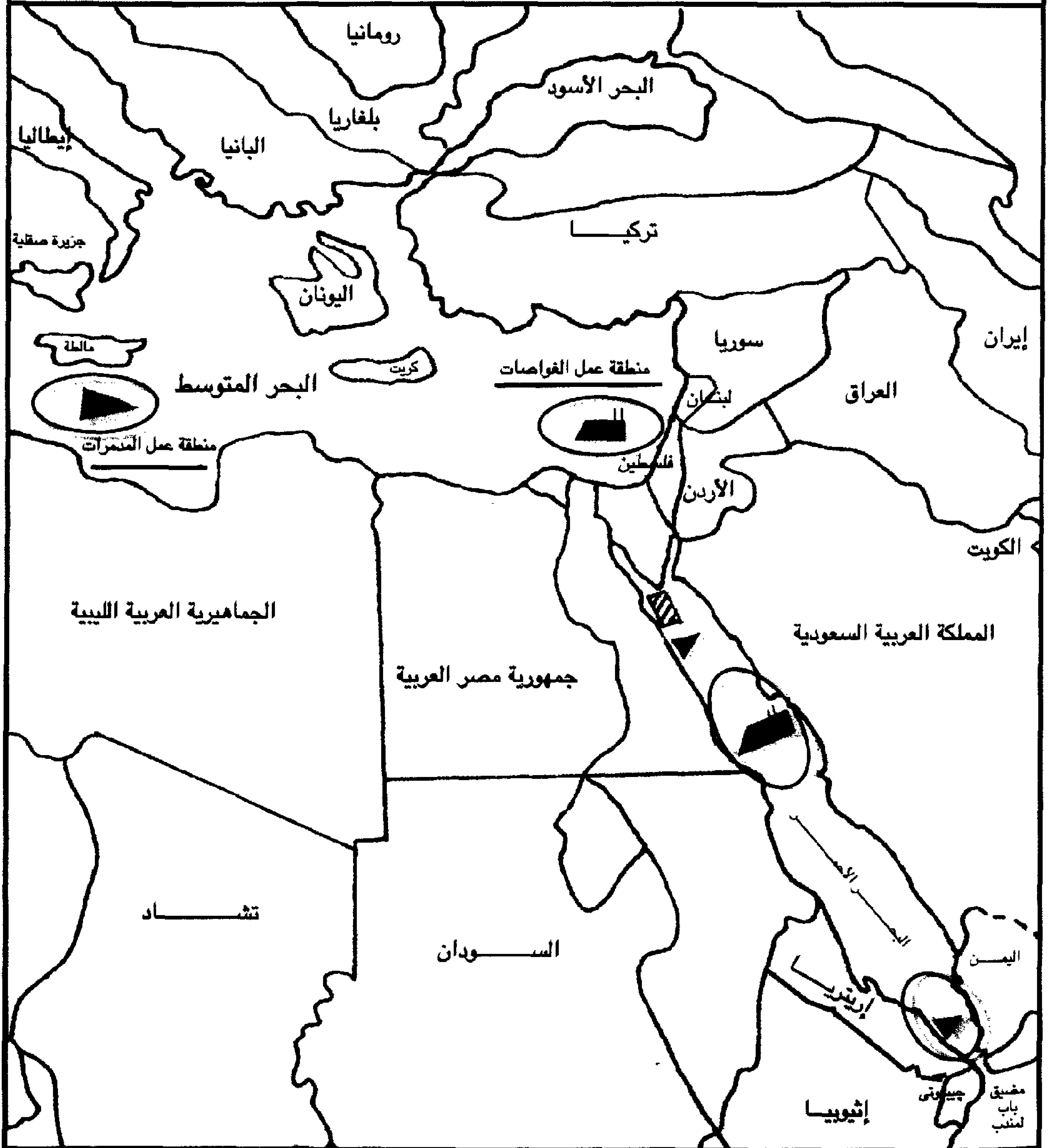
وبعد مرور ٢٥ عاماً على حرب أكتوبر نستطيع القول بأن قيادة القوات البحرية التزمت عند التخطيط بقواعد ومبادئ الحرب وأسس التخطيط التعبوي وتعليمات القتال لاستخدام الأسلحة والتشكيلات البحرية والتنسيق الجيد داخل أجهزة القوات البحرية والتعاون بين أفرع القوات المسلحة ونفذت المهام التي كلفت بها بكفاءة .

لقد تحمل الرئيس السادات بشجاعة قرار الحرب وتحلت القوات المسلحة بالروح المعنوية العالية والإيمان بالله والاستعداد للتضحية فكان نصر أكتوبر١٩٧٣ المؤزر .

قائمة المراجع

١-اللواء / حسن البدرى وآخرون :
حرب رمضان – الجولة العربية الإسرائيلية الرابعة أكتوبر ١٩٧٣
٢-الفريق / صلاح الدين الحديدي :
حرب أكتوبر فى الميزان العسكري
٣- فريق أول / فؤاد محمد أبو ذكري
البحرية المصرية – الطريق إلى أكتوبر
٤- هيئة البحوث العسكرية :
نشرات خبرة القتال لحرب أكتوبر
مصر والشرق الأوسط
الندوة الدولية لحرب أكتوبر ٧٣ التى عقدت بجامعة القاهرة فى المدة من ٢٧- ٣١ أكتوبر١٩٧٦ المجلد الأول والرابع
عقائد وأساليب قتال القوات الإسرائيلية إبريل ١٩٦٩

بعض مهام القوات البحرية فى العملية الهجومية (بدر ٧٣)



الورقة الثانية :

التخطيط التخصصي للأفرع الرئيسية

٢- التخطيط للقوات الجوية وتنفيذ المهام

لواء أ.ح/صلاح المناوى

رئيس شعبة العمليات الجوية إبان حرب أكتوبر

مقدمة :

١- لم يكن أمام قيادة القوات الجوية بعد نكسة ٦٧ إلا أن تخطط لمعركة فاصلة قادمة مع العدو يكون الأساس فيها التخطيط العسكري العلمي الذي يؤدي الي النصر وكان لابد لقيادة القوات الجوية للوصول لهذا التخطيط من دراسة متأنية للعناصر الرئيسية الآتية :

أ- دراسة للعدو الجوي من كل الزوايا (طائرات - طيارون - تكتيكات جوية - أسلوب العدو - استخدام قواته عموما)

ب- دراسة موقف القوات الجوية بعد النكسة وهل كان يمكن ان تشترك في المعركة القادمة بالحال التي كانت عليها أم ما هو المطلوب عمله ؟

ج- ما هو شكل التخطيط القادم وما عمق هذا التخطيط مع أفرع القوات المسلحة الأخرى

د- تنسيق التعاون مع أفرع القوات المسلحة وخصوصا القوة الجديدة وهي قوة الدفاع الجوي للعمل بتنسيق كامل للدفاع عن القوات وعن الدولة

هـ - تجهيز مسرح عمليات القوات الجوية للعمل بمرونة كاملة في الاتجاهين (مهاجمة العدو الجوي والبري + الدفاع المستمر عن قواعد القوات الجوية واهداف الدولة)

و-ما هو شكل التخطيط النهائي

ز- تنفيذ المهام

دراسة العدو الجوي:-

٢- لم يكن لدي القوات الجوية قبل حرب ١٩٦٧ من معلومات عن العدو ألا أعداد طائرات وطيارين ولم يحدث لمدة طويلة جداً قبل هذه الحرب أي احتكاك لقواتنا الجوية مع العدو، احتكاك يمكن من معرفة قدراته من حيث استخدام القوات في الهجمات المركزة علي مواقع القوات الجوية والبرية - أسلوب استخدام القوات في القتال الجوي والتكتيكات الجوية ، وكذلك لم يسمح للقوات الجوية لسنين طويلة بعمل استطلاع جوي فوق ارض العدو ولم تكن القوات الجوية تتوقع ان تتم هذه الدراسة بين يوم

وليلة بل وضعت خطة كاملة لدراسة كل طلعات العدو بالتفصيل سواء التي قام بها ضد مواقع قواتنا البرية او التي اشتركت قواتنا الجوية معه في معارك جوية وقد أدت هذه الدراسة المتأنية الي آلاتي :
أ- تغيير جذري في تدريب القوات ووضع تكتيكات مضادة لكل ما يمكن أن يستخدمه العدو في المعركة الكبرى القادمة .
ب- أمكن معرفة اتجاهات هجوم العدو المحتملة ضد قواعدنا الجوية وضد الأهداف في الدولة و أعيد تمركز المقاتلات بحيث تكون لها القدرة الكاملة علي صد هذه الهجمات
ج- أمكن دراسة حالات استعداد قواته الجوية في جميع الأوقات وسرعة تدخلها ضد هجماتنا الجوية ومن أي المطارات مما ساعد علي التخطيط الجيد لكل هجماتنا الجوية.
د- أمكن معرفة وبوضوح أنواع التسليح التي تحمل بها طائراته وخصوصا نوعيات الصواريخ التي تستخدم في القتال الجوي.
وأمكن تصنيف نوعيات طائرات العدو في كل استخدام فمثلا ظهر بعد اول معركة مع العدو وكانت ضد طائرات الفانتوم ، التفوق الكبير للطائرات ميج ٢١ علي هذه النوعية من الطائرات في القتال الجوي ، و أمكننا بهذا إخراجها من حساباتنا في القتال الجوي وقد شجع هذا طيارينا علي مهاجمة هذه النوعية من الطائرات وإسقاط اعداد منها وتم التركيز علي قتال الطائرات الميراج في معظم المعارك
هـ- بمقارنة القوي ووضوح تفوق للعدو بالنسبة لأعداد الطائرات والطيارين وخصوصا نوعية التسليح للطائرات مع إضافة المعرفة الكاملة لتكتيكات العدو ساعد هذا في التخطيط للمعركة القادمة بوضوح كامل في الأسلوب الذي لا بد ان تستخدمه القوات الجوية

دراسة موقف القوات الجوية بعد النكسة وماذا كان يجب عمله لاعدادها للمعركة القادمة :-

٣- كانت قيادة القوات الجوية تعلم تماما أن المعركة القادمة معركة فاصلة ولا بد من دراسة كاملة لكل اوجه العمل في القوات الجوية واتضح آلاتي :-
أ- عدد الطيارين في القوات الجوية لا يكفي مطلقا المعركة القادمة ولا بد من زيادة كبيرة خصوصا أن هذه الزيادة لا بد آن تتم تحت ضغط عدو جوي يهاجم تقريبا كل يوم وقواتنا موضوعة تحت حالات استعداد عالية لمجابهة أي موقف وهذه الزيادة يلزم لها عدد كبير من المدربين ، خصوصا آن التدريب يجب آن يصل بهؤلاء المتدربين إلى كفاءة عالية في القتال الجوي وضمن أعداد كبيرة في المعركة الواحدة أو إلى دقة عالية في مهاجمة الأهداف بالنسبة للمقاتلات القاذفة أو إلى قدرة علي الأبرار الجوي بواسطة طائرات الهيل لقوات الصاعقة أو المظلات وليلا في المناطق المحددة وذات مساحة محدودة ، وأي خطأ في النزول في منطقة غير المحددة يعرض هذه القوات للخطر مع عدم الاستفادة من إبرارها ، وانوه هنا كمثال آن أعداد طياري المقاتلات زاد ثلاث مرات ، حتمت الدراسة تغييرا كبيرا في أسلوب التدريب للقوات الجوية.
ب- حتمية الاقتراب لمهاجمة الأهداف المعادية علي الارتفاعات المنخفضة جداً حتى الوصول للهدف خصوصا و أن الدقة المطلوبة في هذا النوع من الطيران عالية جدا إذ أن أي انحراف نصف درجة فقط طوال الرحلة يجعل الوصول إلى الهدف مستحيلا.
ج- كان واضحا من البداية استحالة الحصول علي تفوق جوي كامل علي العدو والبديل هو الحصول علي تفوق وقتي مع مهاجمة اكبر عدد من الأهداف في وقت واحد ، كل هذا يجب آن يتم أيضا علي الارتفاعات المنخفضة ، مع الوصول إلى النقطة التي يبدأ العدو في كشف هذه الطلعات في وقت واحد تماما حتى لا يعطي العدو أي فرصة لإقلاع أي أعداد كبيرة من حالات استعداده كصد

الهجمات
د- لو لم يكن مقبولا آن ينجح العدو في الوصول إلى قواعدنا الجوية لمهاجمتها ، وكان واضحا تماما آن العدو سيستخدم الضربات الجوية كما حدث في ٦٧ لمهاجمة اكبر عدد من القواعد الجوية في وقت واحد ، ولهذا كان لا بد من تدريب المقاتلات علي القتال بأعداد كبيرة في وقت واحد وفي مناطق متقاربة مع العلم بان هذه المقاتلات تتبع ألوية جوية مختلفة مما يستلزم التعاون الكامل بين القادة.
هـ- كان لا بد آن يوجد العدد الكبير من القادة القادرين علي قيادة هذه الأعداد الكبيرة من المقاتلين بكفاءة وكذلك مجموعات التشكيلات في الجو القادرين علي الاستجابة للأوامر الصادرة لهم .
و- أيضا تواجد قادة ألوية جوية مدربين تدريبا كاملا علي السيطرة علي هذه العمليات من الأرض سواء بإصدار الأوامر للإقلاع لصد الضربة أو للسيطرة عليها في الجو وكذلك وجود موجهين يعملون علي أجهزة الرادار لتوجيه المقاتلات بكفاءة حتى تري طائرات العدو.
٤- كان لابد للوصول إلى هذا المستوى السابق من تكرار تدريب يومي علي مثل هذه الطلعات ثم بعد نزول الطائرات علي الأرض ، يتم بحث الطلعة بالكامل حتى يعرف الأخطاء التي تمت بالنسبة للطيارين أو الموجهين لتلافيها في الطلعات التالية. ثم بعد التأكد من الكفاءة المطلقة لجميع الوحدات المشتركة في الطلعات التدريبية يبدأ دفعهم للقتال الحقيقي مع العدو في اشتباكات مخططة الهدف منها التطعيم للمعركة بمعني إزالة رهبة الاشتباك الأول وكذلك أن نثبت لطيارينا انهم يقاتلون طيارين في نفس الكفاءة وان الدعاية التي تقال عن قوات العدو ليست إلا دعاية لا أساس لها من الصحة ، أما بالنسبة للمقاتلات القاذفة لضرب أهداف علي الارتفاعات المنخفضة فان ذلك كان يتم باستمرار مع مراقبة الدقة المطلقة في تنفيذ الطلعة بمعني الإقلاع في الوقت المحدد تماما مع الوصول إلى النقطة التي تمثل بدء العدو بمعرفة الهجمة ، ثم دراسة تدمير الهدف من عدمه وأيضا تم تطعيم كل طياري المقاتلات القاذفة للمعركة بإشراكهم في هجمات جوية ضد أهداف معادية في سيناء قبل آن تبدأ المعركة الحقيقية في أكتوبر ٧٣ ولابد آن يذكر هنا الفارق بين نوعية طائراتنا وطائرات العدو :
أ- بالنسبة للمقاتلات كان هناك نوعان من العيوب تعطي للعدو تفوقا :-
(١) قلة كمية الوقود بالطائرات الميج ٢١ عن مثيلاتها في طائرات العدو مما يجعل طيارينا يتركون المعركة قبل العدو لو استخدموا طائراتهم بأقصى كفاءتها مما يعرضهم بسهولة لصواريخ طائرات العدو مما حتم آن نجبر طيارينا علي عدم استخدام الحارق الإضافي إلا عند الحاجة الملحة لذلك وهذا طبعا يحد من قدرة الطائرات .
(٢) الصواريخ المجهزة في الطائرات (K13)لا تصلح للاستخدام في المعارك الجوية حيث أنه لا يمكن استخدامها والعدو يقوم بحركات عنيفة حيث أنها لا تتحمل ساعة الإطلاق آن تكون الطائرة المطلقة للصاروخ تحت ضغط اكثر من ضعف الجاذبية الأرضية ولهذا اضطرت طائراتنا لاستخدام المدافع فقط .
ب- أما بالنسبة للمقاتلات القاذفة فان حمولة القنابل في كل طائرة محدودة علاوة علي آن كمية الوقود محدودة أيضا مما حتم زيادة عدد الطائرات المهاجمة لكل هدف لإمكانية تدميره ، كذلك حتمت كمية الوقود عدم الوصول لأهداف ابعد من أهداف العدو في سيناء
ورغم هذه الفروق الواضحة بين القوتين فان القوات الجوية تستطيع آن تفخر بأنها أدت مهامها كلها بكفاءة
تجهيز مسرح العمليات :-
٥- من الواضح تماما آن السبب الرئيسي لنكسة ٦٧ هو عدم وصول إنذار للقوات الجوية باقتراب

طائرات العدو المهاجمة ويرجع ذلك الي اعتماد الإنذار علي الرادارات فقط ونظرا لقلة إمكانية الكشف علي الارتفاعات المنخفضة فان العدو استغل ذلك للاقتراب من مناطق ليس بها كشف راداري ، وكان لا بد آن يصحح هذا الوضع وقد تم ذلك بأسلوب بسيط جدا وهو فتح نقط مراقبة بالنظر علي مسافات تغطي بعضها البعض ، وقد استطاعت قواعد المقاتلات سماع بلاغات هذه النقط كلها علاوة علي بلاغات الرادارات ساعة النطق بها مما أعطى قادة المقاتلات القدرة علي التصرف السريع لصد الهجمات المعادية

علاوة علي ما سبق ، فأن دراستنا للعدو كانت كاملة بدرجة أننا توقعنا طرق اقترابه لتنفيذ الهجمات ، وقد صدقت الدراسة فلم يقترب العدو للتنفيذ إلا من الاتجاهات التي توقعناها وقد بنيت خطة تمركز المقاتلات علي هذه الدراسات التي صحت توقعاتها مما جعل إمكانية الصد كاملة ، ولم ينجح العدو في حرب ٧٣ في إحداث أي تدمير في أي من قواعدنا الجوية رغم محاولاته المتكررة ، علاوة علي آن إمكانية وصوله إلى هذه القواعد كانت محدودة ، وكان يعلم آن فترة الإنذار باقتراب العدو لا تزيد عن ٥ دقائق وصد الضربة يحتاج إلى عدد كبير من الطائرات تقلع من عدة قواعد جوية في وقت واحد ، ولإمكانية السيطرة علي هذه القوة كان

لابد من تأمين الاتصالات تأمينا تاما بين قادة المقاتلات وقيادة القوات الجوية في مراكز العمليات وللتقليل من فاعلية ضربات العدو الجوية فقد قامت القوات الجوية ببناء دشم لكل طائرة تتحمل قنابل حتى ٥٠٠ كجم إذا كانت غير مباشرة علاوة علي الإكثار من أشكال الأهداف غير الحقيقية .

تنسيق التعاون بين أفرع القوات المسلحة :-

٦- في الفترة من يونيو ٦٧ وحتى معركة ٧٣ ظهرت قوة جديدة ذات قدرات عالية جدا في الدفاع الجوي ولذلك كان لا بد للقوات الجوية من عمل خطة كاملة للتعاون مع هذه القوة :

أ- هذه القوة تشكل خطرا كبيرا علي القوات الجوية بجميع تشكيلاتها تمر من خلال هذه القوات في أثناء الذهاب لتأدية مهامها وكذلك في أثناء العودة والمرور دائما يتم علي الارتفاعات المنخفضة مما يسهل إصابة هذه الطائرات بوسائل الدفاع الجوي إن لم تفد القوات في أثناء العبور في الذهاب والعودة

ب- خطة الدفاع عن الأهداف الحيوية في الدولة تستلزم تنسيق التعاون بكفاءة بين القوات الجوية والدفاع الجوي وخصوصا عند التعاون في المنطقة الواحدة ولأهمية هذا التنسيق كان لابد آن يجلس قائد المقاتلات مع قائد الدفاع الجوي في مركز عمليات القاعدة الجوية لاتخاذ القرارات الفورية وهذا يتم علي الأسس التالية :

(١) إذا أقلعت المقاتلات بقوة تكفي لصد الضربة فتقيد وسائل الدفاع الجوي

(٢) إذا لم تكف المقاتلات التي أقلعت لصد الضربة فيمكن تقسيم المنطقة بين القوتين أو التعامل في منطقة واحدة مع استخدام وسيلة التمييز وفي جميع الحالات فأن هذا التعاون يمثل صعوبة بالغة للدقة المطلوبة في التعامل حيث آن أي خطا يمثل خطرا كبيرا علي القوة الجوية المشتركة في الصد علاوة علي آن هذا الخطأ قد يسبب عدم صد الضربة بكفاءة.

للتاريخ فان القوات الجوية بالتعاون مع الدفاع الجوي تمكنت من صد العديد من الهجمات الجوية ولم تدمر أي طائرة من طائرات القوات الجوية أو معدة علي الأرض.

التخطيط الرئيسي للعمليات :-

٧- كان أول أهداف التخطيط هو مفاجأة العدو مفاجأة كاملة ولهذا اتخذت الإجراءات الآتية لمنع

تسرب أي معلومات عن بداية القتال :
أ - لم يعلم ببداية القتال إلا عدد محدود من القادة.
ب- جهزت القوات للقتال علي أنه عمليات تدريبية ولم تعلم القوات ببداية الحرب إلا قبل العمليات بساعات قليلة.
ج- لم تستخدم أي وسائل سلكية أو لاسلكية قبل بداية القتال لإصدار الأوامر.
د- تصرف القادة بطريقة طبيعية لا توحي بأي معركة قريبة.

التخطيط الفعلي للمعركة

٨- تم التخطيط علي أساس آن تقوم القوات الجوية كبداية للمعركة بضربة جوية مركزة تستهدف إحداث خسائر كبيرة في كل الأهداف الهامة في سيناء بهدفين :
أ- إرباك العدو إرباكا تاما في المرحلة الحرجة للعبور.
ب- تحقيق سهولة كبيرة لعمليات القوات الجوية في المستقبل وقد تركزت الأهداف المطلوب تدميرها في الطلعة الأولى في الآتي :
(١) كل مطارات العدو في سيناء.
(٢) كل الصواريخ المضادة للطائرات .
(٣) مراكز القيادة والسيطرة .
(٤) مراكز الإعاقة .

٩- هذه الطلعة كان مخططا لها آن تتم بقوة ٢٢٠ طائرة ثم يتبع ذلك ضربة أخرى بعد عودة الطائرات وإتمام تجهيزها ، في نفس توقيت الطلعة الثانية يتم إبرار أعداد من قوات الصاعقة في مناطق حاكمة في سيناء تمنع تحرك احتياطات العدو حتى لا يؤثر ذلك علي عمليات العبور
ثم تتحول القوات الجوية بعد ذلك لتنفيذ مهامها الأخرى :
أ - الاستعداد لصد ضربات العدو الجوية المؤكد حدوثها.
ب- الاستطلاع الجوي لصالح كل القوات .
ج- إحداث اكبر خسائر في احتياطات العدو المدرعة المقتربة .
د- معاونة القوات البرية .

يلاحظ هنا آن العمليات كلها تركزت في سيناء وذلك لان مدي طائرات القوات الجوية لا يصل لأكثر من ذلك ، ولهذا القي عبء التعامل مع القوات الإسرائيلية في داخل إسرائيل علي القوات السورية المشتركة في المعركة .

تنفيذ المهام :

١٠- بالنسبة للقوات الجوية في يوم التنفيذ كان لا يعلم التوقيت في القوات المنفذة إلا قادة الألوية الجوية ولم يعلم أي من التشكيلات المنفذة بالتوقيت الفعلي إلا قبل الطلعة الأولى بساعتين فقط ولم يشكل هذا صعوبة لان الطائرات جهزت من الصباح علي أساس القيام بطلعات تدريبية وبالنسبة للطيارين جهزت الخرائط لكل الطلعات مسبقا ،يعلم الطيارين كل تفاصيل الطلعات.

أ- شكل الضربة :

أساس استخدام الضربات الجوية هو تدمير اكبر عدد من الأهداف المهمة دون إعطاء العدو أي فرصة للتدخل ضدها بصورة فعالة لكي لا تحدث بها أي خسائر تذكر ، وقد تحقق هذا بالتخطيط الجيد لهذه الضربة كالآتي :
أقلعت الطائرات من جميع المطارات علي أن تكمل الطلعة كلها علي الارتفاع المنخفض وعلي أن تصل

كل الطائرات إلى نقط الاكتشاف بواسطة العدو في وقت واحد تماما لعدم إعطائه أي فرصة لإقلاع عدد كبير من مقاتلاته لصد الضربة ، أهم ما في الضربة أن تصل دون تدخل من العدو ، إذ لو هوجمت هذه الطائرات بمقاتلات العدو لأضطرت إلى التخلص من القنابل والصواريخ للدفاع عن نفسها ولهذا كان شكل الضربة كالآتي :-

مجموعات من المقاتلات تسبق المقاتلات القاذفة بثوان قليلة حتى الوصول إلى نقط الاكتشاف من العدو ثم تزيد من سرعتها وتشتبك مع أي مقاتلات معادية في الجو ولزيادة الحيطة أيضا توضع تشكيلات من المقاتلات علي اجناب المقاتلات القاذفة حتى يمكن التأكد من سلامتها لتحقيق أهدافها وقد تم هذا فعلا ووصلت المقاتلات القاذفة إلى أهدافها وأحدثت بها خسائر فادحة وعادت سالمة ولم تحدث خسائر تذكر إلا أعداد قليلة من الطائرات ويجب أن نذكر هنا أن الخبراء الروس كانوا يؤكدون أن الضربة الأولى ستخسر ٢٥٪ من قوتها ، ونظرا لان نتائج الطلعة كانت كبيرة فقد رأت القيادة العامة للقوات المسلحة إلغاء الطلعة الثانية .

وفي التوقيت المخطط لطلعات الهيل لنقل قوات الصاعقة فقد أقلعت حاملة القوات وأبرتها في أماكن الأبرار تماما وقد نجحت هذه القوات في منع احتياطات العدو من العبور من خلالها فساعدت مساعدة فعالة علي إتمام عمليات عبور القنال

كان من المؤكد أن قوة العدو الجوية ستبدأ مع أول ضوء في اليوم التالي القيام بضربات جوية محاولة إخراج القوات الجوية من المعركة أو علي الأقل تقليل اشتراكها في العمل ضد قواته وفعلا تمت أول ضربة في صباح اليوم التالي ولم تستطع الوصول إلى أي مدي من قواعد القوات الجوية واستمرت محاولات العدو في الأيام التالية دون اثر يذكر

ب- الثغرة :

القوات الجوية جاهزة دائما لتأدية مهامها القتالية فور صدور الأوامر من القيادة ،وما آن حدثت الثغرة وقامت القوات الجوية بالاستطلاع وحددت أماكن العدو حتى قامت بكل قوتها بمهاجمة هذه القوات بكثافة عالية جداً بواقع ٢ ضربة جوية في معظم الأيام ولا بد آن يذكر آن مدرسي الكلية الجوية حين علمهم بحدوث الثغرة أصروا علي الاشتراك بطائراتهم في ضرب أهداف العدو في الثغرة .

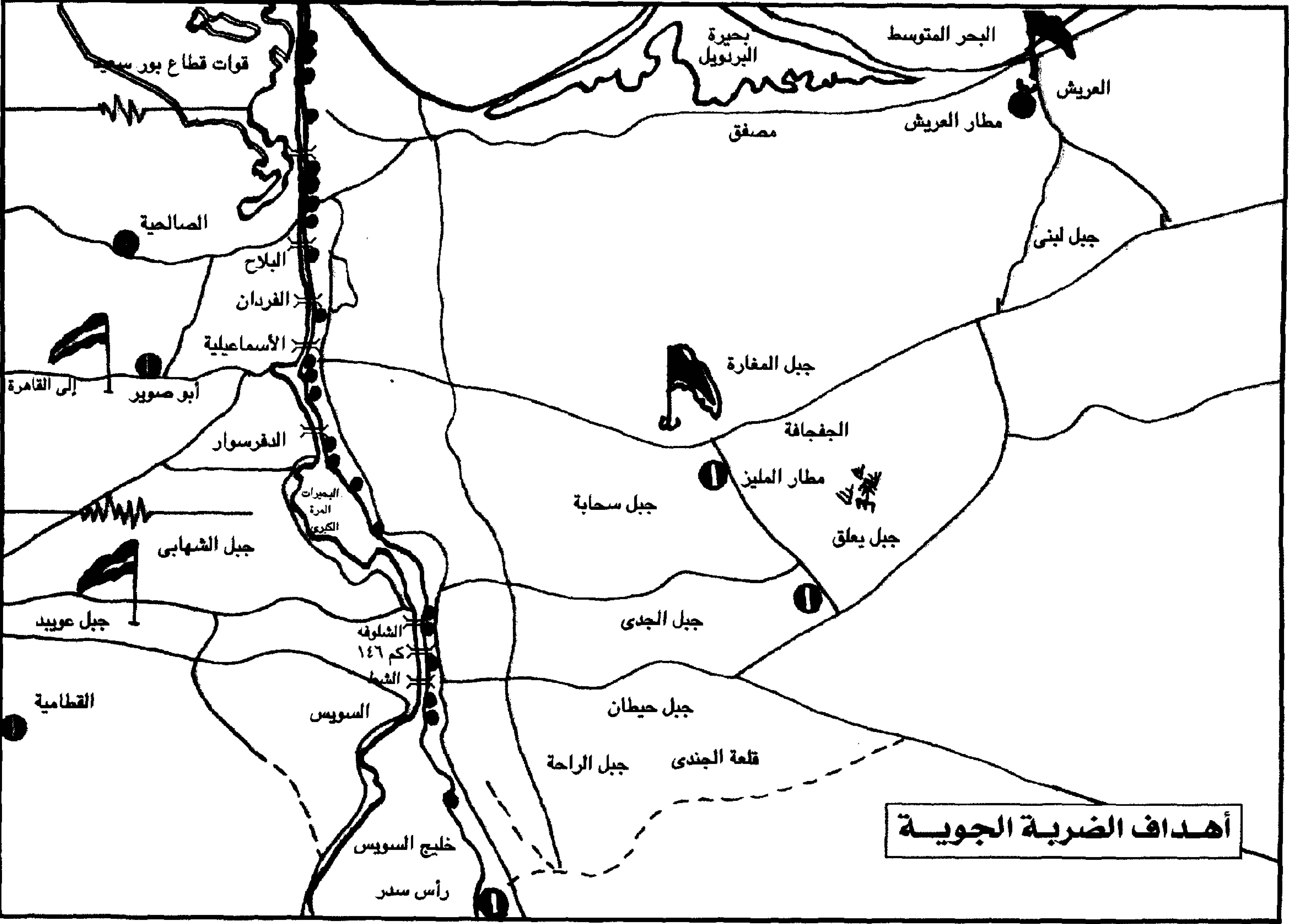
ج- عوامل أدت إلى نجاح القوات الجوية في أدائها :-

(١) ثقة القوات المنفذة في القيادة وكان الدقة في التخطيط وفي اصدار الأوامر للطلعات دافعا لهذه الثقة .

(٢) التدريب المكثف للقوات وبدقة تامة مع الحرص علي تجهيز القوات لتنفيذ الطلعات القتالية بدقة تامة .

(٣) الإحساس الكامل لدى القوات بالجهد الذي تبذله القيادة لتوفير مطالب العمليات يشكل ثقة القوات المنفذة في القيادة وكانت الدقة في التخطيط وفي إصدار الأوامر للطلعات دافعا كاملا كل هذا أدى إلى دقة كاملة في تنفيذ القتال ولكن الحق الذي يجب أن يقال أن السلم لابد أن يكون مطلب الجميع فالحروب تكلف اقتصاد الدول الكثير علاوة على الدمار وانصراف الدولة عن التنمية أما السلم فهو الانصراف الفعلي للتنمية والازدهار.

ولكن السلم لا يمكن آن يحدث مع ضعف الدولة عسكريا بل الأساس آن تكون الدولة قوية عسكريا لتحقيق السلم ، ولكن يجب آن يعرف آن التطور السريع المذهل في قدرات ووسائل الحرب يجب أن تتابع بدقة ، فليس المهم الآن كميات الأسلحة بل قيمتها في إمكانياتها.


أهداف الضربة الجوية
البحر المتوسط
بحيرة البرنويل
العريش
مطار العريش
مصفق
قوات قطاع بور
الصالحية
البلاح
الفردان
الأسماعيلية
أبو صوير
إلى القاهرة
جبل لبنى
جبل المغارة
الجفجافة
مطار المليز
جبل يعلق
جبل سحابة
الدفرسوار
البحيرات المرة الكبرى
جبل الشهابى
جبل عويبد
جبل الجدى
الشلوفة
كم ١٤٦
الشط
القطامية
السويس
جبل حيطان
قلعة الجندى
جبل الراحة
خليج السويس
رأس سدر

الورقة الثانية :

التخطيط التخصصي للأفرع الرئيسية

٣ـ التخطيط لقوات الدفاع الجوي وتنفيذ المهام

لواء أ.ح/مصطفى خيرى البيه

رئيس فرع العمليات بشعبة دجو إبان حرب أكتوبر

مقدمة:

١- قبل أن نبدأ فى مناقشة التحديات التى واجهت التخطيط لقوات الدفاع الجوى فى حرب أكتوبر٧٣ ، من المفيد أن نستعرض الأحداث التى سبقت هذه الحرب . وان نتعرف على الموقف العسكري بصورة عامة وكذا موقف الدفاع الجوى عند البدء فى التخطيط لحرب أكتوبر . وكذا توضيح مدى الارتباط بين الحروب الثلاثة ٦٧، الاستنزاف ، أكتوبر٧٣ ، وكيف تم التحول من الهزيمة في عام ٦٧ إلى التكافؤ فى بداية حرب الاستنزاف ثم الاستنزاف المضاد بدخول القوات الجوية الإسرائيلية فى القتال ثم تحول ميزان القوى لصالح مصر فى نهاية حرب الاستنزاف والذي كان مقدمة واضحة لانتصار حرب٧٣. وقد تطورت الاستراتيجية المصرية بعد حرب ٦٧وتميزت بالمرونة الكاملة لمواجهة الواقع وتحدياته بأسلوب عملي للتغلب على الإستراتيجية الإسرائيلية التى لم تتطور بنفس الدرجة .

٢- أما عن التخطيط لقوات الدفاع الجوى فى حرب اكتوبر٧٣ فيمكن القول انه انطلق حقيقة من قاعدة خبرة القتال التى اكتسبتها هذه القوات فى قتالها ضد القوات الجوية الإسرائيلية فى المراحل السابقة لهذه الحرب ، وخاصة خلال مراحل حرب الاستنزاف التى توجتها أعمال قتال الفترة من ٣٠يونيو إلى ٨أغسطس عام١٩٧٠ ، والتي سميت فى هذا الوقت ببناء حائط الصواريخ أو أسابيع تساقط الفانتوم .وقد أدى الانتصار الكبير الذي حققته قوات الدفاع الجوى فى هذه المعارك إلى إحداث تغير حقيقي فى ميزان القوى بين مصر وإسرائيل . كذلك من الضروري أن نذكر ان التخطيط لحرب أكتوبر٧٣ كان اللبنة الأخيرة فى بناء التخطيط الهجومي لتحرير الأرض وهو حصيلة خبرات واختيارات لما وجد انه مناسب مما سبقه من تخطيط للعمليات الهجومية فى الأعوام من١٩٧٠ وحتى

١٩٧٣ .

حرب الاستنزاف :

٣- وكلنا نعلم أن القتال ضد العدو الإسرائيلي لم يتوقف ولم تهدأ الجبهة المصرية بنهاية حرب يونيو ٦٧ ، بل استمر القتال على هذه الجبهة ولكن بمعدلات مختلفة. كما لم يتوقف تفكير القوات المسلحة المصرية في القيام بعمليات هجومية لتحرير الأرض المحتلة منذ أن رفضت مصر الهزيمة ، وأصرت على استعادة كفاءة قواتها المسلحة القتالية والصمود في وجه العدوان والعمل المستمر لتهيئة الظروف المناسبة لاستعادة المبادأة والتطلع إلى الأسلوب والتوقيت المناسبين للقيام بالعمليات الهجومية لتحرير الأرض .

فكانت معركة رأس العش في أول يوليو ٦٧قبل مرور شهر على حرب٦٧، والتي حققت فيها قوة مصرية صغيرة أول انتصار على القوة الإسرائيلية المهاجمة المتفوقة والتي انسحبت بعد أن خسرت قائدها و١٣فردا بين قتيل وجريح ولم تحقق أي نجاح . ولم تحاول القوات الإسرائيلية مهاجمة هذه المنطقة مرة أخرى خلال السنوات الست التالية. وتلا ذلك الهجوم الجوي المصري المفاجئ ضد المواقع الإسرائيلية شرق القناة في ١٤يوليو٦٧ والذي احدث ذعراً شديداً في هذه القوات . وفي٢١ أكتوبر تم إغراق المدمرة الإسرائيلية ايلات بالصواريخ أمام بور سعيد بخسائر تجاوزت ٥٠٪من طاقمها القتالي كل ذلك تم والقوات المسلحة المصرية مازالت تعاني من تأثير صدمة هزيمة ٦٧ المروعة ، ولم تستكمل بعد أو تستعيد قدراتها القتالية .

وفي سبتمبر ١٩٦٨وبعد ان تحقق تقدم ملموس في إعادة بناء القوات المسلحة المصرية قامت وحدات مدفعية الميدان يومي ٨سبتمبر ، ٢٦ اكتوبر٦٨ بإطلاق قصفات مدفعية شديدة فيما سمي العملية «عاصفة» ضد القوات والمواقع الإسرائيلية شرق القناة وخاصة ضد مواقع الصواريخ ٢٤٠مم - ذات المدى الصغير والقدرة النيرانية الكبيرة - التي كانت تهدد مدن القناة . وكانت نتائج هذا القذف القضاء التام على هذه الصواريخ بالإضافة إلى خسائر بشرية كبيرة ، الأمر الذي دفع إسرائيل إلى البدء في سلسلة هجمات بالطائرات الهليكوبتر ضد أهداف في وادي النيل (في الصعيد)لا يتوفر لها دفاع جوي في هذا الوقت.

كما بدأ النقاش في القيادة الإسرائيلية لتحديد استراتيجية الدفاع عن القناة دون تعريض أفرادها للخطر،وهل يتم ذلك بمواقع ثابتة ومحصنة على طول القناة ،أم تنفيذ هذه المهمة فقط بالدوريات المتحركة اعتماداً على التدخل السريع بالمدرعات الموجودة في العمق بعيداً عن نيران المدفعية المصرية

٤- واعتبار من ٨ مارس ١٩٦٩ بدأت المدفعية المصرية قصفاتها اليومية ضد القوات الإسرائيلية شرق القناة لاخلال توازنها ومنعها من حرية الحركة وانزال اكبر قدر من الخسائر بها . ثم تلتها عمليات عبور لوحدات صغيرة من الصاعقة والمشاة لبث الألغام ومهاجمة مراكز العدو الضعيفة في أماكن وتوقيتات مختلفة ثم العودة إلى قواعدها . وبنجاح هذه الأعمال ازداد حجم قوات العبور ، وتمت عمليات كمائن نهارية وإغارات ليلية للحصول على آسري ووثائق مع الدخول في قتال مع وحدات العدو لتكبيده اكبر خسائر ممكنة .

وقد كان أهم أهداف هذه العمليات :

أ- السيطرة على الضفة الشرقية للقناة بنيران المدفعية ودوريات العبور ومنع العدو من حرية الحركة في هذه المنطقة .

ب- الحصول على خبرة القتال للأفراد والوحدات والقيادات تمهيداً للقيام بعمليات عبور هجومية

بوحدات كاملة مع بقائها أزمنة أطول على الضفة الشرقية للقناة .
ج- بالإضافة إلى تكبيد العدو اكبر قدر ممكن من الخسائر البشرية لخفض روحه المعنوية والتأثير على الجبهة الداخلية فى إسرائيل لما للقوة البشرية من أهمية عظمى لدى الشعب والحكومة الإسرائيلية.
وكان المنطق الكامن خلف هذه الاستراتيجية يتلخص فى أن الموقف الدفاعي الثابت على جانبي القناة (والذي تريد إسرائيل بقاءه) يؤدى -إلى حد كبير - إلى حرمان إسرائيل من تفوقها النوعي فى الحرب المتحركة . وكان هدف الاستراتيجية المصرية استغلال التفوق المصري فى القوة البشرية ، وفى القوة النيرانية فى إنزال خسائر فى الأرواح غير مقبولة فى القوات الإسرائيلية . وكان ذلك آما أن يؤدى إلى قبول إسرائيل بالانسحاب بعيداً عن القناة لتقليل خسائرها أو خلق موقف مناسب لعبور قوات مصرية كبيرة بهدف تحرير سيناء ، وقد استمرت هذه الأعمال - التى سميت حرب الاستنزاف - طوال عام ١٩٦٩ وحتى منتصف ١٩٧٠ .وقد شاركت قوات الدفاع الجوى خلال اشهر مارس ... يوليو٦٩ فى هذه الحرب بإسقاط عدد لابأس من الطائرات المروحية الإسرائيلية التى كانت تطير شرق القناة لتصحيح نيران المدفعية الإسرائيلية التى تقوم بالقصف المضاد .
٥- ونتيجة لنجاح القوات المصرية فى إنزال خسائر جسيمة فى القوات الإسرائيلية شرق القناة بدأت الأصوات ترتفع فى القيادة الإسرائيلية بضرورة إشراك القوات الجوية الإسرائيلية لردع الأعمال المصرية ألا أن أصحاب الرأي الآخر كانوا يحتجون بأن هذه آخر ورقة لديهم ويجب ألا تستخدم ألا عند الضرورة القصوى لأنها إن لم تنجح بصورة كاملة فستكون هزيمة شديدة لإسرائيل ، ومن الأرجح أنه تم التوصل إلى حل وسط يقضي باختبار قدرات القوات الجوية الإسرائيلية ضد أحد الأهداف المصرية المنعزلة كجس نبض وبروفة لمثل هذه العمليات .
وفى ٢٢أبريل ٦٩هاجمت القوات الجوية الإسرائيلية موقع رادار مصريا بالأردن بعدد ٨طائرات (أقيم قبل حرب ٦٧مباشرة وتم دعمه بعدها) وكانت النتيجة بعض الخسائر فى معدات الموقع ، ولكن تكبدت القوات الجوية الإسرائيلية خسارة طائرتين إحداهما فوتور سقطت داخل الموقع واحترق الطيار بداخلها والثانية سوبر مستير سقطت خارج الموقع .
وقد سببت هذه النتيجة قلقا شديداً للقيادة الإسرائيلية فهو موقع منعزل ولا تدافع عنة سوى سرية رشاشات م ط . وقد طلبت قيادة القوات الجوية الإسرائيلية عدة ضمانات قبل الزج بها إلى المعركة :
أ-توفير عدد من الطيارين الممتازين المتطوعين من الخارج لاستخدامهم أساسا فى المعارك الجوية مع المقاتلات المصرية .
ب-النجاح فى إخراج القوات الجوية المصرية من الحرب الجوية بالدخول معها فى معارك جوية مدبرة.
ج-الإسراع فى توريد باقي طائرات سكاى هوك المتعاقد عليها وكذا طائرات الفانتوم.
د-تزويد الطائرات الإسرائيلية بالصواريخ شرايك المضادة للرادار.
هـ كذا تزويدها بأحدث معدات الإعاقة الإلكترونية والاستطلاع والصواريخ جو/جو المتطورة الأمريكية من طراز سايدوايندر .
وقد تم تنفيذ جميع مطالب القوات الجوية الإسرائيلية عدا الشرايك الذي أعطيت وعودا بتوريده فى حالة الحاجة إليه (فشل أنواع التسليح الأخرى المتوافرة) وفى مايو٦٩ وصل إلى إسرائيل ٢٠٠طيار متطوع من جميع أنحاء العالم إلا أن أغلبهم من الولايات المتحدة المزودين بخبرة فيتنام ، كما وصلت معدات الاستطلاع والإعاقة الرادارية واللاسلكية المطلوبة .وتم الوعد بسرعة توريد باقي طائرات السكاى هوك والفانتوم كذا الوعد باستعواض أي خسائر فى الطائرات الإسرائيلية دون مقابل .
وفى الفترة من مايو إلى يوليو٦٩ دخلت القوات الجوية الإسرائيلية فى معارك جوية مدبرة (كمائن

جوية) مع المقاتلات المصرية كانت نتائجها مذهلة لصالح القوات الجوية الإسرائيلية ومخالفة تماماً لنتائج المعارك الجوية السابقة لهذا التاريخ و التي كانت متكافئة تقريبا ونتيجة لذلك اصبح هناك قبول عام فى القوات الجوية الإسرائيلية للاشتراك فى القتال على الجبهة المصرية.
وفى نفس الوقت كانت إغارات القوات المصرية شرق القناة تتصاعد لتصل إلى قمتها يوم ١٠يوليو٦٩ حينما هاجمت سرية صاعقة مصرية الموقع الإسرائيلي المحصن فى لسان بور توفيق والوحدة المدرعة التى تدافع عنه وأنزلت بهذه القوة خسائر شديدة فى الأرواح والمعدات (حوالى ٤٠فردا بين قتيل وجريح) . وكان هذا الحادث سببا في اقتراح رئاسة الأركان الإسرائيلية إشراك السلاح الجوى فى القتال والذي وافقت عليه الحكومة . ويعتبر قرار الحكومة الإسرائيلية بزج القوات الجوية الإسرائيلية فى عمليات القصف الكثيف ضد القوات المصرية بجبهة القناة بداية لمنعطف جديد فى حرب الاستنزاف التى بدأت تتحول إلى حرب جوية اعتباراً من ٢٠يوليو ٦٩ .

٦- واعتبارا من هذا التاريخ بدأت العملية الجوية « بوكسير » التى استمرت حتى بداية شهر سبتمبر وكان هدفها إسكات وتدمير وحدات المدفعية المصرية ولتحقيق ذلك كان لابد فى البداية من إسكات وتدمير وسائل الدفاع الجوى التى تحميها وخاصة وحدات صواريخ الدفاع الجوى .
وكان دخول القوات الجوية الإسرائيلية المعركة ونجاحها - بعد إبعاد المقاتلات المصرية عن المشاركة الإيجابية فى حماية القوات البرية -فى أضعاف نظام الدفاع الجوى بالصواريخ م ط بالجبهة ، عنصراً جديداً فى الموقف قلب ميزان الاستراتيجية المصرية التى كانت تعتمد على التفوق البشري و النيرانى حيث انتقل التفوق النيراني لإسرائيل نتيجة لاستخدامها قواتها الجوية كمدفعية طائرة اكثر مرونة وقدرة على الحشد بالإضافة إلى درجة الدقة العالية والتأثير الشديد بالمقارنة بالمدفعية المصرية .كذلك فأن التفوق الجوى الإسرائيلي فى منطقة الجبهة المصرية وضع القوات الجوية المصرية تحت نظر الاستطلاع الجوى الإسرائيلي بصورة دائمة مما حرمها بدرجة كبيرة من حرية الحركة .
ومع أن القوات المصرية استمرت فى حرب الاستنزاف إلا أن الهدف المصري الرئيسي لهذه الحرب هو: «خلق موقف مناسبا لعملية عبور مصرية كبيرة بغرض تحرير سيناء»، أصبح بعيد المنال طالما أن الطائرات الإسرائيلية تطير بحرية فوق قواتنا البرية غرب القناة . واصبح واضحا للجميع أن القوات المسلحة المصرية لن تكون قادرة على القيام بأي عملية هجومية إلا إذا استطاعت أولا « أن تقيم فى منطقة القناة نظاماً قويا للدفاع الجوى قادرا على حماية القوات البرية المصرية، من الهجمات الجوية الإسرائيلية، أثناء إعدادها وتنفيذها لهذه العملية الهجومية، ويستطيع تحييد القوات الجوية الاسرائيلية ويمنعها من ممارسة سيطرتها الجوية فوق منطقة القناة ».
٧-وعندما إمتد النشاط الجوي الإسرائيلي إلى العمق المصري مستخدماً الطائرات الفانتوم التى وصلته حديثاً، كانت الزيارة الحاسمة للرئيس «عبد الناصر» إلى الاتحاد السوفيتي فى يناير ١٩٧٠ التى أقنعت قيادته بضرورة دعم الدفاع الجوى المصري بالأسلحة والمعدات الحديثة - بالإضافة إلى الدعم بالقوات لحين الانتهاء من التدريب على هذه الأسلحة .
وكما كان قرار الحكومة الإسرائيلية بإشراك قواتها الجوية في المعركة منعطفا هاما في أحداث حرب الاستنزاف ، كان الدعم السوفيتي بالقوات في ربيع عام١٩٧٠ ، ثم بالمعدات فى منتصف نفس العام تحولا هاما فى الموقف أدى إلى إنكماش النشاط الجوى الإسرائيلي لينحصر فى منطقة الجبهة .
كما أدى تفرغ الدفاع الجوى المصري بدرجة كبيرة لرفع قدرات نظام الدفاع الجوى بالجبهة، بالرغم من الضغط الشديد الذي مارسته القوات الجوية لمنع حدوث ذلك .

٨ - وفى ٣٠ يونيو ١٩٧٠ استطاعت قوات الدفاع الجوى أن تنشئ تجميع صواريخ د/ جو بأسلوب جديد ومبتكرا على مسافة حوالى ٥٠كم غرب القناة باستخدام نفس الصواريخ سام-٢ولكن بعد إدخال العديد من التعديلات عليها . وكانت النتيجة بدء تساقط طائرات الفانتوم والسكاى هوك بأعداد كبيرة فى فترة زمنية صغيرة (سقط فى الأسبوع الأول أكثر من ٨ طائرات من هذه الأنواع) واستمر تساقط الطائرات الإسرائيلية طوال الفترة حتى إيقاف النيران فى ٨ أغسطس ١٩٧٠ وقد وصل إجمالي خسائر القوات الجوية الإسرائيلية لاكثر من ١٦ طائرة فانتوم وسكاى هوك وأسر ٨ طيارين بالإضافة إلى قتل أكثر من طيار قتل فى طائرته. وفى ليلة٨/٧ من أغسطس١٩٧٠ تم تحريك كتائب الصواريخ إلى مواقع قريبة من القناة فى سرية كاملة فاجأت القوات الإسرائيلية فى صباح يوم ٨أغسطس بوجود الصواريخ المصرية فى مواقعها غرب القناة .

٩- وبنجاح قوات الدفاع الجوى المصري فى إنشاء تجميع الصواريخ د/جو القوى فى منطقة الجبهة وتقدمه شرقا فى اتجاه القناة ، حدث تحول إستراتيجي فى ميزان القوى لصالح القوات المسلحة المصرية حيث توفر لها الغطاء الجوى الذي كانت تفتقده بشدة والذي أصبح يسمح لها بالتخطيط والقيام بعبور القناة فى عملية هجومية كبيرة لتحرير الأرض وإزالة آثار العدوان . ولم تكن إسرائيل غافلة عن هذا التحول الإستراتيجي فقدمت ثلاث شكاوى إلى الولايات المتحدة فى ١٣، ١٤، ١٧ أغسطس ٧٠ تتهم فيها مصر بخرق اتفاق إيقاف النيران بتحريك الصواريخ داخل منطقة الـ ٥٠ كم غرب القناة بعد الموعد المحدد لبدء تنفيذ الاتفاق . ثم عادت ودفعت الولايات المتحدة لتقديم ٣مذكرات بنفس الشأن إلى مصر فى١٩، ٢٢ أغسطس ثم فى٢ سبتمبر ١٩٧٠ لحث مصر على تلافى هذه المخالفات . ولما كان الرد المصري أن كل هذه التحركات تمت قبل توقيت إيقاف النيران ، فقد بدأ المسئولون الإسرائيليون فى التهديد بتدمير هذه الصواريخ إلا أن ذلك لم يحدث غالبا لتزايد قدرة الدفاع الجوى المصري بالجبهة بما يفوق قدرة إسرائيل الجوية فى هذا الوقت على تحطيمه إلا بتحمل خسائر كبيرة أكبر من طاقتها . وبذلك اصبح المسرح مهيئا لتحول القوات المسلحة المصرية إلى الهجوم عند استئناف القتال . ويقول «هيرتزوج» فى كتابة عن حائط الصواريخ « أن نظام الدفاع الجوى المصري الذي أقيم بالجبهة فى منتصف عام ٧٠ لم يكن ردا مباشرا على المشاكل التى تواجه المصريين لحماية قواتهم غرب القناة وإنما كان تعبيرا عن تطور استراتيجي لم يتم فهمة إلا بعد٣ سنوات عندما بدأ الهجوم المصري فى٦ أكتوبر٧٣»

ثم يضيف : « أن الخبرة التى تم اكتسابها من هذه المعارك أثبتت أنها ذات قيمة لا تقدر لكل من الروس والدول الغربية وبالذات الأمريكيين الذين كانوا يراقبون عن قرب الدروس المستفادة من المعارك التى دارت بين القوات الجوية الإسرائيلية والدفاع الجوى المصري على جبهة القتال أما «موشي ديان» فقد صرح يوم ٨ أكتوبر ٧٣ : » أن البذرة الشريرة لهذه الحرب اللعينة قد وضعت فى منتصف عام٧٠ عندما قدم المصريون صواريخهم فى اتجاه القناة ولم نقم بتدميرها فى هذا الوقت« والصحيح أن يقول ولم تستطع تدميرها فى هذا الوقت

المهم أن الولايات المتحدة قد سارعت بسد خسائر إسرائيل بإمدادها بـ٤٠طائرة منها ١٥ طائرة فانتوم كما وافقت على إمدادها بالصواريخ شرايك خلال عام ١٩٧١ .

١٠ - وتوقف القتال فى ٨ أغسطس ١٩٧٠ بناء على مبادرة «روجرز» وزير الخارجية الأمريكي لمدة ٣شهور وبدأ كل جانب يعد العدة للجولة القادمة .

وقد كان من ضمن عناصر تقدير الموقف المصرى للموافقة على ايقاف النيران فى ٨ أغسطس عام ٧٠

لمدة ٣شهور :
أ - أن مكاسب الجانب المصري ستفوق مثيلتها على الجانب الإسرائيلي
ب - من ناحية الدفاع الجوى فإن هذه الفترة ستوفر الوقت اللازم لاستكمال التجهيزات الهندسية لمواقع الصواريخ بالجبهة وكذلك استكمال تدريب وحدات الصواريخ سام-٣ الحديثة التشكيل على واجب العمليات ودمجها فى تشكيل قتال دفاع جوى فى الجبهة غرب القناة .
ج- بالإضافة إلى العديد من الإجراءات التى كانت قوات الدفاع الجوى تحتاج إلى بعض الوقت لتنفيذها حتى يتم استكمال مقومات النجاح فى معركتها المنتظرة كما أن هذه الفترة لم تكن تسمح للقوات الجوية الإسرائيلية بزيادة كبيرة فى قدراتها الهجومية تعادل الزيادة المنتظرة فى قدرات الدفاع الجوى المصري فى جبهة القناة .

التطور فى الجانبين :

١١- نتيجة للدعم الأمريكي لإسرائيل بعد حرب٦٧ فقد حدث تطور كبير كما ونوعا فى القوات الجوية الإسرائيلية يمكن تلخيصه فى الأتى :-

أ-الحجم:

ارتفع عدد طائرات القتال الإسرائيلية من ٢٦٦ طائرة عام ٦٧ إلى ٥٤٠ طائرة عام٧٣ أي اكثر من الضعف كما أصبح العدد الأكبر من هذه الطائرات من الطائرات الحديثة (٤١٠ طائرة من الأنواع فانتوم - سكاى هوك - ميراج) .

ب-القوة التدميرية :

ارتفعت من ٢٥٠طنا من القنابل والصواريخ لطلعة قوات جوية واحدة إلى ١٨٢٠طنا، أي اكثر من ٧ أضعاف .

ومعنى ذلك أن القدرة التدميرية لجميع طلعات القوات الجوية الإسرائيلية ضد الجبهة المصرية فى خلال حرب٦٧ - وكانت حوالى ٢٧٠٠ طن . تقل غن القدرة التدميرية ليوم القتال فى حرب ٧٣ (٥٤٠٠طن) بمقدار النصف

ج-القدرات الإلكترونية :

رادارات الطيران المنخفض (متابعة الثنيات الأرضية)، رادارات القصف جو/ارض والاشتباك جو/جو المتطورة . معدات الملاحة الدقيقة الأرضية و المحمولة التي تحقق الوصول إلى الهدف دون خطأ يذكر - معدات الإعاقة اللاسلكية والرادارية - نظم الاستطلاع البصري والرادارى وبالأشعة تحت الحمراء .

د- قدرات خمد نظام الدفاع الجوى :

أجهزة الإنذار والتحذير (سام سونج) - نظام وايلد ويزل للإعاقة والخمد - الصواريخ شرايك المضادة للرادار - الصواريخ مافريك التليفزيونية - القنابل الموجهة وول أي - محطات الإعاقة الأرضية ذات القدرة العالية - طائرات الاستطلاع والإعاقة الإلكترونية المتخصصة .

هـ-التمركز الآمن:

نتيجة لاحتلال القوات الإسرائيلية لسيناء فقد اصبح على الطائرات المصرية الوصول إلى قواعد التمركز الرئيسية فى اسرائيل من مطارات الدلتا والقاهرة وهذا لايمكن تنفيذه حيث أن مدى الطائرات لا يسمح بتحقيق ذلك على الارتفاعات المنخفضة . كما أن مهاجمة هذه القواعد من الارتفاعات المتوسطة والعالية يعتبر انتحارا لأي قوات جوية تحاول ذلك.

ز-المدى وقدرة البقاء فى الجو :
جميع الطائرات الحديثة فى القوات الجوية الإسرائيلية تستطيع الوصول إلى كافة الأهداف الحيوية فى العمق المصري وتهاجمها على الارتفاعات المنخفضة .كما أنها تستطيع عند العمل كمقاتلات أن تبقى فى الجو لمدة ٢-٣ ساعة بالمقارنة بالـ٤٠ دقيقة المتيسرة للمقاتلات المصرية .
ح-التسليح المتطور:
الصواريخ جو /جو سايدويندر -القنابل الأنشطارية -الصواريخ جو /أرض بأنواعها الموجهة -القنابل الزعنفية - القنابل ذات الأوزان الثقيلة ١٠٠٠، ٢٠٠٠رطل .
ط-مستوى الطيارين :
توفر للقوات الجوية الإسرائيلية عدد كبير من الطيارين المتطوعين أو المستدعين من القوات الجوية الغربية وخاصة الولايات المتحدة وهم ذوو خبرة وكفاءة عالية ، ووصلت نسبة الطيارين إلى الطائرات فى أكتوبر٧٣ إلى ٢.١ :١ مما يرفع من نسبة تكرار الطلعات اليومية للطائرة الواحدة .
ى-توافر خبرة القتال الفعلية فى الميادين الأخرى : إذ توافرت لدى القوات الجوية الإسرائيلية جميع نواحي خبرة القتال التى حصلت عليها القوات الجوية الأمريكية فى فيتنام فى مواجهة أسلحة دفاع جوى مشابهة للموجودة لدى الدفاع الجوى المصري .
ك-القدرة العالية فى القتال الجوى :
لما تحمله المقاتلات الإسرائيلية من تجهيزات وأسلحة متفوقة على المتيسر للمقاتلات المصرية .وكذا القدرة على البقاء فى الجو ونظم التوجيه الألكتروني الأرضية مما أدى إلى نجاح إسرائيل خلال حرب الاستنزاف من إخراج المقاتلات المصرية من المعركة .
ل-الدعم الأمريكي :
الذي يقوم باستمرار باستعواض أي خسائر فى الطائرات فى القتال دون مقابل .و كذلك سرعة التزويد بالأسلحة والمعدات الإلكترونية المتطورة بمجرد الحاجة إليها .
١٢- وفى مواجهة التفوق الجوى الإسرائيلي كان لابد من حدوث تطور يتناسب معه فى قوات الدفاع الجوى ويرجع الفضل فى هذا التطور إلى ثلاثة عناصر رئيسية هي :
أ- إنشاء قيادة قوات الدفاع الجوى فى عام ١٩٦٨ وتوليها مسئولية الدفاع الجوى عن سماء مصر.
ب - جهد رجال الدفاع الجوى جميعا وعلى كافة المستويات لتطوير المعدات والأساليب والتكتيكات والخبرة التي اكتسبوها خلال حرب الاستنزاف.
ج - نجاح الرئيس «عبد الناصر» فى يناير١٩٧٠ فى إقناع الاتحاد السوفيتي بضرورة دعم الدفاع الجوى المصري بأنواع جديدة من أسلحة الدفاع الجوى وكذا زيادة حجم هذه الأسلحة لتواجه الزيادة الكبيرة فى زيادة قدرات السلاح الجوى الإسرائيلي
د- التعاون الوثيق والتنسيق الكامل مع القوات الجوية فى التدريبات المشتركة اليومية على كافة المستويات
ويمكن تلخيص التطور فى قوات الدفاع الجوى فى الأتي :-
أ-الحجم :
كان حجم الصواريخ م.ط (وهو السلاح الرئيسي لمواجهة الهجمات الجوية) فى حرب٦٧ وبداية حرب الاستنزاف حوالى ٢٥ كتيبة لا تستطيع فى احسن الأحوال إلا مواجهة ١٠٪ من طائرات الهجمة الجوية الإسرائيلية . كما كان حجم وسائل الاستطلاع الراداري غير قادرة على تغطية سماء مصر ألا

بنسبة ٢٠٪ وبذلك كان يمكن للمقاتلات الإسرائيلية الوصول إلى أهدافها دون اكتشاف نسبة كبيرة منها . وفي حرب أكتوبر٧٣ كان حجم الصواريخ دجو قد ارتفع لاكثر من أربعة أضعاف كما ارتفع حجم وحدات الرادار والإنذار إلى اكثر من الضعف .

ب-النوعية :

كانت نوعية الأسلحة والمعدات المتيسرة لدى الدفاع الجوي المصري لا تتناسب مع طبيعة المعركة مع القوات الجوية الإسرائيلية . فالصواريخ سام-٢ لا تستطيع الاشتباك مع الأهداف التى تطير على ارتفاع اقل من ١٠٠٠ متر تم تخفيضها إلى ٥٠٠متر فى حين كانت الطائرات الإسرائيلية تهاجم باستمرار تحت هذه الارتفاعات . كما أن هذه المعدات ثقيلة الوزن كبيرة الحجم وتفتقر إلى خفة الحركة حيث كانت أزمنة التجهيز للقتال وللتحرك هي ٤-٦ ساعات مما جعل الغرب يطلق عليها البطة الجالسة Sitting Duck التي يسهل اصطيادها .كما كانت هذه المعدات تعانى من عيوب كثيرة فى مقاومة الإعاقة الإلكترونية والاشتباك مع الأهداف المفاجئة والقريبة والتي تقوم بالمناورة ، والتميز بين العدو والصديق .وكلها أمور من المنتظر أن تحدث فى القتال الفعلي . كما أنها معرضة بشدة لتأثير الصواريخ المضادة للرادار مثل الشرايك وليس هناك من وسيلة للحماية منه .

أما معدات وأسلحة المدفعية م ط فقد كانت من أسلحة الحرب العالمية الثانية من إنتاج الثلاثينات والأربعينات ولا تتناسب قدراتها بأي حال مع ظروف التعامل مع الطائرات الحديثة .

وكذلك كانت معدات رادار الإنذار وتوجيه المقاتلات تستخدم تكنولوجيا متقادمة وتفتقر إلى عناصر تأمين القتال الرئيسية من وسائل العمل تحت ظروف الإعاقة الإلكترونية ،والقياس الدقيق للإحداثيات الثلاثة للأهداف الجوية .كما لم يتوفر بها أي وسائل حديثة لرصد وتتبع الأهداف الجوية السريعة وقد اعتمدت تماما على الأسلوب اليدوي الذي يتميز بالبطء وعدم الدقة .وبالإضافة إلى ذلك كان مدى هذه المعدات على الارتفاعات المنخفضة صغيرا ولا يحقق زمن الإنذار اللازم لوسائل الدفاع الإيجابية .

وفى الفترة من ٦٧إلى ٧٣ تم تطوير كبير فى قدرات معدات الصواريخ والرادار المصرية للتغلب على العيوب السابقة كما دخلت الخدمة أسلحة ومعدات جديدة :

فى الصواريخ : سام٣ سام٧ ، سام٦ الأكثر قدرة على العمل ضد الارتفاعات المنخفضة.

فى المدفعية م ط :نظام «الشيلكا» ٢٣مم الرباعي المجنزر ذو الفاعلية العالية ضد الارتفاعات المنخفضة. وكذا نظام « فازا » الذي رفع كفاءة المدفعية م ط ٥٧مم.

وفى الرادار : ب١٥، ب١١، ب١٤ ، ب٣٥ التى حسنت إلى حد كبير القدرة على كشف الأهداف المنخفضة والعالية وكذا دقة قياس الإحداثيات .

جـ-القيادة والسيطرة :

كانت وحدات الدفاع الجوى موزعة بين قيادات مختلفة فكانت الصواريخ والمدفعية م ط تتبع إدارة المدفعية تبعيه كاملة .و لكنها توضع تحت القيادة للعمليات للقوات الجوية طبقاً لأوضاع الاستعداد من مراكز قيادة خاصة بها .وكانت المقاتلات ووحدات الرادار والإنذار ومراكز عملياتها تتبع القوات الجوية ، ولم تكن هناك أي مراكز قيادة مشتركة تجمع بين عناصر الدفاع الجوى الثلاثة . كما لم تكن هناك أي وحدات معاونة مخصصة لعناصر الدفاع الجوى وانما كانت تعتمد فى تأمينها الفنى والإشاري والإداري على الإدارات المركزية للقوات المسلحة .وقد أدى هذا الوضع إلى ضعف القيادة والسيطرة على عناصر الدفاع الجوى وكذا التعاون فيما بينها أثناء معركة الدفاع الجوى التى لا تستغرق سوى عدة دقائق والتي يجب أن تتم بفكر موحد وبشبكة متكاملة العناصر على كافة

المستويات لتحقيق أكبر استفادة من قدرات وإمكانيات هذه العناصر .وقد تحسنت القيادة والسيطرة بإنشاء قيادة الدفاع الجوى وتوافر معدات إلكترونية للقيادة والسيطرة (فوزدوخ - اسورك) .

د-صمود نظام الدفاع الجوى :

والمقصود بهذا التعبير هو استمرار نظام الدفاع فى أداء مهامه القتالية تحت ظروف قيام العدو بمهاجمته بالضربات الجوية أو خمده بالوسائل الالكترونيه أو أسلحة الخمد . وهذا يعتمد على العناصر الآتية :

(١) شبكة من المواقع ومراكز القيادة المحصنة بدرجه تكفى لوقاية الأطقم من تأثير أسلحة الهجوم الجوى المعادية .

(٢) شبكة من المواقع ومراكز القيادة التبادلية للمناوره إليها عند الحاجة.

(٣) شبكة من المواقع ومراكز القيادة الخداعية التى تماثل الحقيقية شكلاً وإشعاعا لجذب جزء كبير من نيران العدو الجوى دون التأثير على قواتنا .

(٤) تنظيم الإشعاع الرادارى وتوزيع الترددات لعناصر الدفاع الجوى والسيطرة على هذا المجال الإلكتروني لمنع العدو من استطلاعه والاستفادة منه فى التخطيط وإجراءات مهاجمة وخمد وإسكات هذه الوسائل المشعة .

(٥) سرعة استعادة موقف عناصر الدفاع الجوي المصابة وسرعة أعادتها جاهزة للقتال للمحافظة على الكفاءة القتالية للوحدات والتشكيلات طوال المعركة ولتنفيذ ذلك يلزم إجراء العديد من الإجراءات قبل القتال .

(٦) تقليل فاعلية أعمال العدو الإلكترونية المضادة . وكذلك نتائج استخدامه لأسلحة الخمد بإتباع مجموعه من الإجراءات التنظيمية والتكتيكية والآلكترونيه أثناء القتال والتي تحتاج إلى تدريب مستمر على مستوى عال جداً أثناء التخطيط والإعداد القتال .

وقد تم خلال فترة الأعداد لحرب أكتوبر٧٣ توفير جميع عناصر الصمود اللازمة لقوات الدفاع الجوى فى المعركة المنتظرة .فأنشأت مئات المواقع الاصليه والتبادلية والخداعية وكذا مراكز القيادة . وتم فتح مراكز الإصلاح المتقدمة وتزويدها بالمهندسين ذوى الخبرة بالإضافة إلى المكونات الحرجة وقطع الغيار الهامة . كما وضعت ونفذت خطة السيطرة على الإشعاع وتم تدريب الأطقم على الأساليب التكتيكية والتنظيمية اللازمة لتقليل الأسلحة ضد الدفاع الجوى .

هـ-القدرات الإلكترونية :

دخلت الخدمة وحدات الإعاقة أرض /جو للتشويش على رادارات الطائرات المعادية لأول مرة فى عام ١٩٧٠.

و-الإنذار :

بتوافر وسائل مناسبة للمواصلات اعتباراً من عام١٩٧٠ ارتفعت قدرة الإنذار ٣مرات ، كما انخفضت أزمنة الإنذار إلى اقل من الثلث تقريباً وإلى الصفر فى بعض الحالات.

ز-التعاون مع القوات الجوية:

أنشئت مراكز القيادة المشتركة لوحدات الرادار والمقاتلات والصواريخ وأصبحت هي الأسلوب السائد للقيادة والسيطرة ، وتمت التدريبات المشتركة من هذه المركز .كما تم تزويد كتائب الصواريخ بأجهزة التعارف على الطائرات الصديقة .

وذلك بالإضافة إلى العديد من التحسينات التى أدخلتها أطقم القتال على التكتيكات وأساليب الاشتباك وإدارة النيران وخفة الحركة أدت إلى تحسن كبير فى هذا المجال .

التخطيط للعمليات الهجومية :-

١٤- بدأ التخطيط للعمليات الهجومية منذ يوم٨ أغسطس ١٩٧٠ (بداية الثلاثة شهور الأولى لوقف القتال) واستمر دون توقف حتى أكتوبر١٩٧٣ ومر بمراحل وخطط مختلفة الأهداف والأعماق وحجم القوات المشتركة .

فبدأ فى أغسطس ٧٠ بما سمى خطط الاستيلاء على النقط القوية . ثم توقف مؤقتاً بوفاة الرئيس «جمال عبد الناصر» فى نهاية سبتمبر ١٩٧٠ وتولى الرئيس «السادات» للسلطة إلا أنه أستؤنف بسرعة ليسمى خطة العمليات المحدودة في ديسمبر ١٩٧٠ وليتحول إلى العملية جرانيت فى أبريل١٩٧١ ثم المآذن العالية فى سبتمبر١٩٧١ وكذا الخطة٤١ تقريباً فى نفس الوقت .

واعتباراً من بداية عام١٩٧٢ بدأ التخطيط للعملية جرانيت -٢ وكذا إعداد القوات ومسرح العمليات لهذه الخطة التى كان وقت الاستعداد لها أول سبتمبر ٧٢ وقد شاركت قوات الدفاع الجوى مع باقي أفرع القوات المسلحة فى التخطيط لهذه العمليات بمجموعات صغيرة من ضباط العمليات تحقيقاً للسرية الكاملة .

وفى سبتمبر ١٩٧٢ وبعد تعيين المشير أحمد إسماعيل وزيراً للحربية ، وبعد خروج القوات السوفيتية من مصر فى يوليو ١٩٧٢بدأت إعادة دراسة لخطط العمليات السابقة وآخرها جرانيت-٢ وذلك بغرض أعداد خطة جديدة للعملية الهجومية لتحرير الأرض بالإمكانيات المتيسرة وبالتنسيق مع الجبهة السورية أطلق عليها جرانيت ٢ المعدلة .وقد حاولت هذه الخطة التغلب علي ما شاب الخطط السابقة من أوجه النقص .كما حاولت أن تجد الإجابات العملية والمجدية للمصاعب التى كانت تواجه هذه الخطط فكانت خطة حرب أكتوبر ٧٣والتى تشهد نتائجها بمدى موضوعية ودقة ومرونة هذه الخطة العبقرية .

وقد شاركت قوات الدفاع الجوى فى التخطيط للدفاع الجوى عن هذه العملية اعتباراً من نوفمبر١٩٧٢ حتى مارس١٩٧٣ ثم تم تدقيق الخطة فى صورتها النهائية فى سبتمبر ١٩٧٣

تحديات التخطيط لقوات الدفاع الجوى فى حرب اكتوبر٧٣ :-

أ-كان أول التحديات أن قوات الدفاع الجوى ستتحمل العبء الأكبر فى مواجهة القوات الجوية المتفوقة بكامل قدراتها . وذلك لأن قواتنا الجوية لم تكن قادرة لقصر مدى طائراتها - على الوصول إلى قواعد التمركز الرئيسية لسلاح الجو الإسرائيلي لتوجيه ضربة جوية لها وإنزال خسائر ملموسة فى طائراتها على الأرض، لتمنع جزءاً كبيرا منها من الاشتراك فى المعركة كما فعلت القوات الجوية الاسرائيلية عام٦٧

ب-وقد ساهم في تخفيف هذا العبء إجراءان تضمنتهما خطة القوات المسلحة :

الأول :أن تتم العملية فى وقت واحد مع الجبهة السورية مما سيؤدى إلى توزيع المجهود الجوى على الجبهتين .

الثاني: أن مركز الإعاقة الإلكترونية الرئيسي فى أم خشيب كان على رأس قائمة الأهداف التي تقوم قواتنا الجوية بقصفها فى الهجمة الأولى . وقد ساعد ذلك على تخفيف وطأة الإعاقة الإلكترونية على وحدات الدفاع الجوى فى الأيام الأولى من القتال .

ج-اتساع مسرح العمليات الدفاع الجوى الذي يمتد غرباً حتى مرسى مطروح وجنوباً حتى راس بناس وأسوان وضرورة انتشار قوات الدفاع الجوى لحماية الأهداف الحيوية الهامة مع ضرورة تركيز الجهود لحماية القوات البرية والأهداف الهامة فى منطقة القناة

وقد تم مواجهة هذا التحدي بخطة متوازنة تحقق حماية الأهداف الحيوية بكثافة مناسبة مع المناورة بالقوات والوسائل لتحقيق التركيز المطلوب فى منطقة القناة . كما تم تنظيم التعاون مع القوات الجوية لحماية المناطق والأهداف التي لا يتوفر لها عناصر دفاع جوى قوية .

د-أن حسم نتائج المعركة الرئيسية مع القوات الجوية الاسرائيلية فى منطقة القناة فى الساعات والأيام الأولي يعتبر أمرا مصيرياً للقوات المسلحة ، ويتوقف عليه -إلى حد كبير - نجاح المعارك البرية ، التى ستهيأ لها هذه الحماية ، الظروف المناسبة لتحقيق النصر ، وفى هذا المجال فقد راعت الخطة ان يتم تدعيم الجيوش الميدانية بأكبر قدر ممكن من وسائل الدفاع الجوى خفيفة الحركة على ان يتم استعواض خسائرها باستمرار على حساب العمق .

هـ على قوات الدفاع الجوى أن تكون جاهزة لصد ضربة الإحباط المعادية أو الهجمات الجوية المركزة من الاوضاع الدفاعية ، ثم تتحول بسرعة إلى الأوضاع اللازمة لتحقيق مهمتها الرئيسية فى وقاية القوات البرية أثناء العملية الهجومية .

و-إن العدو سيحاول - بكل الطرق- تدمير عناصر الدفاع الجوى بالجبهة أو إسكاتها باستخدام كافة الوسائل الإلكترونية والتكتيكية والنيرانية وأسلحة الخمد فى معركة حياة أو موت يجب ان تخرج منها قوات الدفاع الجوى قوية قادرة على الاستمرار فى القتال وتنفيذ المهام المكلفة بها .

ز-أن حجم عناصر الدفاع الجوى المتحركة ذات الفاعلية غير كاف لتغطية القوات فى المرحلة النهائية للعملية ، وقد راعت خطة القوات المسلحة ذلك عندما حددت شرط تنفيذ هذه المهمة بتوفر الظروف المناسبة ومعنى ذلك انخفاض قدرات السلاح الجوى الإسرائيلي إلى الدرجة التي تكفى العناصر . كما ان قوات الدفاع الجوى خططت لتدعيم الحماية م ط فى هذه المرحلة باستخدام صواريخ الدفاع الجوى الثقيلة بأسلوب الانتقالات المتتالية .

مواجهة التحديات :-

١٥-ولمواجهة التحديات السابقة فان خطة الدفاع الجوى للعملية شملت الإجراءات الرئيسية التالية:

أ- مواجهة الهجمات الجوية المعادية المتوقعة خلال الفترة التحضيرية بتجمعات قوية ومتماسكة ومتكاملة من مختلف أنواع عناصر الدفاع الجوى طبقا للخطة الدفاعية الجيدة الإعداد .

ب- عدم إجراء أي مناورة بقوات ووسائل الدفاع الجوى إلا فى أخر وقت ممكن قبل بدء العملية .

جـ-تطبيق مبدأ الحشد فى اتجاه المجهود الرئيسي باستخدام ١٠٠٪ من عناصر الدفاع الجوى المتحركة فى النسق الأول للدفاع الجوى بالجبهة ، ٤٠٪ من الصواريخ م ط ، ٧٠٪ من وحدات المدفعية م ط والاستريلا.

د- المحافظة على سرية ترددات الأسلحة الجديدة ومنع إشعاعها إلا مع بدء المعركة .

هـ-التركيز الشديد على حماية المعابر بحيث تتوفر حماية لكل معبر بقدرة صد لا تقل عن ١٢هدفا فى وقت واحد طوال العملية .

و-انتقال وحدات الصواريخ - فى المرحلة الأولى - إلى مواقع متقدمة غرب القناة تحقق وقاية القوات شرق القناة حتى عمق ١٥كم على الارتفاعات المنخفضة .

ز-انتقال ٦٠٪ من وحدات الصواريخ بالجبهة إلى مواقع شرق القناة خلف الأنساق الثانية للجيوش الميدانية عند دفعها لتنفيذ المرحلة المهمة النهائية .

ح-الاحتفاظ باحتياطي قوى من عناصر الصواريخ م ط حوالى ١٥٪ يمكن له تدعيم الدفاع بالصواريخ فى الجبهة فى خلال ٦ساعات ، بالإضافة إلى احتياطي بعيد يشترك فى القتال فى خلال ٢٤ -٤٨ ساعة .

ط- إنشاء حقل راداري مستترا فى الاتجاهات التى يحتمل فيها تقلص الحقل الأصلي .
ى- توفير جميع عناصر الصمود لنظام الدفاع الجوى بالجبهة مع السيطرة الكاملة على الإشعاع لمنع العدو من استخدام أسلحة الخمد المتيسرة لدية .
ك-تحقيق تنظيم تعاون وثيق مع القوات الجوية بتوفير الدفاع عن المطارات المتقدمة عند احتلالها ، والسيطرة على أعمال قتال المقاتلات من مراكز مشتركة
وذلك بالإضافة إلى مجموعة كبيرة أخري من الإجراءات لا يتسع المجال لسردها .

١٦- وفى النهاية اقدم أحد الأمثلة على ذكاء التخطيط المصري :-
كان من المهام الرئيسية التى تكلف بها قوات الدفاع الجوى مع كل تخطيط لعملية هجومية - منع العدو الجوى من الاستطلاع أثناء الفترة التحضيرية- وكانت طائرات الاستطلاع الاسرائيلية تقوم بطلعات شبة يومية فى خطوط سير موازية للقناة وشرقها بعمق ٥-١٠كم . وقد قامت قوات الدفاع الجوى لتنفيذ هذه المهمة بإقامة كمائن صاروخية غرب القناة مباشرة للاشتباك مع هذه الطائرات ومنعها من تحقيق مهامها وقد تم ذلك ٣ مرات خلال الأعوام ٧١-٧٣ .
وفى الأولى في سبتمبر ١٩٧١ تم إسقاط طائرة الاستطلاع الإلكتروني الإسرائيلية الضخمة شرق البحيرات المرة . وكان رد الفعل الإسرائيلي رفع درجة استعداد قواتها الجوية وتوجيه ضربة صاروخية بالشرايك
-لأول مرة - ضد عناصر الدفاع الجوى فى الجبهة . وأعلنت إسرائيل أنها قضت تماماً على الدفاع الجوى المصري فى منطقة القناة ، واعتبرت ان هذه ضربة إحباط فى حالة استعداد القوات المصرية للعبور ، كما انها ضربة انتقامية لإسقاط طائرة الاستطلاع الإلكتروني الهامة . والحقيقة أن خسائر عناصر الدفاع الجوى من هذه الضربة كانت طفيفة نظراً لتطبيق جميع الوحدات أساليب التعامل مع الشرايك والتي صدرت الأوامر بتنفيذها فى اليوم السابق .
وفى المرتين التاليتين تم الاشتباك مع طائرتي فانتوم شرق القناة فى أكتوبر ٧٢ وفى مارس٧٣ . ونتيجة لذلك فقد ابتعدت طلعات الاستطلاع الاسرائيلية اعتباراً من هذا التاريخ إلى مسافة ٢٠-٣٠كم شرق القناة . وفى كل مرة من هذه المرات الثلاث كانت إسرائيل تقوم برفع درجة استعداد قواتها المسلحة وخاصة قواتها الجوية تحسباً لاحتمال العبور المصري ثم يظهر لها بعد ذلك انه كان إنذارا كاذباً .
اما فى الفترة التحضيرية لحرب أكتوبر ٧٣ فقد امتنعت قوات الدفاع الجوى عن الاشتباك مع طائرات الاستطلاع الاسرائيلية شرق القناة . وكانت الأوامر هى السماح لهذه الطائرات بالطيران شرق القناة وعدم الاشتباك معها الا اذا حاولت اختراق المجال الجوى المصري . وكان وراء هذا القرار هدفان :-
الأول : تهدئة أعصاب القيادة الإسرائيلية و إقناعها بان التحركات التى تراها تتم فى إطار مناورة الخريف المصرية المعلن عنها . إذ ليس من المعقول ان تكون القوات المصرية بصدد القيام بعمليات هجومية حقيقية دون ان تمنع الطائرات الإسرائيلية من الاستطلاع شرق القناة .
والثاني : انه من المفيد أن تصل معلومات الاستطلاع إلى القيادة الإسرائيلية لتزيد من ارتباكها ، حيث أن معظم هذه المعلومات مضلل ويتم فى نطاق خطة الخداع الذكية التى مارستها القيادة المصرية فى هذا الوقت بمقدرة فائقة .

التخطيط للدفاع الجوى عن القوات البرية فى حرب أكتوبر ٧٣

نطاق التغطية بنيران الصواريخ
المرحلة الثانية
التغطية بنيران الصواريخ
بداخل سيناء ٦/١٠/٧٣
بورسعيد
البحر الأبيض المتوسط
بورفؤاد
منطقة تمركز صواريخ الدفاع الجوى
المرحلة الثانية
الكاب
منطقة تمركز صواريخ الدفاع الجوى
٦/١٠/٧٣
الحسينية
القنطرة
البلاح
الفردان
الإسماعيلية
الطاسة
التل الكبير
القصاصين
الدفرسوار
البحيرات
المره
الشلوفة
إلى القاهرة
السويس
بور توفيق
رأس سدر
خليج السويس

التعقيب على الجلسة الثانية

المشير/ محمد على فهمى

قائد قوات الدفاع الجوى إبان حرب أكتوبر ١٩٧٣

سوف أوجز تعليقي علي أربعة تحديات واجهت القوات المسلحة المصرية في حرب أكتوبر ١٩٧٣ وكيف تم التغلب عليها ، **أول** هذه التحديات هو الحصول علي السلاح ، **ثانيها**: التفوق الإسرائيلي ، **ثالثها**: المفاجأة ، **رابعها** :الثغرة أو جيب الدفرسوار .

إذا تحدثنا عن التحديات فأن **أول وأكبر تحد** - بعد نكسة ٦٧ - **كيفية الحصول علي السلاح** - كيف تم الحصول عليه سوف أخبركم عنها - و يحضرني في هذا المقام أنه في أول الحرب العالمية عندما عانى الحلفاء من الهزيمة في جميع الميادين ، وقف تشرشل في مجلس العموم وصرخ في ممثلي الشعب البريطاني قائلا » أعطوني السلاح أعطيكم النصر « ، فكان التحدي في كيفية حصولنا علي السلاح .

في يوليو ٦٩ صعد الطيران الإسرائيلي عملياته ضد قواتنا في الجبهة ، و فوق القاهرة ، وضد الأهداف الحيوية في العمق ، وكان يهدف بذلك إلي ثلاثة أشياء:

الأول : تأسيس الجبهة الداخلية

الثاني : كسب الحرب بدون معركة

الثالث : تحويل خطوط المواجهة إلي حدود دائمة بيننا وبين إسرائيل

في ديسمبر ١٩٦٩ أمر الرئيس **جمال عبد الناصر** بإرسال وفد علي أعلي مستوي يرأسه **أنور السادات** - نائب الرئيس وقتئذ - ويرافقه وزير الدفاع **محمد فوزي** إلي موسكو ، ولم ينجح هذا الوفد إلا في الحصول علي نسبة ضئيلة من الطلبات المقدمة ،و في الفترة من ١٤ ديسمبر ١٩٦٩ إلي ١٧ ديسمبر ١٩٦٩ سافر اللواء **حسني مبارك رئيس أركان القوات الجوية**، وأنا كنت في ذلك الوقت قائد قوات الدفاع الجوي إلي موسكو كي نوقع بروتوكولات الأسلحة التي تم التعاقد عليها ، وكذلك الاتفاق علي

التدريب علي هذه الأسلحة مع الجانب السوفيتي ، وفي أوائل يناير وصلت لإسرائيل دفعة كبيرة من طائرات الفانتوم الحديثة الأمر الذي شجع إسرائيل علي أن تصعد عملياتها الجوية ضد العمق المصري ، وبلغ عدد الطلعات في اليوم الواحد ١٤٥ طلعة ، كانت تهدف اسرائيل من وراء ذلك إلي إثارة الجبهة الداخلية ضد نظام الرئيس جمال عبد الناصر وإسقاطه ، القيادة السياسية وجدت أن الموقف اصبح خطيراً ويتطلب التحرك السريع.

في الفترة من ٢٢ : ٢٥ يناير ١٩٧٠ سافر **الرئيس جمال عبد الناصر** في زيارة سرية إلي موسكو ومعه طلبات القوات المسلحة ، ونجح في الحصول علي أسلحة مناسبة للقوات المصرية للعمليات الهجومية ، وحسب الاتفاق كانت هذه الأسلحة ستصل تباعا خلال مارس -إبريل ١٩٧٠ ، وبذلك أصبح لدينا إمكانية بناء دفاع جوي قويا في الجبهة أطلق عليه بعد ذلك «حائط الصواريخ » ، وتحت حماية هذا الحائط وبالتعاون مع القوات الجوية سيتم إعداد القوات للعملية الهجومية ، في حدود الوقت المتاح لي لن أستطيع أن أقول أكثر من ذلك عن حائط الصواريخ ، في رأيى أن حائط الصواريخ نقطة تحول بالنسبة للقوات المسلحة وبالنسبة للحرب لأنه كما ذكر تشرشل في أكتوبر ١٩٤٢ بعد معركة العلمين » أنه يعتبر معركة العلمين نقطة تحول في الحرب ، وانه قبل معركة العلمين لم نعرف إلا الهزائم وبعد المعركة لم نعرف الهزائم « ، وأنا أقول انه قبل بناء حائط الصواريخ كانت الخسائر كبيرة وبعد بناء الحائط كانت الخسائر قليلة .

إذا انتقلنا إلي **التحدي الثاني ، وهو التفوق الإسرائيلي** ، نجد إنه بوجود إسرائيل شرق قناة السويس ، متفوقة في الأسلحة والمعدات ، كان لا بد من مواجهتها بخطة غير نمطية ، وعندما نجحنا في إقامة شبكة الصواريخ وتجميع الصواريخ في غرب قناة السويس ، وهو ما أطلقت عليه جولدا مائير - رئيسة الوزراء الإسرائيلية- » غابة الصواريخ « ، ببناء حائط الصواريخ - كسبنا المعركة قبل أن تبدأ- ، الخطة الإسرائيلية كانت مبنية علي ما اسماه الإسرائيليون الصد الكامل بمعني أن القوات البرية النظامية الإسرائيلية بمعاونة القوات الجوية الإسرائيلية تقوم بقتال العدو علي الجبهة المصرية في قناة السويس وليس أبعد من ذلك والجبهة السورية علي الخندق م.د وليس أبعد من ذلك ، ولكن بوجود حائط الصواريخ تم تحييد الطيران -أى أن الطيران لن يتمكن من تقديم المعاونة للقوات البرية الإسرائيلية في عملية الصد الكامل - علي الجبهة وشرق قناة السويس، ولذا أصبحت الخطة الإسرائيلية غير قابلة للتنفيذ .

وذلك ما أكده **زعيرا** - مدير المخابرات الحربية الإسرائيلية في حرب ٧٣- في كتابه « حرب يوم الغفران» -ذكر فيه تعليقا علي الخطة الإسرائيلية - « لاشك ان رئيس هيئة الأركان » «عازار » قد أصيب هنا بعمى منطقي جعله يتمسك بنظرية الدفاع المستميت أو الصد الكامل علي طول الحدود - وضع بين قوسين - « يجب قتل العدو الجنوبي في القيادة الجنوبية في قناة السويس وفي القيادة الشمالية علي الخندق المضاد للدبابات وليس لأعمق من ذلك » لم يتنبه رئيس هيئة الأركان ولا وزير الدفاع **موسى ديان** للصدام المأساوي الذى يحمل كارثة بين اجنابه بين نظرية الدفاع المستميت وبين تغير الوضع الإستراتيجي نتيجة نصب شبكات الصواريخ ارض -جو أن أحدا منهما لم يستوعب أن سلاح الطيران لن يتمكن من تأدية المهمة التي يكلفانه بها في مرحلة الصد وأنه طالما لم يتم القضاء علي الصواريخ لن تكون هناك معاونة للقوات وبالتالي لن تؤتي النتائج المرجوة منها والتي كان يرجوها بدون أى مبرر وزير الدفاع ورئيس هيئة الأركان

وهنا يتبادر سؤال لماذا لم تدمر إسرائيل الصواريخ ؟ وقد أجاب عن ذلك **ديان** -وزير الدفاع

الإسرائيلي - قائلا « لم تكن لدينا التكنولوجيا المتقدمة للتغلب علي الأعداد الضخمة من الصواريخ المضادة للطائرات الحديثة ، والتي كانت تدافع عن القوات المصرية في الجبهة ، والتي كانت منتشرة بأعداد كبيرة حول المطارات والأهداف الحيوية علي طول البلاد وعرضها ، وكانت الخسائر كبيرة والثمن باهظا في كل مرة حاولنا فيها تدميره ».

عندما نتحدث عن **التحدي الثالث وهو المفاجأة** ، نجد أنه من التحديات التي واجهت قواتنا المسلحة كيف نفاجئ القوات الإسرائيلية التي تدعمها أمريكا بجميع وسائل الاستطلاع الحديثة من طائرات و معلومات وأقمار صناعية وأجهزة تنصت كانت منتشرة بالعشرات داخل سيناء وكان يعمل عليها أمريكيون وبالتالي كانت تصل المعلومات إلي إسرائيل، كان علينا أن نفاجئ إسرائيل بأسلوب غير متوقع كما قال المعلقون العسكريون الأمريكيون » بطريقة غير تقليدية « وفعلا جاءت الضربة تكتيكيا وإستراتيجيا مفاجأة للتصور الإسرائيلي والأمريكي علي السواء لأنهم كانوا يعتقدون أن العبور سيتم بطريقة تقليدية وهي ، مجموعة صغيرة من الأخصائيين تعبر في المقدمة يتبعها أعداد قليلة من المشاة لتعمل رؤوس الشواطئ المبدئية وبعد ذلك يأتي دور المدرعات مدعومة بالمشاة الميكانيكية والمدفعية لتطوير رؤوس الشواطئ بسرعة ، لكن ما حدث كان شيئا غير تقليدي وغير وارد في السيناريو الإسرائيلي، فالقوات المصرية عبرت بعناصر من المهندسين عالية التدريب والكفاءة ، تبعتها عناصر المشاة المترجلة في القوارب المطاطية .

وقد ذكر الإسرائيليون « أن القوات المصرية كانت تتدفق علي الشاطئ الشرقي كالنمل ، وان أعدادهم وصلت إلي ٧٠ ألفا- وقد ذكر المشير الجمسي أن الأعداد وصلت إلي ٨٠ ألفا- ، وأن المدرعات لحقت بالقوات في اليومين الرابع والخامس من القتال ، وأن المصريين لم يحاولوا تعميق رؤوس الشواطئ بقدر ما كان يشغلهم توسيع رؤوس الشواطئ ، وان عمق رؤوس الشواطئ وصل في ثاني يوم قتال بين ٦و١٠ أميال ، وقد تم توسيع رؤوس الشواطئ بحيث يقل عدد الفواصل بين الرؤوس ، وقد بدت خمسة رؤوس وكأنهم رأس شاطئ واحد كبيرا ، وفي أقل من ٣٦ ساعة تم دعم رؤوس الشواطئ بموانع م.د والأسلحة م.د ».

٨ أكتوبر جاءت المفاجأة الكبرى ،بوصول احتياطي المدرعات الاستراتيجية للجانب الإسرائيلي ، كان الجانب الإسرائيلي يأمل في سحق المصريين وتطهير الخريطة منهم ، وذكر أحد قادة المدرعات الإسرائيلية » ان الهجوم المدرع سيمضى كما تمضى السكين في الزبد ، وانه فور ظهور المدرعات في رؤوس الشواطئ المصرية فإن الجنود المشاة سيجرون هربا من أمام الدبابات الإسرائيلية المدمرة « ، ولكن ما أن أنقشع ضباب المعركة حتى ظهر المسرح وعليه مئات الدبابات الإسرائيلية المدمرة ومئات من القتلى ، و تعد أسوأ كارثة حلت بجيش الدفاع الإسرائيلي في تاريخه منذ إنشائه ، وقد ذكر المؤرخون الأمريكيون » أن التخطيط الجيد للمصريين واستخدامهم للصواريخ المضادة للدبابات بكثافة هز عرش المدرعات التي ظلت خمسين عاما مثلا ونموذجا لقوة الصدمة « .

التحدي الأخير وهو الثغرة أو جيب الفرسوار ، يبدو أنه تحد كبير -لكن في رأيي ليس تحديا بالمرة - ، في ليلة ١٥ ،١٦ أكتوبر تسللت عبر قناة السويس عند الدفراسوار سرية دبابات يرافقها بعض عناصر من المظليين ، كان من أهدافها الرئيسية تدمير كتائب الصواريخ الموجودة في المنطقة ، لاعطاء الحرية للطيران الإسرائيلي في تقديم العون للقوات البرية التي ستقوم بعمل رأس شاطئ معاكسا في منطقة الدفراسوار وقد أطلق الإسرائيليون علي هذه العملية » القلب الجسور « ، تمكنت الدبابات من تدمير الكثير من كتائب الصواريخ الموجودة في المنطقة ، كانوا يصيبون هوائي الكتائب من بعيد عن طريق

الدبابات ، ولكن النتيجة النهائية أسفرت عن تدمير عدد ٢ هوائي لأثنتين من الكتائب نظرا لان الكتائب الهيكلية امتصت باقي الضربات وقللت عدد الخسائر ، أعطيت أمراً بالتحرك لكتائب الصواريخ الموجودة في المنطقة لتتحرك بسرعة في أقل من ١٢ ساعة إلي مواقع تبادلية وأحاطت الجيب الإسرائيلي بشبكة من الصواريخ .

وأصبح حائط الصواريخ محاصرا للجيب الإسرائيلي ، واحتوى الجيب لتقديم العون للقوات البرية المصرية التي كانت تصد التقدم الإسرائيلي غرباً ، بتماسك حائط الصد أصبح الطيران الإسرائيلي غير قادر علي تقديم المعاونة للقوات البرية في الجيب أو منع الهجمات المضادة عليها ، وبذلك أصبحت القوات الإسرائيلية في الجيب في موقف غاية في الخطورة كما ذكر في كتاب « أوراق واشنطن » الصادر عن جامعة جورج تاون ١٩٧٣ ليذكر دروس الحرب في صفحة ٤٤ » كي تقوم باختراق قلمي - أى هجوم علي مواجهة ضيقة - في عمق دفاعات العدو فان ذلك يتوقف علي قدرة القوات الجوية علي عزل ميدان المعركة وعلي منع الهجمات المضادة وإذا لم تتوافر مثل هذه الظروف فان الموقف سيكون بالغ الخطورة ، كما هو الحال عندما اكتشف الإسرائيليون موقفهم ووضعهم بين الجيشين الثاني والثالث غربي قناة السويس ».

أقوى دليل علي تماسك حائط الصواريخ المصري انه في الفترة من ١٥إلي ٢٥ أكتوبر تم إسقاط ٦٦ طائرة إسرائيلية ، وفي فترة وقف إطلاق النار التي بدأت رسميا من ٢١ وفعليا من ٢٨ أكتوبر حتى توقيع اتفاقية الفصل بين القوات في ١٨يناير ١٩٧٤ تم إسقاط ١١ طائرة ، ودليلا علي خطورة موقف القوات المتواجدة بالجيب ،نجد أنه بعد ما وضعنا الخطة » شامل« لتصفية الجيب عسكريا ، **اتصل هنري كيسنجر- وزير الخارجية الأمريكي -بالرئيس السادات قائلا** : أن قوات الجيب الإسرائيلية مستعدة للانسحاب بالمفاوضات سلميا وعودتها إلي شرق قناة السويس ، وفي حالة إصرار مصر علي تصفية الجيب عسكريا فستقف أمريكا بجوار إسرائيل « ،لان أمريكا لن تسمح للسلاح السوفيتي أن يتغلب علي السلاح الأمريكي . و في اتفاقية فصل القوات ١٩٧٤/١/١٨ تم الاتفاق علي انسحاب قوات الجيب إلي شرق القناة ، وفي يوم ١٩٧٤/٣/٥ كان وصول اخر جندي إلي شرق القناة .

في الختام نجد أن خسائر إسرائيل في الحرب كانت هائلة ، بلغت حسب تعداد سكانها خمسة أمثال خسائر المصريين ، وأربعة أمثال خسائر الأمريكيين في حرب فيتنام ، الخسائر الهائلة هزت القيادة الإسرائيلية ، وبعد الحرب أخذ الجنرالات الإسرائيليون في تبادل الاتهامات وسميت « بحرب الجنرالات » ، **وكذلك أمرت جولدا مائير - رئيسة الوزراء-** بتشكيل لجنة تحقيقات كانت مهمتها التحقيق في الأخطاء القاتلة سميت « لجنة أجرانات » .

إنجازاتنا في الحرب فاقت كل تقدير ، عقب الحرب ذكرت مجلة **التايم الأمريكية** :

« أننا نشك كثيراً في أن أعمال التخطيط والتنسيق وإدارة أعمال القتال في حرب أكتوبر ١٩٧٣ وخاصة في النواحي المعقدة لحرب الصواريخ المضادة للطائرات أن تكون من عمل المصريين وحدهم » ، وعندما تقابلت لأول مرة مع **عزرا فيتسمان** - وزير الدفاع الإسرائيلي - وأنا وقتها كنت رئيس أركان حرب القوات المسلحة في اللجنة العسكرية المنبثقة عن مؤتمر القاهرة التحضيري لمؤتمر السلام قال :-

جنرال فهمي إن قواتكم جعلتنا نمر بوقت عصيب خلال حرب كيبور .

التعقيب على الجلسة الثانية

لواء بحرى /أشرف رفعت

رئيس شعبة العمليات البحرية إبان حرب أكتوبر ١٩٧٣

سأبدا بشكر الزميل يسرى قنديل علي بحثه الرائع ، حيث تناول معظم جوانب العمليات البحرية في حرب أكتوبر ، و أرجو أن تسمحوا لي بإضافة بعض المعلومات - حيث شغلت منصب رئيس شعبة العمليات البحرية من عام ١٩٦٩إلي ١٩٧٦ - لإيضاح فكر التخطيط البحري لعمليات حرب أكتوبر ، هناك ثلاث نقاط في مرحلة الإعداد .

النقطة الأولي : لم تتكبد البحرية خسائر في حرب الاستنزاف ١٩٦٧ وتمكنت من الحفاظ علي جميع وحداتها إلا أن الهزيمة كان لها رد فعل معنوي ، وفي هذا النطاق يجب أن نذكر القرار السياسي العسكري الذى اتخذه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، والذي رفض الهزيمة وأكد التصميم علي القتال ، وقطع خط الرجعة علي أى تفكير أخر لحل هذه المشكلة إلا بالقتال ، واستعادة القوات المسلحة المصرية لمكانتها ، وذلك أعطي دفعة قوية للروح المعنوية وجدية الاستعداد والتحضير ، بعد ثلاثة أشهر من النكسة وفي زيارة الفريق فوزي للواء مدمرات أكد علي الاستعداد لان القتال سوف يستأنف بعد ثلاثة شهور ، بدأت تدريجيا روح أكتوبر وبلغت قمتها في التنفيذ العسكري الذى تم في ٧٣ .

النقطة الثانية: خاصة بتنظيم التعاون مع القوات الجوية ، لأول مرة في هذه المرحلة تم تنظيم تعاون جيد مع القوات الجوية ، وتم تبادل مجموعات عمليات وضباط اتصال ، وخصصت القوات الجوية لأول مرة مطارات للمعاونة الجوية في اتجاه البحر ،وذلك كان له أثره العميق في تثبيت الأوضاع في أماكن التمركز ، وفي ذات الوقت تمت إجراءات مماثلة مع قيادة الدفاع الجوى ، وتشكيلات الدفاع الجوى ، فأصبحت هناك ثقة أن البحرية تستطيع أن تعمل في مناطق التدريب ، وفي نطاق النشاط التعبوي بدون أن تنتظر تدخلا جويا ، وقد كانت التغطية متواجدة سواء من الطيران او من الدفاع الجوى ، بل أستطيع أن أضيف أن قيادة الدفاع الجوى أمدت القوات البحرية بعدد كاف من سلاح

(سام٧) المضاد للطائرات المنخفضة وكان له أبلغ الأثر لأنه في ذلك الوقت كانت نقطة ضعف القوات البحرية في قدرات الدفاع الجوى الذاتي .

النقطة الثالثة : في رأيى أهم النقاط - كان مطلوبا تعزيز أوضاعنا في البحر الأحمر - في ذلك الوقت لم نكن نستطيع تحريك وحدات عن طريق قناة السويس - لكن الفكر المصري لم يقف أمام تلك المشكلة ، قامت البحرية بتفكيك زوارق المدفعية والصواريخ في الإسكندرية ، وتم نقلهم بواسطة النيل إلي القاهرة ، ثم بواسطة النقل البري وبالاستعانة بإمكانيات هيئة أ.ت و هيئة السد ، تم زيادة أعداد وحداتنا في منطقة البحر الأحمر ، تلك النقاط الثلاث كانت خاصة بمرحلة الإعداد.

نبدأ في مرحلة التخطيط ، وهنا اجدد شكري للواء **يسري قنديل** لاشارته إلي عملية باب المندب ، وأنا أعتز بمساهمتي في تحقيق هذا النصر ، حيث كنت أشغل منصب رئيس شعبة عمليات ، بالنظر إلي التوزيع الاستراتيجي للبحرية الإسرائيلية ، والتكدس لوحدات الزوارق الصاروخية ذات الأحجام المختلفة المسلحة تسليحا جيدا والمتواجد بها سبعة صواريخ « جابرييل » ، وكذلك مدفع ٧٦ ملليمترا ، بالإضافة إلي معدات إليكترونية متواجدة بين حيفا واشدود ، بالنسبة إلي البحر الأحمر لم يتواجد به شئ ذو قيمة ، مجرد ثلاث ناقلات قديمة ، وعدد بسيط من اللنشات .

وهنا أثير تساؤل حول لماذا لم تطلب إسرائيل من جنوب أفريقيا لنشات صاروخية تعزز بها وضعها -حيث هناك تعاون بين كل من جنوب أفريقيا وإسرائيل - أذن هناك فكر محدد بالنسبة لقيادة البحرية الإسرائيلية جعلها تتصرف علي هذا الأساس ، المحصلة النهائية التى توصلت إليها ، إنه مع وجود الغرور الإسرائيلي والضيق من إغراق المدمرة ايلات ، بالإضافة الي أسلوب قتال البحرية المصرية في ذلك الوقت - حيث كان يتم إرسال مدمرة او اثنتين تقوم بقذف نيران ضد أحد الأهداف الساحلية وخصوصا الموانئ كما في (١٩٤٨ ضرب تل أبيب - ١٩٥٦ حيفا - ١٩٦٧ ايلات لكنها لم تنفذ إلا لمسافة ٤٠ ميلا فقط من ميناء ايلات -١٩٦٩ قامت مدمرات بتوجيه ضربة مركزة بالمدفعية ضد منطقة شئون إدارية في منطقة رمانة و بالوظة) - فأصبح ذلك هو المفهوم السائد عن البحرية ، وإذا تم ذلك فقيادة البحرية الإسرائيلية مستعدة له باللنشات الصاروخية بالإضافة إلي الطيران في البحر الأحمر ، علي أساس أن الوحدات المصرية في البحر الأحمر حالتها الفنية سيئة ، وعلي أسوا الفروض إذا قامت البحرية المصرية بعملية لإغلاق مضيق تيران بمدمرتين وعدد من اللنشات فالبحرية الإسرائيلية سترسل عددا من الطائرات وتنتهي المشكلة ، أول ما توصلت لتلك النتيجة ، فكرت لماذا فكرت القيادة الإسرائيلية في وضع ناقلات هناك ، أي إنها تفكر في حالة عبور القوات المصرية القناة، ستنفذ عملية إحباط داخل القناة - علي أساس أنها منطقة غير مدافع عنها جيدا - ، وبالناقلات والدعم الجوى تستطيع أن تسبب إزعاجا خلف الخطوط - وهى غير مؤثرة ولكنها ستسبب إرباكا للقيادة في الجبهة - فتم وضع ذلك الاحتمال في التفكير ، ومع وصولي للاستنتاجات السابقة أصبح الموقف واضحا تماماً ، وكان الحل الأمثل ، هو عمل عكس المتوقع بمعنى أن يتم إرسال لنشات مدفعية بدلا من المدمرات في العمليات القتالية للأهداف الساحلية ، تغير مفهوم استخدام القوة البحرية من مجرد إطلاق للنار علي الموانئ إلي قوة مؤثرة في المعركة ، وعلي هذا الأساس بدأ التركيز علي المهمة القادمة من القيادة العامة للقوات المسلحة ، و هي بقوات الجيشين الثاني والثالث وجزء من منطقة البحر الأحمر يتم اقتحام قناة السويس ، وتدمير خط بارليف ، وإنشاء رؤوس كباري ، وتتركز مهمة البحرية الأساسية في مساعدة وتدعيم القوات المسلحة في تنفيذ هذا الغرض ، الهدف الثاني استراتيجي سياسي وهو القضاء علي أفكار قديمة عند إسرائيل ، فباحتلالها لقناة السويس ،

وإقامة خط بارليف ، استطاعت تأكيد سيطرتها علي شرم الشيخ ، فمهمة البحرية تتمثل في شرم الشيخ وكذلك ميناء ايلات وبذلك تكون نفذت جميع المهام الموكلة إليها ، ومهمة التعرض لخطوط المواصلات تم التفكير فيها علي أساس توافر عدد كبير من الغواصات والمدمرات لدى مصر أكثر من إسرائيل ، ومسرح العمليات يسمح باستخدام الألغام في البحر الأحمر حيث ان عمقه الاستراتيجي ممتد ۲۰۰۰ كيلو ، وكذلك الاستفادة من تعاون الدول العربية سواء الأفريقية او شرق الوطن العربي ، عملية باب المندب ، نجد انه عند بداية ذكر الفكرة وجدت مقاومة شديدة لها ، والمقاومة كانت داخل القوات البحرية ، علي أساس أن القتال البحري يستمر لمدة يوم واحد فقط ، والتعرض لخطوط المواصلات سيستغرق شهورا ،يذكر في تلك المناسبة بكل تقدير المرحوم الفريق فؤاد ذكري قائد القوات البحرية وهو الوحيد الذى اقتنع بالفكرة وأيدني فيها وعلي مستوى القيادة المشير الجمسى وكان وقتها اللواء الجمسي واقتنع بها ،وتم إدخالها ضمن مخطط عمليات القوات المسلحة والقوات البحرية .

في يوم ٦ أكتوبر في تمام الساعة ١٢ ظهراً ، تم إعطاء تمام بجميع الوحدات المخصصة للسيطرة علي الملاحة في البحر الأحمر في مواقعها وجاهزة لتنفيذ المهمة ، وفي تمام الساعة ٢ ظهراً أرسلنا إشارة من ثلاث كلمات- عبارة عن جملة متفق عليها - معناها ابدأ التنفيذ وأعطيت (تمام) لقائد القوات البحرية و تمت السيطرة علي الملاحة في البحر الأحمر .

وبعدها بدقائق صدر أمر من القيادة الإسرائيلية لجميع السفن تلزم الموانئ ، وإذا كانت في البحر تلجأ لأقرب ميناء ، والسفن المحايدة التي تحمل بضائع لإسرائيل تعود إلي الموانئ .

أي أننا استطعنا تحقيق المهمة بوحدات قديمة بدون خسائر ، وعند بداية التفاوض علي فصل القوات كان أول مطلب لإسرائيل هو فك الحصار عن باب المندب ، واستمر موضوع باب المندب لمنتصف شهر يناير أى بعد انتهاء الحرب ، وأثناء مرحلة التفاوض كانت مصر تمارس حقوقها حسب القانون الدولي من تفتيش للسفن وتوقيف للمراكب.

النقطة الأخيرة ثبت أن وجود إسرائيل في شرم الشيخ لم يعد عليها بأي فائدة ، ومن هنا اقتنعت بأفكار السلام ، وكان ذلك من نتيجة عمليات حرب أكتوبر .

بالنسبة للمستقبل نجد أنه منذ ٢٥ عاما تم تنفيذ عملية التعرض لخطوط المواصلات بطريقة غير تقليدية ، من هنا نجد أن مبادئ الحرب ثابتة لا تتغير ، ولكن المسائل التكتيكية لا بد لها من التغيير المستمر .

نهاية الجلسة

شكرا للسيد لواء بحري **أ.ح أشرف رفعت** علي هذا التقديم والتلخيص ، والذي أكد أن مهنة العسكرية تتميز بالقدرة علي شجاعة الفكرة والإصرار علي تنفيذ الفكرة بالرغم من مقاومة الفكرة وكذلك المقدرة علي العمل تحت ظروف شاقة .

أقدم الشكر للسادة القادة والمشيرين باسمكم جميعا أرفع الجلسة .

■ الجلسة الثالثة :

المراحل الرئيسية لإدارة الحرب وتطورها

تقديم الجلسة الثالثة

حرب أكتوبر بعد ٢٥ عاماً ، حرب من أجل السلام ، في الجلسة الأولي تكلمنا عن الإعداد ، والجلسة الثانية عن التخطيط ، والجلسة الثالثة سنتحدث عن إدارة القتال والأداء القتالي الحقيقي والمعركة .

سنبدأ بقائدي سيادة الفريق / فؤاد عزيز غالي ، سيتكلم عن اقتحام قناة السويس وصد الهجمات المضادة ، سيعطي مثلاً فريداً عن حدث في المعركة – تحرير مدينة القنطرة– ، لأننا دائما نتحدث عن حرب الصحراء، وننسي حرب المدن .

الورقة الأولى:

اقتحام قناة السويس وصد الهجمات المضادة

الفريق/ فؤاد عزيز غالي

قائد الفرقة ١٨ مشاة إبان حرب أكتوبر

فى ذكرى حرب أكتوبر عام ٧٣

١- ٢٥ عاما مضت على ملحمة أكتوبر ٧٣ وذكريات هذه الملحمة العظيمة باقية محفورة فى وجدان كل من شارك أو ساهم فى تحقيق هذا النصر العظيم الذي أعاد لمصر وللأمة العربية عزتها وكرامتها . وتمضى السنوات وتبقى ملحمة أكتوبر ٧٣ بأحداثها ونتائجها والدروس المستفادة منها ينبوعاً لا ينضب للدراسات العسكرية والسياسية -والاقتصادية - والاجتماعية.

ولا أنسى موقفنا عقب هزيمة عام ٦٧- لأنها البداية لفترة امتدت لست سنوات من التخطيط والإعداد لملحمة أكتوبر ٧٣ ١٩.

٢- عقب ١٠ يونية عام ٦٧ وارتداد قواتنا من سيناء كان علينا أن ننظم الدفاع استنادا على الضفة الغربية لقناة السويس بما تبقى لدينا من قوات وأسلحة ومعدات ومن اليوم الأول لتنظيمنا الدفاع غرب القناة - لم يتقبل شعبنا العظيم وقواتنا المسلحة هذا الوضع وكان علينا أن نسارع باستعواض خسائرنا فى الأسلحة والمعدات وان نستعيد معنوياتنا وان نستعيدٌ ونرفع كفاءتنا وقدراتنا القتالية ونعيد بناء قواتنا المسلحة وحتى لا يتحول الموقف إلى حالة من الاسترخاء. فبعد التأكد من اتزان الدفاع تحولنا إلى الدفاع الإيجابي النشط وتصاعدت أعمال القتال مرورا بمرحلة الصمود والاستنزاف . فبدأت بأعمال قتال القناصة وتصاعد الموقف إلى أن شارك فيه بجانب القوا ت البرية كل من القوات الجوية والبحرية والدفاع الجوي(وسيوضح ذلك باستفاضة عند تقديم بحث حرب الاستنزاف)

٣- ولما كان ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة ، فقد خطط للتحول للهجوم واعداد قواتنا لاقتحام

المانع المائي لتدمير العدو شرق القناة وتحرير أرضنا المحتلة «سيناء» وتطور التخطيط بتطور قدراتنا القتالية وإمكانيات وكفاءة قواتنا المسلحة مع متابعة حجم وتكوين وقدرات العدو وتطور التخطيط والإعداد من التخطيط لإنشاء رأس كوبري محدود شمال القنطرة ، إلى إنشاء رأس كوبري بمنطقة القنطرة والتمسك به لفترة محدودة لتهيئة الظروف المناسبة لحل القضية والموقف سياسيا .

٤ - ومع تزايد إمكانيات وكفاءة وقدرات قواتنا المسلحة ، خطط لاقتحام قناة السويس علي امتداد جبهة القناة بالكامل من السويس جنوبا إلى بور سعيد شمالا للاستيلاء علي رؤوس كبارى موحدة لكل من الجيشين الثاني والثالث الميدانيين كل بقوة فرقتين مشاة مدعمتين، بالإضافة لإنشاء رأس كوبري في منطقة القنطرة بقوة الفرقة ١٨ مشاة مدعمة ، بالإضافة لأعمال قتال قطاع بور سعيد لتدمير العدو والاستيلاء علي النقاط الحصينة الثلاث في منطقته .

معركة القنطرة شرق:

٥- مهمة الفرقة ١٨ مشاة :

أ - لقد كانت مهمة هذه الفرقة التي شرفت بقيادتها في بداية حرب أكتوبر ١٩٧٣ « هي اقتحام قناة السويس عنوة في منطقة القنطرة- وتدمير قوات العدو وأسلحته في النقاط الحصينة في المواجهة وعلي الأجناب (سبع نقاط حصينة) وتحرير مدينة القنطرة شرق - والاستيلاء علي رأس كوبري بعمق حوالي ٩ كم والتمسك به- وصد وتدمير هجمات وضربات العدو المضادة والاستعداد لتطوير الهجوم في العمق شرقاً باتجاه بالوظة / رمانة -وذلك بعد وقفة تعبوية أو بدونها » .

ب- لم تكن مهمة الفرقة بالمهمة السهلة نظراً :

- لقوة ومناعة التحصينات في منطقة القنطرة شرق.
- ولقوة وتكوين وتوزيع قوات العدو المدافعة عن المنطقة.
- ولأسلوب وطريقة إدارة العدو المحتملة لمعركته الدفاعية.

ج- فقد كانت تحصينات العدو بالإضافة للساتر الترابي بارتفاع حوالي ١٢ متراً علي الضفة الشرقية للقناة مباشرة- السواتر الترابية التي أمامها حول الموقع الحصين علي مدخل المدينة- وبالإضافة للسواتر التي أقامها حول المدينة.

وقد أنشأ العدو بالساتر الترابي شرق القناة مباشرة نقاطاً حصينة عبارة عن سبع نقاط حصينة أربع منها تشكل موقعاً حصيناً علي مداخل المدينة من الغرب بالإضافة لثلاث نقاط حصينة علي الأجناب.

د- هذا بخلاف نقاطه الحصينة ٥ إلى ٦ كم شرق القناة عند تقاطعات الطرق شرق المدينة وبمنطقة لسان الحرش . بالإضافة لتحصيناته داخل المدينة وكانت قوات العدو المدافعة بمنطقة القنطرة عبارة عن لواء مدرع ولواء ميكانيكي وكتيبة مشاة وكتيبة دبابات ودعم من المدفعية .

هـ- وقام العدو بتوزيع قواته قبل المعركة كالآتي:

(١) قوة كتيبة مشاة وكتيبة دبابات للدفاع عن النقاط الحصينة والدفاع عن مدينة القنطرة شرق .

(٢) تمركز احتياطات محلية

من الدبابات والمشاة الميكانيكية في مناطق تقاطعات الطرق ٥ كم شرق القنطرة ومنطقة لسان الحرش مستعداً للتدخل في المعركة خلال ١٥ ق .

(٣) **واحتفظ باحتياطي تكتيكي** بقوة ل م ، ل ميكا (عدا ما دفع كاحتياطات محلية) ، في

منطقة بالوظة ورمانة ، علي استعداد للتدخل في المعركة خلال من ١.٥ إلى ٢ ساعة.

(٤) **نظم العدو دفاعاته وأوضاع الدفاع** باتباع أسلوب الدفاع خفيف الحركة- استناداً علي نقاطه الحصينة ودباباته المتمركزة بها والتي ستقوم بتدمير قواتنا التى تقتحم القناة فى مياه القناة ومنعنا من الوصول للضفة الشرقية . وباستغلال خفة حركة قواته المدرعة والميكانيكية . يقوم بحصر قواتنا فى مناطق جنوب وشمال المدينة وتدميرها بالهجمات والضربات المضاده مع استعداده للعبور غرباً ، الخلاصة أن تخطيط العدو لإدارة معركته الدفاعية بنى على أساس استحالة مهاجمتنا للمدينة بالمواجهة – ولن يكون أمامنا إلا الهجوم من الجانب أو كلا الجانبين ، حيث خطط ونظم دفاعاتها ووزع قواته لإيقاف تقدم قواتنا على أجناب المدينة – وحصرها فى مناطق قتال جنوب – وشمال المدينة – ثم تدميرها بالهجمات المضادة بأعمال قتال احتياطية .

و- لذلك كان على أن أفكر كيف أتغلب على هذا التخطيط المعادي – وكيف أتفادى الوقوع فى مناطق القتل المخططة لتدميري ولذلك بنيت تفكيري على أساس مهاجمة نقاط العدو الحصينة بالمواجهة حيث يقدر العدو استحالة ذلك ، وهذا يحقق لي الآتي :

(١) مفاجأة العدو.

(٢) سرعة الاستيلاء على النقاط الحصينة وتأمين هجوم قواتنا للمانع المائي .

(٣) إجبار العدو على سرعة استخدام احتياطاته داخل المدينة وفي منطقة مثلث الطرق شرقها لنجدة المواقع الحصينة فى القنطرة ، حيث نكون جاهزين ومستعدين لمواجهته ، وبتحرك هذه الاحتياطات في اتجاه المواقع الحصينة تتاح الفرصة لقواتي الرئيسية للاندفاع شرقاً لتحقيق مهامها في الاستيلاء على رأس الكوبري –على أن تقوم باجنابها الداخلية بإحكام حلقة حصار داخلية على العدو بمنطقة المدينة

(٤) وباستيلاء قواتي على رأس الكوبري نكون قد احكمنا حلقة الحصار الخارجية حول العدو بالمدينة – ثم تدميره وتحرير المدينة .

٦- وباستكمال تقديري للموقف قررت :

أ- بعد عملية إعادة تجميع خلال ليلتي ٤/٥ ، ٥/٦ أكتوبر ١٩٧٣ ومن المنطقة الابتدائية للهجوم شمال جزيرة البلاح – جسر الحرش – مثلث طرق القنطرة غرب وباستغلال نتائج الضربة الجوية المركزة والتمهيد النيراني للمدفعية لمدة ٥٠ دقيقة اقتحام قناة السويس عنوة فى القطاع من شمال جزيرة البلاح حتى لسان الحرش مدمراً العدو في النقاط الحصينة السبع بمهاجمتها بالمواجهة

ب- وبأعمال قتال الأجناب الداخلية لوائي نسق أول وبالتعاون مع باقي القوات يتم حصار العدو داخل المدينة وتدميره وتحرير مدينة القنطرة شرق والاستيلاء على الهيئات على جانبي طريق الفردان القنطرة شرق كمهمة مباشرة للفرقة وصد وتدمير الهجمات المضادة لاحتياطات العدو ومتابعة الهجوم شرقاً والاستيلاء على رأس كوبري بعمق ٩ كم والتمسك به كمهمة أساسية للفرقة مع الاستعداد لصد وتدمير هجمات العدو المضادة وتدميرها وتطوير الهجوم في العمق شرقاً بأوامر من الجيش.

ج – مركزاً مجهودي الرئيسي : فى منتصف تشكيل القتال للفرقة فى القطاع ١.٥ كم جنوب المدينة – إلى لسان الحرش – باتجاه مثلث طرق القنطرة شرق بالوظة / رمانة

د- تشكيل المعركة للفرقة : في نسقين واحتياطيات :

(١) فى النسق الأول ٣ الوية مشاه وميكانيكي يمين ل ١٣٦ ميكانيكي فى المنتصف ل ٩٠ مشاه – يسار ل ١٣٤ مشاه

(٢) وفى النسق الثاني اللواء ١٥ م

(٣) بالإضافة لمجموعات مدفعية واحتياطيات من الأسلحة المضادة للدبابات ومن عناصر الأسلحة المشتركة

(٤) مسيطراً على المعركة : من نقطة ملاحظة شرق كم ٤٨ ترقيم قناة السويس إلى القبة السوداء

(٥) مؤمناً أجنابي بالاستيلاء على النقاط الحصينة شمال جزيرة البلاح والكاب والتمسك بها ، بالإضافة لأعمال قتال قوات أجناب لوائي نسق أول وأعمال قتال المدفعية والاحتياطات م/د

٧- مهمة اللواء ١٣٦ مش ميكا

ل ١٣٦ مش ميكا ومعه ٢ ك مدم ، س م/د مقذوفات موجهه - وعناصر من قاذفات اللهب - في النسق الأول للفرقة وعلى الجانب الأيمن - يقوم باقتحام قناة السويس عنوة فى القطاع من شمال جزيرة البلاح داخل إلى المدق جنوب مدينة القنطرة (للجمرك خارج) يدمر العدو فى النقطة الحصينة شمال جزيرة البلاح والاندفاع شرقاً فى القطاع المحدد له وبجزء من قواته يؤمن جانبه الأيسر بالاستيلاء على جزء من الساتر الترابي حول مدينة القنطرة بالتعاون مع ل مش اليسار ووحدات ل ٩٠ مش كمهمة مباشرة له ثم يتابع هجومه شرقاً ويستولى على الهيئات على جانبي طريق الفردان/ القنطرة كجزء من رأس الكوبري محققاً المهمة الأساسية للفرقة :

أ- يركز اللواء مجهوده الرئيسي على جانبه الأيسر .

ب - اللواء مسئول عن تأمين جانبه الأيمن بالاستيلاء على النقطة الحصينة شمال البلاح والتمسك بها - والهيئات على أمتداد طريق شمال الجزيرة - الفردان .

٨- مهمة قتال اللواء ٩٠ مشاة

أ - لواء ٩٠ مشاة ومعه كتيبة صاعقة وسرية مهندسين و فصيلة قاذفات اللهب في النسق الأول بفرقة وفي منتصف تشكيل القتال لها يقوم باقتحام قناة السويس عنوة في القطاع من كم ٤٢ الي كم ٤٠ ترقيم قناة السويس ويدمر العدو في الموقع الحصين القنطرة شرق (٤ نقاط حصينة من خط بارليف متجاورة) وفي النقاط الحصينة - الكاب - والتينة علي الجانب الأيسر لمعاونة أعمال قتال قوات قطاع بور سعيد .

ب- يصد ويدمر هجمات العدو المضادة باتجاه الموقع الحصين (القنطرة شرق)

ج- بالتعاون مع عناصر لواء ١٣٦ ميكا ، لواء ١٣٤ مش يتم حصار العدو في المدينة وتدميره وتحرير مدينة القنطرة شرق والتمسك بها ، مستعدا لصد أى قوات تحاول استعادة المدينة . يشكل اللواء وحداته الفرعية في ٩ مفارز لاقتحام النقاط الحصينة بالمواجهة بمعدل ٣ مفارز في كل كتيبة مشاة

د- يكون اللواء مستعدا لإعادة تجميع كتيبة مشاة مدعمة لتعمل كاحتياطي في يد قائد الفرقة لحين عبور لواء نسق٢ الفرقة (ل١٥م) .

٩- مهمة قتال ل ١٣٤ مشاة

أ- لواء ١٣٤ مشاة ومعه كتيبة دبابات الفرقة وسرية مقذوفات موجهة مضادة للدبابات - وعناصر من المهندسين في النسق الاول للفرقة وعلي الجانب الايسر ، يقوم باقتحام قناة السويس عنوة في القطاع من علامة كم ٤٠ خارج إلي لسان الحرش داخل ، ويدمر العدو في مواجهته ويستولي علي الساتر الترابي حول المدينة من الشمال في القطاع شرق النقطة الحصينة القنطرة ٤ - شرق الجبانة وبالتعاون بين وحدات فرعية / لواء ٩٠مشاة ، لواء ١٣٦ ميكا اليمين - يتم إحكام حلقة الحصار

الداخلية حول المدينة محققا المهمة المباشرة .
ب - ويصد ويدمر هجمات العدو المضادة من اتجاه مثلث طرق القنطرة شرق- أو لسان الحرش ويستولي علي الهيئات شرق مثلث طرق القنطرة - كمهمة تالية للواء .
ج - ثم يتابع هجومه شرقا وبالتعاون مع الجار الأيمن ل ١٣٦ مش ميكا
د - يستولي علي الهيئات ٣ كم شرق مثلث طرق القنطرة شرق لسان الحرش ويتمسك بها كجزء من رأس كوبري الفرقة
هـ- يركز اللواء مجهوده الرئيسي علي الجانب الأيمن
و- اللواء مسئول عن تأمين جانبه الأيسر بالتمسك بالنقطة الحصينة الكاب والهيئات شرقا بلسان الحرش بالتعاون مع ل ٩٠ مش .

اقتحام قناة السويس عنوة والقتال لتحقيق المهام المخصصة للفرقة

١٠- مع بدء التمهيد النيراني

أ - سعت س - ٥٠ دقيقة اخترقت قواتنا الجوية علي ارتفاع منخفض إلى عمق سيناء لتدمير الأهداف المخصصة لها في إطار الضربة الجوية المركزة.
وعندها بدأ التمهيد النيراني للمدفعية لتدمير ولإسكات الأهداف المحددة لها متضمنا نقاط العدو الحصينة ، ومناطق تمركز احتياطياته ومراكز ملاحظاته وقيادته ، ومرابض نيران مدفعيته بالإضافة لأي أهداف تظهر فجأة
ب- ومع بدء التمهيد احتل القادة علي مختلف المستويات مراكز ملاحظاتهم لمتابعة نتائج التمهيد النيراني وأي أهداف تظهر فجأة ، ولمتابعة الأعمال التي تتم في المواقع استعدادا للهجوم بدأت القوات المترجلة من المشاة والأسلحة المشتركة الأخرى في إخراج القوارب من الملاجئ ، وبدأت عملية نفخ القوارب واعدادها لانزالها للماء في توقيت محدد سعت س-٥ ق واحتلت الدبابات والأسلحة المخصص لها مهام ضرب مباشر ، أو معاونة اقتحام الوحدات المترجلة للمياه لاقتحام النقاط الحصينة أو للهجوم شرقا ، احتلت هذه الدبابات والأسلحة مرابضها علي المصاطب .
واحتلت المدافع ب١١ المخصصة للضرب المباشر لفتح الثغرات في موانع الأسلاك والألغام التي أقامها العدو علي الميل الغربي لنقاطه الحصينة (من١٠ إلى ١٢ مانع سلك مختلفة الأنواع) .
ج -وفي سعت س -٢٥ ق بدأ ت المدافع ب١١ الضرب لفتح ٣ ثغرات في مواقع كل نقطة حصينة بمعدل نقطتين رئيسيتين والثالثة احتياطي (بمعني بانه بدأ الضرب لفتح ٢١ ثغرة في موانع أسلاك والغام العدو علي الميول الغربية لنقاطه الحصينة) ، لتكون جاهزة تماما سعت س-٥ ق
د- وفي سعت س-١٠ ق بدا عبور عناصر الاستطلاع ، واطقم اقتحام الدبابات لاحتلال أوضاعها شرق القناة مستعدة لتنفيذ مهامها وعبرت الكمائن المخصص لها مهام قطع المدق شرق الساتر الترابي فى المنطقة بين الكاب والتينة جنوب الكاب وبدأ عبور كتيبة الصاعقة من شمال المدينة لتحتل الساتر الترابى الثاني شرق الموقع الحصين القنطرة ، والمباني علي المشارف الغربية للمدينة لتكون مستعدة اعتبارا من سعت س لتدمير أي دبابات تحاول التحرك باتجاه الموقع الحصين القنطرة .
هـ- وفي الساعة س -٥ ق بدأ إنزال قوارب قوا ت الرحلة الأولى (أو الموجة الأولى) بقوة حتى ١٥ سرية مدعمة عبارة عن سبع مفارز مخصصة لاقتحام النقاط الحصينة ، ٨ س من ك نسق١ ألوية النسق الأول للفرقة (بمعدل سريتين من كل كتيبة أي ٤ سرايا من كل لواء)

و- وتتابع اقتحام وعبور قواتنا شرقا بنفس قوارب الموجة أو الرحلة الأولى بعد إعادتها للضفة الغربية في رحلات متتالية طبقا لتشكيل قتال ألوية النسق الأول للفرقة ، ومعها مراكز ملاحظات الألوية ومراكز ملاحظات المدفعية (في الرحلة رقم ٣) ومركز ملاحظة الفرقة في الرحلة رقم ٤ (تم تنظيم حوالي ٨ رحلات لعبور القوا ت المؤجلة للفرقة)

سير العملية الهجومية والقتال لتحقيق المهام

١١-سعت س تماما بدأ اقتحام دفاعات العدو على الضفة الشرقية للقناة مباشرة في القطاع من شمال جزيرة البلاح حتى الكاب (داخل) بالإضافة لاقتحام النقطة الحصينة (التينة) لمعاونة أعمال قتال قطاع بورسعيد :

أ-حيث اقتحمت سبع مفارز نقاط العدو الحصينة السبع وهي نقطة شمال جزيرة البلاح وأربع نقاط بمنطقة القنطرة ونقطة في الكاب وأخرى في التبنة وتم الاقتحام للنقاط الحصينة من خلال الثغرات التي سبق فتحها بواسطة الضرب المباشر خلال التمهيد النيراني للمدفعية. حيث اندفعت المفارز طبقا لتشكيل قتالها من الثغرات وبدأ الاندفاع خلال خنادق العدو إلى الملاجئ مدمرة العدو في طريقها . وإجباره على الخروج من الملاجئ أو تدميره داخلها باستخدام عبوات المفجرات المجهزة لفتح أبواب الملاجئ وبمعاونة قاذفات اللهب يتم قتل العدو في الخنادق وداخل الملاجئ والاستيلاء على النقاط الحصينة .

ب- وفي سعت س+١٠ ق تم الاستيلاء على أول نقطة حصينة على مستوى الجبهة وهي النقطة الحصينة القنطرة واحد . وفي حوالي سعت س+٥٠ ق كان قد تم تدمير العدو في النقاط الحصينة والاستيلاء على ست منها . وبقيت النقطة الحصينة القنطرة ٣ (بلدية القنطرة) محاصرة حتى اليوم التالي يوم ٧ أكتوبر لنستولي عليها قبل آخر ضوء يوم ٧ أكتوبر .

ج-كما تم في نفس التوقيت سعت س اقتحام القوة الرئيسية للفرقة بقوة اللواء الميكانيكي جنوب القنطرة وبقوة اللواء المشاة شمال المدينة . وبتوالي وصول موجات او رحلات القوارب استكمل تشكيل قتال كتائب النسق الأول لهذه الألوية ثم كتيبة النسق الثاني واحتياطات الألوية وتابعت القوة الرئيسية هجومها شرقا لتحقيق المهام المخصصة لها .

وحوالي سعت س+١ ساعة تمكنت الاجناب الداخلية للوائين بالتعاون مع ك الصاعقة وعناصر من اللواء ٩٠ مشاة من إحكام حلقة الحصار الداخلية حول مدينة القنطرة شرق .

صد الهجمات والضربات المضادة المعادية

١١- قام العدو بهجمات مضادة باستخدام احتياطية داخل مدينة القنطرة وباحتياطاته المحلية يوم ٦ أكتوبر. وبجزء من احتياطيه التكتيكي ليلة ٧/٦ أكتوبر وباستخدام احتياطيه التكتيكى يوم ٧ أكتوبر. وبجزء من احتياطية التعبوي يوم ٨ أكتوبر . وكان تسلسل هذه الهجمات كالآتي :

أ- يوم ٦ أكتوبر

(١) حوالي سعت س+١٥ ق قام العدو بهجوم مضاد باستخدام احتياطية داخل مدينة القنطرة بقوة ك بب عدا ٢ سرية حوالي ٣٠ دبابة + سرية مشاة . باتجاه الموقع الحصين على الميول الغربية لقناة السويس غرب مدينة القنطرة . وتم صده بواسطة كتيبة الصاعقة بالتعاون مع القوات الساترة لعملية اقتحام النقاط الحصينة وقد حاول العدو الالتفاف على كتيبة الصاعقة من الشمال فتعرض لنيران

الأسلحة م/د والصواريخ المضادة للدبابات من الجانب الأيمن حيث تكبد خسائر فادحة في قواته ودباباته - وارتد المتبقي إلى داخل المدينة للدفاع عنها انتظارا لوصول تعزيزات .

(٢) وحوالي سعت س+٣٠ ق قام العدو بهجوم مضاد على الجانب الأيمن للواء ١٣٤ مشاة مستخدما في ذلك احتياطية المتمركز بمنطقة مثلث طرق القنطرة شرق بقوة ك ميكا عدا ٢س+س بب وتم صده بمعاونة نيران المدفعية واعمال قتال احتياطي م/د اللواء (الصواريخ م/د) وإحداث خسائر في مشاته الميكانيكية ودباباته وارتد المتبقي من هذه القوات الى داخل المدينة ليحتمي بها وليدافع عنها.

(٣) وحوالي سعت س+٥١ ساعة تمكنت الكتيبة اليمين من لواء ١٣٤ مشاة من الاستيلاء على الساتر الترابي على المشارف الشمالية للمدينة وأحكمت بذلك حلقة الحصار الداخلية حول المدينة وما بها من قوات . وذلك بالتعاون مع ك الصاعقة وعناصر من لواء ٩٠ مشاة ، س مشاة مدعمة من ك اليسار/لواء١٣٦ مشاة ميكا .

(٤) وفي آخر ضوء يوم ٦ أكتوبر قام العدو باحتياطيه المتمركز بمنطقة بير العروق وتقاطع طرق البلاح - الفردان بقوة كتيبة دبابات عدا ٢ س + س مش ميكا بهجوم مضاد مركز على الكتيبة اليمنى من لواء ١٣٦ ميكا واستمر القتال حوالي ساعتين ونصفا تمكن العدو بنهايتها من اختراق الجانب الأيمن للواء ١٣٦ ميكا . وتسللت دبابات فردية بموازاة الساتر الترابي باتجاه مدينة القنطرة . وقد تعرفت عليها وحدات لواء ٩٠ مشاة والصاعقة وتم تدميرها .

(٥) ولصد اختراق العدو على هذا الجانب اعدت تجميع ك مش اليمين من اللواء ٩٠ مش (السابق استيلاؤها على النقطة الحصينة ١ ، ٢ ودفعتها لصد الاختراق على الجانب الأيمن ومعها ما عبر به من كتيبة دبابات اللواء المخترق (ل ١٣٦ ميكا) وكتيبة دبابات اللواء ٩٠ مش ، وبفتح احتياطي م/د ل ١٣٦ ميكا واحتاطي م/د فر على هذا الجانب . وبمعاونة نيران الدبابات والأسلحة على المصاطب داخل شمال جزيرة البلاح - ومن المصطبة كم ٥٠ ترقيم قناة ، وبمعاونة نيران مجموعة مدفعية ل ١٣٦ ميكا ، مجموعة مدفعية الفرقة تم صد الاختراق على هذا الجانب .

(٦) وتم استئناف تشغيل المعديات وإصلاح الأجزاء التالفة من الكوبري . وباستئناف عبور الدبابات تم استكمال ك بب / ١٣٦ ميكا ، ك بب / ل ٩٠ مش ، واحتفظت بكتيبة دبابات الفرقة كاحتياطي في يدي . وطوال ليلة ٧/٦ تم الاعداد للقيام بهجوم مضاد مع أول ضوء يوم ٧ أكتوبر لاستعادة الأوضاع على الجانب الأيمن للفرقة .

ب- وبنهاية اليوم الأول للقتال يوم ٦ أكتوبر كان الموقف كالتالي :

(١) تم الاستيلاء على جميع النقاط الحصينة سبع نقاط عدا النقطة الحصينة (القنطرة ٣) التي تمت محاصرتها تمهيدا لتدميرها .

(٢) تم إحكام حلقة الحصار الداخلية على العدو باستيلائنا وتمسكنا بالسواتر الترابية التي أقامها العدو حول مدينة القنطرة .

(٣) أتمت ألوية النسق الأول اليمين واليسار تحقيق المهمة المباشرة بالاستيلاء على رأس كوبري بعمق حتى ٦ كم ، والتمسك به .

(٤) تم صد اختراق العدو على الجانب الأيمن وتدمير الدبابات التي تسللت باتجاه مدينة القنطرة .

(٥) يجرى الاعداد للقيام بهجوم مضاد مع أول ضوء يوم ٧ أكتوبر لاستعادة الأوضاع على الجانب الأيمن .

ج- خلال يوم ٧ أكتوبر :

(١) مع أول ضوء يوم ٧ أكتوبر - مستغلا نجاح قواته على الجانب الأيمن وفي محاولة يائسة لفك حصار قواته في مدينة القنطرة - قام العدو بهجوم مضاد باستخدام احتياطية التكتيكي مركزا هجومه على الجانب الأيمن للفرقة مستغلا نجاح قواته الجزئي في الليلة السابقة ، وتمكنت قواتنا من صد وتدمير الجزء الأكبر من قوات وأسلحة ومعدات العدو واستعادت الأوضاع على الجانب الأيمن ، وذلك بعد قتال استمر حوالي ٤ ساعات ، ولقد تمكنا من تدمير والاستيلاء على ٣٧ دبابة معادية .
وبنجاحنا في صد وتدمير هجوم العدو المضاد - استأنفنا الهجوم وطورنا الهجوم شرقا ، واستولينا على رأس كوبري الفرقة بعمق ٩ كم ، والتمسك به مع استعدادنا لصد أي ضربات مضادة . فتحقق بذلك إحكام حلقة الحصار الخارجية لمدينة القنطرة شرق .

(٢) وتحركت إلى الساتر الترابي حول المدينة من الجنوب ، وتم تنسيق أوضاعنا لإحكام حصاره ، وتدميره باختراق المدينة من الجانب الشمالي للمدينة بمعاونة كتيبة دبابات الفرقة .

(٣) ومع آخر ضوء يوم ٧ أكتوبر تمكنت قواتنا من تدمير العدو في القنطرة ٣ وتحرير مدينة القنطرة شرق والتمسك بها .

(٤) وبنهاية يوم ٧ أكتوبر كان الموقف كالتالي :

(أ) أتمت القوة الرئيسية للفرقة بقوة اللواءين ١٣٦ ميكا ، ١٣٤ مش الاستيلاء على رأس الكوبري المحدد للفرقة بعمق حوالي ٩ كم والتمسك به مع الاستعداد لصد ضربات العدو المضادة وتطوير الهجوم في العمق شرقا .

(ب) تم تدمير العدو في النقطة الحصينة القنطرة ٣ وباقي قواته في المدينة وتحرير مدينة القنطرة شرق

(ج) تم عبور اللواء ١٥ مدرع نسق ٢ الفرقة واتخذ أوضاعه جنوب المدينة مستعدا للقيام بالهجمات المضادة .

(د) انتقل مركز ملاحظة الفرقة إلى التبة السوداء .

(هـ) تم استئناف بناء التكديسات الإدارية بمنطقة المدينة .

د- يوم ٨ أكتوبر :

صباح يوم ٨ أكتوبر قام العدو بضربة مضادة باحتياطيه التعبوي بقوة فوج مدرع باتجاه منتصف تشكيل الجار الأيمن الفرقة الثانية المشاة وبقوة كتيبة ميكانيكية مدعمة بالدبابات ، مركزاً هجومه باتجاه تقاطع طريق شمال البلاح - الفردان القنطرة .
وقد تم صد هذا الهجوم بأعمال قتال ل ١٣٦ ميكا ، واحتياطي م/د الفرقة وبمعاونة نيران مجموعة مدفعية الفرقة ، وبفتح جزء من دبابات اللواء ١٥ مدرع على الجانب الأيمن للقوة المهاجمة ، وتم تدمير الجزء الأكبر من قواته وارتد المتبقي شرقا تاركا مركبة القيادة المدرعة بجانب ما دمر من عربات مدرعة ودبابات .

هـ يوم ٩ أكتوبر :

بأوامر من قيادة الجيشين تم دفع مفرزة من اللواء ١٥م باتجاه الجانب الأيسر للفرقة الثانية المشاة للمعاونة في تدمير العدو أمامه وتخفيف الضغط عن هذا الاتجاه . وقد نفذت المفرزة مهمتها بنجاح وعادت مع آخر ضوء يوم ٩ أكتوبر .

و- يوم ١٠ أكتوبر :

وفي يوم ١٠ أكتوبر وبأوامر من القيادة العامة تم دفع كتيبة الصاعقة إلى منطقة بالوظة / رمانة

للإغارة على مراكز العدو وتكديساته الإدارية لمنطقة بالوظة وتدميرها والعودة إلى مدينة القنطرة شرق قبل أول ضوء .

ز- ومن أبرز الأعمال الإيجابية النشطة التي تمت في الأيام التالية وحتى إيقاف إطلاق النيران :

(١) دفع مفرزة من اللواء ١٣٦ ميكا بقوة كتيبة ميكانيكية مدعمة بالدبابات باتجاه تقاطع طريق شمال البلاح - حوض أبو سمارة مع الطريق العرضي رقم ٢ وتدمير العدو في هذه المنطقة.

(٢) وتم استغلال أعمال قتال هذه المفرزة في تعديل أوضاعنا في رأس الكوبري واحتلال هيئات حاكمة شرقا .

(٣) وحتى إيقاف إطلاق النار لم يقم العدو بأي هجمات مضادة على رأس الكوبري للفرقة بعد أن يئس من استعادة مدينة القنطرة شرق ، واكتفى العدو بتحقيق اتصال مباشر بقواتنا بالمتبقي من قوته المدرعة والميكانيكية .

خاتمة :

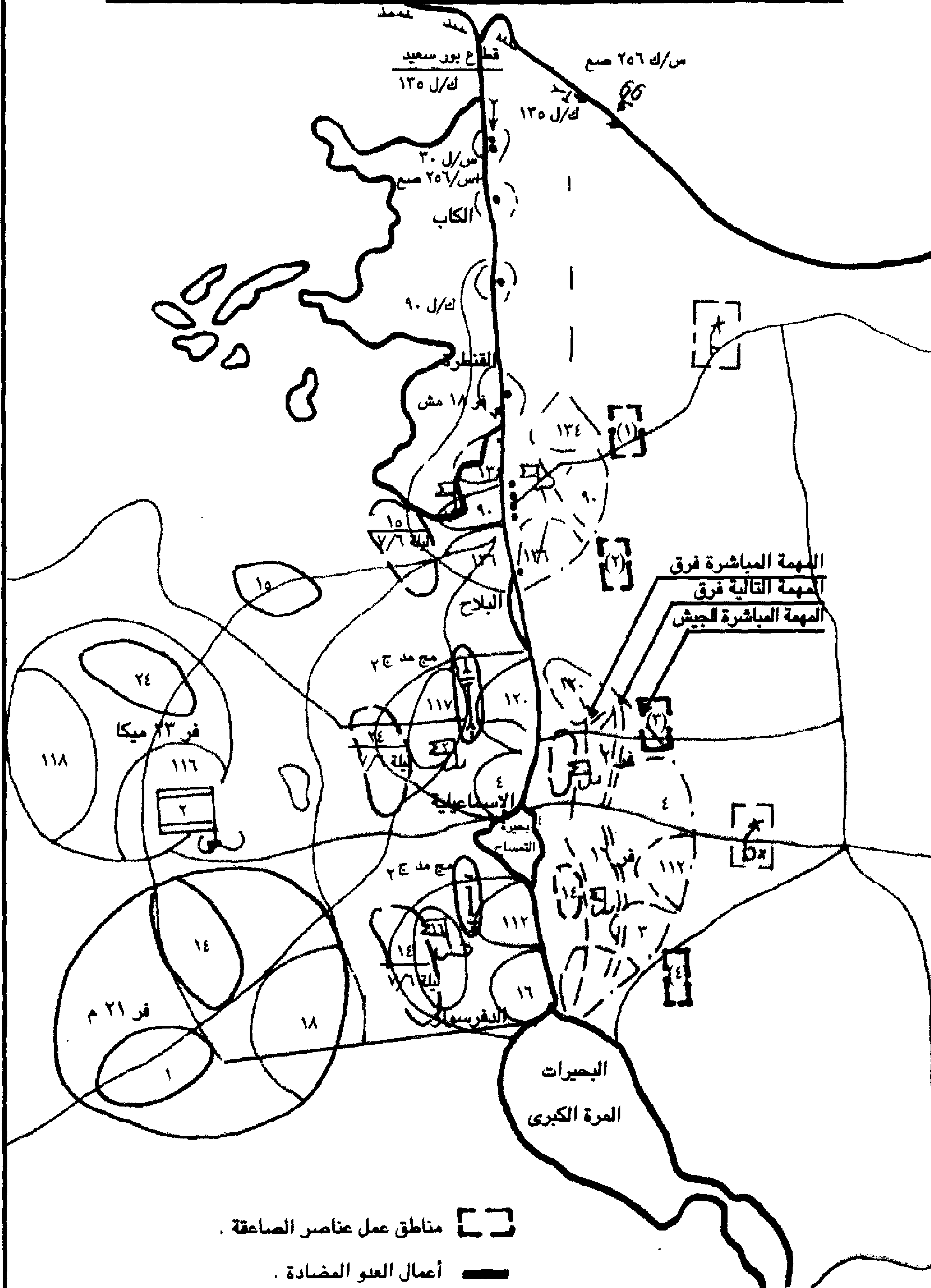
لقد أوضحت في حدود الوقت المحدد معركة الفرقة ١٨ مشاة لتحرير مدينة القنطرة شرق والاستيلاء على رأس كوبري والتمسك به ، وهي إحدى الفرق المشاة الخمس الشهيرة التي احتلت رؤوس الكباري وتمسكت بها . أرجو أن أكون قد أوضحت والله الموفق .

تعقيب مشرف المحور

بعد أن استمعنا إلي هذه الملحمة من قائدي الفريق فؤاد عزيز غالي ، وقبل أن أعطي الكلمة للواء أحمد شوقي فراج ، سأذكر نقطتين ، واضع نظرية الحرب « كل قوة مسلحة لها ما يطلق عليها مركز الثقل إذا كسرته ينهار العدو » ، هو جنرال روسي « فوند كلاوس فيتس » ، ويطلق عليه أبو الاستراتيجية ، وتدرس كتبه في جميع أنحاء العالم ، في كتابه فصل يطلق عليه « الحرب المحدودة » ذكر فيه « مصر استخدمت النظرية وعكسها ،وجنرال غالي استخدم نظرية كلاودس وهاجم بالمواجهة مركز ثقل موقع القنطرة بحيث انهارت معنويات القوة المتواجدة -لأن القوة الأساسية دمرت - ، ولكن في اقتحام قناة السويس استخدمت عكس النظرية ، لم يكن هناك اتجاه هجوم رئيسي علي مركز الثقل ، خمس فرق مشاة مدعمة في نفس التوقيت تهاجم علي خمسة محاور بحيث لم تستطع إسرائيل تحديد مكان الهجوم الرئيسي من الهجوم الفرعي حتى تستطيع أن تتخذ التدابير المناسبة » .

ذلك ما يكتب عنا في كتب صادرة عام ١٩٩٤ ، النقطة الثانية ، للشباب المتواجد اليوم ما تقرؤونه في الكتب ، ستأتي اللحظة لتنفيذه عمليا ،ذكر لكم الفريق عزيز ، فكرة القرار ، استغلال النجاح ، تقدير الموقف ،كل ما تقرؤونه ، وتعتبرونه بسيطا ستجيء اللحظة التي يمكن أن تسترجعوا كل ما تعلمتموه لتحققوا كل ما حققه هؤلاء السادة الابطال .

قرار قائد الجيش الثانى الميدانى فى العملية الهجومية بدر ٧٣



الورقة الثانية :

أعــمـــال المهـنـدسـين لاقتـحـام قـنـاة الـسـويـس

لـواءأ.ح.م/أحــمـدشــوقــي فـراج

رئيس مـهندسي الجيش الثاني الميداني

مقدمة :

١ - أظهر سجل الحروب أن عبور الموانع المائية كان دائماً أشق العمليات وأعقدها وأكثرها وأصابات وضحايا وقد يزعم قائل أن الموانع المائية قد قلت قيمتها بفضل تطور أسلحة القتال وظهور المركبات والدبابات البرمائية . **ولكن قناة السويس مانع فريد ، جد مختلف عن باقي الأنهار والمسالك المائية الأخرى ، التي سبق اجتيازها بالجيوش على مدى التاريخ للأسباب الآتية:**

أ - يحد القناة شاطئ شديد الانحدار ، مغطى بستائر أسمنتية وحديدية رأسية ، تمنع نزول وصعود المركبات البرمائية إلا بعد تجهيزات هندسية مسبقة ، و هي صفة تنفرد بها قناة السويس عن مختلف قنوات وأنهار العالم ، فيما عدا قناة بنما فحسب .

ب - تتعرض القناة لظاهرة المد والجزر . فيختلف منسوب المياه تبعا لارتفاعها وانخفاضها عدة مرات في اليوم الواحد . ويبلغ فارق المنسوب بين أعلى مد وأدنى جزر حوالي ٦٠ سنتيمتراً في شمال القناة ، على حين يزيد هذا الفارق كلما اتجهنا جنوباً حتى يصل الى المترين قرب مدينة السويس. وتفرض هذه الظاهرة أثرها الكبير على تخطيط العبور، والأعمال الفنية الخاصة بإقامة المعديات وإنشاء الكباري .

جـ - وهناك عامل أخر كان له تأثيره المباشر على تخطيط العبور هو سرعة التيار واتجاهه. إذ تتميز القناة بشدة التيار وسرعته والتي تبدأ من ١٨ متراً في الدقيقة فى القطاع الشمالي ،وتصل الى ٩٠ مترا فى الدقيقة فى القطاع الجنوبي . وفضلا عن ذلك فإن اتجاه التيار يتغير دورياً كل ست ساعات من الشمال الى الجنوب وبالعكس .

د - يتراوح عرض القناة بين ١٨٠ - ٢٢٠ متراً ، أما طولها فيصل إلى ١٧٥ كيلومتراً. ويتراوح عمقها بين ١٦ - ١٨ متراً وينخفض سطح المياه على حافة الشاطئ بحوالي مترين .ولذلك لا يمكن عبور القناة بالمعدات المختلفة .. لا طفواً ولا خوضاً ولا سيراً على القاع .

هـ - ومن الخصائص المميزة لقناة السويس أنه كان يوجد على ضفتها الشرقية ساتر رملي استغله العدو فى إقامة خط دفاعي محصناً على امتداد القناة فقام بدفعه حتى لامس حافة المياه حتى لا يترك موطئ قدم على الضفة الشرقية إذا فكرت قواتنا فى اقتحام قناة السويس . وقام بتعلية الساتر حتى وصل فى معظم القطاعات الى عشرين متراً أو يزيد .

و- وفى جوف هذا الساتر الرملي الكبير أقام العدو عدة نقاط حصينة بذل فى بنائها جهداً ضخماً وأموالاً وفيرة ، واستخلص الخبرات المكتسبة من مسارح الحرب المعاصرة فى علوم التحصينات والموانع وفنونها وطبقها على خط بارليف .

ز- وقد أراد العدو أن يجعل من المانع المائي الفريد الذى تشكله قناة السويس سداً منيعاً يحول بين جيش مصر وأرض مصر فى سيناء ، فلم يكتف برفع الساتر الرملي نحو السماء ، بل قام بإزاحته غرباً حتى لامس حافة القناة تماماً ، بزاوية ميل تزيد على ٤٥ درجة ، ليضع أمام المقاتل المصرى مزيداً من العقبات ، وأن ينمى فى وجدانه شعوراً بالعجز واليأس . ثم أقام داخل هذا الساتر وفوق قمته والى الخلف منه عدة خطوط دفاعية محصنة ، تشكل فى مجموعها منطقة دفاعية من أقوى المناطق الدفاعية التي عرفها التاريخ .

٢- أبرز معالم العبور تتلخص فى الآتي :-

أ- لم يحدث فى تاريخ الحروب أن نفذت عملية عبور أو اقتحام لقناة صناعية مجهزة هندسياً ومقام عليها قلاع حصينة كما جهزت قناة السويس وضفتها الشرقية .

ب - كان لازماً أن يتم اقتحام قناة السويس وقلاع خط بارليف بالمواجهة ، بخلاف المتبع فى مهاجمة المواقع الحصينة بالالتفاف حولها . إذ لم يكن هناك مجال لتفادى خط المياه أو خط التحصينات أو الالتفاف حولها . ويعتبر ذلك اعقد أنواع الاقتحام للخطوط الدفاعية الحصينة.

٣ - كانت المرحلة الأولى للاقتحام تمثل اخطر مراحل العملية واكثرها حرجاً بالنسبة للقوات المهاجمة وأسهلها بالنسبة للعدو المدافع . إذ كان على الجندي المترجل المهاجم أن يستمر فى قتال دبابات العدو لمدة لا تقل عن ٦ ساعات قبل أن تبدأ الدبابات والأسلحة الثقيلة الأخرى فى عبور القناة والوصول إليه لترفع عنه عبء مقاتلة دروع العدو منفرداً بصدره المكشوف .

٤- كان على القيادة المصرية أن تدرس عدة مشاكل وأن تعالجها الواحدة بعد الأخرى حتى تحقق للمقاتل المصرى أفضل الظروف لإظهار كفاءته وقدراته الكامنة ، إذ كان عليه أن يقتحم القناة فى وجود سد من اللهب والنيران ، وأن يصل سليماً هو وسلاحه الى الضفة الشرقية للقناة ، ويتسلق الساتر الرملي المرتفع ، ويقتحم بما فى يده من أسلحة خفيفة خط التحصينات ويدمر قلاعه القوية ويصد ضربات العدو المدرعة وقصفات نيرانه ، ثم يرفع علم مصر خفاقاً فوق أعلى الروابي والقمم.

٥- ثم كان عليه بعد ذلك أن يتابع تقدمه ويواجه دبابات العدو ويقاتلها ويقضى عليها ... كل ذلك تحت ظروف صعبة ولعدة ساعات حرجة تناهز الست ساعات . لقد كان على الجندي المصري المترجل أن يقاتل بمفرده إلى أن تقام المعابر وتصل الدبابات والأسلحة الثقيلة الأخرى الى الضفة الشرقية... وكان ذلك ضرباً من الإعجاز البشرى .. ليس له مثيل فى سجل الحروب.

قناة السويس من وجهة نظر إسرائيل

٦- كانت قناة السويس قد أصبحت من وجهة نظر المصريين منذ تأميمها فى عام ١٩٥٦ ، رمز استقلالهم الوطني ، بيد أن الإسرائيليين كانوا يسخرون بصورة سافرة من هذا الممر المائي الشهير ويطلقون علية أسماء مثل « أفضل خندق مضاد للدبابات فى العالم » ويصفونه بأنه الفاصل الإستراتيجي الذى سيتحول الى قناة من الدماء إذا حاول المصريون عبورها« .لقد كان الوجود الإسرائيلي على الضفة الشرقية لقناة السويس يمثل تطبيقاً لنظرية « الحدود الآمنة » ، حيث كانت القناة تشكلالمانع الطبيعي القوى الذي يحقق هذه الحدود على الجبهة المصرية ، وبالتالي فقد فرض ذلك التزاما عسكرياً محددا على الجيش الإسرائيلي ، هو رفض أي نجاح للقوات المصرية بعبور قناة السويس أو الحصول على موطئ قدم فى سيناء ...

٧- لقد تنبأ «ديان» بأن أي هجوم مصري عبر القناة سيتم القضاء علية خلال ٢٤ ساعة . ونعتقد أن ديان أدلى بتصريحه على أساس الحسابات القائلة بان قوات المهندسين المصرية ستحتاج الى ٢٤ ساعة لفتح الممرات فى الساتر الرملي المرتفع وإنشاء الكباري .

وهذا دون شك يسمح بفترة كافية لدخول الاحتياطات المدرعة الإسرائيلية الى الجبهة ، حيث تقضى على قوات المشاة المصرية المترجلة التى تنجح فى العبور قبل ان تلحق بها دباباتها معدات القتال الثقيلة من الضفة الغربية للقنال .

تسلسل وتوقيتات خطة اقتحام قناة السويس

٨- تعبر ألوية النسق الأول باستخدام القوارب من سعت س الى سعت س +٢ساعة .يعبر لواء النسق الثاني فى كل فرقة نسق أول باستخدام القوارب من سعت س +٢ الى سعت س +٣ ساعة

٩- تنزل مركبات القتال المدرعة (توباز -ب ك) المخطط عبورها من بحيرة التمساح سعت س .أما فى باقي مواجهة الجيش فتنزل الى مياه القناة ، بالإعداد التي يحددها قادة الفرق سعت س +٢٠دقيقة من نقط النزول المجهزة من قبل (حتى ٤ مركبة من كل نقطة) ، وتستخدم هذه المركبات لمساعدة القوارب فى عبور الأفراد .

١٠- تنزل الناقلات البرمائية ك -٦١ الى القناة سعت س + ٣٠ دقيقة لنقل حمولات بدون الخروج من المياه حتى يتم فتح الممرات فى الساتر الرملي فيتم استخدامها لمرور الجرارات والعربات وقطع المدفعية .

١١- سعت س +٢٥ دقيقة يبدأ نزول فصائل المهندسين المخصصة لفتح الممرات فى الساتر الرملي على الضفة الشرقية للقناة بحيث يبدأ ضخ المياه سعت س +٤٥ دقيقة .

ويخصص مع كل فصيلة المهمات والمعدات الآتية :

أ - ٥ قوارب خشبية من غير القوارب المخصصة للتشكيلات .

ب- ٥ طلمبات مياه ، أما الممر المخصص للكوبري سريع الإنشاء ب م ب فيخصص له ٣ طلمبات نفاثة.

ج- يخصص بلدوزر لكل ممر ليقوم بالتمهيد النهائي بعد الانتهاء من ضخ المياه ، على أن يكون هذا البلدوزر من خارج التشكيلات ، حيث يخصص من وحدات الكباري ولواء مهندسي الجيش. وتتواجد جميع هذه البلدوزارات فى حفر غرب الساتر الرملي لقواتنا على الضفة الغربية للقناه .

خطة إنشاء المعابر .

١٢- كان التخطيط لإنشاء المعابر يهدف الى سرعة استعداد المعابر المختلفة حتى تقل الفترة الزمنية التى تقوم فيها الفرق المشاة -التى اقتحمت القناة بالقوارب مترجلة - بقتال دبابات وأسلحة العدو الثقيلة قبل أن تصلها دباباتها ومعداتها الثقيلة، وكانت التوقيتات المخططة لوحدات الكباري كما يلي :

أ - يبدأ إسقاط المعديات سعت س +٢ ساعة وينتظر أن يتم تجميعها سعت س +٤ ساعة.

ب - يبدأ إسقاط الكباري ٥٠ طن سعت س+٥ ساعة ، ويجرى الإسقاط بالسرايا بفاصل ٣٠ دقيقة بين كل سرية وأخرى .ورغم أن التعليمات تنص على استعداد هذا النوع من الكباري سعت س+٩ ساعة ، إلا أننا كنا نتوقع بإذن الله أن تكون جاهزة حوالي سعت س+٧ ساعة .

جـ- الكباري ٦٠ طن (سريعة الإنشاء) تسقط سعت س+٥ ساعة على أن تكون جاهزة بأذن الله قبل موعد الاستعداد المحدد فى التعليمات وهو سعت س+٧ ساعة .

١٣ - لقد كان اقتحام قناة السويس إحدى المهام الخطيرة والصعبة التى كانت على رأس المهام الهندسية الكثيرة والمتشعبة ...ولذلك فإن اقتحام القناة قد اخذ نصيباً وافياً من الدراسة والتجهيز والتدريب، والإخفاء والخداع ... كل ذلك حتى يتم الاقتحام بنجاح كبير يذهل العدو ويفقده إتزانة وصوابه ...وهذا هو ما تحقق بفضل الله يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣.

وأجد أن من المناسب بل من الضروري أن اذكر الإجراءات الهندسية التى اتخذت لتحقيق النجاح الباهر لعملية اقتحام القناة وهى :

تجهيز مناطق تمركز وحدات الكبارى فى نطاق الجيش وتأمينها :

١٤ - كان التجهيز الهندسي لمناطق تمركز وحدات الكباري فى نطاق الجيش إحدى المسائل الهامة والحيوية التى تمت دراستها بعمق كاف حتى يكون الأسلوب الذى يجرى به تجهيز هذه المناطق أسلوباً منطقيا نحقق به إخفاء الغرض من هذه المناطق وخداع العدو مثل معظم الأعمال الهندسية التى كنا ننفذها ونخدع فيها العدو تماما.

١٥- كانت وحدات الكباري موجودة بصفة دائمة فى المنطقة العسكرية المركزية لتقوم بالتدريب المستمر على المجارى المائية هناك.وكان من المعروف أن هذه الوحدات لا يمكن أن تدفع الى نطاق الجيشين قبل الحرب بفترة طويلة حتى لا تبتعد عن مناطق تدريبها ، وأيضا حتى لا يكتشفها العدو إذا بقيت داخل نطاق الجيش لفترة طويلة، كما أن معرفة العدو بوصول وحدات الكباري الى نطاق الجيش كان بمثابة إنذار مبكر له بان الحرب أصبحت وشيكة .

١٦- وأخذنا نفكر... هل ننتظر حتى تصل وحدات الكباري الى نطاق الجيش قبيل الحرب لتقوم بتجهيز مناطق تمركزها ؟ إن تجهيز هذه المناطق كان يحتاج الى مجهود ضخم لحفر أعداد كبيرة من الحفر العميقة ، تحتاج الى عدة شهور لتجهزها بواسطة المعدات الهندسية.

لذلك لم يكن من المعقول أن نترك تجهيز مناطق تمركز وحدات الكباري فى نطاق الجيش الى آخر لحظة لأن هذه الفكرة فكرة كانت محفوفة بالمخاطر.

١٧- ولذلك كان ضرورياً أن تجهز مناطق تمركز وحدات الكباري مبكرا قدر الإمكان بحيث تحقق استعاب الحجم المخصص منها للجيش واحتياطي القيادة العامة الذى يتمركز فى نطاق الجيش، كما تحقق انتشار هذه المناطق ووقايتها من نيران العدو، مع خداع العدو عن هذه المناطق . ولذا بدأ

التجهيز الهندسي لهذه المناطق منذ عام ١٩٧٠ . ومع مرور الوقت كان يتم تجهيز مناطق جديدة وتزويدها بحفر عميقة لعربات ومعدات الكباري . ولم تكن مسافات مناطق تمركز الوسائل البرمائية والمعديات والكباري من قناة السويس قد حددت جزافا . ولكنها حددت فى توافق تام مع التوقيتات المخططة لتمام استعداد المعابر المختلفة مع مراعاة زمن التحرك الى المانع المائي وتوقيت بدء تحركها من مناطق تمركزها . ولكن كانت هناك مشكلة لم نتركها للظروف ، وهى أن مناطق تمركز وحدات الكباري بعد أن يتم تجهيزها سوف تترك خالية حتى تدفع وحدات الكباري الى نطاق الجيش فى توقيت لم نكن نعلم أي شيء عنه ونحن نقوم بتجهيز هذه المناطق. وقد تطول هذه الفترة التى تبقى فيها خالية والتي من المؤكد أن وسائل الاستطلاع المعادية سوف تكتشف خلو هذه المناطق، ثم تكتشف أنها احتلت فى توقيتات معينة تتوافق مع تحركات تجريها وحدات الكباري الى الجبهة ، مما يسهل معه استنتاج أن هذه المناطق تم احتلالها بواسطة وحدات الكباري. ومن المؤكد أن العدو لن يتوانى عن ضرب وحدات الكباري بكل إمكانياته فى مناطق تمركزها ، لأنه لو نجح فى تدمير نسبة كبيرة من معدات الكباري - لا قدر الله - سيكون ذلك سببا فى فشل عملية اقتحام قناة السويس قبل أن تبدأ .

١٨- ولذلك فكرنا فى طريقة نخدع بها العدو عن وصول وحدات الكباري واحتلالها لمناطق تمركزها.وكان الحل سليما رغم بساطته ورغم أنه لم يكن يحتاج الى أعمال هندسية إضافية .لقد نظرنا الى المناطق المحيطة بمناطق تمركز وحدات الكباري فوجدنا العديد من المناطق الإدارية المجهزة بحفر لعربات النقل ... فصدرت الأوامر الى العناصر الإدارية بأن تحتل مناطق تمركز وحدات الكباري القريبة منها- دون إن يعلموا أنها مخصصة لوحدات الكباري - وكم كانت فرحة قادة العناصر الإدارية عندما شاهدوا مدى التجهيز الهندسي الممتاز لمناطق التمركز الجديدة التي سينتقلون إليها. وكانت الأوامر التى صدرت لهم تستوجب أيضا أن تحتفظ هذه العناصر الإدارية بالمناطق التى تخليها فى حالة جيدة بصفة مستمرة مع إظهار الحياة فيها بترك مؤخرة ، وعلى أن يجرى تدريب دوري للعودة إلى المناطق القديمة بأوامر من قيادة الجيش .

١٩-وعندما تقرر دفع وحدات الكباري إلى نطاق الجيش ، كانت هذه الوحدات تصل تباعا خلال عدة ليال قبيل الحرب .وفى مساء اليوم الذى ستصل فيه إحدى كتائب الكباري ،كان العنصر الإداري الذى يحتل منطقة تمركز هذه الكتيبة يخلى هذه المنطقة ليلا لينتقل الى منطقته القديمة طبقا لمخطط التدريب الدورى وتصل كتيبة الكباري لتنزل فى حفرها ليلا ، وتقوم بأعمال الإخفاء قبل أول ضوء اليوم التالي وتكررت هذه العملية حتى تم احتلال جميع مناطق تمركز وحدات الكباري فى نطاق الجيش ... ولم تكن هناك فرصة أمام العدو لاكتشاف وصول وحدات الكباري إلى نطاق الجيش،حيث أننا عودناه على وجود مناطق تمركز وحدات الكباري محتلة منذ تجهيزها واستمر ذلك عدة سنوات حتى تم احتلالها فعلا بوحدات الكباري دون أن يظهر للعدو أي اختلاف نتيجة ذلك.

تجهيز الضفة الغربية للقناة

٢٠- من بين أهم الأعمال لتنفيذ خطة اقتحام قناة السويس ، كان تجهيز الشاطئ الغربي لقناة السويس حتى يلائم استخدام وسائل العبور المتيسرة فى القوات المسلحة لإنشاء المعديات والكباري . ويعنى ذلك أن يجرى تمهيد وتثبيت عدد من ساحات الإسقاط بطول المواجهة من السويس جنوبا حتى شمال القنطرة . وكان التجهيز يتم على مسافات متقاربة بما يحرم العدو من تحديد القطاعات الحقيقية

المخططة لإنشاء المعابر .كما يوفر في الوقت نفسه لقواتنا الحرية في مناورتها من اتجاه لآخر حسب الموقف.وكان الغرض من ساحات الإسقاط ان تصل اللوارى محملة بالخراطيم الى حافة المياه لتلقى بها في مياه القناة حيث يتم تجميعها . وكذلك نقط نزول اللنشات والوسائل البرمائية الى مياه القناة .
٢١- كما قامت قوات المهندسين بإنشاء شبكة ضخمة من الطرق والمدقات فى نطاق الجيشين،حيث كانت هناك طرق طولية تصل من العمق الى ساحات الإسقاط وطرق عرضية للمناورة من طريق طولي إلي آخر طبقا للموقف، ولذلك لم تظهر أية مشاكل للتحركات في أيام الحرب .

تدبير وسائل العبور

٢٢ - قامت إدارة المهندسين بدراسة المطالب من وسائل العبور المختلفة والتي تناسب التسلسل المنتظر لعبور قواتنا وطبيعة قناة السويس. ووضعت خطة طموحة لتحديد الوسائل التى تسعى لاستيرادها وتلك التى تقوم بتصنيعها محليا فى ورش سلاح المهندسين والشركات المدنية .
وتمت دراسات على أعلى مستوى من الفكر الهندسي لتحويل أنواع قديمة من الكباري العادية التي يستغرق إنشاؤها يوما كاملا الى كبارى اقتحام لا تستغرق اكثر من بضع ساعات . وقد أضاف ذلك إلى الأعداد التي وردت من الاتحاد السوفيتي .كما قامت إدارة المهندسين بتصميم وصلات يمكن ان تستخدم لتوصيل نوعين مختلفين من الكباري فى حالة زيادة الخسائر فى بعض الكباري .
٢٣- أما عبور المشاة فى المرحلة الأولي من العملية لحماية الكباري وتأمين رؤوس الكباري فكانت تستلزم تدبير ألفين من القوارب ، وقد أمكن للمهندسين تصنيع جزء كبير منها مع استيراد القوارب المطاطية . ولمعاونة المشاة فى تسلق الساتر الرملي لخط بارليف ابتكر المهندسون سلالم الحبال ، كما ابتكروا عربات صغيرة يجرها فرد واحد لنقل الذخيرة والألغام فى المراحل الأولي لاقتحام القناة حتى يتم فتح الممرات فى الساتر الرملي وتركيب المعديات والكباري.

إخفاء طرق تحرك وحدات الكباري الى القناة

٢٤- بعد أن قمنا بتجهيز مناطق تمركز وحدات الكباري فى نطاق الجيش واطمأننا على إجراءات إخفاء هذه المناطق وخداع العدو عن احتلالها بواسطة وحدات الكباري ، بدأنا نفكر فى الأسلوب الأمثل لاخفاء الطرق التى ستتحرك عليها هذه الوحدات عندما تغادر مناطق تمركزها متجهة إلى قناة السويس فى يوم العبور العظيم وبعد دراسات مطولة فى هذه المهمة قررنا الأتي :
أ- تنشأ سواتر ترابية على أجناب الطرق فى المناطق المكشوفة فيما بين قناة السويس ولمسافة ثلاثة كيلو مترات غرب القناة .وكان هدفنا ان نحقق إخفاء تحرك وحدات الكباري فى هذه المنطقة، بل وحمايتها أيضا من النيرأن المعادية بالرمي المباشر ، وقد قام لواء مهندسي الجيش الثانى فى شهري أغسطس وسبتمبر ١٩٧٣بإنشاء هذه السواتر والتي بلغ حجمها الإجمالي نصف مليون متر مكعب
ب- فى المنطقة التى تبدأ من ٣ كيلو مترات غرب القناة والى الغرب فى عمق نطاق الجيش ، قامت كتيبة إخفاء من احتياطي مهندسي القيادة العامة بإنشاء ستائر رأسية معدنية بلغ طولها ٤٠ كيلو مترا فى نطاق الجيش الثاني .
ج- وقد حققت هذه السواتر الرملية والستائر المعدنية الرأسية الإخفاء الكامل لتحركات قوات الجيش فى مرحلة إعادة التجميع ، ثم إخفاء تحرك وحدات الكباري منذ مغادرتها لمناطق تمركزها حتى وصولها الى ساحات الإسقاط يوم السادس من أكتوبر١٩٧٣ ولذا وصلت هذه الوحدات سالمة الى مياه

القناة دون ان تتعرض لنيران مدفعية العدو ..

الخداع فى تحرك وحدات الكباري إلى نطاق الجيش:

٢٥- وضعت خطة خاصة لتحريك معدات العبور من الخلف الى الجبهة وهى تعتبر اخطر الشواهد على نية الهجوم خاصة مع حجمها الكبير المميز .ولما كان إخفاء هذه التحركات يعتبر من المستحيلات ، لذلك اعتمدنا على الخداع . وقد تضمنت الخطة تحركات كثيرة لهذه الوحدات من الخلف للأمام ، ومن الأمام للخلف ، بالإضافة الى تحركات عرضية كنوع من التدريب ومن خلال هذه التحركات يتم ترك إحدى كتائب الكباري فى منطقة الجيش لتحتل منطقة تمركزها ليلاً فى سرية تامة كما سبق أن أوضحت . أما باقي رتل الكباري فيعود الى المنطقة المركزية مع زيادة الفواصل بين العربات والوحدات بعض الشيء أثناء التحرك حتى يكون طول رتل الكباري فى العودة مماثلاً لطوله فى رحلة القدوم الى منطقة الجيش .ولم يتمكن العدو من اكتشاف وصول وحدات الكباري إلى الجيشين الميدانيين.

تدريب قواتنا :

٢٦- إن التخطيط مهما بلغت دقته ، يتوقف نجاحه بالدرجة الأولى على كفاءة التنفيذ . لذلك كان التدريب المضني على المهام المنتظرة فى العملية الهجومية المقبلة أمراً ضروريا .كما كان استيعاب المعدات والأدوات التي دبرت سواء بالشراء أو بالابتكار أمراً ضرورياً . وكان لزاماً علينا أن نعمل على كسر حاجز الرهبة ، وتغطية الفارق بين التدريب والواقع ، بأن ترى القوات رأى العين ما سوف تواجهه من أهوال ومشاق .

٢٧- ولهذا تركز الاهتمام على واقعية التدريب ،واختيار الميادين القريبة الشبيهة إلي أقصي حد بظروف وطبيعة المهام التى سوف تواجه القوات ، وأولاها وأهمها مهمة عبور القناة والتغلب على تحصينات العدو وقلاعه .وحددت القيادة العامة ميدان تدريب على شاطئ أحد فرعى النيل فى المنطقة المركزية،

٢٨- وكان أساسا لتدريب قوات الجيش الثالث وقوات المنطقة المركزية.

وكان من حسن حظنا فى الجيش الثانى وجود التفريعة الغربية لقناة السويس بمنطقة البلاح. كما ان وجود ترعة الإسماعيلية قد أتاح الفرصة لتدريب قوات الجيش داخل نطاق الجيش . ورغم أن مواصفات ترعة الإسماعيلية لا تشابه إطلاقا مواصفات قناة السويس ، إلا أننا كنا نفرض على القوات أثناء تدريبها على ترعة الإسماعيلية نفس القيود التى تفرضها عليها قناة السويس .

٢٩- ونتطرق الى مسائل التدريب على العبور فنجد ان أهمها بالنسبة لقوات المهندسين القائمة بالتنفيذ كانت مسائل ثلاث : تدريب وحدات الكباري على إنشاء وتشغيل المعديات والكباري والناقلات البرمائية ،وتدريب القوات على العبور بالقوارب والكباري ووسائل العبور الأخرى وتدريب فصائل المهندسين على فتح الممرات فى الساتر الرملي تدريباً مشتركاً مع وحدات الكباري .وذلك لتحقيق مستوى عال من الكفاءة فى إنشاء المعابر المتكاملة ، سواء كانت معابر كبارى أو معابر معديات .

تدريب وحدات الكباري :

٣٠- كانت وحدات الكباري متمركزة حول مدينة القاهرة على مقربة من نهر النيل لمواصلة تدريبها المستمر .وكان التخطيط قد وضع على أساس دفع وحدات الكباري الى الجيشين الميدانيين قبيل بدء الحرب بفترة قصيرة .

٣١- حتى يتحقق التدريب المشترك بين وحدات الكباري وقوات الجيش ، قمنا فى الجيش الثانى ، مستفيدين من وجود ترعة الإسماعيلية وتفريعة قناة السويس الغربية فى البلاح ، باتخاذ الإجراءات الآتية:

أ- كانت كتائب الكباري ، المخصصة لتدعيم الجيش فى العملية الهجومية المقبلة ، تلحق على الجيش بواقع كتيبة كباري وعدد من البرمائيات كل ستة أشهر على التوالي لتنفيذ الأعمال الآتية :

(١) دراسة طبيعة قناة السويس على الواقع فى التفريعة الغربية لقناة السويس فى منطقة البلاح وكذا التدريب الفعلي فى ظروف قناة السويس .وكانت المعدلات التى حددت للعبور عند التخطيط باقتحام قناة السويس هى محصلة هذا التدريب الجاد والمتواصل

وكانت تفريعة قناة السويس فى البلاح توضع لفترات محددة تحت تصرف الجيش الثالث لتدريب قواته .

(٢) التنسيق التفصيلي الكامل مع التشكيل الذى تدعمه هذه الكتيبة طبقاً لخطة العمليات ، والمعايشة الطويلة بين القادة والقادة الصغار بوحدة الكباري مع القادة فى هذا التشكيل .

(٣) الاشتراك فى تدريب قوات الجيش الذى كان ينفذ فى شكل مشروعات بجنود على ترعة الإسماعيلية داخل نطاق الجيش .

(٤) التعرف التفصيلي على طرق تحرك كتيبة الكباري المحددة لها طبقاً لخطة التأمين الهندسي للجيش فى العملية الهجومية المقبلة ، وكذا ساحات ونقط الإسقاط التى سوف تستخدمها لإنشاء المعابر.

(٥) وفى يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣ كانت جميع كتائب الكباري تتحرك داخل نطاق الجيش الثانى فى سهولة ودون أي إرباك .

(٦) مراجعة وتدقيق قرارات هذه الكتائب بواسطة قيادة لواء الكباري ، والأفرع الهندسية للتشكيلات التى تدعمها هذه الكتائب ، وكذا الفرع الهندسي للجيش .

ب- إلحاق قيادة لواء الكباري على الفرع الهندسي بالجيش فى مشروعات مراكز القيادة التى يجريها الجيش ، وإلحاق قيادات كتائب الكباري على فرق المشاة - طبقاً لتخصيصها فى العملية المقبلة - فى مشروعات مراكز القيادة التى تجريها هذه الفرق ، حتى يكون هناك توحيد للمفهوم بين وحدات الكباري والتشكيلات .

جـ- حضور رؤساء الأفرع الهندسية بالجيش والتشكيلات للبيانات العملية العديدة التى كانت وحدات الكباري تجريها بصفة دورية للتعرف على المستوى الذى وصلت إليه فى تدريبها ومعدلات الأداء التى تحققها .

تدريب قوات الجيش على العبور وإنشاء رؤوس الكباري

٣٢- كما سبق أن أوضحت ، كان تدريب قوات الجيش الثالث يتم على أحد فروع النيل فى المنطقة المركزية ، لعدم وجود مجرى مائي مناسباً يمكن التدريب عليه فى نطاق الجيش الثالث أما قوات الجيش الثانى فتم تدريبها بالكامل داخل نطاق الجيش الثانى وذلك بالاستفادة من ترعة الإسماعيلية والتفريعة الغربية لقناة السويس فى البلاح .

٣٣- لقد وضعت قيادة الجيش نصب عينيها مدى أهمية وخطورة تدريب قوات الجيش على العملية الهجومية مع الاقتحام المدبر لقناة السويس .ولعب الفرع الهندسي بالجيش والأفرع الهندسية

بالتشكيلات وجميع قوات المهندسين دوراً رائداً لرفع مستوى التدريب وإعطائه سمة الواقعية، حتى لا تجد القوات نفسها يوم الحرب تعمل في واد ،وان التدريب الذى بذلت فيه الجهد والعرق كان في واد آخر . بل إنني لا أبالغ إذا قلت ان قوات الجيش الثانى قد دخلت الحرب يوم السادس من أكتوبر ٧٣ وقد أتقن كل فرد دوره فى العملية افضل إتقان ... حتى كانت الحرب - وخاصة فى مراحلها الأولى- بيانا عمليا جيد التحضير والتنفيذ .

٣٤- كانت التفريعة الغربية لقناة السويس فى منطقة البلاح ، ميدانا لتدريب السرايا والكتائب ومعدات القتال البرمائية على العبور فى الظروف الفعلية لقناة السويس ،حيث كانت قوات مهندسي الجيش قد أقامت ساترا رمليا على الضفة الشرقية لهذه التفريعة ،يشبه الى حد كبير ساتر الرمال الذى أقامه العدو على الضفة الشرقية لقناة السويس .

٣٥- حققت قوات الجيش الثانى الاستفادة من الكباري العائمة المقامة على ترعة الإسماعيلية لتدريب الوحدات المدرعة والقوات الراكبة والمدفعيه على التحرك على الكباري العائمة ليلاً مع قيود الإضاءة ، وكانت مداخل ومخارج الكباري على ترعة الإسماعيلية تشابه الى حد كبير ما هو منتظر بالنسبة لمعابر الكباري التي ستقام على قناة السويس فى يوم العبور العظيم . وقد حقق هذا التدريب إلى حد كبير، رفع مستوى السائقين فى العبور ليلاً مع قيود الإضاءة على الكباري العائمة . وذلك على الرغم من أطوال الكباري على ترعة الإسكندرية كانت أقل بكثير من تلك التى سوف تقام على قناة السويس .

٣٦- لتدريب الألوية المشاة في فرقة النسق الأول علي العبور وإنشاء رؤوس كباري ،تم اختيار منطقة تدريب في البعالوة علي ترعة الإسماعيلية داخل نطاق الجيش الثاني .وفي خلال شهور يونيو ويوليو وأغسطس ١٩٧٣ أجري كل لواء من فرق المشاة الثلاثة نسق أول الجيش الثاني مشروعا بجنود ، ومعه كل وحدات الدعم طبقا لخطة العملية الهجومية . وكان كل مشروع ينفذ في مدة خمسة أيام تحت إشراف قيادة الفرقة الذى يتبعها هذا اللواء ، وتحت إشراف قيادة الجيش التي أشرفت إشرافا مباشرا علي تنفيذ جميع مشروعات الألوية.

٣٧- وكانت جميع أعمال القوات في المنطقة الابتدائية ثم في رأس الكوبري يتم مراقبتها بواسطة قيادة الفرقة وقيادة الجيش نهارا وليلا للتأكد من جدية التدريب ومتابعة أعمال القوات بجميع تفاصيلها .

وفي هذه المشروعات كانت تفرض علي القوات نفس القيود كما لو كانت تقوم فعلا باقتحام قناة السويس ،أو بمعني آخر الارتباط تماما بالتوقيتات المحددة في جداول العبور المخططة لاقتحام قناة السويس . وللمحافظة علي السرية كانت هذه المشروعات .-رغم إنها للتدريب علي مهمة العملية الهجومية - تجرى علي أنها مسابقة لاختيار أفضل لواء في الجيش .

وفي نهاية كل مشروع كان يتم تحليله لابراز نقط القوة والضعف والأخطاء التى يجب تصحيحها ، ثم يتحرك اللواء الى معسكر تدريب للتركيز على نقط الضعف وتلافى الأخطاء ، حتى يصبح جميع أفراد اللواء على مستوى جيد من التدريب ، وإجادة جميع الإجراءات فى مراحل المعركة المختلفة .

وبذلك دخل الجيش الثانى العملية فى يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣ كما لو كان سيجرى بيانا عمليا أتقن التدريب عليه ... ولذا كتب لنا النصر الباهر .

التدريب على فتح الممرات فى الساتر الرملي

٣٨- كان اقتحام قناة السويس يستلزم فتح ممرات فى الساتر الرملي المرتفع على الضفة الشرقية ، حتى تتمكن الدبابات ومركبات القتال - بعد عبورها القناة - أن تنفذ من هذا الساتر لتدخل فى رؤوس كباري الألوية التى استولت عليها القوات المترجلة . وأعطيت هذه المهمة أولوية خاصة من إدارة المهندسين ، والفرع الهندسي بالجيش. وبعد عدد كبير من التجارب تقرر ان تفتح الممرات فى الساتر الرملي المرتفع باستخدام الطلمبات وخراطيم المياه .

٣٩- أقامت إدارة المهندسين ساترا رمليا على فرع النيل يماثل الى حد كبير الساتر الرملي على الضفة الشرقية لقناة السويس. وجهز معسكر تدريب فى منطقة الساتر لتدريب قوات المهندسين المخصصة لفتح الممرات طبقا لخطة التأمين الهندسي فى الجيشين .ووضعت إدارة المهندسين خطة لتدريب فصائل المهندسين ، حيث كانت كل فصيلة تتدرب على فتح الممر ثلاث مرات ليلا ونهارا ، حتى تصل الى درجة الإتقان فى هذه المهمة الخطيرة التى يتوقف على كفاءة تنفيذها نجاح العملية .

٤٠- قام الفرع الهندسي بالجيش الثانى بإنشاء ساتر رملي فى جزيرة البلاح بنفس مواصفات ساتر العدو، ولا نكون متجاوزين إذا قلنا ومن نفس نوع الرمال .وقد استخدم هذا الساتر لإجراء تجارب عديدة أكدت أن كل متر مكعب من الرمال يتم تجريفها من الممر يحتاج الى ضخ متر مكعب من المياه. وكان هذا المعدل هو أساس حساب توقيتات فتح الممرات المختلفة فى مواجهة الجيش الثانى .

استطلاع قاع القناة على الضفة الشرقية

٤١- كانت وحدات الكباري تحتاج الى معلومات عن شكل قاع القناة على الضفة الشرقية وخاصة على المحاور التى تنشأ فيها الكباري العائمة ، حتى لا تواجهها أى عوائق تمنع إنشاء الكباري.وبسؤال هيئة قناة السويس فى شهر يوليو ١٩٧٣ عن هذه المعلومات ، أفادت بأنها غير موجودة لديها وأنه نظرا لقفل القناة وعدم تطهيرها لمدة ست سنوات فان شكل القاع قد تغير ويجب ان يجرى استطلاع تفصيلي لذلك.

٤٢- وبدراسة عميقة لهذا الموضوع قررنا فى قيادة الجيش الثانى أن ندفع دوريات استطلاع للحصول على معلومات عن شكل قاع القناة فى المحاور التى خططت لإنشاء الكباري ووفرنا لها كل ضمانات النجاح والتأمين بحيث لا تقع أى داوريه أسيرة لدى العدو ... كانت كل داوريه مكونة من فردين يجيدان السباحة ومعهما معدات استطلاع عبارة عن قلم حبر جاف .كانت الداوريات تخرج ليلاً في شهري أغسطس وسبتمبر ١٩٧٣ فى الليالي المظلمة ، بواقع داوريه واحدة على مستوى الجيش فى الليلة وبفاصل عدة ليال بين كل داوريه وأخرى .

٤٣- قبل خروج الدورية بليلتين ، كانت تفتح نقط ملاحظة فى المنطقة التى سوف تخرج منها، حيث تقوم بتسجيل الإجراءات الروتينية للعدو فى المنطقة نهارا وليلا . وعند خروج الداورية ليلا ، يعبر الفردان قناة السويس سباحة الى الضفة الشرقية للقناة.يصعد فرد الى قمة الساتر الرملي ليقوم بالمراقبة ،ويبقى الفرد الثانى فى المياه ملاصقا للستارة الرأسية على الضفة الشرقية ، ليبدأ الاستطلاع حيث يضع خطاً بالقلم الجاف على الأوفرول عند مكان ملامسة سطح الماء. ويتحرك خطوة الى الغرب (في اتجاه قواتنا) ويقف ليرسم خطاً أخر على الاوفرول عند مكان ملامسة سطح الماء. ويكرر التحرك خطوة بخطوة مع رسم خط بالقلم الحبر الجاف لمكان ملامسة سطح المياه فى كل مرة ، حتى يصل سطح الماء الى ذقنه .ويعطى إشارة صوتية إلى فرد الداورية الموجودة على قمة الساتر الرملي ، حيث ينزل الى المياه مع إزالة آثار أقدامه على ميل الساتر . ويعود الفردان سباحة الى

الضفة الغربية حيث يكون فى انتظارهما ضابط استطلاع هندسي يقوم بقياس طول خطوة الجندي وأطوال المسافات من الأرض حتى العلامات المتتالية المرسومة على الاوفرول .وبمقياس رسم مناسب يقوم برسم خط منحنى يبين شكل قاع القناة على الضفة الشرقية . ورغم البساطة الشديدة فى الحصول على هذه المعلومات ، فإنها أثبتت أنها كانت دقيقة بدرجة كبيرة ،مما أتاح لنا الفرصة فى الجيش الثانى لإنشاء جميع معابر الكباري ليلة ٦/ ٧ أكتوبر ولم تقابل وحدات الكباري أية مصاعب فى إنشائها وترسيتها على الشاطئ الشرقي للقناة .

فتح الثغرات فى موانعنا أمام الحد الأمامي للمنطقة الدفاعية :

٤٤- من المعتاد أن تقوم قوات المهندسين بفتح الثغرات فى موانعنا أمام الحد الأمامي للمنطقة الابتدائية فى خلال الليلة أو الليلتين السابقتين للهجوم . هذا هو الأسلوب المعتاد فى حالة وجود اتصال برى بالعدو ، عندما يكون الفاصل بين قواتنا وقوات العدو ٦٠٠ متراً أو أكثر حيث يسهل على قوات المهندسين أن تفتح الثغرات ليلاً عن مراقبة العدو .

٤٥- ولكن الموقف على الضفة الغربية لقناة السويس كان يختلف عن ذلك الى حد كبير :-

أ- فالمسافة بين العدو وهذه الألغام حوالي ٢٠٠ متراً هى عرض قناة السويس .

ب- والعدو يمكنه أن يراقب قواتنا وهى تفتح الثغرات سواء كان ذلك نهاراً أو ليلاً.

ج- والعدد المطلوب فتحه من الثغرات لكل فرقة فى النسق الأول كان يزيد كثيراً عن العدد المعتاد حيث كان يتراوح بين ٣٠ - ٤٠ ثغرة .

٤٦- وضعنا أمامنا حقيقة ان عملية فتح الثغرات سوف تتم تحت نظر العدو ، ولذا يجب ألا نضيع أي وقت فى البحث عن طريقة لإخفاء العدد الكبير من جماعات المهندسين التى سوف تقوم بفتح الثغرات . وبدأنا نفكر فى أسلوب لخداع العدو عن فتح الثغرات ،بحيث يراقب فتح الثغرات ولكن يخرج بانطباع بأننا نقوم بإجراء دفاعي وهو تفتيش حقول ألغامنا أمام الحد الأمامي للتأكد من سلامتها نظراً لأنها سبق رصها منذ عدة سنوات

٤٧- ولذلك اتبعنا أسلوبا خاصاً لفتح هذه الثغرات وأصدر رئيس الفرع الهندسي بالجيش تعليماته بأن يتم فتح الثغرات نهاراً لمدة ١٤ يوماً من أول سبتمبر حتى ٤ أكتوبر ،وان تقوم كل جماعة بفتح الثغرة و ترفع الألغام منها وتفكها وتفحص أجزاء اللغم جيدا ، ثم تعيد تركيب الألغام ولكن بدون تركيب المشاعل فى الألغام ، وهى أجزاء صغيرة جداً لايمكن ان يلاحظها العدو ، وتدفن الألغام تحت الأرض بكل حرص وتتركها وتنسحب من الثغرة حيث تكون الألغام مؤمنة ولا تنفجر فى حالة تحرك دبابة أو مركبة عليها .

٤٨- لقد خدع العدو تماماً فى هذه العملية ، لأنه لو كان توصل الى استنتاج أن قواتنا تقوم بفتح الثغرات ،لكان ذلك إنذاراً صريحاً له بأن الهجوم أصبح وشيكاً جداً .ولقام بإجراء مضاد من المؤكد انه سيوجه ضربة لقواتنا حتى يفشل الهجوم قبل ان يبدأ .

اقتحام قناة السويس

٤٩- إن الوضع العادي فى الدقائق التى تسبق بدء التمهيد النيرانى للعملية الهجومية ، هو ان تتواجد القوات فى الملاجئ والخنادق مستعدة للوثوب فى التوقيت المحدد ، عدا المراقبين الذين يستمرون فى مراقبة قوات العدو ولكن عند جبهة قناة السويس قبل بدء التمهيد النيرانى بدقائق

معدودة ، كـان المشهد بالغ العجب ...فعلى الضـفة الغربيـة للقناة كانت جماعات من جنود مصر يجلسون في حالة استرخاء وتكاسل على حافـة القناة ، البعض يمص أعواد القصب ،والبعض الأخر يأكل البرتقال ، وهناك من يسبح في مياه القناة ومن يصطاد السمك ... والشركات المدنية جد نشطة بمعداتها الميكانيكية في تعلية الساتر الرملي على الضفة الغربية في منطقة القنطرة . والجميع في متعة وراحة بال وقد تركوا أسلحتهم وخوذاتهم في الخنادق الخلفية إمعانا في خداع العدو ... على حين كان الجيشان المصريان الثاني والثالث في أقصى درجات الاستعداد لاقتحام القناة .

٥٠- بدأ القتال في الساعة ١٤٠٥ يوم ٦ أكتوبر بعبور طائراتنا الخطوط الأمامية للعدو شرق القناة والبدء في تنفيذ الضربة الجوية المفاجئة المركزة بقوة أكثر من ٢٠٠ طائرة ضد الأهداف المعادية في سيناء ، وقد نجحت هذه الضربة الجوية تماماً وكانت خسائرنا فيها محدودة للغاية .

وفي الوقت نفسه فتحت المدفعية المصرية نيرانها على طول جبهة قناة السويس ، وبلغ إجمالي قطع المدفعية المشتركة في التمهيد النيراني أكثر من ألفي مدفع وهاون ، بالإضافة الى لواء صواريخ تكتيكية أرض /ارض .

٥١- واستمرت المدفعية تصب حممها لمدة ٥٣ دقيقة على قلاع خط بارليف الحصين ، ونقطه القوية ، وتجمعات دبابات العدو ، وقياداته . هذا على حين راح عدد كبير آخر من المدافع يطلق نيرانه بالتنشين المباشر على دشم العدو، وعلى موانع الأسلاك الكثيفة وعلى ميل الساتر الرملي المرتفع أمام نقط العدو الحصينة لتفتح ثلاث ثغرات في مواجهة كل نقطة حصينة ليتم اقتحامها من مياه القناة مباشرة. وتحت ستر هذه النيران الكثيفة عبرت جماعات الصاعقة ومفارز اقتناص الدبابات الى شرق القناة ، لتبث الألغام في مصاطب دبابات العدو ، وتشل حركته بالكمائن ، حتى تمنعها من التدخل في اقتحام قواتنا لقناة السويس .

٥٢- وفي الساعة ١٤٢٠ بدأت الموجات الأولى لخمس فرق مشاة وقوات قطاع بور سعيد في اقتحام قناة السويس ، مستخدمة حوالي ألف قارب اقتحام مطاطياً ، وبعد عدة دقائق وضع ثمانية آلاف جندي أقدامهم على الضفة الشرقية وهم يهللون بملء حناجرهم ... الله اكبر ..الله اكبر .. وبدأوا في تسلق الساتر الرملي المرتفع مستخدمين سلالم الحبال . وقامت عناصر المهندسين المرافقة لهم في استكمال فتح الثغرات في موانع أسلاك العدو باستخدام طوربيد البنجالور البلاستيك لتنطلق من خلالها مجموعات النقط الحصينة ، وهم يحملون أسلحتهم الشخصية والأسلحة الخفيفة المضادة للدبابات .

٥٣- سرعان ما رفرفت أعلام مصر فوق سيناء الحبيبة ، فكان دفعة معنوية للقوات اللاحقة أن تسرع بالعبور ، وفي الوقت نفسه كانت الكتائب البرمائية تعبر البحيرات المرة من الجنوب، وبحيرة التمساح عند الإسماعيلية وقامت القوات بحصار نقاط العدو القوية ومراكز مقاومته وقلاعه الحصينة وبدأت مهاجمتها وتدمير تحصيناتها ، وسقط أول حصون العدو - القلعة رقم ١ في منطقة القنطرة- في الساعة ١٥٠٠ تماماً ، واستمرت القلاع تتهاوى ...

٥٤- تحت ستر قوات المشاة ونيران المدفعية تقدمت ٧٥ فصيلة مهندسين عسكريين وعبرت القناة الى الشاطئ الشرقي ، لتبدأ في الساعة ١٤٤٥ ضخ المياه لفتح ٧٥ ممراً في الساتر الرملي المرتفع ، ومضى الرجال ينفذون مهمتهم بثقة وإيمان ، على حين كانت جميع أنواع أسلحة قواتنا وقوات العدو تهدر بعنف من حولهم .

٥٥- سعت ١٧١٠ يوم ٦ أكتوبر تم فتح وتمهيد أول ممر في الجيش الثاني وهو الممر رقم ٤٢ في نطاق

الفرقة ١٨ مشاه بالقنطرة ، وبعد ذلك بنصف ساعة الممر رقم ٢ فى نطاق الفرقة ١٦ مشاه جنوب الإسماعيلية ... وتوالى بعد ذلك استكمال فتح الممرات .

٥٦- توالى عبور باقي القوات المترجلة بالفرق مستخدمة القوارب المطاطية والناقلات البرمائية فى موجات متتالية ، لتتقدم هذه القوات شرق القناة وتصد وتدمر دبابات العدو وعرباته المدرعة، مستخدمة أسلحتها المضادة للدبابات وخاصة الصواريخ ، وتعاونها أسلحة الرمي المباشر من فوق مصاطب الدبابات التي أقمناها على الضفة الغربية للقناة . بعدما بدأ العبور بفترة قصيرة ، بدأت ارتال وحدات الكباري تتقدم على الطرق المخفاه المحددة لها ،وراحت مئات من العربات المحملة بمهمات الكباري واللنشات تتحرك على عشرات الطرق فى مجموعات وبفواصل زمنية محسوبة بدقة طبقاً لاتساع ساحة الإسقاط المحددة لكل وحدة .

٥٧- وبدأ إسقاط البراطيم ونزول اللنشات فى مياه القناة ، ليبدأ تجميع المعديات والكباري . وفى مياه القناة كانت تتم نهاراً تحركات كثيرة لإنشاء المعابر وعندما هبط الظلام سارت أعمال إنشاء المعابر ليلاً بنفس النظام الدقيق ، إذ كان كل فرد يعرف مهمته ويعرف اتجاهه ومكان عمله ... لقد كانت العملية أشبه ما يكون بخلية النحل .

٥٨- تم كل ذلك رغم محاولات العدو منع إنشاء وتشغيل المعديات والكباري ، ومنع فتح الممرات فى الساتر الرملي ، بالقصف المستمر من الأرض والجو على مناطق الإسقاط والممرات . وفى النهاية اكتمل العمل العظيم ، وأتم المهندسون فى الجيش الثانى إنشاء المعديات والكباري فى فترة تراوحت بين ست ساعات وتسع ساعات مثلما كان مخططاً تماماً.بل ان أحد الكباري كان جاهزاً فى الساعة ٢٠٣٠ يوم ٦ أكتوبر قبل موعده المخطط بحوالي ثلاث ساعات وذلك فى نطاق الفرقة الثانية المشاة .

٥٩- لقد أتاح إنشاء كوبرين ثقيلين في نطاق كل من الفرق ٢مشاة والفرق ١٦ مشاة الفرصة للإسراع بعبور الدبابات إلى رؤوس كباري الفرقتين حيث أنه في فجر يوم ٧ أكتوبر كان في رأسي كوبري الفرقة ٢ مشاة شرق القناة ٢٤٠ دبابة وجميع الأسلحة المضادة للدبابات وجزء كبير من وحدات المدفعية والدفاع الجوي .

٦٠- وفي صباح يوم ٧ أكتوبر كان في رأس كوبري الفرقة ١٦ مشاة نفس الأعداد من الدبابات والأسلحة . أما الفرقة ١٨ مشاة ، التي كانت تعبر في القنطرة علي معديات بعد تدمير الكوبري أثناء إنشائه جنوب القنطرة ، فقد كانت لديها شرق القناة في صباح يوم٧ أكتوبر ١٢٠ دبابة وجزء كبير من الأسلحة المضادة للدبابات ووحدات المدفعية والدفاع الجوي .

٦١- أما في نطاق الجيش الثالث فقد اصطدمت عملية فتح الممرات في الساتر الرملي علي الضفة الشرقية وإنشاء الكباري بجميع العوامل المعوقة ... من قصف مركز من طائرات ومدفعية العدو... إلى نوع تربة الساتر الرملي ووجود طفلة بنسبة كبيرة ، التي جعلت عملية تجريف المياه شاقة ، ولتحول أرضية الممرات إلى وحل تجاوز عمقه المتر ...ومن تغيرات في مناسيب مياه القناة بفعل المد و الجزر ... واخيرا فان سرعة التيار الكبيرة وتغير اتجاهه مع طول زمن التركيب أدى إلى التأخير في إنشاء الكباري في نطاق الجيش الثالث حتى أنشئت صباح يوم ٧ أكتوبر ١٩٧٣ .

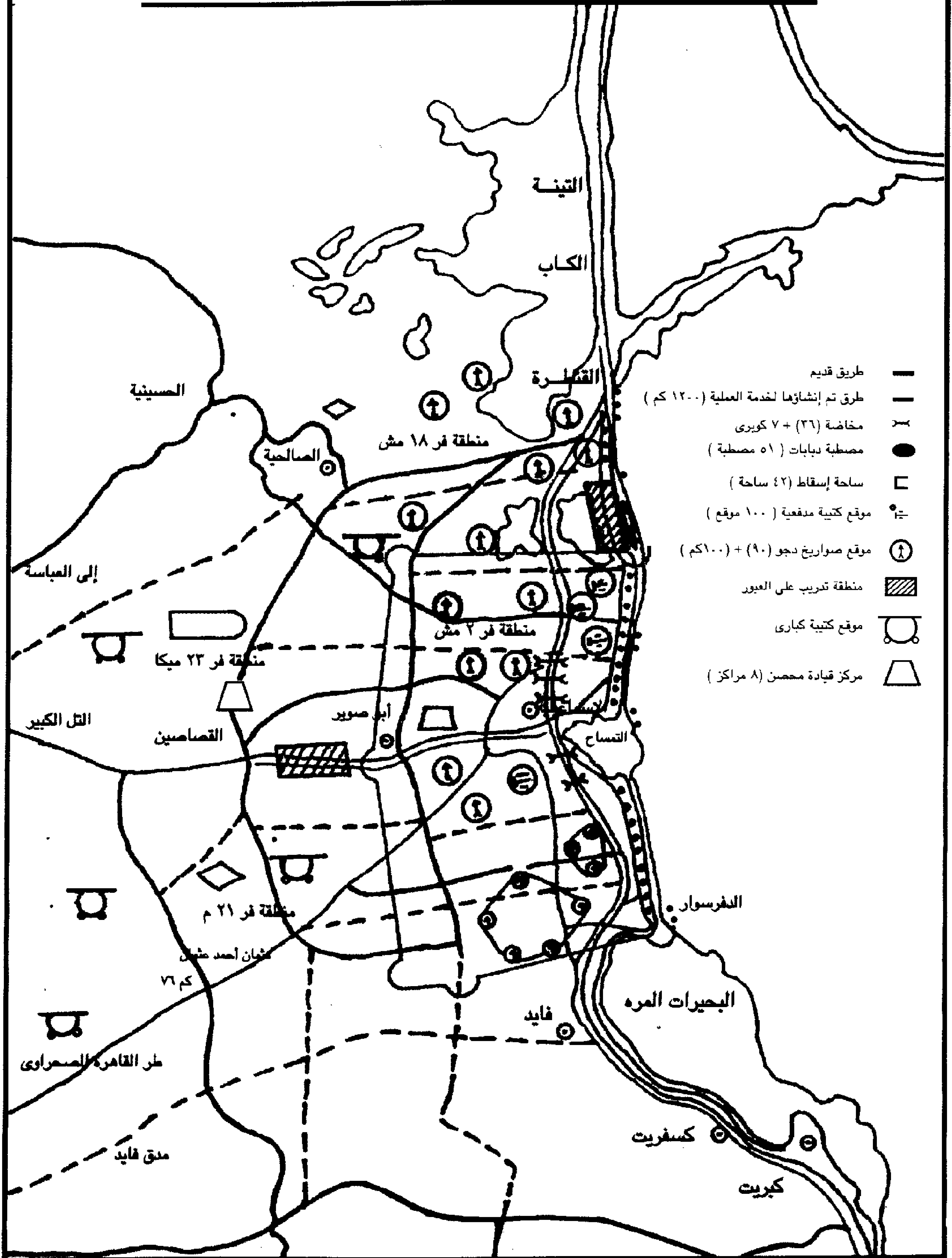
وقام العدو بتركيز هجماته الجوية ونيران مدفعيته علي الكباري لإحباط عبور قواتنا ...... وامتصت المعابر الهيكلية معظم هذه الضربات ... وكان لفدائية أفراد وحدات الكباري جميعا من الجندي إلى قائد المعبر الفضل في سرعة استعادة كفاءة المعابر بعد إصابتها، وفي أزمنة قياسية ، وتحت نيران

العدو .
٦٢- وجدير بالذكر أن معظم الكباري أصيبت وأعيد إصلاحها أكثر من خمس مرات .. وقد ضرب العميد أركان الحرب/ أحمد حمدي قائد أحد ألوية الكباري المثل الأعلى في التضحية والفداء ، إذ استشهد وهو يشارك أفراد أحد الكباري في إصلاحه .
٦٣- ويقول «هوارد كالاوي» وزير الجيش الأمريكي لوكالة الأسوشيتد برس يوم ١٨ أكتوبر ٧٣... «إن العبور الذي قامت به القوات المصرية في قناة السويس في مواجهة القوة الجوية الإسرائيلية المتفوقة هو بمثابة علامة مميزة في الحرب الحديثة ستغير من الاستراتيجية العسكرية ».
٦٤- يأتي علي رأس قائمة التحليل العسكري لحرب رمضان أن خطة الهجوم المصرية التي رمت إلى اقتحام قناة السويس واقامة خمسة رؤوس كباري علي الضفة الشرقية قد حققت كل أهدافها ، إذ أقامت رؤوس الكباري الخمسة طبقاً للخطة الموضوعة وفي زمن أقصر مما كان مأمولاً لها ...
٦٥- وليس في السوابق شيء مشابه لهذا النجاح أو قريب منه ، فأقصى ما يطمع إليه المخطط أن ينجح في نصف ما طمحت إليه خطته . ولكن حرب رمضان حققت كل ما تمناه ، وبأسرع مما توقع ...وسبب ذلك في نظر غالبية من تصدى لحرب رمضان بالدراسة هو المفاجأة والتدريب الجيد على مهام القتال من جانب مصر ... والغرور القاتل من جانب إسرائيل .

تعقيب المشرف على المحور

شكرا للواء أ.ح. شوقي فراج علي هذا العرض الممتع ، الشباب المتواجد اليوم طلبة الكلية الحربية ،ما هو الدرس المستفاد من هذه الجلسة ؟ الاجابة أن العقلية المصرية تستطيع أن تبحث عن حلول بسيطة للمشاكل الكبيرة ، ذكر لكم اللواء شوقي فراج ،أن القائد السوفيتي اقترح أستخدام قنابل نووية تكتيكية ، أو يتم نقل الفرق الخمس بطائرة هليكوبتر، وذكر لكم أن أسلوب الاستطلاع كان يتم عن طريق قلم جاف ، وذكر أيضا أننا استطعنا عمل فتحات في الساتر الترابي عن طريق خراطيم المياه ، الحلول البسيطة للمشاكل الكبيرة ، أرجو ان تتبنوا هذه الفكرة بلا تعقيد ، لأنها ستقودكم إلي الأداء المتميز ، لأن الطرف الاخر دائما يفكر في التعقيد وليس في الحلول البسيطة .

حجم الأعمال الهندسية لإعداد مسرح العمليات ج ٢ ميد



التعقيب على الجلسة الثالثة

الفريق محمد عبد المنعم واصل

قائد الجيش الثالث الميداني إبان حرب أكتوبر

إذا أجرينا مقارنة بين أرض الجيش الثاني وأرض الجيش الثالث في شرق القناة سنجد أن أرض الجيش الثاني رملية في حين أن أرض الجيش الثالث طفليه وهذا يعني أنه عند ضرب خراطيم الماء في الساتر الترابي وفتحها فإن الأرض ستمتص المياه وتصبح (روبة) .

كذلك فإن المد والجزر في الجيش الثاني ٦٠ سم ونحن لدينا في الجيش الثالث ٢ متر. والنقطة الثالثة سرعة التيار ١٨ مترا وعندنا سرعة التيار ٩٠ مترا مما يعني أنه من أجل المرور بالقارب فانه يعبر في دقيقة وأنا في ٣ دقائق ، ويتضح من هذه المفارقة الفرق الشاسع فى طبيعة العملية بين الجيش الثاني والجيش الثالث .

وأقول للشباب الصغير أن المانع واحد ولكن يختلف في أشياء كثيرة وهذا يؤثر على طبيعة العمليات فالمخطط لهذا الكلام إذا لم يشاهد الحلول المسبقة التي تحل بها مثل هذه المشاكل فلن ينجح .

عندما يقول مثلا اقتحم فنحن نعرف أن السرية فيها ١٤ قارباً بمعنى أن كل فصيلة تأخذ ٣ قوارب، لكي تقتحم المانع المائي عادة مثل قناة السويس تأخذ ١٥ دقيقة ذهابا و١٥ دقيقة إيابا ، أما بالنسبة لسرعة التيار الـ ٩٠ متراً فإن القوارب لا تسير بجانب بعضها البعض بالفاصل المضبوط في حدود ١٠ أمتار وهذا يمكن قائد الفصيلة الصغير عندما يعبر من جمع فصيلته بسرعة ويدخل في الثغرة التي صنعها المهندسون ، ولكن ماذا يفعل عندما يفلت زمام الأمور من يده وتتشتت قواته بينما يقوم العدو بإعمال القصف المدفعي ، وتفشل العملية بينما هو يحاول إعادة تنظيم قواته بعد فوات الأوان ولا يمكن تنفيذ جدول العبور الذي تم وضعه. فقد حدث لنا ذلك عند عبور أول موجة للمانع المائي

بالقوارب ، وعندما وجدنا الفرق بين القارب والقارب حوالي ١٠٠ متر ألغينا القوارب واستخدمنا البرمائيات، قائد الفصيلة يأخذ برمائية ويركب فصيلته ويركز على هدف في الثغرة ووجدنا هذه الطريقة موفرة للوقت والمجهود ومقللة للخسائر لأقل قدر ممكن ولذلك فنحن عبرنا ليس بالأسلوب التقليدي ولو أن الفرقة عند جنوب البحيرات عبرت طبيعية وفي الوقت المضبوط ولكن الفرقة ١٩ كانت متميزة حقا وجابهتهما صعوبات كثيرة .

الحرب في المدن تختلف تمام الاختلاف عن الحرب الصحراوية أو الحرب الجبلية لأن مسارح الحرب مختلفة وحرب أكتوبر شغلت جميع هذه المسارح فكانت حرباً شاملة فيها الحرب الصحراوية ، اقتحام الموانع ، قتال في المدن ، ومن هنا كانت حرباً شاملة . وعندما بدأنا نخطط لعمليتنا كان القرار عبارة عن أننا نريد الهجوم فماذا نفعل ؟ طلب منا أن نقوم باقتحام المانع المائي عنوة مستغلين الضربات الجوية والمدفعية والتعاون مع الجيش الثاني الميداني والحرب الإلكترونية ، وعمل رأس كوبري من الشاطئ إلى جنوب البحيرات . ونحن طورنا هذه المهمة لكي لا نقوم بإنشاء رأس الكوبري ثم يقوم العدو بعدها بالعبور عليه من اليمين أو اليسار ويدفع الجنود أو القوات ويصل للقناة، وكانت كبريت غير متضمنة في خطتنا. فلقد مددنا القتال إلى أن إستولينا على كبريت وأصبح الحد الشمالي للجيش الثالث الميداني وفي الوقت نفسه أخذنا عيون موسى وأخذنا رأس مسلة ومن هنا تمكنا من التأمين الحقيقي لقواتنا وإننا نقدر أن نحافظ على قناة السويس ولا يمكن للعدو أن يقتحمها مرة ثانية أو نتيجة لهجوم مضاد في وقت من الأوقات يستطيع رمي هذه القوات مثلما قال موسى ديان »كل من يحاول أن يقتحم القناة سنحطم عظامه« فبعد النظر في التخطيط والتدريب والحلول المستقبلية لأي عملية هي التي تحقق المفاجأة وتساعدك على النجاح وتحقيق الهدف المطلوب. أما بالنسبة لعمليتنا فإن الفكرة في القرار كانت سهلة والخطة بسيطة لدرجة أن الرجال حفظوها حتى أن من شاهد العملية يقول أن هذا بيان عملي مرسوم .

وفي ليلة ٦/٥ ليلة الهجوم كنا ننفذ مشروع (الربيع) إنقلب إلى الحرب الفعلية فجهزنا القوارب التي كنا سنستخدمها ودفعناها للساتر الترابي تحت إشراف مجموعة خدمة القائد المكلفة بإرشاد الوحدات للطرق والمحاور التي تؤدي لمواقع الهجوم . وفي اليوم التالي يوم ٥ كنا محتلين في مركز القيادة وفي حوالي الساعة السابعة ليلا أتصل بي المشير الجمسي وطلب مني إرسال ضابط برتبة كبيرة لاستلام مظروف سري ومختوم بالختم الأحمر وبعثنا الضابط ورجع حوالي الساعة الثامنة، وكان في الظرف سعت س وهي ١٤٠٠ ، وقمت بإحضار رؤساء قيادة الجيش وقادة الفرقتين والفرقة الاحتياطي وأخبرتهم أن الحرب ستكون غدا فوجدت **منير شاش** قال قنبلة في كلمتين **«الحرب غدا»** ، وكل القوات الصغيرة لم تعرف، فعلى مستوى قائد الفصيلة عرف في الساعة العاشرة يوم ٦أكتوبر ، وجاءت الساعة الثامنة وكان يوماً عادياً وكان عندنا شركة تسمى البحيرة وكانت تعمل تحت إشراف العميد أركان حرب جلال فهمي رئيس مهندسي الجيش .

وعندما حلت الساعة ١٤٠٠ وأمرنا الجنود بأن ينفخوا القوارب لأن سعت س كانت الساعة ١٤١٠ ، كان معنا لواء مشاة الأسطول الذي كان مكلفاً بمهمة أثناء التخطيط للعملية ولم يتبقى لنا سوى كتيبتي صاعقة لكي تسدا مخرجي ممر متلا وممر الجدي فاستبدلناهما باللواء ١٣٠ مشاة أسطول ، لأنه

مدرع خفيف كله برمائي سريع يستطيع الذهاب وسد الثغرتين . وبأسم الله اقتحم اللواء سعت ١٤١٠ قناة السويس ونجح في هذه العملية وطلع على مضيق الجدي ، إلا أنه قابل قوة مدرعة وقد أنقذه سلاحنا الجوي وخسر حوالي ١٠ دبابات ومركز القيادة فإرتد اللواء ووقف عند ٣ كم شمال كبريت. وبعد هذه العملية عمل الجيش الثاني بأسلوب رؤوس كباري فرق ونحن لم نفعل ذلك ولكننا عملنا بداية من «بسم الله الرحمن الرحيم» رأس كوبري جيش على طول المواجهة. في سعت س أول مجموعة دخلت سيناء هي اللواء ١٣٠ مشاة أسطول وشكلنا مجموعات ، مجموعة اللواء السابع كانت كتيبة منه تهاجم نقطة تسمى ١٥٨ ومجموعة اللواء الخامس تهجم على نقطتين قويتين ١٤٨ ، ١٤٩ وكانت هناك النقطة ١٤٦ وخصصنا مجموعة سرية من اللواء الخامس هاجمت هذه المنطقة .

خصص للفرقة ١٩ من ضمن مهمتها مهاجمة نقطة لسان بور توفيق، وضربنا هذه النقطة بكل أنواع المدفعية التي نملكها واحضرنا لهم سريتي دبابات وأدخلناهما على لسان بور توفيق والذي قام بالضربة العقيد أنور خيري وكان احسن ضابط في المدرعات يضرب نار بالدبابات، كان يضرب بنفسه كان يضرب طلقتين أو ثلاثاً خارقاً مدرعاً وبعدها يضرب ش.ف وبعدها يضرب واحدة دخان .

وهناك من قال في يوم ٦ عندما شاهد الهجوم « إن ما رأيته بعيني أصابني بالذهول ، الجنود المصريون يتدفقون على القناة ، يشقون المانع المائي بمعدل مرتفع عند الطرف الجنوبي للقناة كالإعصار هؤلاء أبناء النيل يخترقون الساتر الترابي المرتفع بشجاعة تعرفها الأساطير التي تمجد الأبطال المحاربين يسبقهم ضباطهم وهاهم يثبتون أقدامهم على رمال سيناء التي فقدوها من قبل يخوضون معارك فاقت العديد من نوعيتها في معارك الحرب العالمية الثانية وقد رأيت إعصارا يتقدم تحت ساتر جديد هو عبارة الله اكبر ، لقد فوجئ الذين يتحصنون بالنقط القوية بصلف وغرور بأن المصريين فوق رؤوسهم وكأن الأرض قد انشقت عنهم ، لقد كانوا كالبرق الذي يسبق العاصفة وكانوا من القوة بمعنى أن القوة أمامهم لابد أن تنهار».

وكان زئيف اليهودي يعمل مراسلاً عسكرياً في صحيفة معاريف الإسرائيلية ، وقال في صباح يوم ٧ أكتوبر«معظم الحصون محاصرة وعليها أن تصمد بمفردها ، إنها يمكنها أن تتلقى معاونة مدفعية أو طائرات أصبحت الحصون نقط ملاحظة وادارة نيران ، وفي الليل أقام المصريون مزيدا من الكباري . إن أفراد سلاح المهندسين يقومون بعمل جيد فهم يستخدمون معدات روسية أو سوفيتية وكذلك من الإنتاج المحلي وكذلك من الإنتاج الإنجليزي ، وتمت إقامة ١١ كوبريا معظمها في القطاع المتوسط والقطاع الجنوبي » .
يعني ذلك أن دبابات الجيشين الثاني والثالث تبدأ في العبور وهى تشكل جزءا من الفرق التي اقتحمت القناة ، وفي حوالي الظهيرة تجري في موقع القيادة العليا الإسرائيلية مناقشة تدور حول ما يجري في الجبهة المصرية، وكان واضحاً للجميع أن موقف جيش الدفاع الإسرائيلي على طول القناة صعب ويقول قائد السلاح الجوي «سوف نهدم الكباري» وأمر ساعة ١٤٠٠ بتحويل الطيران من ضرب سوريا إلى مصر .

إن المصريين يصعبون المهمة على الطيارين الإسرائيليين بستائر الدخان التي يطلقونها ، كذلك يقيمون

بعض الكباري الوهمية ويستغل افراد المهندسين المصريين فترات التوقف بين القصف ويلقون في الماء بمعديات جديدة ويستبدلون الأجزاء التالفة من الكباري بقطع غيار جديدة وكلما زادت الإصابة يقومون بفك جزء من الكوبري ويربطونه بالضفة الشرقية فيجيء الطيار من الغرب ليصطاده دفاعنا الجوي. وكتب ما يدل على عظمة سلاح المهندسين والمشاة والمدفعية والعملية على ما يرام .

وأشيد بالكرم والتعاون العربي حيث شاركت معنا في هذه الحرب دول عربية، فكان معنا في الجيش الثالث الميداني لواء جزائري ولواء من المغرب وكتيبة مدفعية من ليبيا ولواء صاعقة من فلسطين وفي الجيش الثاني السودانيون والكويتيون والفلسطينيون كانوا يسدون الثغرة بين الجيشين الثاني والثالث ، فالتعاون العربي إذا دام عاشت الأمة العربية .

المناقشات

سؤال موجه من ضابط زميل من الجزائر الشقيقة :
ما مدى إرتباط عمليات الاستنزاف بإعداد المقاتل المصري وكيف تم ذلك وارتباطه بتدريب الوحدات ؟

الفريق / فؤاد عزيز غالي الرد على التساؤل
-شن عمليات الاستنزاف وارتباطها بإعادة بناء المقاتل ، التحضير الجيد للإعداد العالي يمثل ٩٥٪ من النجاح ، والفرقة ١٨ عينة حية لهذه المعجزة التي حققها الجيش العربي المصري .
-الجزء الأول الخاص بعمليات الإستنزاف وإرتباطها بإعادة بناء المقاتل المصري بعد حرب ١٩٦٧ ، نظمنا دفاعا على الضفة الغربية للقناة بما تبقى لدينا من أسلحة ومعدات وكان علينا أن نقاتل على الضفة الغربية لآخر طلقة وآخر رجل ونمنع العدو من العبور إلى الضفة الغربية خلال هذه الفترة . ومن الأيام الأولى لدفاعنا غرب القناة لم يكن هناك رضا أو تقبل لهذا الوضع وكان هناك إصرار على عملية إزالة هذه الآثار شارك فيها بجانب القوات البرية ، القوات البحرية والجوية.
عملية بناء المقاتل : إرتبط بناء المقاتل بالأعمال التي يؤديها فنحن نريده أن يستعيد الثقة في نفسه وفي سلاحه وفي قادته وان يؤمن بالقضية التي يعمل من أجلها ، كذلك الأعمال التي كانت تقوم بها القوات الجوية تقريبا يوميا من أعمال الدوريات هي بنفس الهدف.وصلت بنا الدرجة قبل بدء الهجوم كان لنا على مستوى الكتيبة سرية مشاة تدافع عن منطقة القناة ليلا على أقل فرض، ونتابع أعمال العدو بالتنصت عليه . الجنود أخذت على عملية العبور.هدفت العمليات إلى الحصول على أسرى وعمليات إغارة على مناطق تجمع العدو، إغارات على النقط الحصينة تراشق بالمدفعية ليل نهار والقصف المضاد لمدفعية العدو ، هذه العملية أدت إلى ثقة الجندي بنفسه وثقته في سلاحه وارتفاع معنوياته وذلك بقتل العدو .
موضوع التدريب إرتبط بالتخطيط للعمليات وبناء المقاتل من حيث أننا لا نعلم متى سنهاجم، إستخدمنا أسلوب المزج في التدريب وخلال التدريب المتعلق بالأفراد يتم تدريب الضباط والقادة في شكل مشروعات تكتيكية بدون جنود ثم مشروعات تكتيكية بجنود ثم مشروعات تكتيكية بإستخدام الذخيرة الحية والاهتمام بموضوع الرماية والاهتمام باستخدام الأرض والإهتمام بتدريب القادة ثم مزج الجميع معاً في المشروعات .
ختام الجلسة
اسمحوا لي في النهاية ، أن أشكر السادة الحضور ، وأشكر آنسات الشئون المعنوية علي مساعدتهن في أوراق الاسئلة ، ولكل إنسان ساعد علي إخراج هذه الجلسات المتعة الدسمة .

قرار قائد الجيش الثالث الميدانى فى العملية الهجومية بدر ٧٣

بحيرة التمساح
فر ١٦
فر ٢١ م
جبل الشهابى
ل مش/مغ + ل م
البحيرات المرة الكبرى
جبل أم كتيب
جبل القط
جبل شبراويت
فر ٤ م
ك ٢٥ م
ل م+ل ميكا أول ضوء ي ٢
أوس + ٦ ـ ٨ ساعة
ل ٦٤ شجرة
ك مج أقليمى
جبل غرة
جبل جنيفة
ل ١١
ل ٨
ل ٢٥
ح م د (٢)
مج مد مج ١٢
فر ٧
الشلوفة
ل ١٢
ك كب
ل ٢٥ م مقل
ل ٧/فر ٧
ل مش
٦ ـ ٨ س
قسم القاعدة (١)
ل ٢٢م/فر ٦
ل ٦ ميكا/فر ١٩
ل ٢٢
فر ١٩
م أنتظار ل ١ ميكا/فر ٦
مج مد ج (١)
ك بب / فر ١٩
ك ٤٣ صبع
ل ٢
جبل عتاقة
ك (ع) إقليمى
ل ١ ميكا
ل ٧
س ٢٥ راد
ق تمركز السويس البحرية
فوا ح ح
خليج السويس

المحور العسكرى ـ بحوث قدمت إلى الندوة

■ الجلسة الرابعة :

أثر حرب أكتوبر على نظام التسليح والقتال

تقديم الجلسة

نبدأ أعمال الجلسة الخامسة في الندوة الاستراتيجية حرب أكتوبر بعد ٢٥ عاماً ، حرب من أجل السلام التي تنظمها إدارة الشئون المعنوية بالقوات المسلحة تحت رعاية السيد رئيس الجمهورية القائد الأعلى للقوات المسلحة السيد محمد حسني مبارك .

أمس استمعتم سيادتكم من بعض رموز وقادة وأبطال حرب أكتوبر عن إعداد الدولة للحرب ، عن حرب الاستنزاف ، وإعداد المقاتل وصولاً إلي الساعة ٠٥.٢٠ يوم ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣ ، ثم انتقلنا إلي مرحلة التخطيط ، الفكر العسكري المبدع ، واستمعتم إلي أراء الأطراف الأجنبية في هذا الفكر ، واستمعتم إلي الدعم العربي بدءاً من موريتانيا إلي الجزائر إلي تونس إلي ليبيا إلي السودان إلي اليمن إلي السعودية إلى الإمارات إلى الكويت إلي الأردن ، وفي سوريا كان هناك دعم من الأردن والعراق ، ثم تحدثنا عن إدارة أعمال القتال الفعلية ، و رأينا كيف نفذ القادة ما تعلموه في الكليات والأكاديميات العسكرية تنفيذاً عملياً ، وكانت هذه هي رسالة الأمس لكن أمس كان القرن العشرين ، واليوم علينا أن نفكر في القرن الواحد والعشرين ، أتذكر عام ١٩٨٩ جاء إلي مصر لأول مرة وزير الدفاع الأمريكي « هارود براون » وهو أستاذ في الفيزياء والكيمياء وعالم ذرة ، كان معه وفد مكون من ١٨ ضابطا من الأفرع المختلفة في الجيش الأمريكي ، وكان من ضمن برنامج الزيارة عبور القناة شرقاً والتوجه إلي مناطق القتال ، وكلفت من القوات المسلحة أن أرافقه ، وأثناء الزيارة رأيت ذهولاً علي وجوه الأمريكيين - الدبابات (M ٤٨)مضروبة كلها في نقطة الاتصال ما بين البرج والجسم التي فيها السائل الهيدروليكي ، و بجندي مشاة مضاد للدبابات ، رأوا الطائرات الفانتوم ممزقة من صواريخ الدفاع الجوي ، رأوا الكباري والمعدات ، قال لي بالنص « سوف ندخل في مرحلة بحوث و تطوير لا تقل عن عشر سنوات في جميع الصناعات العسكرية في العالم حتى نطور الأسلحة ، ليمكن تفادى عيوب السلاح الأمريكي في هذه الحرب بأسلحة أبسط منه تعقيداً » . اليوم نتحدث عن أثر حرب أكتوبر علي نظم التسليح ، كل ما شاهدناه في حرب تحرير الكويت، سوف نجد أنه كان دروساً مستفادة في نظم التسليح من حرب أكتوبر ١٩٧٣ دخولاً إلي القرن الحادي والعشرين .

الورقة الأولى :

أثر حرب أكتوبر على تطور نظام التسليح وأعمال القتال

لواء د. مهندس / محمد قدري سعيد

مستشار بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام

مقدمة:

١-كان الإنجاز العظيم للقيادة العسكرية المصرية فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ هو اقتناعها الكامل بأهمية تبنى فكر جديد لاستخدام القوة المسلحة فى مواجهة التحدي الصعب الماثل أمامها. وفى الحقيقة لم يكن الجيش الذى واجه النكسة العسكرية فى يونيو١٩٦٧ هو نفسه الذى انتصر فى أكتوبر ١٩٧٣. لقد أعيد بناؤه فى إطار فكر جديد ، أدرك أهمية التكنولوجيا الحديثة فى الأداء العسكرى ، وحرص على أن يوظف كل إمكانياتها المتاحة له فى منظومة منسجمة لتحقيق النصر. لقد قامت خطة القتال المصرية على المبادأة بالهجوم ، والمفاجأة ، والحرب الشاملة ، والحرب الطويلة. وكان خوض المصريين للحرب بأسلحة جديدة جزءاً من المفاجأة ، كما أن الاستعمال الشامل لكل القوات والأسلحة ، هجومية ودفاعية ، برية وبحرية وجوية ، مشاة ومدفعية ومدرعات وصواريخ ، كان نوعاً من الحرب الشاملة الذى يعتمد فى جوهره على التنسيق الدقيق والمحكم بين كافة العناصر. لقد مارست القيادة العسكرية أثناء الإعداد للحرب فكراً تجريبياً خلاقاً ، يبحث عن الصواب وسط الخطأ من خلال العديد من التجارب ، للوصول إلى التناغم الصحيح بين عناصر الفعل المختلفة ، والعثور على الإيقاع المطلوب لعلاقات الزمن والمسافة وحجم التأثير التى فرضتها طبيعة المهمة وطبيعة السلاح. لينضج بعد ذلك على نار القتال نظريات جديدة لأساليب الأداء المشترك للقوات الجوية والدفاع الجوى والمدفعية والمشاة والمدرعات. لقد جاءت حرب أكتوبر »ثورة« تجديد عسكرية وتكنولوجية كاملة. فلم يعد هناك شك

أنها أبرزت إضافات رائدة فى الفن العسكرى غير تقليدية وغير مسبوقة ، ووضعت الأساس الحديث لمعركة الأسلحة المشتركة فى صورتها المعاصرة ، متجاوزة بذلك كل الحروب التى سبقتها منذ الحرب العالمية الثانية ، وقدمت عرضاً ملحمياً مركباً لعلاقات جديدة وحوارات حربية لم تحدث من قبل بين الأسلحة المختلفة ، وأخرى مثلها بين الجندي المقاتل والسلاح الذى يواجهه. فشاهدنا صراع الصاروخ مع الطائرة والدبابة والمدمرة ، كما شاهدنا الجندي يحمل سلاحاً يخرق به الدرع ويدمر الدبابة ويسقط الطائرة. لقد اقتبست العديد من الدول كثيراً من خطوط حرب أكتوبر التكنولوجية والهندسية ، وخططها الاستراتيجية والتكتيكية. لقد أصبحت دشم الطائرات ، ودشم قواعد الصواريخ ، ومنظومة الدفاع الجوى ، والمشاة الحاملة للصواريخ ، والاستخدام الكثيف للمدفعية والصواريخ بعيدة المدى ، تراثاً لأول حرب تقليدية تكنولوجية فى التاريخ.

٢-لقد بدأ العمل والتغيير فى الفكر والأسلوب من الأيام الأولى التالية لنكسة يونيو ١٩٦٧. فالواقع أن فترة ما بين الحربين (يونيو ١٩٦٧ - أكتوبر ١٩٧٣) والتي استمرت نحو ست سنوات ونصف قد انقسمت إلى أربع مراحل أساسية ، كل مرحلة فيها تميزت بإنجازها الخاص الذى تراكم مرحلة بعد مرحلة ليفجر فى النهاية معجزة أكتوبر الخالدة :

أ- فمرحلة الصمود أو الدفاع الحذر (يونيو ٦٧ - أغسطس ٦٨) ، تخللتها معارك رأس العش ، والمدمرة إيلات ، وبعض المعارك الجوية المتفرقة.

ب- ومرحلة الردع أو الدفاع النشط (سبتمبر ٦٨ - فبراير ٦٩) ، تخللتها معارك المدفعية والتراشق بالنيران والبناء الأول لخط بارليف.

ج- ومرحلة الاستنزاف أو الهجوم الحذر (مارس ٦٩ - أغسطس ٧٠) ، وفيها تم تدمير خط بارليف الأول ، وعبور مجموعات من الكوماندوز المصريين ، وغارات الضفادع البشرية ، وغارات جوية متصاعدة فى القوة رد عليها العدو بغارات على العمق المصرى وعلى عدد من الجزر المنعزلة.

د- ومرحلة وقف إطلاق النار أو فترة اللاحرب واللاسلم (أغسطس ٧٠ - أكتوبر ٧٣) وفيها تفرغت القوات المصرية للتدريب النهائي والحاسم ، وبناء شبكتها للدفاع الجوى وتطويرها للمعركة الكبرى ، وفى نفس الوقت أعاد العدو بناء خط بارليف ودعم وجوده فى سيناء.

٣-إن القوة التقليدية الحديثة بكل عناصرها التى تنتشر فى الأرض والبحر والجو والفضاء ، التى خاضت آخر حروبها فى الخليج عام ١٩٩٠ ، تعود بأصولها الفكرية والمادية إلى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وسوف نحاول من خلال تلك الورقة أن نستعرض العلاقة بين تطورها الحالي وجذورها الأولى التى بزغت مع معركة العبور ، ثم نلقى الضوء على مستقبل تطورها خلال السنوات القادمة.

انقلاب فى مفاهيم المعركة البحرية : تدمير إيلات:

٤-بعد توقف أعمال القتال فى يونيو ١٩٦٧ بشهور قليلة وفى ٢١ أكتوبر من نفس السنة قام زورقان تابعان للبحرية المصرية ، لأول مرة فى التاريخ العسكرى البحري ، بإغراق المدمرة الإسرائيلية «إيلات» بعد أن أطلقا عليها صاروخاً موجهاً من طراز P-15 أو Styx روسي الصنع ، لتسجل مصر بذلك سابقة فى استخدام الصواريخ الموجهة لخدمة مفاهيم جديدة فى الاشتباك و**«التأثير البعيد والدقيق فى نفس الوقت»** ضد قطع بحرية ضخمة مثل المدمرات. والصاروخ الذى أطلق على

المدمرة كان يمثل جزءاً من منظومة متكاملة للكشف عن الأهداف والتحكم في النيران ، يطير في مسار منخفض قريباً من سطح البحر مستخدماً نظام التوجيه الذاتي ثم باحثه الراداري عند منطقة الهدف. وأحدث إغراق المدمرة إيلات صدمة كبيرة في القوات البحرية على مستوى العالم ، فلم يكن العسكريون في ذلك الوقت يعتقدون كثيراً في جدوى نظم الصواريخ الموجهة وقدرتها المزعومة على التأثير البعيد ، حيث كان الفكر السائد يميل إلى أساليب الاشتباك القريب المباشر بواسطة القطع البحرية المضادة أو الهجوم الجوي. وأعقب هذا النجاح للصاروخ P-15 انطلاق مشاريع تطوير لنظم مماثلة في دول أخرى مثل الصاروخ الفرنسي إكسوسيت Exocet، والأمريكي الهاربون Har-poon، وتبع ذلك أجيال متتالية لصواريخ كروز بحرية ، استفادت من التطور في نظم التوجيه والبحث عن الأهداف بواسطة الأشعة تحت الحمراء في زيادة الدقة ، كما استفادت من التطور في الوقود الصاروخي والمحركات في زيادة السرعة و المدى. وفي ميدان القتال تأكد الأداء المتميز لتلك النوعية من الصواريخ كما حدث في حرب فوكلاند (1982)، عندما فقدت بريطانيا المدمرة « شيفلد » والناقلة « اتلانتيك » بواسطة الصاروخ جو-بحر « إكسوسيت » بعيد المدى ، وكما حدث في حرب الخليج الأولى ١٩٨٠-١٩٨٨ عندما استخدم الصاروخ سيلك وورم Silk Worm النسخة الصينية من الصاروخ الروسي في الحرب بين العراق وإيران.

الضربة الجوية : الهجوم العميق:

٥-في ساعة الصفر من ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، وتحقيقاً لعنصر المفاجأة ، وجهت قواتنا ضربتها الجوية الكبرى. ٢٤٠ طائرة من القاذفات المقاتلة انطلقت إلى أعماق سيناء لتدك مطارات العدو وقواعده الجوية وطائراته الجاثمة على الأرض ، ومراكز القيادة ووحدات الرادار والتشويش. وفي اللحظة نفسها التي انقضت فيها طائراتنا على أهدافها في العمق ، انطلقت المدفعية الثقيلة بعيدة المدى المكونة من ٢٠٠٠ مدفع ، مضافا إليها قواذف الصواريخ أرض-أرض. وانزلق إلى الماء ١٠٠٠ قارب صغير يحمل عناصر من المشاة والصاعقة والمهندسين. وفي الحقيقة فإن وجود مظلة واقية من الدفاع الجوي قد حرر سلاحنا الجوي نسبيا من أعباء تغطية عملية العبور ، ليركز على ضرب أهداف العدو في العمق والتفرغ للمعارك الجوية معه. ولقد أسفرت نتائج حرب أكتوبر وبروز دور الصواريخ المضادة للطائرات إلى عدد من النتائج الهامة تتصل بمستقبل تطوير الطائرة وزيادة دورها الهجومي:

أ- **زيادة قدرة الطائرة على «الاختفاء» و «الاختراق» :** عن طريق توظيف حزم تكنولوجية متنوعة لإخفاء الطائرة من الرادار Technology Stealth باستخدام مواد تمتص أشعة الرادار ولا تعكسها Radar Absorbing Materials، ومحاولة تصميم الشكل الخارجي للطائرة بالصورة التي تضعف من بصمتها الرادارية Low observable configura-tions. وفي ٢٢ أغسطس ١٩٨٠ أعلن الأمريكيون عن نجاحهم في بناء أول طائرة لا يراها الرادار ، وأطلق عليها الطائرة الشبح (F-117)، واشتركت ضمن القوات الجوية الأمريكية في عمليات حرب الخليج ١٩٩٠. وأصبحت الآن تكنولوجيا «الإخفاء والاختراق» فنا مستقلا في تطوير الأسلحة امتد إلى جوانب أخرى في البنية المعلوماتية للجسم الطائر مثل بصمته الحرارية والبصرية والمغناطيسية والصوتية.

ب- **إعطاء الطائرة مزيداً من المرونة عن طريق تزويدها بإمكانيات الإقلاع والهبوط العمودي** V/ STOL، فقد كان كافيا أن تضرب الممرات حتى تشل قدرة الطائرة على الخروج أو العودة.

وعلى مستوى العالم هناك حاليا الطائرة الهارير الإنجليزية والياك-٣٦ الروسية ، والطائرة AV_8B الأمريكية. وأبلت الطائرة الهارير البريطانية بلاء حسنا في حرب فوكلاند ، وقامت بمهام متعددة للمعاونة الجوية والدفاع الجوي عن الأسطول ومهام الاستطلاع والقتال الجوي.

ج- **تزويد الطائرة بنظم للحرب الإلكترونية** لزيادة قدرتها على اختراق شبكات الدفاع الجوي المعادية والتشويش على أنظمة الرادار ، وشل نظم الاتصالات والمعلومات. ولقد فقد الإسرائيليون ١٥٠ طائرة في الأيام الأولى من حرب أكتوبر ١٩٧٣ عندما ظنوا أن بإمكانهم القضاء على الدفاعات الأرضية في عملية مستقلة للقوات الجوية كما حدث في معركة ١٩٦٧. وفي مواجهة أنظمة دفاع جوي متقدم على معظم الجبهات ، أعطت إسرائيل اهتماماً كبيراً لنظم الحرب الإلكترونية وحملتها على طائرات بدون طيار ، وزودت بها طائراتها المقاتلة والقاذفة.

د- كان لحرب أكتوبر الفضل في توجيه الفكر العسكري إلى ضرورة تزويد الطائرة مثل غيرها من «منصات الإطلاق» بأسلحة «الهجوم العميق» مثل الصواريخ جو-جو ، وجو-أرض بعيدة المدى ، وصواريخ الكروز ، والقنابل الموجهة الذكية ، وألا تقتصر إمكانياتها فقط على قدرات الاشتباك الجوي والسيطرة الجوية. وأمثلة ذلك الصاروخ جو-جو AMRAAM، والصاروخ المافريك جو-أرض الذي يعمل بالأشعة تحت الحمراء ويمكنه البحث عن الهدف حتى في ظروف الطقس السيئ.

إن التقدم الحالي في أسلحة الدفاع الجوي قصيرة المدى قد أرغم الطائرة المهاجمة على الارتفاع فوق الأرض بمسافة تصل إلى ٥٠٠٠ متر ، مما يجعل القنابل غير الموجهة عديمة القيمة. وكان الحل تزويد القنابل والصواريخ جو-أرض بوحدات للتوجيه بدأت في أجيالها الأولى معتمدة على الطائرة في إعطاء الأوامر وإضاءة الهدف ، وانتهت باستقلال السلاح بمجرد انفصاله عن الطائرة ، يأخذ مساره إلى الهدف مستعيناً بقدراته الذاتية في التوجيه ومستعينا بنظام الملاحة العالمي GPS. الدقة الحالية لتلك الأسلحة وصلت إلى ٧-٩ أمتار (CEP)إذا أطلقت من ارتفاع ٨٠٠٠ متر. وفي الولايات المتحدة تقرر أن تخرج من الخدمة في سنة ٢٠٠٥ كل الذخيرة جو-أرض غير الموجهة. لقد أصبحت المعادلة الآن « كم هدفا لكل طائرة ؟ »بعد أن كانت « كم طائرة لكل هدف »

هـ-وبسبب زيادة سعر الطائرة المستمر نتيجة تزويدها بوسائل الاختراق والحماية كما ذكرنا من قبل ، تحول الاهتمام للأسلحة رخيصة الثمن التي تطير بدون طيار ، مثل الصواريخ أرض-أرض الباليستية ، والصواريخ الكروز. فالصاروخ الكروز يطير في الهواء بدون طيار على ارتفاع منخفض مستخدما تكنولوجيا التخفي من الرادار ، ونظم التوجيه الذاتي والملاحة الفضائية ، ونظم تتبع الطوبوغرافيا الأرضية ليحقق دقة قد تصل إلى خمسة أمتار عند هدف على مسافة ٢٥٠٠ كيلومتر. وحاليا تستخدم الصواريخ الكروز ضد الأهداف البحرية والأرضية ، ويمكن أن تطلق من الطائرات والغواصات ، ومن قواعد أرضية.

الدفاع الجوي : من الصاروخ ضد الطائرة..إلى الصاروخ ضد الصاروخ:

٦-خلال سنوات الإعداد لحرب أكتوبر ، أضافت القوات المسلحة إلى أسلحتها الرئيسية سلاحاً جديداً للدفاع الجوي ، جعلت من نيرانه سياجاً لحماية ملحمة العبور وإقامة رؤوس جسور قوية على الشاطئ الشرقي للقناة ، واستطاعت به قطع الذراع الطويلة للعدو الإسرائيلي فتساقطت طائراته منذ اللحظات الأولى للمعركة. وكما قال أحد طياري الفانتوم «إن المصريين قد صنعوا بقذائفهم المضادة للطائرات وبصواريخهم فوق مواقعهم غلالات من نار كثيفة يصعب اختراقها». لقد شكلت القيادة

المصرية أول منظومة صاروخية متكاملة للدفاع الجوى على مستوى العالم ، ووضعت لها أساليب قتال وتكتيكات اشتباك أصبحت مرجعاً فى الصراع بين الصاروخ والطائرة. ويمكن القول أن عملية العبور بكل تعقيداتها قد تمت بدون مظلة جوية بالمعنى التقليدي. كان الغطاء الرئيسي من صواريخ الدفاع الجوى المضادة للطائرات ، الثابت منها والمتحرك ، المحمول على قاذف والمحمول بشرياً. ويعد ذلك أول تجربة فى تاريخ الحرب الحديثة تتم فيها المواجهة بين سلاح طيران معاد وبين نظام دفاع جوى بحت على أرض مكشوفة. وفى ظل هذا الغطاء كان المهندسون والمشاة والمدفعية وبعد ذلك الدبابات تتحرك تحت وقاية فعالة. والنتيجة أن طائرات العدو قد تساقطت بدرجة رهيبة لم يسبق لها مثيل قدرها بعض المراقبين بثلاث طائرات من كل خمس. أما ما لم يسقط من طائرات العدو فكان يلقى بقنابله بعيدا عن أهدافها لينجو بنفسه حتى اضطر العدو إلى إصدار قرار بعدم اقتراب طائراته لمسافة ١٥ كيلومتر من شرق القناة. إن التطور فى الدفاع الجوى من المدافع إلى الصواريخ الموجهة قد أحدث قفزة نوعية هائلة فى كفاءة التصدي للطائرات المهاجمة من خلال منظومة متكاملة للإنذار المبكر والكشف عن الأهداف وإدارة النيران يصاحبها وحدات فنية لتجهيز الصواريخ واختبارها.

٧- ومع تغير طبيعة التهديد الجوى نتيجة الانتشار المتزايد للصواريخ الباليستية أرض-أرض وجوء أكثر من دولة لاستخدامها فى المعارك الحربية كما حدث فى حرب المدن بين العراق وإيران ، وفى حرب الخليج الثانية بين العراق وقوات التحالف الدولى ، بدأت مشاريع تطوير لنظم مضادة للصواريخ لتوفير الحماية للقوات في مسرح العمليات والمدن على المستوى القومي ، مثل النظام «باتريوت» والنظام «ثاد THAAD »الأمريكيين ، والنظام «أرو» الإسرائيلي ، وكذلك نظم الطاقة العالية «الليزرTactical High Energy Laser THLS» الجاري تطويرها للتعامل مع المدفعية الصاروخية قصيرة المدى. وفى الحقيقة فإن نظم الصواريخ المضادة للصواريخ امتداد فني وتكتيكي لنظم الصواريخ المضادة للطائرات. والفرق أنها تتعامل مع هدف أصغر وأعلى وأسرع ، وتحتاج إلى قدرات عالية فى الإنذار المبكر والكشف عن الأهداف. والنظم المضادة للصواريخ يعتمد معظمها على الأقمار الصناعية لتوفير الإنذار المبكر ومراقبة الأهداف المهاجمة.

القيادة والسيطرة وحرب المعلومات:

٨-من الجوانب المهمة فى حرب أكتوبر أنها كشفت عن مستوى التعقيد والصعوبة فى إدارة منظومة القوة الحديثة ، حيث تطلبت خطة المعركة تنسيقاً محكماً ودقيقاً بين القوات الجوية والدفاع الجوى والمدفعية والمشاة والمدرعات. لقد كانت التجربة المصرية الرائدة فى التنسيق بين عناصر القوة وراء تبلور فكر »القيادة والسيطرة والاتصال« فى معركة الأسلحة المشتركة ، والذي تحول بعد ذلك فى الثمانينات بفضل التطور التكنولوجي إلى منظومة لإدارة المعركة تستخدم نظما للمعلومات للحصول عليها وتداولها وتحليلها. وأصبح الآن من مهام هذه النظم أن تتيح للقائد على المستوى الإستراتيجي والتعبوي والتكتيكي أن »يعلم« و»يعمل« فى »الزمن الحقيقي« لأحداث المعركة وليس متأخرا عنه. ونتيجة أن منظومة »إدارة المعركة« تعتمد فى الأساس على نظم وشبكات للحاسبات العملاقة ، فقد بدأ الاهتمام حاليا فى التفكير فيما يسمى بحرب المعلومات Information Warfare ووضع المفاهيم الخاصة بها ، ووسائل تنفيذ تكتيكاتها ومقاومتها ، وهناك مشاريع فى أكثر من دولة لإقامة معامل متخصصة للتدريب على تلك النوعية من الحروب -Information War

fare Battle Lab. . وبشكل عام أصبح ممكنا أن ننظر إلى القوة التقليدية وعناصرها المنتشرة فى البر والبحر والجو والفضاء كمنظومة واحدة تقف على ثلاثة أرجل:

أ- نظام استشعار يقوم بالكشف عن التهديد وتحديد الأهداف .

ب- نظام للقيادة والسيطرة والاتصال يقوم بجمع المعلومات وتحليلها ودفعها إلى مراكز القيادة واتخاذ القرار .

ج- أسلحة القتال والاشتباك : طائرات ، صواريخ ، ذخيرة ذكية..الخ. والنتيجة أنه قد برزت إلى الوجود نظم مستقلة هدفها التعامل مع »المعلومات« وتداولها وتحليلها بعد أن كان الإنسان يقوم بهذا الدور بكفاءة محدودة ، ولم يعد السؤال المعتاد لقياس القوة يقتصر فقط على عدد الطائرات والمدافع والصواريخ.

معارك الدبابات..صراع الصاروخ والدبابة:

٩-تميزت حرب أكتوبر بمعارك الدبابات الكبرى ، وعرضت لأول مرة الصراع الرهيب بين الدبابة والصاروخ. لقد خسرت إسرائيل موجات متتالية من الدبابات بواسطة الصواريخ المضادة التى كان يحملها المشاة المصريون. لقد أثارت تلك النتيجة قضية تهاوى مناعة »منصات الإطلاق« مثل الطائرة والدبابة والسفن الحربية فى مواجهة »الذخيرة الموجهة« . وهذا ما أثبته تدمير المدمرة إيلات بواسطة صاروخ بحري ، وتساقط الطائرات حول القناة بواسطة صواريخ الدفاع الجوى ، وما تلا ذلك من القضاء على مئات الدبابات بواسطة الصواريخ المضادة. ومع نهاية الحرب ، كان أمام المجمع التكنولوجي العسكرى على مستوى العالم مهام عاجلة لزيادة مناعة الدبابة ضد الخطر الجديد ، وتعزيز النجاح بالنسبة للصواريخ المضادة بإعطائها إمكانيات أفضل فى المسافة والدقة والقدرة على اختراق الدروع. بالنسبة للدبابة تم تطوير دروع جديدة لمقاومة تأثير رؤوس الصواريخ ذات الحشوة الجوفاء Hollow Charge. ومثال ذلك »دروع المفرقعات Reactive Armor، والدروع المكونة من طبقات من الألياف الحديثة ..الخ. وفى المقابل استمر تطوير الصواريخ المضادة لزيادة المدى والقدرة على اختراق الدروع . إن أجيال الدبابات الحديثة والصواريخ المضادة لها ، قد استفادت من التطور التكنولوجي فى المواد الجديدة ، والمستشعرات فائقة الحساسية ، والموصلات الكهروبصرية ، والتقدم الذى حدث فى أجهزة الليزر والرؤية الليلية.

الفضاء..امتداد جديد لمسرح العمليات:

١٠-لقد كان لحرب أكتوبر أكثر من رسالة بالنسبة للمستقبل. فلو أمعنا النظر فيما ارتبط بأحداث الثغرة من توفر إمكانيات استطلاع للعدو لم تكن متوفرة لنا ، لبدت لنا تلك الأحداث كمشهد الحرب الأخير الذى يحمل فى طياته إشارة للمستقبل تؤكد على أهمية رصد عوامل التغير فى آلة الحرب وفكر القتال. لقد أصبح الفضاء الآن بعدا جديدا لعمل القوة العسكرية. فإذا كان دوره فى حرب أكتوبر قد توقف عند واجب الاستطلاع الاستراتيجي المحدود بواسطة القوى العظمى ، فإن دوره قد امتد بعد ذلك ليغطى معظم أنشطة الحرب الأخرى. فعن طريق الفضاء يمكن الآن القيام بكل مراحل الاشتباك مع الأهداف ، بدءا من اكتشاف الهدف ، ثم الاتصال بعناصر القيادة ، وانتهاء بتوجيه الأسلحة إلى أهدافها. فبواسطة نظم الملاحة الفضائية أصبح ممكنا تحديد إحداثيات السلاح والهدف المتجه إليه بدقة عالية. وأصبح ممكنا للطائرات أن تخترق وتهاجم من ارتفاعات عالية بعيدا عن تأثير

الدفاعات الأرضية ، تاركة ما تلقيه من ذخيرة للأقمار الصناعية التى تتكفل بتوجيهها إلى هدفها المحدد. لقد أضيف مفهوم «السيطرة الفضائية» إلى المفاهيم العسكرية الأخرى للسيطرة البحرية والجوية. فلم تعد الأقمار الصناعية مجرد وسيلة استاتيكية للتجسس أو الاستشعار عن بعد ، لكن دورها يتزايد يوما بعد يوم كعنصر فعال فى إدارة المعركة ، وأعمال القيادة والسيطرة على القوات ، وتوجيه الأسلحة. إن امتلاك إسرائيل الآن لنافذة فضائية يحتم علينا مراجعة مفاهيم عملياتية استقرت منذ حرب أكتوبر قامت على توافر عمق جغرافي مصري وعربي أصبح الآن أكثر انكشافا من الفضاء.

خاتمة :

١١-مازالت حرب أكتوبر ١٩٧٣ تحتل موقعها الفريد فى التاريخ العربي والعالمي كثورة تجديد كاملة للفكر والأداء العسكري. لقد احتوت فصول الحرب على مشاهد عظيمة من الأداء العسكري المبدع فى البر والبحر والجو شكلت معا إطارا جديدا للحرب التقليدية الحديثة. ويرجع الفضل للعبقرية المصرية فى أنها استوعبت خلال سنوات قليلة تكنولوجيا العصر ووظفتها من خلال التجريب والتدريب فى خطة عسكرية خلاقة حققت بها فى النهاية النصر على العدو.

لقد كانت حرب أكتوبر وراء تطوير هيكل القوة العسكرية وأساليب القتال بما يمكن اعتباره تغييرا شاملا. فبفضل نتائجها ظهرت أجيال حديثة من الطائرات والصواريخ والذخيرة الذكية ونظم المعلومات والقيادة والسيطرة ، وأصبح الفضاء مجالا جديدا لعمل القوة العسكرية. كما زاد الاعتقاد بعد حرب أكتوبر بأن التطور التكنولوجي فى العديد من المجالات يمكن أن يسهم بشكل دائم فى تحديث الفكر العسكري وعقائد القتال.

لقد حملت إلينا حرب أكتوبر دروسا ورسائل للمستقبل. فالاستعداد التكنولوجي أصبح مكافئا للاستعداد القتالي ، وأصبح من الواجب أن يحظى البحث العلمي والتطوير التكنولوجي من جانبنا بالتخطيط والتدريب والتقييم بنفس القدر الذى يناله النشاط العسكري المباشر. كما يجب أيضا أن يكون لنا تصور متجدد لحرب المستقبل ، حتى لا نشارك فيها إذا جد الجد بفكر وسلاح من حروب الماضي.

تعليق المشرف على المحور

أتقدم بالشكر للسيد اللواء الدكتور مهندس محمد قدري سعيد

أرجو أن أضع أمامكم -خاصة الشباب- حقيقة تقول أن البحوث والتطوير مستمران وليس معنى أننا وصلنا اليوم لأشعة ليزر أنها أصبحت قابلة للاستخدام في كل مكان أو أن هناك أقمارا صناعية بأجهزة إستشعار على مسافات وإرتفاعات عالية قابلة للإستخدام ، كثير من هذه الأمور لا زالت تحت التجربة ، الحكمة في القوات المسلحة المصرية ليس

THE MOST UP TO DATE WEAPON SYSTEM, BUT THE MOST AP-PROPRIRATE SYSTEM

ويعني ذلك أنه ليس المهم أن يكون لديك أحدث ما وصلت إليه ترسانة الاسلحة ولكن أنسب الأسلحة لمهامك وإستخدامك ومستوى الفرد عندك . ولقد اثبتنا ذلك في حرب أكتوبر ، فنحن لسنا متخلفين ، نحن مع التطور التكنولوجي وليس كل ما طرح قابل للإستخدام . فبعد إنتاج المعدات يتم إختبارها

وإستخدامها ويؤخذ عليها ملاحظات ، نحن مع التقدم ، مع القرن الواحد والعشرين ، ولكن بخطى وئيدة ومحسوبة وشكراً .

قائمة المراجع:

اولا :باللغة العربية

١-محمد قدري سعيد ـ «مستقبل الردع التقليدي فى المواجهة العربية الإسرائيلية» ، السياسة الدولية ، إبريل ١٩٨٨ ، ص. ٢٤٩-٢٥٦.

٢- ____________ مستقبل القوة التقليدية : التكنولوجيا وفن الحرب» ، التقرير الاستراتيجي العربي ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، ١٩٨٩ ، ص ٢٢٦-٢٤١.

٣-____________ « فى ذكرى حرب أكتوبر دعوة لتجديد الفكر العسكرى» الأهرام ، ٧/ ١٠ / ١٩٨٩.

ثانيا :باللغة الانجليزية:

STOL a practical weapon systemå, Astronautics & /Albert R. Yacle, òV .١
Aeronautics, Jan. 1983, P. 18.

2. Bhupendra Jasani, òOuter space a new dimension of the arms raceå, Stockholm International Peace Research Institute (SIPRI), 1982

3_Charles Buffalona, òExpert systems for the militaryå, Aerospace America, April 1985, P. 40.

4_ George Wilson, òStealth Technology, Politicized, enter bomber competitionå, Astronautics & Aeronautics, Nov. 1980, P. 12.

5_òIsrael and the US forces warm to high_energy laser weaponså, International Defence Review, Feb. 1, 1997, Vol. 30, P. 5.

6_James F. Mullen, ò The cruise missiles : Technical challengeå, Astronautics & Aeronautics, Jan. 1982, P. 24.

7_Mohamed Kadry Said, òConventional weapons for the 1990s and related advanced technologiesâ National Symposium on Defence Technology, Cairo 10_11 Nov. 1987.

8 _Steven J. Zaloga, âThe ongoing Saga of the STYXò, Jane's Intelligence Review
, Jul. 1, 1997, Vol. 9, P. 304

9_Ted Hooten, âHarrier : The second generationò, Military Technology, Sept.
.٣٢ .1986, P

الورقة الثانية :

تأثير حرب أكتوبر على الوضع العسكرى الإقليمى

لواء أ.ح/ عبد الستار أمين

أستاذ زائر بأكاديمية ناصر العسكرية

عام :

تعتبر حرب أكتوبر ١٩٧٣ بكل المقاييس الاستراتيجية في ظل الأوضاع العالمية والإقليمية السائدة لحظة اشتعالها. وموازين القوة العسكرية الإسرائيلية والعربية تعتبر معجزة عسكرية انتزعت بها الأمة العربية النصر فاستعادت عزتها وكرامتها . فكانت نقطة تحول استراتيجي في الصراع العربي الإسرائيلي الذي استمر مشتعلا زهاء ثلاثين عاما بل كانت نقطة تحول استراتيجي في المنطقة العربية والشرق أوسطية وتغيرت كثير من المفاهيم التي كانت سائدة فيها واصبح عالم ما بعد أكتوبر يختلف تماما عما كان عليه قبل نصر أكتوبر وخاصة في عالمنا العربي ومنطقة الشرق الأوسط حيث هدأ الصراع وتطلعت الأطراف لتحقيق السلام والاتجاه إلى التنمية الشاملة .

لقد كان لنصر أكتوبر تأثيرات استراتيجية على أطراف الصراع العسكري في مجالات قوى الدولة الشاملة سياسياً واقتصادياً وعسكرياً . وسوف يدور الحديث حول التأثيرات العسكرية بصفة عامة والوضع العسكري الإقليمي بصفة خاصة بداية من بدء حرب رمضان ١٩٧٣ حتى نهاية هذا القرن . مبتدئين بالتأثيرات المباشرة للحرب في المجال العسكري ثم التأثيرات اللاحقة طبقا لتسلسل الأحداث

والمتغيرات الاستراتيجية العالمية والإقليمية في المنطقة العربية والأفريقية وفيما يسمى بالشرق الأوسط ونختتم الورقة ببعض التوصيات .

النطاق الإقليمي :

يشمل النطاق الإقليمي من وجهة نظر الباحث كافة الدول العربية من المحيط الأطلسي غربا إلى الخليج العربي شرقا ومن السواحل الجنوبية للبحر المتوسط شمالا إلى منابع النيل والقرن الأفريقي وبحر العرب جنوبا أي انه يضم كافة الدول العربية والأفريقية على امتداد البحر الأحمر حتى باب المندب وامتداد وادي النيل جنوبا حتى منابعه ليشمل النطاق كافة الدول التي نطلق عليها دول شرق أوسطية غير العربية مثل تركيا - إيران - إسرائيل- إريتريا-أثيوبيا وأوغندا ...... الخ .

أهم المتغيرات العالمية والإقليمية :

ويقصد بها المتغيرات العالمية خلال الربع قرن الماضي فتحسنت العلاقات العربية مع معظم القوى العالمية وخاصة مع الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية الديمقراطية وانحصر دور الاتحاد السوفيتي بشكل كبير في دول الشرق الأوسط ولعبت الولايات المتحدة الأمريكية دورا رئيسيا في إحلال السلام في المنطقة بعملها كشريك كامل في جهود السلام وزاد تعاونها في المجالات العسكرية لدول المنطقة .

- انحصار الحرب الباردة بانهيار النظم الشيوعية وتراجع دور الاتحاد السوفيتي كقوة عظمى وتبلورت أحادية القطبية للولايات المتحدة الأمريكية وما تبع ذلك من تأثيرات على الأوضاع العسكرية العالمية والإقليمية .

- الاتجاه العالمي للحلول السلمية للقضايا الإقليمية مع تعظيم دور الأمم المتحدة في الوصول للحلول السلمية وفرض السلام عن طريق استخدام سلطات مجلس الأمن بفرض عقوبات على الدول . وفرض قيود وضوابط لعمليات التسلح ونقل التكنولوجيا العسكرية خاصة في مجالات صناعة الصواريخ وأسلحة التدمير الشامل بما في ذلك الأسلحة النووية .

وفرض قيود على تجارة الأسلحة التقليدية بفتح سجلات في الأمم المتحدة لتدوين حركة تجارة الأسلحة . كما كان هناك اتجاه لخفض الأسلحة الاستراتيجية في أوربا مثل الأسلحة النووية قريبة ومتوسطة المدى وكذا لخفض الأسلحة التقليدية في أوربا عقب حلف وارسو . وإعادة تنظيم قوات حلف الناتو بتشكيل قوات انتشار سريع لفرض السلام والاستقرار في المناطق الملتهبة سواء داخل نطاق الحلف أو خارجه .

- طرحت الولايات المتحدة الأمريكية فكرة التعاون الاستراتيجي مع دول المنطقة العربية والشرق أوسطية لدعم نفوذها العسكري وحمايتها لمصالحها الحيوية في المنطقة وتجاوبت إسرائيل مع هذا الطرح واكتفى بعض دول العالم العربى بتعاون عسكري ثبت أنه متواضع بالنسبة لما حققته إسرائيل مع الولايات المتحدة .

- ولقد واجهت الأمة العربية خلال الربع قرن الماضي معارك السلام ومعارك عسكرية في حرب الخليج الأولى التي أضعفت القوة الإيرانية عقب سقوط الشاه ودعمت القدرات العسكرية للعراق التي فيما بعد استدرجت إلى حرب الخليج الثانية باحتلال الكويت وما تبع ذلك من إجراءات عسكرية فيما سمي بعمليات درع الصحراء وعمليات عاصفة الصحراء وكانت النتيجة أن تدهورت قوة الآلة

العسكرية العراقية مما يشكل ثغرة في الحدود الشرقية للعالم العربي قد يستغلها أعداء الأمة العربية مستقبلاً .

- انتشار ظاهرة الإرهاب عالميا وإقليميا (الجزائر - السودان - إيران - أفغانستان) مما هدد الأمن القومي في المنطقة وبلغت ذروتها بالمحاولة الآثمة للاعتداء على السيد الرئيس في أثيوبيا ومهاجمة مدينة الأقصر في جمهورية مصر العربية.

وسوف تتناول هذه الدراسة العناصر التالية :

أ- حرب أكتوبر وانعكاساتها على جهود السلام .

ب- أهم ملامح السياسة العسكرية المصرية عقب نصر أكتوبر .

ج- أهم ملامح السياسة العسكرية الإسرائيلية عقب نصر أكتوبر.

د- الخاتمة وتتضمن توجيهات مستقبلية.

أولا : حرب أكتوبر وانعكاساتها على جهود السلام :

لم تنس نشوة النصر في حرب أكتوبر المرحوم الرئيس الراحل محمد أنور السادات أن يطرح مبادرة سلام للحل السلمي للقضية يوم ١٦ أكتوبر أمام مجلس الشعب المصري . وصد قرار وقف إطلاق النيران رقم ٣٣٨ الذي تعهدت فيه القوتان الأعظم بضمان وقف إطلاق النيران وحل المشكلة على أساس قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ فكانت اتفاقيتا فصل القوات الأولى والثانية على الجبهة المصرية والسورية كاستثمار لنصر أكتوبر . مما جعل المنطقة تنعم بالهدوء والاستقرار العسكري لأول مرة منذ عام ١٩٤٨ مما كان حافزا للاستمرار في خطوات السلام للوصول للحل السلمي على أساس تحقيق السلام الشامل - العادل - الدائم.

- دارت عجلة السلام وأدارت مصر معارك السلام بنفس الشجاعة والإصرار الذي أدارت به معارك الحرب على مدى ثلاثين عاما قدمت خلالها أكثر من ١٠٠,٠٠٠ شهيد من أغلى شبابها في أقدس المعارك التي خاضتها العسكرية المصرية دفاعا عن شعب مصر وعن شرف الأمة العربية . وأنفقت أكثر من أربعين مليارا من الدولارات فلم يكن أمام مصر للرد على التلكؤ والمراوغة الإسرائيلية التي كانت تهدف إلى كسب الوقت لتتقادم القضية وتنزوي عن دائرة الضوء . لم يكن أمامها سوى ما أعلنه الرئيس السادات كمبادرة حضارية للسلام لزيارته التاريخية للقدس وحديثه الشجاع في الكنيست الإسرائيلي . فقد أدت الزيارة إلى نتائج استراتيجية إيجابية جديدة أزالت أهم العقبات أمام التسوية . ودارت عجلة السلم التي أدت في النهاية إلى مباحثات مباشرة بين الطرفين لإيجاد حل سلمي مشرف ينهي حالة الحرب بين العرب وإسرائيل ويعيد الأمن والاستقرار إلى المنطقة العربية .

ويعتبر كثير من المحللين الاستراتيجيين أن مبادرة السلام الحضارية التي أطلقها صاحب قرار الحرب ومهندس خطوات السلام بذرة صالحة وضعت في تربة صالحة هيأتها حرب أكتوبر فكان لابد أن تؤتى ثمارها وتحوز على تأييد شعبي مصري عام فوقعت اتفاقية كامب ديفيد للسلام .

- استمرت مصر في الدعوة لنهج السلام العادل الشامل واستطاعت خلال مؤتمر القمة العربي بالقاهرة عام ١٩٩٦ من الاتفاق علي إجماع عربي على التمسك بالسلام كخيار استراتيجي للأمة العربية لتحقيق السلام الشامل العادل في المنطقة العربية والشرق الأوسط تمهيدا لتنمية المنطقة وإيجاد علاقات شاملة ومنافع متبادلة ومصالح مشتركة بدلا من الصراع العسكري والاقتتال بين دول المنطقة. وقد أيدت هذا التوجه الغالبية في الشارع الإسرائيلي بسبب ما تكبدته إسرائيل من خسائر فادحة

خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ وغزوه لبنان عام ١٩٨٢. ودارت عجلة السلام ووقعت اتفاقيات أوسلو بين إسرائيل والسلطة الوطنية الفلسطينية . كما وقعت اتفاقية سلام بين إسرائيل والمملكة الأردنية الهاشمية .

- منذ اغتيال إسحاق رابين زعيم حزب العمل ورئيس وزراء إسرائيل وهناك صراع سياسي في إسرائيل بين حزب الليكود وحزب العمل الإسرائيلي مما اضعف الثقة في مصداقية إسرائيل في ظل الحكومة الحالية برئاسة نتنياهو وصحبه المتطرفين الذين أوصلوا عملية السلام إلى طريق شبه مسدود لو استمر لنتج عنه أوخم العواقب على المنطقة والشعب الإسرائيلي بصفة خاصة .
- تعلمنا نحن العسكريين من دروس حرب أكتوبر والأبحاث والدراسات الاستراتيجية اللاحقة أن افضل وسيلة للمحافظة على السلام هي الاستعداد للحرب بأعلى درجات الكفاءة العسكرية والاستعداد القتالي . ومحاربة الاسترخاء العسكري باعتباره آفة لنا ولاعدائنا على السواء عملا بالشعار الاستراتيجي العسكري «إذا أردت السلام فاستعد للحرب » مما أكد بشكل واضح حتمية أن تكون القوات المسلحة العربية المتعاونة على أعلى درجة من التطور العسكري والقدرة العسكرية بالقدر الذي يردع استراتيجيا أي نوايا عدوانية ضد السلام الذي نصفه بسلام الأقوياء الذي تحميه القوة وتسانده العدة والتضامن الإقليمي . والدليل على صدق ذلك هو استقرار الأوضاع العسكرية على الجبهة المصرية والسورية وانحصرت أي خلافات حول أوضاع السلام وتطويرها بين مصر و إسرائيل فيما يخص حقوق الشعب الفلسطيني وخاصة في أقامه دولته المستقلة وعاصمتها القدس انحصرت هذه الخلافات جميعاً في نطاق العمل السياسي والدبلوماسي دون أن تتصاعد إلى تهديد عسكري ذي بال .

ثانياً: أهم ملامح السياسة العسكرية المصرية عقب نصر أكتوبر ١٩٧٣ :

كما نعلم فإن السياسة العسكرية للدولة هي همزة الوصل بين ما يخطط سياسياً للدولة ، وإستراتيجية استخدام القوة العسكرية لتحقيق الأهداف السياسية المخططة باعتبار أن القوة العسكرية هي إحدى أدوات تنفيذ السياسة العامة للدولة خارجياً وداخلياً وتحدد السياسة العسكرية بشكل عام الدور العسكري للقوات المسلحة سلماً وحرباً .
فعقب انتصارات أكتوبر وفي ظل أوضاع السلام في المنطقة العربية وعلى ضوء المتغيرات العالمية والإقليمية وما تفرضه من قيود ومحددات سبق تناولها اتسمت سياسة مصر العسكرية بالعقلانية والواقعية والرؤية الاستكشافية المبكرة للمتغيرات المحتملة واتخاذ المواقف المناسبة التي تتواءم مع ما تتوقعه من أحداث .
وعلى ضوء الدروس المستفادة والخبرات المكتسبة من حرب أكتوبر ١٩٧٣ عملت السياسة العسكرية على :-
١ -أعادة بناء القدرات العسكرية عقب نصر أكتوبر في إطار توازن إستراتيجي مقبول في منطقة الشرق الأوسط ببناء قدرة عسكرية دفاعية تحقق الردع الإستراتيجي وتضمن الدفاع لتحقيق الأمن القومي المصري والعربي مع الاستمرار في تطوير سياسات التصنيع الحربي المصري كما أتبعت مصر سياسة تنويع مصادر التسليح والاستفادة القصوى من المساعدات العسكرية الأمريكية طبقاً لبرامج زمنية محددة تتمشى مع خطط التنمية الشاملة للدولة .

٢- اهتمت السياسة العسكرية المصرية بتشجيع البحوث والتطورات العالمية والتكنولوجية لخدمة الآلة العسكرية المصرية والتدريب في مجالات الارتقاء بعمليات الصيانة لإطالة العمر الافتراضي للأسلحة السوفيتية وزيادة كفاءة الأسلحة والمعدات نتيجة خبرات حرب أكتوبر بتحديثها وزيادة قدراتها القتالية

٣-إجراء بحوث مكثفة لتطوير الفكر السياسي العسكري والفكر الإستراتيجي العسكري بما يخدم أهداف الدفاع وطنياً وعربياً وأفريقياً وبفضل هذا الجهد الفكري العلمي والتكنولوجي أصبح لمصر وللأمة العربية فكر استراتيجي عسكري لا شرقي و لا غربي فكر مصري عربي أفريقي نابع من خبرات ودروس حرب أكتوبر ومطالب الدفاع لمواجهة التهديدات والتحديات المستقبلية . فكر يسالم من يسالمنا ويردع إستراتيجياً كل من تسول له نفسه الاعتداء علينا فكر يضمن للأمة العربية تضامنها واستقرارها وحمايتها ويضمن للشرعية الدستورية الوطنية والدولية سلطانها وهيبتها مما يحقق الاستقرار الداخلي باعتباره مطلبا إستراتيجيا أساسيا لإجراء التنمية الشاملة وتأمين انطلاق العمل لعسكري واستناده إلى قاعدة داخلية راسخة وآمنة وهو من أهم أسس الأمن القومي والإستراتيجية لعسكرية المصرية والعربية .

٤ -ولقد تبلور فكر إستراتيجي عسكري تحرر من عقد الماضي وقيوده . فكر يرحب ويدعم التعاون لعربي والأفريقي إقليمياً . فكر يرفض الأحلاف العسكرية ومنح قواعد عسكرية ولكنه فكر منفتح سكرياً على المستوى العالمي يدعم الشرعية الدولية . فكر يؤمن بالتعاون الإقليمي لدرء الأخطار بن مصر والأمة العربية . فكر يسمح خلال الأزمات الإستراتيجية بتقديم تسهيلات عسكرية باستخدام القوات المسلحة المصرية خارج الحدود لدعم الأشقاء العرب دفاعاً عن الأوطان ولمواجهة لأطماع التي تراود فكر المعتدين مهما كان انتماؤهم ومبرراتهم .

قد برز ذلك عقب حرب أكتوبر عندما دعمت مصر دولة العراق الشقيقة خلال حربها مع إيران لمدة ماني سنوات دعماً لأمن الخليج مع السعي لإنهاء الصراع والتحول إلى الحلول السلمية . وبنفس لفهوم دعمت مصر دول الخليج في عمليات » درع الصحراء « - » عاصفة الصحراء « متعاونة مع وى الائتلاف الدولي بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية وتحت علم وميثاق وشرعية الأمم المتحدة . لقد نفذت القوات العربية (دول الخليج ومصر وسوريا) أصعب المهام لتحرير الكويت الشقيق في نجاعة وبسلوك عسكري حضاري سجله التاريخ لصالح العسكرية المصرية والعربية .

-ويدرس الفكر الإستراتيجي العربي حالياً كيف يمكن ملء الفراغ الناتج عن تحطيم الآلة العسكرية لعراقية .

-لقد أثبتت حرب الخليج الثانية مصداقية السياسة العسكرية المصرية في العمل الفعال لصالح لأمن القومي العربي مما كان انعكاسه المباشر أن صدر » إعلان دمشق « للتعاون الإستراتيجي ستمراراً للدور الذي قامت به مصر وسوريا أساساً (وهما شريكا نصر أكتوبر ١٩٧٣) لدعم دول الخليج العربي الست . ويعتبر إعلان دمشق ثمرة طبيعية تلقائية لصدق التعاون العسكري العربي . ولكن استمرار تواجد قوات التحالف بالخليج وما وقع من اتفاقيات أمنية مع الكويت وبعض دول الخليج الأمر الذي أوجد ضغوطاً فيما بعد لتجميد مفعول إعلان دمشق . وعدلت فقرة في الإعلان تنص على ترك حرية الاختيار الفردي لدول الخليج للتعاون عسكرياً مع مصر وسوريا . ولكن مازالت هناك فعالية لإعلان دمشق في مجالات باقي قوى الدولة الشاملة وتطالب بين الحين والآخر أصوات عربية ببعث النشاط في إعلان دمشق .

٧-ومن التطورات الإستراتيجية في الفكر العسكري الإستراتيجي المصري عقب نصر أكتوبر أن شجع اشتراك القوات المسلحة في عمليات التنمية الاقتصادية دون المساس بمهامها الإستراتيجية الأساسية . وتشجيع مساهمة القوات المسلحة في مواجهة الكوارث الطبيعية والمشاركة في عمليات حفظ السلام والاستقرار في البؤر الملتهبة عالمياً تحت راية الأمم المتحدة مما أكسب العسكرية المصرية مزيداً من المحبة والاحترام الوطني وتقدير العالم المتقدم عسكرياً . وأصبح علم مصر يرفرف في معظم المناطق الملتهبة عالمياً (الصومال - ناميبيا - البلقان ....) . وتراعي السياسة العسكرية المصرية عند اشتراكها في المهام الدولية عدم تعارض تلك المهام مع التزامات مصر العسكرية ومسئوليتها الإقليمية كأكبر دول المنطقة وأكثرها تأثيراً .

٨-وبفضل تطور السياسة العسكرية والفكر الإستراتيجي العسكري وخبرات القتال تكنيكياً خلال حرب أكتوبر أصبحت هناك مدرسة عسكرية متكاملة البنيان على المستويات العسكرية المختلفة مما شجع الأشقاء العرب والأفارقة إقليمياً بل ودول العالم المتقدم عالمياً أن تطلب حضور دورات عسكرية في المعاهد والمنشآت التعليمية على كافة المستويات وخاصة في الكليات العسكرية وكلية القادة والأركان وأكاديمية ناصر العسكرية العليا بكلياتها الحرب العليا والدفاع الوطني . كما تسابقت الدول لإجراء تدريبات مشتركة مع القوات المسلحة العربية لتبادل الخبرات ، كما تسابقت الوفود العسكرية لزيارة مصر للوقوف على أهم الدروس المستفادة والتطورات المنتظرة نتيجة حرب أكتوبر مما أكسب العسكرية المصرية ثقلاً علمياً وزودها بخبرات عملية استفادت منها معظم جيوش العالم وأصبحت المدرسة العسكرية المصرية العربية أحد المراجع في الفكر العسكري العالمي المعاصر وخاصة في منطقة الشرق الأوسط .

ثالثاً : أهم ملامح السياسة العسكرية الإسرائيلية عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣ :

عقب هزيمة إسرائيل وانسحابها من كافة الأراضي المصرية تنفيذاً لاتفاقية السلام سرعان ما استأنفت إسرائيل تطبيق سياسة عسكرية وإستراتيجية عسكرية عدوانية توسعية كان أهم مظاهرها هو العدوان الغادر على جمهورية لبنان الشقيقة والوصول إلى مشارف العاصمة بيروت عام ١٩٨٢ .

كانت أبرز ملامح السياسة العسكرية الإسرائيلية تتلخص في الآتي : -

١-الإصرار على إحراز التفوق في مجال الأسلحة التقليدية وأسلحة الدمار الشامل بما في ذلك امتلاك ترسانة نووية تضم العديد من الرؤوس النووية ووسائل التوصيل بامتلاك وتطوير الصواريخ « أريحا » متوسطة وبعيدة المدى . وطائرات ف ١٥، ١٦ المتطورة .

٢-امتلاك عناصر استطلاع إستراتيجي حالياً تضم مجموعة من أقمار فضائية تستخدم في الأغراض العسكرية ويمكنها أن تغطي معظم الدول العربية .

-وكانت نقطة التحول الإستراتيجي في مجال تطوير التسلح والحصول على التكنولوجيا المتقدمة في مجال الصناعات الحربية هي توقيع اتفاقية التعاون الإستراتيجي مع الولايات المتحدة الأمريكية في أوائل الثمانينات التي ضمنت استمرار التفوق العسكري وأكدته . ثم أعقبها التوقيع على عدة اتفاقيات وبروتوكولات مع أمريكا بحيث تطورت العلاقة ووصلت إلى ما يشبه التحالف الإستراتيجي مع الولايات المتحدة الأمريكية حالياً .

- تحولت إسرائيل عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣ في مجال الردع العسكري من الردع باستخدام الأسلحة التقليدية (الذي فشل خلال حرب أكتوبر) إلى الردع "النووي .

- محاولة إسرائيل حالياً اختراق منطقة الخليج والحصول على موطئ قدم لتمارس نشاطها في هذه المنطقة الحيوية الغنية بمصادر البترول والغاز والبترو دولار وهو هدف إستراتيجي في مخططات الصهيونية العالمية باعتبار الطاقة عصب الحياة ومصدر لرؤوس الأموال .

- بالسعي لتطوير علاقاتها العسكرية مع تركيا أما في إطار حلف الناتو أو في إطار الإستراتيجية الأمريكية الخاصة بمنطقة الشرق الأوسط وخاصة منطقة شرق البحر المتوسط حيث تعتمد أمريكا على إسرائيل لحماية مصالحها الإستراتيجية في هذه المنطقة.

- كما تسعى إسرائيل عقب نصر أكتوبر ١٩٧٣ لدعم علاقاتها مع أثيوبيا عن طريق تقديم المساعدات لها لحل مشاكلها على أمل التأثير على الموقف الأثيوبي الأرتيري للحصول على تسهيلات عسكرية عند باب المندب » المدخل الجنوبي للبحر الأحمر « بالتواجد في الجزر القريبة من المضيق . كما تأمل بفضل تدعيم علاقاتها مع أثيوبيا أن تساهم في إثارة مشاكل مياه وادي النيل والمنتظر أن تتصاعد خلال القرن القادم كجزء من الصراع حول المياه في الشرق الأوسط .

- عموماً يمكن القول أن الهدف الإستراتيجي من النشاط الإسرائيلي في الدول الشرق أوسطية غير العربية هو الالتفاف حول الدول العربية في أسيا وأفريقيا لمحاولة تهديد العمق الإستراتيجي للأمة العربية بتهديد المصالح الحيوية في العمق العربي والحصول على موطئ قدم يخدم أهدافها التوسعية العدوانية على الأمة العربية والوصول إلى دول العمق في العالم العربي لإحكام سيطرتها مستقبلاً على منطقة الشرق الأوسط .

- من دراسة وتحليل الموقف السياسي العسكري والإستراتيجي العسكري لدولة إسرائيل وخلفها الصهيونية العالمية سواء من ناحية زيادة وتعاظم قدراتها العسكرية وتوسيع مجالات تعاونها مع الدول العظمى والكبرى والدول الشرق أوسطية غير العربية وموقفها السياسي الحالي نحو عملية السلام وحقوق الشعب الفلسطيني وإعلانها عن زيادة ميزانية الدفاع الإسرائيلية والتي كانت خفضت خلال العقد الماضي .

- وعلى ضوء تصرفات إسرائيل السابقة في العدوان على العمق الإستراتيجي العربي بضرب المفاعل النووي العراقي وقصفت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في تونس وأدائها العسكري خلال أزمة « مطار عنتيبي » في أوغندا كل ذلك يرجح احتمالات أن تكون الجولة العسكرية التالية سوف تغطي نطاقا أوسع من النطاق الذي تمت تغطيته خلال حرب ١٩٦٧ والتي اقتصرت على دول المواجهة (مصر- سوريا والأردن) لتغطي دول العمق الإستراتيجي العربي باستخدام القدرات العسكرية والتسهيلات التي تحصل عليها بالتعاون الإستراتيجي العسكري و علاقاتها العسكرية مع الدول غير العربية في منطقة الشرق الأوسط مما يمكنها من تحويل دول العمق إلى دول مواجهة .

وعلى ضوء ما سبق وحقيقة أنه لا تستطيع أي دولة في العالم تحقيق أمنها القومي الشامل بمفردها بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية بدليل أنها مازالت متمسكة بانتمائها لحلف الناتو باعتباره خط دفاعها الأول وعقدت عديد من الاتفاقيات متعددة الأطراف والثنائية لدعم أمنها القومي الشامل .

- باعتبار أن العمل الجماعي العربي في المجال العسكري يحقق الردع ويدعم الدفاع والاستقرار عربياً

أصبح التعاون والتنسيق في مجالات الأمن القومي الوطني والعربي مطلباً قومياً حتمياً وملحاً من أجل حماية البقاء والمصالح العربية المشتركة وهي حتمية لا تقبل الحلول الوسط بل يجب أن تكون أو لا تكون باعتبار الصراع العربي الإسرائيلي صراعا حضاريا شاملا، صراعا يمتد بعيد المدى تتوارثه الأجيال ويخطئ من يظن أنه صراع حدود كما يدعي البعض ولكنه صراع وجود .

يجب أن نتذكر أن الحرب كانت ومازالت وستبقى جزءاً من تاريخ البشرية . ومصر والأمة العربية وافقت علي خيار السلام وتسعى لتحقيق سلام شامل وعادل بين العرب وإسرائيل ويرى بعض الإستراتيجيين أن السعي لتحقيق السلام يجب أن تدعمه القوة الشاملة أي سلام الأقوياء سلام تحميه القوة وتسانده العدة لردعها العدوان وضمان البقاء وتأمين البناء والنماء محاط بمظلة من الضمانات العالمية والدولية التي تضمن الاستقرار ودفء السلام .

- علينا أن نحافظ وننمي علاقاتنا الحميمة مع الولايات المتحدة لضمان استمرار الدعم العسكري والتعاون العسكري ونشركهما في دفع خطوات السلام والمحافظة عليه كشريك كامل في حل كافة المشاكل سلميا .

- كما يعتبر السعي لتحقيق تعاون استراتيجي مع الدول الشرق أوسطية غير العربية (تركيا -إيران-إثيوبيا-إريتريا) لضمان دعمهم للقضايا العربية مستغلين الجوار الجغرافي والعلاقات التاريخية والإسلامية والمصالح المشتركة لدعم هذه العلاقات .

- لتحقيق ما سبق علينا كأمة عربية أن نسرع في خطوات التعاون والتنسيق العربي الشامل ونخطط لذلك لضمان الاستمرارية وذلك بدعم آليات الجامعة العربية باعتبارها بيت العرب ولديها خبرات ومواثيق تؤمن التنفيذ إذا صلحت النوايا. وعلينا أن نستمر في هذا التعاون عقب الوصول آلي اتفاقيات سلام عادل وشامل. ونرى ضرورة استمرار ذلك لفترة زمنية تالية كافية لثبوت صدق النوايا ، يدعم فيها التعاون الاستراتيجي العربي ، باعتبارها فترة سلام مسلح .

- نرى أننا في ظل السلام لا ندخل أى منظمات إقليمية شرق أوسطية إلا لأمة عربية متعاونة ومتضامنة ككتلة واحدة لضمان تحقيق المصالح العربية باعتبارنا القوة الرئيسية في المنطقة

- نتصور أن دور مصر الرائد في المجال الإقليمي العسكري عربيا وأفريقيا يتلخص في الآتي :-

*دور توحيد الجهود لمواجهة العدوان والتصدي للتحديات .

*دور فاعل في قيادة وإدارة العمل العسكري ضمن قيادة مشتركة .

*دور الحماية بالردع والدفاع لكافة دول الإقليم .

وهو امتداد لدورها التاريخي في المنطقة ، فمصر هي التي أنهت الوجود الصليبي في الشام والذي استمر ٢٠٠ عام ، وهي التي تصدت للمغول في عين جالوت بعد تواجد ٥٠ عاما ، وهي التي فرضت مزيدا من القيود علي الحركة البيزنطية ، وهي التي حققت نصر أكتوبر ١٩٧٣ متعاونة مع شقيقاتها العربيات .

- الإصرار علي جعل منطقة الشرق الأوسط منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل والمطالبة بتأييد المبادرة المصرية في هذا المجال ، سواء علي مستوي المنطقة أو علي مستوي العالم .

- الدعوة لمكافحة الإرهاب بتعاون الدول الشرق أوسطية علي القضاء علي ظاهرة الإرهاب التي انتشرت في المنطقة وخاصة في (الجزائر -السودان - إيران - أفغانستان - أحياناً في مصر) وأخيراً في دول حوض النيل (كينيا -تنزانيا) ودعوة المنطقة للتعاون في هذا المجال للقضاء علي تلك الظاهرة ، ومطالبة الأمم المتحدة بسن قوانين دولية وفرض عقوبات علي الدول التي تؤوي الإرهاب ،

كما تطالب أن تخصص كل دولة في المنطقة قوة مدربة لمقاومة الإرهاب وتشكل من قوات الأمن تدعمها القوات المسلحة خلال تنفيذ تلك المهام .

خاتمة:

وفي الختام لا يسعني في هذه المناسبة الكريمة إلا أن أترحم علي شهدائنا الأبرار وعلي قمتهم الرئيس الراحل / محمد أنور السادات وبارك الله في أبطال أكتوبر الأحياء وعلي رأسهم الرئيس / محمد حسني مبارك عرفانا منا بما حققوه من نصر وما صنعوه من أمجاد سوف تسجل في التاريخ بأحرف من نور وتكون قوة دافعة لمواجهة التحديات خلف جيل أكتوبر الذي يقود مسيرة السلام ، سلام الأقوياء المتعاونين عربيا وإقليميا ، كما نسجل إعجابنا وتقديرنا للمكاسب التي حققتها خطوات السلام بعودة سيناء كاملة مما أثبت صلابة ومهارة المفاوض المصري والعربي مع خصم كان يتمسك بما في يديه بالاظافر والأنياب ...

«ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز »

تعليق المشرف على المحور

شكرا لأخي اللواء أ ح /عبد الستار أمين على هذا العرض الشامل

أريد أن أطرح ثلاث نقاط تتعلق بما تفضل به سيادته عنين اليوم

العسكريون إما أن يتحدثوا عن أسوأ سيناريو أو أفضل سيناريو أو سيناريو الواقع ، وتفضل أستاذي بالتحدث عن أسوأ سيناريو ، لأنه عندما يقال إحتمالات هجوم إسرائيل على الأردن فيجب على أن أفكر مباشرة أن هناك معاهدة سلام أردنية إسرائيلية ، عندما يقال أن الأقمار الصناعية تدور وتقوم باستطلاع إستراتيجي أقول أن السوفيت عام ١٩٦٦ أطلقوا قمرا صناعيا في منطقة الشرق الأوسط يدور مرة كل يومين ، أول يومين وجد حشود على الحدود السورية فأخبرنا ، وفي اليوم التالي لم يجدها لأنها كانت قد غادرت الموقع ودخلنا في ورطة ، إذاً فإن طائرة بدون طيار ، طائرة استطلاع ، كاميرا مائلة تحقق المهمة في هذه المساحة الجغرافية المحدودة أفضل من قمر صناعي يتطلب صراعا دوليا .

أنا لست ضد كلام اللواء عبد الستار أو أن السلام لا تحميه إلا القوة ولكنني أقول أنه من الأفضل أن يطرح علينا أسوأ سيناريو لكي نظل دائما على أطراف أصابعنا وتكون آذاننا حساسة وعيوننا ثاقبة ونظل بصفة مستمرة نرى ما الذي يمكن أن يحدث في المنطقة ويهدد أمننا القومي والعربي . أشكره للغاية فقد تعلمت الكثير ولكنني من الذين يتحدثون عن السيناريو المقبول، ليس الأسوأ أو الأفضل ، وربما يرجع ذلك إلى شخصيتي المتفائلة .

التعقيب على الجلسة الرابعة

لواء أ.ح.د. /محمد نبيل فؤاد

تقديم :

بداية أود أن أوجه تهنئتي لشعبنا المصري وقواتنا المسلحة الباسلة ، وللجيش السوري الباسل شريكنا في معركة الشرف أكتوبر / رمضان المجيدة ، طالبا من الله التوفيق ومزيدا من التقدم للجميع .

الحقيقة أنه من حسن حظي أن كلفت بالتعقيب على ورقتين مرتبطتين بالمستقبل إلى حد كبير وهما لزميل قدير ولأستاذ طالما تتلمذت على يديه . فليسمحان لي بإلقاء الضوء على ورقتيهما الممتازتين .

الورقة الأولى : أثر حرب أكتوبر على تطور نظم التسلح وأعمال القتال :

والحقيقة أنها ورقة متميزة لما احتوته من مؤشرات علمية ، ولاتسامها بالشمولية ، غير أن لي بعض الاضافات خاصة بالنسبة لأساليب القتال ، واسمحوا لي أن أقرأ حتى يمكنني أن التزم بالوقت قدر الإمكان .

١- اسمحوا لي أن أبدأ بما انتهى إليه الدكتور قدري سعيد حيث ذكر : أنه يجب علينا وضع تصور متجدد لحرب المستقبل حتى لا نشارك فيها إذا جد الجد بفكر وسلاح من حروب الماضي ، وهي مقولة غاية في الحكمة . نظرا لأن الفكر العسكري على المستويين العالمي والإقليمي في الشرق الأوسط يتجه إلى ما يسمى بالجيش الذكي الذي يتم بناؤه وفقا لاتجاهات متقدمة في مختلف الاتجاهات تعتمد على ركائز محددة وهي :

أ- القوة التدميرية العالية للأسلحة التقليدية تقترب في تأثيرها من أسلحة الدمار الشامل ، مثل

ب- الدقة المتناهية من خلال القدرة على تمييز الأهداف من خلال البحث عن بصمة الهدف ، مثل الصواريخ الكروز ، وهناك أنظمة أخرى مثل الذخائر الذكية Smart Ammunition التي تستخدم في أنظمة Fire and Forget.

ج- المعلوماتية والبعد الفضائي وحرب المعلومات ، وقد قرأنا كلنا عن حرب المعلومات .

د- أيضا للحرب الحديثة مدى كبير من خلال التدمير عن بعد لتفادي القتال ، وقد رأينا في حرب الصحراء عمليات الالتفاف العميقة جدا لتفادي الخسائر .

هـ- مقذوفات متعددة الرؤوس التدميرية حيث كان ذلك في السبعينات والثمانينات بالنسبة للأسلحة النووية ، أما الآن فهناك ذخائر متعددة الرؤوس التدميرية بالنسبة للأسلحة التقليدية أيضا .

و- عدد أقل من الأفراد ، وهذا هو الاتجاه العالمي في تكوين الجيوش .

ز- من هذا المنطلق فمن المنتظر أن تقود تلك المؤشرات إلى مسرح عمليات مستقبلي جديد ذي طابع وسمات وأبعاد أخرى جديدة ، وفي اعتقادي أنها ليست بعيدة عنا .

٢- انتقل بعد ذلك إلى نقطة أخرى وهي : الردع ، وهو مستويان : التقليدي وغير التقليدي (المقصود به أسلحة الدمار الشامل بكل مستوياتها) .

أ- الردع التقليدي :

من المعروف أن سلاح الردع المصري عام ١٩٧٣ كانت الصواريخ سكود ، وتحضرني هنا الرسالة التحذيرية غير المباشرة التي وجهها الرئيس الراحل أنور السادات إبان الحرب حيث قال » إن العين بالعين ، والسن بالسن ، والعمق بالعمق « لقد كانت هذه رسالة موجهة إلى إسرائيل ، وفي اعتقادي أنها قد وصلت .. لماذا ؟ لأن إسرائيل كانت تعتمد على ذراعها الطويل ، وهي القوات الجوية ، وطالما ضربت العمق المصريَ خلال حرب الاستنزاف ، ولم تخجل من ضُرب الأهداف المدنية أثناء حرب الاستنزاف ، أما في حرب ١٩٧٣ فلم تضرب هدفا مدنيا واحدا .. لماذا ؟ لأننا كنا قد وصلنا معهم إلى ما يسمى بتوازن الردع ، ثم جاءت حرب الخليج بتداعياتها التي أدت إلى قصف إسرائيل بالصواريخ العراقية وهو ما دفع إسرائيل - رغم حصولها على الباتريوت - إلى العمل الدءوب لتطوير نظام صواريخ مضاد للصواريخ وهو أرو أو حيتس ، وإعلانها منذ أيام عن تجربته بنجاح .

فماذا يعني ذلك ؟ أهل يعني تآكل الردع العربي ؟ !

في اعتقادي أنه لم يتآكل ، لأن رجال الصواريخ أرض/ أرض يعلمون أن من أول مبادئهم في الاستخدام هو الحشد ، ومن ثم فإن الاستخدام الصاروخي بحشد يحتاج على الجانب الآخر إلى إمكانيات ضخمة لن تتوافر لهم . أرجو ألا يفهم من حديثي أن نكتفي بذلك ، بل هو تنبيه إلى بداية احتمالات تآكل الردع العربي ، وهذا ما يفرض علينا ضرورة العمل على توفير بدائل أخرى على وجه السرعة .

ب- الردع غير التقليدي :

أما بالنسبة للردع غير التقليدي فسوف أبدأه بسؤال » ما هو المتغير في الموقف النووي الإسرائيلي منذ عام ١٩٧٣ إلى ١٩٩٨ ؟ !

لقد كانت إسرائيل تدير ردعها النووي بالشك منذ عام ١٩٧٣ ، ولم يمنع ذلك من نشوب حرب

تقليدية هي حرب ١٩٧٣ ، ورغم ما تواتر عن قيام إسرائيل باعداد ثلاثة نظم نووية للاستخدام الفعلي لمواجهة انكسارها الاستراتيجي في المرحلة الافتتاحية للحرب . إن إسرائيل تعرف قبل غيرها كيف تتركز كثافتها السكانية في أقل من نصف مساحة إسرائيل الصغيرة في المساحة والتعداد ، يشكل أي قصف صاروخي عربي يحشد عليها تأثيرا يعادل قصفها النووي على المنطقة العربية الشاسعة المساحة والتعداد ، ناهيك عن احتمالات استخدام أسلحة فوق تقليدية .

وتشير العديد من الدراسات الاستراتيجية إلى أن الردع الأقل يمكن أن يعادل الردع الأكبر ، خاصة في حالة ضخامة مساحة وتعداد العالم العربي في مواجهة ضآلة تعداد ومساحة إسرائيل .

ورغم ذلك فإن ضرورة تطوير قاعدة تقنية متقدمة للاستخدامات السلمية للطاقة النووية لدى العرب يمكن أن تضيف نوعا من التوازن ، عندما تشعر إسرائيل أن العرب يمكنهم أن يختصروا الوقت اللازم لدخول النادي النووي إذا ما دعتهم الحاجة إليه ، رغم خيارهم الاستراتيجي الذي يعملون من خلاله على إخلاء المنطقة من الأسلحة النووية كسياسة لهم .

إن الأمن القومي للدول له حساباته الخاصة ، والتي لا يسمح للآخرين بالتأثير عليها حتى لو كانت مخالفة لبعض التوجهات الدولية ، فالأمن القومي يجب أن يظل فوق كل اعتبار خاصة إذا كان معرضا أو مكشوفا .

٣- المفاجأة :

التي حققتها مصر وسوريا عام ١٩٧٣ ، وماذا عملت إسرائيل حتى لا تتكرر ، فلقد حدث زلزال في إسرائيل ، مما دعاها إلى إجراء الكثير من الدراسات حتى يكون لديها إنذار موقوت حتى لا يتكرر ما حدث .

يشير العديد من المفكرين إلى أن التطوير التقني - خاصة في مجال الفضاء والمعلومات والحرب الالكترونية قد قلص إلى حد كبير إمكانية تكرار المفاجأة مرة ثانية ، خاصة بالنسبة لإسرائيل نظرا للآتي :

أ- امتلاكها لأنظمة معلومات استراتيجية على درجة كبيرة من الكفاءة ، بالإضافة إلى التعاون المتبادل مع الأجهزة المناظرة الأجنبية من منظور تبادل المصالح .

ب- امتلاكها لنظام استطلاع فضائي مبنيا على قدراتها الذاتية على تصنيع وإطلاق الأقمار الصناعية « أوفيك » وما يتردد عن الاستخدامات العسكرية لهذا النظام .

ج- حصولها من خلال التعاون الاستراتيجي مع الولايات المتحدة على تسهيلات ، فبعد أن كانت تتلقى إنذارا من مركز القيادة في كلورادو بعد إعادة إذاعته وكان هذا يستغرق ثلاث دقائق ، فهي الآن تتلقى الإنذار مباشرة من الأقمار الصناعية الأمريكية مما يوفر دقيقة ونصفا أو دقيقتين في الإنذار بالنسبة للصواريخ .

د- امتلاكها منفردة للأسلحة النووية يمكن أن يفرض على العرب الإحجام عن مفاجأتها .

هـ- توفير نطاق أمن في أراضي الدول المجاورة من خلال اتفاقيات السلام (مناطق محددة القوات والتسلح) وهو ما يهيئ لها فرصة الاكتشاف المبكر لأي تحضيرات موجهة ضدها من الدول المجاورة لها .

غير أن هناك وجهة نظر أخرى تتعلق بالموضوع تشير إلى الآتي :

بالنسبة للانذار عام ١٩٧٣ سواء من أجهزة الاستخبارات الاستراتيجية الإسرائيلية والأمريكية ،

بالإضافة لصور الأقمار الصناعية الأمريكية ، لقد كان كل ذلك متاحا لهم ، ولقد ذكروا في كل أدبياتهم أنهم لاحظوا كل شئ عن الاستعداد للهجوم على الجبهتين في مصر وسوريا ، فاجتمع الجانبان الأمريكي والإسرائيلي وتباحثا في ذلك ، غير أن خطط الخداع متعددة المستويات المصرية والسورية نجحت في تشتيت أفكارهم بين احتمالات الحرب ، وبين كون ذلك مناورة الخريف ، وهكذا رأوا لكنهم لم يفهموا ، بمعنى أن النوايا تظل هي عنصر المفاجأة القائم .

أما بالنسبة لموضوع الأقمار الصناعية - والتي تفضل أستاذي بالحديث عنها - فمن المؤكد أنه هناك تقنيات علمية إذا لم تبطل فهي تقلل من فاعلية الصواريخ ، ولدينا في حرب الخليج الاستعمال البسيط الذي استخدمته العراق ، وهو الدخان ، الذي أعاق عمل العديد من الصواريخ التي لا تستخدم الأشعة تحت الحمراء .

إذن فالعملية هي صراع إرادات ، فكر وفكر مضاد ، وعلينا أن نستمر في هذا السياق . ولذلك فإن احتمالات المفاجأة خاصة في النوايا تظل قائمة وإن تضاءلت إلى حد ما ، وهو ما قد يدفع إسرائيل على الجانب الآخر - ولتفادي أية مفاجأة - إلى أن تحرص على العمل الوقائي بتبني الضربة الأولى عند أية بادرة قد تثير شكوكها .

غير أن هناك عناصر أخرى بعضها سياسي والآخر مادي يمكن من خلالها تقليص احتمالات المفاجأة لأي طرف من دول الشرق الأوسط لعل أبرزها ما يلي :

أ- التوصل إلى سلام عادل ونهائي يعيد الحقوق والأراضي العربية .

ب- التوصل إلى إخلاء المنطقة من أسلحة الدمار الشامل .

ج- التوصل إلى ترتيبات أمنية متوازنة تحقق « الكفاية الدفاعية » لدول المنطقة ، بعيدا عن محاولات التفوق ، ومن ثم سباق التسلح ، وكذلك من منظور الأمن القومي النسبي للجميع وليس المطلق لطرف على حساب الآخر .

٤- موضوع الاستعواض بالأسلحة والذخائر أثناء الحرب :

كيف تم التغلب على ذلك ؟ تم التغلب عليه من خلال الجسرين الجويين : الأمريكي لإسرائيل ، والسوفييتي لكل من مصر وسوريا ، حيث تم نقل معدات كاملة (دبابات - طائرات هيل - طائرات فانتوم - مدفعيات : ١٥٥مم ، ١٧٥مم ، رادارات ، بطاريات هوك ، بالإضافة إلى الأسلحة الجديدة مثل الصاروخ « تاو » ، المافريك ومعدات الإعاقة) فقد كان الجسر الجوي السوفييتي يعتمد في معظمه على الذخائر وقطع الغيار وبعض بطاريات الصواريخ لسوريا .

ما هو الجديد الآن ؟

بالنسبة للعرب : افتقدوا القوة العظمى التي يمكن أن تقدم لهم الدعم خلال الحرب بعد تفكك الاتحاد السوفييتي ، وهو ما يفرض عليهم ضرورة مراجعة المخزون والاحتياطي الاستراتيجي من الأسلحة والذخائر .

بالنسبة للولايات المتحدة : فقد تغلبت على مشاكل النقل الاستراتيجي التي واجهتها في حرب عام ١٩٧٣ ، وحرب الخليج الثانية بإقامة مخازن طوارئ متكاملة في إسرائيل ، وكذلك في منطقة الخليج وهو ما يمكن أن يزيد من خلل التوازن في إحدى المراحل إلى جانب الطرف الآخر .

٥- لقد دخل الآن نظام إعادة الملء في الجو في عدة دول من دول الشرق الأوسط ، توجد أيضا

صواريخ ذات مدى أطول يصل إلى ١٣٠٠ ، ١٤٠٠ كم وأكثر ، كما أدخلت الصفقة الأمريكية الجديدة لإسرائيل طائرات الـ F 15 الجديدة التي يصل مداها إلى ٤٠٠٠ كم وهذا يعني إمكانية الوصول للعمق العربي في أي مكان . ففي عام ١٩٧٣ تحركت قوات الدعم العربي التي وصلت إلى مصر وسوريا مسافات بعيدة وهي مؤمنة لأنها كانت بعيدة عن مدى التأثير ، أما الآن فهي واقعة في مدى التأثير منذ بدء تحركها من دولها .

٦- حرب المعلومات : صورة جديدة للحرب ، فالآن يتم جمع الكثير من المحادثات اللاسلكية ، ويتم عمل توليفة منها لإصدار أوامر متناقضة مع خمد الشبكات الأصلية مما يؤدي إلى ارتباك القوات .

٧- موضوع مدى أهمية العمق الاستراتيجي ، ومن ثم ضرورة الاستيلاء على أرض الغير (لعدم توفر عمق استراتيجي لإسرائيل لصغر مساحتها) ونقل المعركة لأرض العدو . ما زال هذا الموضوع يمثل إشكالية داخل الفكر العسكري الإسرائيلي ، فيرى البعض أن اتفاقيات السلام وإحاطة إسرائيل نفسها بنطاقات أمن داخل أراضي الغير يوفر لها قدرا كبيرا من العمق الاستراتيجي بأسلوب غير مباشر ، كما أن الصواريخ أرض /أرض تخطت الحدود ، ومن ثم فقد قلصت أهمية ذلك .

بينما يرى البعض - وفي مقدمتهم نتنياهو في كتابه « مكان تحت الشمس » - أن الأسباب التي تم من أجلها اعتناق هذه المبادئ ما زالت قائمة ، ومن ثم فإن أهمية استمرار احتلال أراضي الغير ما زالت ضرورة .

٨- استراتيجيات الأفرع الرئيسية ، واستراتيجية القدرة على البقاء لمدة أطول :

أ- القوات البرية :

(١) موضوع الدبابة والصاروخ :

مازال الصراع مستمرا ولم يحسم بعد لصالح أحدهما : فبالنسبة للدبابة يتم العمل على زيادة قوة الصدمة لها (السرعة) لتقليل زمن تعرضها ، بالإضافة لتطوير الدرع ، كذلك تصغير حجمها ، قدرتها على إطلاق الصواريخ ، إمكانية حمل عنصر مشاة داخلها (الميركافا) .

أما بالنسبة للصواريخ فقد تطورت هي الأخرى لعدة أجيال يمكنها اختراق الدروع الشوبهام المتعددة ، بالإضافة لقدرتها على الإصابة من أعلى (الذخائر الذكية) .

(٢) لم يعد الليل يشكل عائقا إلا للدول الفقيرة : فبفضل التكنولوجيا المتطورة جعلت أساليب الرؤية الليلية ، الليزر ، أجهزة التنشين الحديثة والملاحة البرية من الليل نهارا .

(٣) استراتيجية الاقتراب غير المباشر وأساليبها متعددة : الاختراق العميق - الحرب البر/ جوية - مجموعة المناورة التعبوية ....

(٤) احتمالات خفض المعاونة الجوية نظرا لكثرة الصواريخ الفردية ، بصرف النظر عن التفوق الجوي العام .

(٥) سهولة إدارة العملية أو المعركة بواسطة القادة الميدانيين من خلال الرؤية التفصيلية الموقوتة للمعركة على الشاشات في مراكز العمليات من خلال الأقمار الصناعية والطائرات بدون طيار المجهزة للبث التليفزيوني .

(٦) انتشار الصواريخ أرض /أرض بالمنطقة ، حيث لم تعد حكرا على دول بعينها .

ب- القوات البحرية :

(١) لقد شهدت الخمسة والعشرون الماضية تطورا مستمرا في مجال القوات البحرية ، لم يتوقف

على الصاروخ Styx الذي أغرق إيلات ، فهناك صراع لا يزال دائرا .
(أ) ولقد تمت دراسة وتجريب أساليب التعامل مع هذه اللنشات الصغيرة - بدأ من تجهيز القطع البحرية بأرض هبوط للهليكوبتر المسلح بصواريخ جو/بحر حيث كانت قدرات هذه اللنشات للدفاع الجوي محدودة .
(ب) ولمواجهة ذلك تم تسليح اللنشات بمدافع مضادة للطائرات متعددة المواسير وسريعة الطلقات ، صواريخ سطح/جو لمقاومة الطائرات الهليكوبتر ، وهو الأمر الذي زاد من حجم لنش الصواريخ .
(ج) تم تطوير سرعة الصاروخ لتصل إلى ضعف سرعة الصوت ، وهو ما يقلل من زمن رد الفعل بالنسبة لتعرض اللنش .
(د) وهناك تطوير حديث قامت به البحرية السوفيتية ، حيث قامت بتطوير لنش صواريخ غاطس ، ليس غواصة بالضبط لأنه لا يغطس إلى أعماق كبيرة ، ولا يعمل تحت السطح لمسافات كبيرة ، بل مجرد الاختفاء تحت الماء والاقتراب ثم الظهور لضرب الصواريخ بشكل مفاجئ .
(٢) الغواصات :
تصغير الحجم للعمل في المياه الضيقة ، تقليل مصدر الصوت لصعوبة الاكتشاف .
وسلحت بصواريخ بحر/بحر ، وكذلك طلبت إسرائيل إضافة ثلاث قواذف لكل غواصة من غواصاتها الجديدة « دولفين » لتكون قادرة على استخدام الصواريخ الطوافة « كروز » من تحت سطح الماء .
(٣) كان من نتيجة تعقد المعركة البحرية أيا كان مستواها نظرا لاستخدام القطع البحرية ، الطائرات الهليكوبتر ، عناصر الحرب الالكترونية ، أن برزت ضرورة إدخال آلية القيادة والسيطرة للقوات البحرية وذلك أسوة بالقوات الجوية والدفاع الجوي .
(٤) أهمية العنصر الجوي في المعركة البحرية خاصة في البحر الأحمر ، الأمر الذي دفع إسرائيل إلى امتلاك القدرة على إعادة الملء .
(٥) تطوير الألغام البحرية وزيادة دورها في الحرب البحرية .
ج- القوات الجوية :
(١) تقنية الطائرة غير القابلة للاكتشاف بالرادار بصنعها من مادة لا تعكس الاشعاعات الرادارية .
(٢) استمرار الصراع بين الطائرة والصاروخ .
(٣) الاهتمام الزائد للعمل ضد الصواريخ م ط بتطوير الانذار والاعاقة الذاتية لتقليل احتمالات الاصابة ، استخدام أسلحة دقيقة التوجيه .
(٤)دشم الطائرات : تحتاج إلى إعادة نظر بشكلها الحالي رغم أن الناتو أخذ بها ، إلا أن حرب الخليج الثانية أثبتت عدم فاعليتها رغم أنها كانت أكثر تحصينا : صواريخ دقيقة - عميقة الاختراق

(٥) بعد أن كانت هناك طائرات للعمل النهاري وأخرى لجميع الأجواء ، فإن جميع الطائرات الحديثة تعمل حاليا ليلا من خلال رادارات ، وأشعة تحت الحمراء عالية الدقة ، لذلك فإن قيود الليل أو الطقس لم تصبح عائقا .
(٦) الدقة العالية من الارتفاعات العالية توفر وقود ، مدى أبعد .
(٧) الأساليب :
(أ) ما زال درس ١٩٧٣ عدم ضرورة القتال للحصول على السيطرة الجوية قائما ؟

(ب) رغم أن المظلة الجوية تعد أحد أساليب ق جو التي استخدمت في الحرب العالمية الثانية ، ثم في حرب الخليج . لكن القدرة على القيام بها لا تتوفر إلا للدول الكبرى . وتعتبر دول منطقة الشرق الأوسط غير قادرة على القيام بها إلا في حالة تقديم المعاونة المباشرة لها من الدول الكبرى

د- الدفاع الجوي :

(١) تطوير أنواع من الرادارات القادرة على التعامل مع الطائرات غير القابلة للاكتشاف بالرادار .(٢) التوسع في استخدام المدفعية م ط متعددة المواسير الموجهة بالرادار لتفادي أسلحة الخمد ، وإجبار الطائرات على الطيران فوق ٥كم ، مما يدخلها في نطاق عمل معظم الصواريخ .

(٣) أصبحت دشم الدفاع الجوي تحتاج إلى إعادة نظر .

(٤) دخول منظومة الدفاع الجوي في إطار طائرات الاستطلاع المبكر - E2C أواكس بالنسبة للطائرات . وفي إطار البعد الفضائي للأقمار الصناعية بالنسبة للصواريخ أرض/أرض لتوفير زمن الانذار .

(٥) إدخال الطائرات بدون طيار بتوسع كبير ضمن منظومة الدفاع الجوي سواء للاستطلاع ، أو للحرب الالكترونية أو للعمل كقنبلة طائرة لمهاجمة مواقع الدفاع الجوي .

الورقة الثانية : تأثير حرب أكتوبر على الوضع العالمي الإقليمي بعد ٢٥ عاما

لقد جاءت تلك الورقة من وجهة نظري شاملة لرؤية مستقبلية متكاملة الأركان . غير أني أرجو أن يسمح لي أستاذي من منظور تواصل الأجيال أن أشير إلى بعض الاضافات من منظور إثراء ما جاء بالدراسة .

١- جاء بالدراسة ما يتعلق بأن الصراع مع إسرائيل هو صراع وجود ، وفي اعتقادي أننا إذا تحدثنا من المنظور الاستراتيجي فإنه يوجد لدينا ثلاثة مستويات للمنظور الاستراتيجي قريب ومتوسط وبعيد ، وأنا أقول أنه حتى على المستوى البعيد من ٢٠ أو ٢٥ عاما فالصراع هو صراع حدود ، وما بعد ذلك لا يمكننا تقديره من الآن ، قد يصبح صراع حدود أو قد يصبح صراع وجود ، سيعتمد هذا على الأجيال العربية الجديدة ، كما سيعتمد أيضا على التوجهات الإسرائيلية ومدى ميلها للسلام وستكون تلك هي النقطة الفاصلة في تحديد ما إذا كان الصراع سيصبح صراع حدود أم وجود .

٢- هل حرب أكتوبر هي آخر الحروب أم لا ؟ هي دعوة ذكرها الرئيس الراحل المرحوم أنور السادات حيث تمنى أن تكون آخر الحروب ، نعم يمكن أن تكون حرب أكتوبر هي آخر الحروب في حالة التزام دول المنطقة بالسلام العادل وإعادة الحقوق والأراضي للدول العربية ، فالحرب جزء من تراث الإنسانية على مدار التاريخ ، وكانت هناك دورات من الحروب ودورات من السلام ، وكان هناك الكثير من عقلاء التاريخ ، وأيضا الكثير من دعاة الحرب ، فيمكن أن تكون آخر الحروب إذا أدركت إسرائيل أنه لكي تكون مقبولة في المنطقة فإنها يجب أن تعيد الأراضي والحقوق إلى أصحابها ، وهذا هو مفتاح أن تكون حرب أكتوبر هي آخر الحروب أم لا فهو موضوع ليس مطلقا من وجهة نظري ، كما أنها ليست دعوة للاسترخاء .

٣- التواجد الأجنبي المكثف في المنطقة وهو من الأوضاع المتغيرة ، ومن المنتظر أن يستمر على المدى المتوسط والبعيد من خلال الوجود المكثف للمسطحات المائية : البحر المتوسط ، البحر الأحمر ، والخليج وكذلك من خلال مخازن الطوارئ . ومما لا شك فيه أن ، مجرد التواجد الأجنبي في المنطقة

يشكل نوعا من الردع ، كما أن إسرائيل لا تزال في حالة تحرك حيث لم تحسم أمرها بعد بالنسبة للتعايش السلمي مع الدول العربية ومن أن السلام لا يمكن أن يكون من جانب العرب وحدهم ، فلقد أخذ العرب السلام كخيار استراتيجي ، ولكنه أيضا ليس موضوعا مطلقا . فيجب أن يكون هناك تجاوب من الطرف الآخر ، ومن ثم فإنه على العرب أن يفكروا في العديد من البدائل والاستراتيجيات .

٤- بالرغم من عقد اتفاقيات سلام ، بالإضافة إلى تحرك المنطقة نحو السلام - وإن كان يشوبه البطء - فإن المنطقة لا يزال يسودها سباق تسلح يؤثر على اقتصاديات المنطقة ، فإنه من المعروف أن لجنة الأمن وضبط التسلح - وهي إحدى اللجان المتعددة لمؤتمر مدريد للسلام - قد توقفت أعمالها نتيجة للفشل في التوصل إلى ترتيبات متوازنة لضبط التسلح في المنطقة سواء كان هذا من خلال المسار١ أو المسار٢ ، فلقد فشل الاثنان نتيجة التعنت الإسرائيلي خاصة بالنسبة للأسلحة النووية . ولذلك فما زال سباق التسلح يشكل إحدى سمات المنطقة ، وآخره صفقة الطائرات التي تحدثت عنها .

٥- هناك نوع من الكيل بمكيالين ، حيث يفرض مستوى تكنولوجي معين على العرب لا يتعدونه ، ومن ثم عرقلة إمدادهم بالصواريخ على وجه الخصوص ، ولقد رأينا الأزمات التي يحاولون إثارتها عندما تكون هناك صفقات صواريخ لصالح إحدى دول المنطقة . وفي مقابل هذا - وللأسف - توجد بعض المتناقضات في الأوضاع الدولية العربية ، فبينما كان تم تكوين ائتلاف بمشاركة معظم الدول العربية بسهولة في قوات التحالف العربية ودرع وعاصفة الصحراء ، فإنه توجد صعوبة شديدة في التزام الدول العربية باتفاقية الدفاع المشترك وتكاد تكون مجمدة تماما . كما أن إعلان دمشق - رغم تعبيره عن توجه جديد ، وكان بداية جديدة بالفعل يمكن أن يلتف حولها العرب - قد تم تفريغه من مضمونه العسكري ، وبقي منه فقط مضمونه الاقتصادي المتعثر . كما نجد الآن أيضا للأسف أن بعض الدول العربية تضع إسرائيل في قائمة الدول المهددة لها في مرحلة ثانية أو ثالثة ، تسبقها بعض دول المنطقة وأحيانا دول عربية .

واسمحوا لي أن انهي حديثي بمقولتين لاثنين من الاستراتيجيين الأجانب : حيث قال الميجور ادجر أو بالانس في الندوة الاستراتيجية بجامعة القاهرة عام ١٩٧٥ « إن القوات البرية العربية يمكن أن تنتصر على الإسرائيليين في أي قتال مستقبلي من حيث الكم ، شريطة عدم التخلف عن النوع » وهذه حقيقة . فلقد وصلت إسرائيل اليوم إلى آخر سقف كمي بالنسبة لقواتنا المسلحة إلا أنها لم تصل اليوم من ناحية التقنية والتفوق التكنولوجي ، أما نحن فالمستقبل أمامنا شريطة أن نعمل .

كما قال كولونيل ديبويه في نفس الندوة « إذا لم يتحقق السلام فسينتصر العرب ، ولن تبقى إسرائيل مثلما حدث للصليبيين . غير أن القضاء على الصليبيين لم يتم في سنتين أو ثلاث ، بل استغرق أكثر من مائة عام . لقد كان لإسرائيل التفوق على العرب دوما ، وانتصرت في ثلاث حروب سابقة مثلما فعل الألمان خلال الحرب العالمية الثانية ، ومع ذلك هزمهم الحلفاء ، وبالطبع فإنه يمكن للعرب أن يهزموا إسرائيل رغم تفوقها ، لقد قبلوا هذه الحقيقة في الغرب أثناء الحرب العالمية الثانية » .

السادة الحضور : بسم الله الرحمن الرحيم « وأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » صدق الله العظيم .

تعقيب المشرف على المحور:

شكرا جزيلا للسيد اللواء د. **نبيل فؤاد** على هذا التعقيب الشامل ، وأود أن أرد على سؤال واحد فقط لأنه يؤكد الحديث الذي قلته مع اللواء قدري سعيد وهو : ما هو مصير مبادرة الدفاع الاستراتيجي الـ SDI الأمريكية ، وهل تم إدماجها في برنامج آخر ؟

لقد سمعنا عن حرب الكواكب ، وأن تكلفتها تصل إلى ٨٠٠ بليون دولار ، وقيل أن هناك منصات ستوضع في الفضاء ، وصواريخ ستضرب الصواريخ السوفييتية ، ولقد ساق هذا كله الاتحاد السوفييتي إلى حرب كواكب استنزفت اقتصاده . ولم تحدث مبادرة ريجان ولم تتحقق حرب الكواكب بالرغم من أننا قد قرأنا عشرات الكتب عنها ، إلا أنها كانت مرحلة بحوث وتطوير .

ثم جاء بوش واستحدث نظاما جديدا وهو Global Protection Against Limited Strikes

(الحماية الكونية ضد الضربات النووية المحدودة) ، واخترع نظاما يساوي ثمنه نصف تكلفة حرب الكواكب ، وقال أنه سيصنع منه شبكة ضد الصواريخ على مستوى العالم . ثم سقط بوش في الانتخابات وماتت هذه البحوث والأموال .

ثم جاء كلينتون واستحدث نظامين هما : National Missile Defence على الولايات المتحدة الأمريكية ، وكذلك Theater Missile Defence في مناطق المنازعات . وتصدر الكتب ، وترسم الصواريخ ، وتصرف النقود ، ولكن ليس كل ما تقرأونه حقيقة ، إسألوا أنفسكم متى يتحقق ذلك وكم يتكلف ، وسوف تعرفون أن أمورا كثيرة تطرح على الورق لا تصل في الحقيقة إلى حيز التنفيذ الفعلي ، فهي أحلام قد تتحقق وقد لا تتحقق .

بحوث قدمت إلى الندوة لإثرائها

١ـ استخدام مياه القناة فى تجريف رمال الساتر الترابى لفتح الثغرات فى حرب أكتوبر ....لواء أ.ح/ باقى زكى يوسف

٢ـ من الاستنزاف إلى حرب أكتوبر .... لواء أ.ح.د/ إبراهيم شكيب سالم

٣ـ الجانب الآخر في حرب أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة : من المسئول عن المفاجآت التى حاقت بإسرائيل فى حرب أكتوبر ....لواء أ.ح/ جمال حماد

1

استخدام مياه القناة في تجريف رمال الساتر الترابي لفتح الثغرات في حرب أكتوبر

لواء أ.ح / باقي زكي يوسف

تقديم :

إنه ليسعدني الاشتراك في هذه الندوة الإستراتيجية التي تنظمها القوات المسلحة عن حرب أكتوبر بعد ٢٥ عاما .

وذلك في إطار الاحتفالات باليوبيل الفضي لنصر أكتوبر المجيد في نهج علمي وموضوعي لإبراز الإبداع في الفكر العسكري المصري لتخطيط وإدارة الحرب بهذا البحث عن موضوع « استخدام مياه القناة في تجريف رمال الساتر الترابي لفتح الثغرات في حرب أكتوبر ٧٣ » والذي كان لي شرف تقديم فكرتها التي استخدمت بنجاح في هذه الحرب .

شمل البحث ضمن ما حواه العناصر الرئيسية الآتية :

- ملخص الفكرة ونشأتها ووصف مختصر للساتر الترابي .
- تسلسل عرض الفكرة والتجارب التي مرت بها حتى إقرارها .
- النتائج العسكرية المباشرة التي تحققت نتيجة استخدامها .
- الأسباب الحقيقية التي أدت إلى نجاحها .

أولا : ملخص الفكرة

١- استخدام مياه قناة السويس في تجريف الساتر الترابي في الأماكن المحددة منه لفتح الثغرات لعبور القوات وذلك :

أ- بسحب مياه القناة بواسطة طلمبات عالية القدرة يتم تثبيتها على زوارق خفيفة وضخها بواسطة مدافع المياه بقوة اندفاع هائلة على الأماكن المحددة لفتح الثغرات في الساتر الترابي .

ب- لتعود المياه محملة برمال الساتر الترابي ثانية إلى القناة .
ج- ومع استمرار تدفق المياه على الساتر الترابي وعودتها محملة برماله إلى القناة يتم فتح الثغرات بعمق الساتر وبالعرض المطلوب للثغرة .
٢- المعدات الرئيسية المستخدمة
أ- طلمبات عالية القدرة .
ب- مدافع مياه وخراطيم .
ج- زوارق خفيفة .
د- أدوات حفر وشكاير رمل لتوجيه المياه المحملة بالرمال .

ثانياً : وصف مختصر للساتر الترابي وخط بارليف شرق القناة

تم تجهيز الساتر الترابي ليشكل حائطاً مانعاً على طول امتداد الضفة الشرقية للقناة مباشرة أستغل في إنشائه الكثبان الرملية الطبيعية وناتج حفر وتوسيع وتطهير القناة وصلت ميوله في اتجاه القناة إلى ٨٠ درجة وتراوح ارتفاعه ما بين ١٢ - ٢٠ متر وعمقه ما بين ٨-١٢ متر وصل عمقه في بعض المواقع خاصة القطاع الجنوبي إلى ٢٠٠ متر بينما كان عرضه يسمح في بعض أجزائه بمرور الداوريات الراكبة ، وضعت فيه إسرائيل امكانيات عسكرية متنوعة ومتقدمة (نقط قويه/حقول ألغام/مصاطب دبابات/ ونطاقات من الأسلاك الشائكة لعرقلة أي تقدم عسكري) . هذا علاوة على قوات احتياطية على أعماق مختلفة منه للقيام بالهجمات المضادة بالدبابات بالتعاون مع المدفعية والطيران . وكلفت بإنشائه كبرى الشركات المتخصصة واستغرق بناؤه عدة سنوات تكلف مئات الملايين من الدولارات وأصبح يشكل مانعاً كبيراً آخر يقف من وراء مانع القناة المائي ، وذلك بغرض فصل سيناء والضفة الشرقية للقناة تماماً عن مصر ، وأيضاً لردع أي أمل لمصر في استعادتها وتحرير الأرض .

ثالثاً : نشأة الفكرة

١- نشأت الفكرة خلال شهر مايو ٦٩ في مركز القيادة الرئيسي لأحد التشكيلات البرية للجيش الثالث الميداني بعد أن صدرت التعليمات لقيادته بإتمام الاستعداد لعبور القناة من مواقعه الدفاعية غرب قناة السويس ، وذلك في أحد اجتماعات قيادة التشكيل الذي كان يحضره جميع رؤساء أفرع القيادة الذي كان مخصصاً لإيجاد الحلول لكل الصعوبات والمشاكل الذي كان على التشكيل مواجهتها أثناء عملية العبور المكلف بالاستعداد لتنفيذها وقتها قبل نهاية شهر أكتوبر ٦٩ .
كانت مشكلة التغلب على الساتر الترابي شرق القناة وفتح الثغرات فيه من أهم الصعوبات المنتظر مواجهتها أثناء العبور . قام التشكيل وقتها بالعديد من الدراسات والمحاولات والتجارب تركز أغلبها في استخدام الأساليب التقليدية المتبعة والتي لم تحقق وقتها ما استهدفه التشكيل من نتائج مناسبة . ظهرت العديد من المواقف التي احتاجت إلى حلول غير تقليدية أو نمطية لحجم المصاعب التي فاقت كل الإمكانيات والتقديرات أو المتعارف من الأساليب .

٢- الخلفية وسابق الخبرة التي ساعدت على ظهور الفكرة

كنت قبل عملي رئيساً لفرع مركبات التشكيل المكلف بالعبور منتدباً للعمل في بناء السد العالي وحتى أوائل شهر يونيو عام ٦٧ . وتعودت أثناء عملي اليومي في التشكيل خلال حرب الاستنزاف وكنت وقتها برتبة المقدم أن أراقب من مواقع وحداتنا الدفاعية ككل أفراد التشكيل كل الأعمال والتجهيزات الهندسية المعادية شرق القناة وكان يشدني منها شخصياً تطور العمل في الساتر الترابي

والذي شكل بمرور الوقت مع قناة السويس مانعا شديد التعقيد . وكان فكري كثيراً ما يربط بين تطور العمل في الساتر الترابي وأعمال التجريف التي كنت أعيشها فترة انتدابي في السد العالي .
وقبل اجتماع قيادة التشكيل المخصص لدراسة مشاكل العبور بعد أن صدرت له التعليمات بالاستعداد لعبور القناة واقتحام خط بارليف كان سوارد إلى ذهني كل اعمال التجريف التي كانت تتم في السد العالي بكل دقائق تفاصيلها والتي كانت تتم لتجريف الرمال إلى قاع السد ووجدت نفسي وقتها أردد في داخلي أنه لو كان هذا الساتر الترابي في أسوان لمزقته مدافع مياه التجريف إرباً فلن يكون أكبر من جبال الرمل الطبيعية التي تم نقلها بالكامل من أماكنها إلى قاع السد العالي .
لم يتعد هذا الفكر وهذا الحديث الداخل حجمه إلى أن كان اجتماع قيادة التشكيل لدراسة مشاكل العبور في ضوء التعليمات التي صدرت للتشكيل بالاستعداد له .

٣- الأوضاع التي لازمت عرض الفكرة

أثناء اجتماع قيادة التشكيل وكنت أحد أفرادها قام السيد قائد التشكيل المرحوم اللواء أ.ح / سعد زغلول عبد الكريم بشرح المهمة تلاه رؤساء التخصصات (الاستطلاع/العمليات/المهندسون) بشرح مفصل لأوضاع العدو وطبيعة الأرض أمام التشكيل وبتفصيلات شديدة الدقة لطبيعة الساتر الترابي ونشأته وتكوينه وتدرج عمقه وارتفاعاته والتجهيزات الهندسية والقتالية من نقط قوية وتحصينات وحقول ألغام وأيضاً نتائج التجارب الجاري دراستها وقتها لمختلف البدائل المطروحة لفتح الثغرات فيه . شد انتباهي أثناء التقارير المعروضة تكوين الساتر الترابي ونشأته ولم أكترث كثيرا بأعماقه وارتفاعاته كما راعتني التفصيلات الفنية المطروحة للتغلب عليه والتي كانت كلها تدور حول استخدام المفرقعات والألغام وطوربيدات البنجالور والقنابل والصواريخ والمدفعية المكثفة مع حجم العتاد المستخدم فيها وأيضاً التوقيتات الكبيرة التي أظهرتها التجارب المختلفة التي تم تنفيذها لفتح الثغرات لكل بديل منها والتي يتراوح أقلها ما بين ١٢-١٥ ساعة .
ونظراً لأن الحسابات العملياتية قد حددت احتياج العبور إلى حوالى ٨٥ ثغرة على طول القناة أى إزالة ما لا يقل عن ١٣٠ آلف متر مكعب من رمال الساتر الترابي شرق القناة وبالتالي يتحدد الحجم الحقيقي للمشكلة والذي بدأ تسلسل مواجهتها يتم بتجارب استخدام التفجير تلتها تجارب استخدام المدفعية بكل أعيرتها كما أيضاً تم تجربة الصواريخ التي صنعت بواسطة أجهزة القيادة العامة خصيصاً لذلك وقام سلاح المهندسين بمجهودات ذاتية لإستخدام المفرقعات إلا أن جميع ما سبق من تجارب لم يحقق النتيجة المطلوبة ، ناهيك عن تقديرات الخسائر المتوقعة واحتمالات التدخل المعادى المخطط لإحباطها أو التأثير على نجاحها .
فجأة شعرت بأهمية طرح فكرة استخدام مياه القناة في تجريف رمال الساتر الترابي لفتح الثغرات فيه كبديل حيوي يجب دراسته جنباً إلى جنب مع باقي البدائل المطروحة خصوصاً مع كونه أكثر مناسبة لطبيعة مسرح عمليات القوات وأيضاً مع التوسع الحالي(وقتها) في استخدامه في المشاريع الضخمة لنقل الرمال كطاقة فعالة محدودة التكاليف مدنياً .
وشعرت أن الفكرة منطقية بل وتفرض نفسها والوسيلة غاية في البساطة وبعيدة عن كل تعقيدات آلة الحرب الحديثة لأن التنفيذ يتم فقط باستخدام مضخات ذات ضغط عال ومدافع مياه يتم بواسطتها ضخ مياه القناة وتوجيهها في اتجاه الساتر الترابي لفتح العديد من الثغرات ولتنجرف الرمال مع المياه

المضغوطة .
أي الاستغلال الأمثل لأدوات وطبيعة مسرح العمليات نفسه في التغلب على أصعب المشاكل القائمة به وبالتالي الوصول إلى أسهل الأوضاع بأبسط الأدوات وأرخص التكاليف وفي نفس الوقت بأقل حتمالات المخاطر وأعلى درجات المفاجأة .

رابعاً : تسلسل عرض الفكرة

١- في قيادة التشكيل

أ- عرضت دراسة فكرة استخدام مياه القناة كقوة فعالة في فتح الثغرات في الساتر الترابي من خلال توجيه مياه القناة التي يتم ضخها بواسطة طلمبات مثبتة على براطيم عائمة أو زوارق خفيفة وتوجيهها بواسطة مدافع المياه على الساتر الترابي في الأماكن المراد فتح الثغرات فيها كبديل شاع استخدامه وقتها في المشاريع المدنية الكبيرة المعنية بنقل الرمال ليدرس مع البدائل المطروحة بالنسبة لإستخدام المفرقعات /الألغام/القنابل/الصواريخ ....

ب- ويكل ما يترتب عليها من تجهيز لأعمال قتال سبق سردها لهذه البدائل خصوصاً مع النتائج المحدودة التي أظهرتها التجارب التي تمت عليها وذلك لأن المياه المضغوطة ستقوم بتجريف رمال الساتر في الأماكن الموجهة إليها وتعود بها ذاتياً إلى قاع القناة .

وأكدت قولي بأن هذا الفكر تم استخدامه فعلاً في مصر في تجريف الرمال التي تم نقلها إلى جسم السد العالي من الجبال الطبيعية المحيطة بموقع السد . ونحن الآن معنيون بنقل الرمال من الساتر الترابي إلى قاع القناة ليمكن استخدام مكان الرمال المجرفة كثغرات في الساتر الترابي لعبور القوات

ج- طلب مني السيد قائد التشكيل شرح الأسلوب الذي أتبع في نقل الرمال في السد العالي فأوضحت أن عملية التجريف في السد العالي كانت تبدأ بسحب المياه من النيل إلى الأماكن الطبيعية لجبال الرمال من النوعية المناسبة المطلوب نقله إلى قاع السد من الأماكن القريبة ما أمكن من جسم السد على أن يتم ضخ هذه المياه بواسطة الطلمبات على جبال الرمال لتنهال برمالها إلى أحواض خليطة يتم إنشائها أسفل هذه الجبال ثم تقوم الطلمبات بسحب الخليطة (نسبة الرمال بها من ٥ إلى ١٠٪ فقط) من الأحواض في مواسير بأقطار ٦٠ سم إلى مكان ترسيبها في جسم السد وفي حالة طول هذه المسافة يتم استخدام طلمبات تقوية (بوستر) على مسافات محددة من هذه الأطوال للمساعدة على انتظام تدفق الخليطة من مواقع الجبال الطبيعية إلى قاع السد العالي ، وهذا هو الوضع المتعارف عليه في نقل الرمال بواسطة المياه في أعمال التجريف السائدة .

د- أما في حالة الساتر الترابي شرق القناة فنحن مهتمين فقط بسحب المياه من القناة وضخها في مواجهة الساتر الترابي المتواجد مباشرة على الضفة الشرقية للقناة في الأماكن المقررة لفتح الثغرات فيه لتعود المياه المضخوخة ذاتياً محملة برمال الساتر الترابي إلى قاع القناة (نسبة الرمال بالمياه تصل إلى حوالى ٥٠٪) مما يعتبر أحسن الظروف الواجب تهيئتها لعملية تجريف بسيطة ومحدودة دون تكديس في العتاد وأيضاً فقد في الطاقة المستخدمة فتوظيفها فقط سيكون في سحب وضخ المياه التي ستعود ذاتياً محملة بالرمال إلى قاع القناة بخلاف ما كان يتم في السد العالي . إذ كان يتم أولاً نقل المياه إلى جبال الرمل ثم نقل الرمال مجرفة كخليطة مع المياه لاستخدامها في بناء السد العالي في مرحلتين مستقلتين متكاملتين .

هـ - وبالتالي فإن المطلوب للساتر الترابي ليس عملية تجريف بمعناها العلمي المتكامل المتعارف عليه ولكن في توظيف استخدام اندفاع المياه المصحوخة الموجهة من مدافع المياه كقوة لتحريك ونقل رمال الساتر الترابي في أماكن محددة لفتح الثغرات فيه إلى قاع القناة أى المرحلة الأولى فقط من عملية التجريف المتعارف عليها .

و- تلا عرض الفكرة مناقشات موضوعية لما قد يؤثره استخدام هذه الفكرة على باقي أعمال القتال المرتبطة بالمواقف القتالية الأخرى الجارية أثيرت من الرؤساء المتخصصين في قيادة التشكيل واتضح منها أنه لا مشكلة مبدئية بالنسبة للآتي :

(١) عودة المياه المحملة بالرمال ثانية إلى قاع القناة في مراحل العبور الأولى .

(٢) ما قد تسببه عملية التجريف من عدم تماسك تربة الثغرة عند عبور القوات بعد الفتح مباشرة لأن الأسبقية المقررة في الموجات الأولى ستكون لعبور المجنزرات اللازمة لتأمين مراحل القتال الأولى شرق القناة وما لحساب الوقت في هذه المرحلة من القتال من أهمية بالغة وبالتالي سيكون هناك الوقت الكافي للأطقم التي ستكلف بعمليات التهذيب والتمهيد المطلوبة لها .

(٣) التأثير الذي قد ينجم عن فتح الثغرات بهذا الأسلوب على مخارج الكباري وأيضاً مراحل إنشائها (لأن ذلك سيتم تداركه في أعمال إقامة الكباري) .

(٤) الحجم المتوقع للطلمبات التي سيتم استخدامها وأسلوب نقلها إلى الشاطئ الشرقي والمناورة بها لتأمين سلامتها وسلامة الأطقم القائمة على تشغيلها خصوصاً مع التعامل المباشر المعادى المنتظر للنقط القوية معها وذلك لمحدودية الحجم والوزن النسبي للأنواع المتطورة منها .

ز- كما أنه يمكن باستخدام هذه الفكرة تحقيق الآتي :

(١) تطويع المقومات اللازمة للتنفيذ وتبسيط الاداء إلى الحد الذي يرتقى بكفاءة كل الإجراءات لتتناسب مع المبادئ والقواعد والتوقيتات الواجب الالتزام بها لتنفيذ عملية العبور بشكلها المطلوب .

(٢) تجنيب القوات القائمة بالفتح والعبور الكثير من المخاطر والخسائر التي لا تخلو منها الوسائل التقليدية الأخرى .

(٣) توفير عنصر المفاجأة للعدو وإحباط كل الإجراءات المنتظر أن يقوم بها في مواجهة البدائل التقليدية المخطط له تنفيذها كأعمال عدائية متوقعة .

هذا بخلاف الكثير من الاستفسارات الخاصة بالطلمبات ومدافع المياه ومدى احتمال حدوث روبة طينية في مواجهتها وأيضاً التأثيرات المنتظرة على حافة القناة الشرقية وحركة معدات فتح الكباري وحتى الإجراءات المحتملة في حالة صعوبة الفتح لأي اختلاف في طبيعة التربة يمكن أن يظهر .

٢- على مستوى قيادة الجيش الثالث الميداني والرئاسة العامة للقوات المسلحة

أ- بعد هذه المناقشات التي أذابت كثيراً من الشكوك التي تتولد دائماً مع التغييرات الجذرية في اتجاهات التفكير والتي أقنعت قائد التشكيل بأهمية دراسة الفكرة وتجربتها لاحتمال مناسبتها خصوصاً مع النتائج المحدودة للبدائل الأخرى قام سيادته بالاتصال بالسيد قائد الجيش الثالث الميداني ليتحدد صباح اليوم التالي مباشرة موعداً لمقابلة سيادته وعرض الفكرة .

ب- توجهت مع سيادته إلى قيادة الجيش في الموعد المحدد وقمت بعرض الفكرة على السيد قائد الجيش بحضور رئيس مهندسي الجيش وبعض من ضباط قيادة الجيش المتواجدين مع سيادته وقتها .

ج- قام السيد قائد الجيش بعد عرض ومناقشة الفكرة بالاتصال بهيئة عمليات القوات المسلحة وتقرر

أن أقوم بالعرض فوراً على المرحوم اللواء أ. ح / ممدوح جاد تهامي نائب رئيس هيئة العمليات وقتها في هيئة عمليات القوات المسلحة الذي أرتاح تماماً للفكرة بعد عرضها على سيادته ومناقشة كافة تفصيلاتها بجميع الأوجه والاحتمالات المتوقعة والإمكانيات اللازمة .

بعد ذلك قام سيادته بالاتصال بالسيد رئيس هيئة العمليات والسيد مدير إدارة المهندسين تليفونياً وطلب مني سيادته التوجه فوراً إلى مكتب السيد مدير إدارة المهندسين لعرض الفكرة والعودة لسيادته

د- قمت بعرض الفكرة على السيد مدير إدارة المهندسين الذي استفسر مني بعد العرض عن أسماء السادة ضباط إدارة المهندسين الذين كانوا معي في السد العالي فسردت على سيادته أسماءهم وكان من بينهم العقيد/شريف مختار الذي كان يخدم وقتها بالإدارة فاستدعاه سيادته وتم مناقشة الفكرة أيضاً معه .

هـ- عدت بعد انتهاء مقابلة السيد مدير إدارة المهندسين إلى السيد نائب رئيس هيئة العمليات الذي استمع مني لملخص المناقشات التي دارت في إدارة المهندسين مع السيد مدير إدارة المهندسين وطلب مني العودة إلى التشكيل .

و- ذهبت في طريق عودتي إلى التشكيل إلى وزارة السد العالي وأخذت من هناك العديد من النشرات الإعلامية التي كانت تصدر أثناء مراحل بناء السد العالي مركزاً في اختياري على كل ما لمس نشاط التجريف في الصور أو المعلومات بحجة عرضها على الجنود والضباط في المناسبات الوطنية .

ز- عند وصولي إلى قيادة التشكيل في نفس اليوم قابلت السيد قائد التشكيل وعرضت عليه بالتفصيل كل ما دار في هيئة العمليات وإدارة المهندسين وسلمت سيادته النشرات التي أحضرتها من وزارة السد العالي وطلب مني سيادته إعداد تقرير عن الفكرة وحساباتها الأساسية كذا المقومات المدنية اللازمة لتنفيذها والإمكانيات التي يمكن استعارتها والجهات الموجودة فيها وذلك لإرساله إلى هيئة العمليات .

ح- في اليوم التالي استدعاني سيادته وطلب التقرير وأخبرني أنه قرر عرض الفكرة في الاجتماع الدوري الذي كان يعقده الزعيم الخالد جمال عبد الناصر أسبوعياً تقريباً في مقر القيادة العامة للقوات المسلحة مع قادة التشكيلات وأجهزة القيادة العامة .

ط- تم تسليم التقرير إلى السيد قائد التشكيل الذي أرسله إلى هيئة عمليات القوات المسلحة .

٣- العرض على السيد رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة

أ- استدعاني السيد قائد التشكيل بعد ذلك بعدة أيام وأخبرني بأنه قام بعرض الفكرة في الاجتماع الذي عقد مع الزعيم الخالد جمال عبد الناصر وأن سيادته استمع باهتمام إلى الفكرة وناقشها وأمر بتجربتها واستخدامها في حالة نجاحها .

ب- كما أبلغني سيادته بأن التوجيهات قد صدرت فعلاً إلى الأجهزة المعنية بالقوات المسلحة لإتمام ذلك وأن الفكرة انتقلت إلى مرحلة الدراسات والتجارب الميدانية .

خامساً : التجارب التي مرت بها الفكرة حتى إقرارها

١- قامت إدارة المهندسين بالعديد من التجارب على الفكرة (زادت عن ٣٠٠ تجربة) من أهمها

أ- التجربة المدنية التي تمت باحدى طلمبات الـ [illegible] التي كان حجمها [illegible]

؛ لأنها أصلا مصممة بما يتناسب وأعمال التجريف المطلوبة لبناء السد العالي) والتي تمت في شهر سبتمبر عام ٦٩ .

ب- التجارب المتتالية باستخدام الأنواع المختلفة من الطلمبات الديزل الأصغر حجماً والأكبر قدرة .

ج- تجارب استخدام الطلمبات التربينية ذات الحجم المحدود والقدرات الهائلة .

٣- أكد البيان العملي الذي تم في شهر يناير ٧٢ في جزيرة البلاح داخل القناة على الساتر الترابي الطبيعي الموجود بها المشابه تماماً للساتر الترابي شرق القناة المتكون من عمليات تطهير القناة على مناسبة الفكرة . وتم على ضوء نتائجه **إقرار استخدام تجريف الرمال بالمياه كأسلوب لفتح الثغرات في الساتر الترابي شرق القناة في عمليات العبور المنتظرة** . بعد أن تم خلاله التوصل إلى التوقيتات الزمنية المناسبة لأعمال القتال في فتح الثغرات والتي وصلت فيه توقيت فتح الثغرة في الساتر الترابي إلى ثلاث ساعات في حين كانت نتائج البدائل الأخرى التي تم تجربتها من قبل يتراوح حدها الأدنى ما بين ١٢-١٥ ساعة .

٤- صدرت التعليمات إلى الجهات المعنية بالقوات المسلحة بعد إقرار استخدام أسلوب التجريف في فتح الثغرات على ضوء هذه النتائج بالاستعداد لاستخدامها واتخاذ كافة الاجراءات لتدبير المعدات والمهمات اللازمة وأيضاً تدريب الأفراد المقرر قيامهم بذلك للوصول إلى معدلات التنفيذ اللازمة لعملية الاقتحام استعدادا لعمليات عبور القوات التي تم فيها استخدام هذه الفكرة بنجاح .

٥- لاقت الفكرة من بدء ظهورها وخلال مسار عرضها وتجربتها وثبوت صلاحية استخدامها وأيضاً تحسين أدائها كل اهتمام وتأييد لأنها وضعت في يد قادة آمنوا بربهم ولم يبتغوا إلا وجه الله ومصلحة الوطن فاهتموا بها وتكتموا إجراءاتها وأجروا العديد من التجارب للتحقق من نجاحها وتم التنفيذ الرائع لها في ملحمة العبور عام ٧٣ بصورة أذهلت العالم جميعاً .

٦- وكان من نتائجها الفورية التي تحققت في البدايات الأولى لأعمال العبور ما يلي :

أ- الانتهاء من فتح أول الممرات في الساتر الترابي الساعة السادسة مساء يوم ٦ أكتوبر .

ب- إنهاء فتح ٧٥٪ من الممرات المخططة (٦٠فتحة) على طول مواجهة الساتر الترابي لتكون بمثابة ممرات فيه والتي كانت في الحقيقة تكفي لتشغيل كل المعابر وذلك في الساعة العاشرة من مساء يوم ٦ أكتوبر بعد أن تهايل ٩٠ آلف متر مكعب من الرمال إلى قاع القناة .

ج- عبور أول لواء مدرع من معبر القرش شمال الاسماعيلية حيث يبلغ ارتفاع الساتر عشرين متراً الساعة الثامنة والنصف من مساء يوم ٦ أكتوبر .

سادساً : النتائج العسكرية المباشرة التي تحققت من استخدام الفكرة

١- تطوير الأساليب القتالية التقليدية في فتح الثغرات في السواتر الترابية مع وجود مانع مائي :

أ- كانت مهمة فتح الثغرات في السواتر الترابية مع وجود مانع مائي من الأعمال شديدة الصعوبة والتعقيد محفوفة بالكثير من المحاذير والمخاطر والخسائر لدرجة قد تعجز عنها الكثير من الجيوش المعاصرة خصوصاً مع وجود مانع مائي كقناة السويس وبالوضع والتجهيزات الهندسية والقتالية والفنية التي لازمته .

ـل وتناولت الكثير من القيادات وجهات الدراسة والبحث العسكري المتخصصة في هذه الجيوش ـصـفة والمعادية بالتعليق الحذر بالنسبة لقدرة وإمكانيات القوات المسلحة المصرية والمقاتل المصري

على اجتيازها .

ب- وكان استخدام الفكرة في العبور مفاجأة تامة للجميع وعلى الأخص الأعمال القتالية المعادية التي كان العدو قد استعد لها وجهزها لمقابلة عمليات العبور . كما ساعدت القوات العابرة في ظل توقيت فتح الثغرات المحدود نتيجة استخدامها على التغلب على معظم العدائيات التي واجهتها في المراحل الأولى للعبور بأقل الخسائر بل وهيأت للقوات المهاجمة التوقيت المناسب لإنجاز أعمال قتالها المخططة . في نفس الوقت الذي عقدت فيه على العدو كل ترتيباته في صد الهجوم أو القيام بالهجمات المضادة المخططة نحوها لأن معظمها كان يتم وقتها خارج التوقيت المناسب .

٢- الاستخدام الأمثل لمسرح العمليات

أ- حقق تنفيذ الفكرة أنسب استخدام لطبيعة ومكونات مسرح العمليات إذ تم باستخدام مياه القناة التغلب على خط بارليف الحصين والذي قام العدو بتجهيزه مباشرة بل وبميول حادة على الشاطئ الشرقي للقناة أملاً في أن تكون القناة تحصيناً له وأراد الله أن تكون الأداة الرئيسية لفتح الثغرات فيه ثم إزالته تماماً .

ب- ساعدت الفكرة القوات المهاجمة على التخطيط لعملياتها بل والتنفيذ الفعلي لها على طول مواجهة الجيوش الميدانية مما شتت قوة العدو وقدرته في السيطرة على مسرح العمليات وأضعف قوة وتوجه القوات القائمة بالصد وتوجيه الضربات المضادة المؤثرة على قواتنا .

٣- المفاجأة وأثرها في التحجيم الكبير للخسائر في الأفراد والعتاد

أ- رغم الخسائر والصعوبات التي واجهتها أطقم فتح الثغرات إلا أن عنصر المفاجأة الذي حققته الفكرة أثر على قدرة العدو وحضوره في التخطيط لمواجهتها بأسلوب مؤثر هذا علاوة على التحجيم الكبير في أعداد الخسائر التي كانت متوقعة في الأفراد والعتاد .

ب- كما أن التوقيت المحدود لعملية فتح الثغرات ساعد على سرعة دفع القوات الرئيسية شرق القناة في توقيت لم يحسب له العدو أي حساب ومكن القوات العابرة من تحسين أوضاعها والقيام بأعمال التجهيز اللازمة استعدادا لمقابلة أعمال القتال المعادية المنتظرة على طول جبهة القتال شرق القناة .

سابعاً : الأسباب التي أدت إلى نجاح الفكرة

١- الأسباب المباشرة

أ- السرعة في عرض الفكرة والسرية في تداولها

والتي أعطت للفكرة القدرة على الحياة ، وأيضاً تعطى صورة حية لأسلوب القوات المسلحة في التعامل مع المهام ، إذ لم تنقضي ١٢ ساعة من بدء طرح الفكرة في الاجتماع الذي عقد في مقر قيادة التشكيل إلى أن وصلت إلى أعلى مستويات القرار في القوات المسلحة (قيادة الجيش الثالث وهيئة العمليات وإدارة المهندسين) باتصالات ومقابلات فورية متخطية كل حواجز الإجراءات والقواعد المعمول بها . كما تم في أقل من أسبوع عرضها على الزعيم الخالد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة .

وبالتالي أخذت الفكرة علاوة على السرعة التي تمت في عرضها طابع من السرية فائق المستوى [illegible] للغاية ، ولم يسمح بتداول أى معلومة عنها أو فيها لدرجة [illegible] قائد التشكيل بعد

المحور العسكري، بحوث الندوة الأولى

العرض على الزعيم الخالد جمال عبد الناصر حذر من أى مناقشة او حديث عنها لدرجة أنه قال « يجب أن ننسى ما تم حتى يتحقق نجاحه » .

ب- السرية التي لازمت مراحل التحقق من سلامة الفكرة وإقرارها

قامت إدارة المهندسين بالعديد من التجارب الميدانية الشاقة على مختلف انواع الطلمبات والأراضي للتحقق من صلاحية الفكرة للتنفيذ ثم لتحسين النتائج وتقليل زمن الفتح للوصول إلى الأوضاع والمعدلات الزمنية المناسبة لأعمال القتال في فتح الثغرات وذلك دون أن يلتقطها العدو . كما تم في سرية كاملة تدريب الأفراد والأطقم والمجموعات على أساليب تنفيذها .

ج- التكتم والخداع في تدبير المعدات اللازمة

حيث تم تدبير الطلمبات التربينية والتي استقرت التجارب على ملاءمتها من الخارج تحت مسميات مختلفة دون أن تكتشف مخابرات العدو حقيقتها كما تم التصنيع المحلي للعديد من المستلزمات المطلوبة في التنفيذ في سرية تامة .

٢- الأسباب غير المباشرة

أ- جدية القادة والقيادات في التعامل مع كل الأفكار والمقترحات خصوصاً التي تنبع من واقع أرض المعركة التي طالما أفرزت العديد من التطبيقات والتجارب الناجحة نتيجة تفاعل الخبرات العلمية والعملية للأفراد والكوادر المختلفة مع واقع الممارسة وهى السمة التي كانت ولا تزال تعتنقها القوات المسلحة المصرية بل وتعتز بها والتي أدت باستمرار إلى تنمية روح الانتماء والابتكار كما ساعدت الحلول الذاتية المترتبة عليها في حل الكثير من المشاكل وتذليل الصعوبات.

ب- الاشتراك الفعال للقوات المسلحة بالقيادات والكوادر في مختلف المشاريع القومية التي منها ذلك كالسد العالي وغيره أدت إلى تنمية المهارات وتوسيع المدارك والآفاق والانفتاح على المستجدات مع التطعيم المتوازن بالنسبة لتعظيم وصقل الخبرات المكتسبة .

الخاتمة

لقد فجرت حرب أكتوبر ٧٣ كل طاقات المقاتل المصري بل وصقلت كل خبرات هذا الشعب الأبي في بوتقة واحدة صهرتها عزائم الرجال بالتخطيط الجيد والتدريب الشاق ثم التنفيذ الملتزم .

تقدم الفكر والعرق والدم والشهداء لتمحو العار وتحقق عبر التاريخ نصراً مظفراً بكل الجراة والإقدام ، بل وبكل أصالة هذا الشعب وحضوره عبر الأجيال .

فمصر الحضارة ، هي مصر الحرب لاسترداد الأرض والكرامة ، هي مصر السلام لتحقيق التنمية ورفاهية الإنسان على أرضها ، وهي أيضاً مصر الحرب لأجل السلام ، هي مصر الأمس واليوم والغد

٢

من الاستنزاف إلى حرب أكتوبر

لواء أ.ح.د/ إبراهيم شكيب سالم

مقدمة:

لم تحظ حرب من الحروب الحديثة .. بكم هائل من الجدل والمجادلة المستندة على الوثائق غير المنشورة ، كذا مذكرات القادة سواء الذين خططوا لها أم الذين أشرفوا على إدارتها كما حظيت حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية ١٩٦٨ - ١٩٧٠ .

ونظراً لان كافة الآراء التي تناولت هذه الحرب بالدراسة - على خطورتها - قد تعارضت وتباينت إلى حد التصادم ، وقع اختياري على هذا العنوان لعرض رأيي الشخصي في هذه الحرب .. مركزاً بحكمة معايشة الأحداث منذ مايو ١٩٦٧ وحتى ١٤ يوليو عام ١٩٧٤ بداية بحرب الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ ، ومروراً بحرب الاستنزاف على الجبهة المصرية بقطاعاتها الثلاثة الشمالية والوسطى والجنوبية ثم منطقة البحر الأحمر بعد ذلك ونهاية بحرب أكتوبر عام ١٩٧٣ ، رغبة في إثراء الدراسات التي سبقتني في هذا المضمار من ناحية ، والقاء الضوء ساطعاً على الحقيقة التاريخية من ناحية أخرى ، مركزاً - بحكم التخصص - على الجانب العسكري لها .

ودون الخوض في تفصيلات الدراسات التي تناولت حرب الاستنزاف حتى الآن ، فإن المحصلة النهائية لها قد تبلورت في رأيين محددين هما :

الرأي الأول : أن حرب الاستنزاف كانت المقدمة الطبيعية لحرب أكتوبر عام ١٩٧٣ ، وأنه بدون هذه الحرب ما كان الأداء العربي المتميز لحرب التحرير .

الرأي الثاني : وخلص إلى أن الآراء التي ذهبت إلى أن حرب الاستنزاف هي مقدمة لحرب أكتوبر ١٩٧٣ هي آراء قد جانبها الصواب ، فهي بهذه الصفة لا تعدو أن تكون جولة ثانية من حرب يونيو عام ١٩٦٧ ، وأن بطولات جيشنا وتضحياته ليست مجال خلاف أو مزايدة ، وإنما الخلاف حول «استراتيجية حرب الاستنزاف » . هل كان مما يخدم قضية تحرير الأراضي العربية التي احتلت بعد

عام ١٩٦٧ ... خوض قواتنا المسلحة وهي ما تزال بعد في فترة البناء حرب استنزاف ضد إسرائيل تفوق موازين القوى الحسابية في وضوح أن مصر سوف تستنزف فيها بأكثر مما تستنزف إسرائيل ... سوف تعوق عملية استكمال قواتنا المسلحة وتعوق بالتالي حرب التحرير .

وقبل ... أرى أنه من المفيد التركيز على نقطتين لا يمكن بدونهما تناول موضوع ... حظي عنوان هذه الدراسة بأقصى درجات الحيدة والموضوعية والتي تتمثلان في الآتي :

النقطة الأولى : ... القيادة العامة المصرية عندما أصدرت قرارها المتسرع بالانسحاب لغرب قناة السويس ... حرب يونيو عام ١٩٦٧ ، كانت قد أسقطت من حساباتها كافة الدروس المستفادة من العمليات الحربية التي دارت حول هذه القناة بين الإنجليز والأتراك أثناء الحرب العالمية الأولى ... كان على رأسها أن مصر هي التي تدافع عن القناة .. وليست القناة هي التي تدافع عن مصر ... ثم فقد كان من الواجب أن تتوقف القوات المنسحبة عام ١٩٦٧على خط المضايق ... الغربي ...

النقطة الثانية : وصول القوات الإسرائيلية للجانب الشرقي لقناة السويس ... من الاتصال القريب مع القوات ... على الجانب الآخر من القناة ، وأصبحت بالتالي المدن الثلاث الرئيسية على القناة بور سعيد والإسماعيلية والسويس داخل المدى النيراني للمدفعية الإسرائيلية .

استراتيجية حرب الاستنزاف

عندما وضعت حرب ١٩٦٧ أوزارها .. كانت المهمة الأكثر إلحاحا لكلا القيادتين السياسية والعسكرية هي استعادة الكفاءة القتالية للقوات المسلحة ، وقد تفرعت عن هذه المهمة بالنسبة للقيادة العسكرية ثلاث مشاكل تمثلت في القيادة ، والأسلحة والمعدات ، والتدريب .

بالنسبة للقيادة فقد صدرت أضخم نشرة عسكرية في تاريخ الجيش المصري الحديث تضمنت إحالة عدد من الضباط من مختلف الرتب إلى التقاعد ، عكف بعدها رئيس الأركان المصري شهيد العسكرية العربية الراحل الفريق «عبد المنعم رياض» بنفسه في تصفح الملفات السرية لما تبقى من ضباط لتصنيفهم وتعيين الأكفاء منهم لتولي المناصب القيادية .

على الجانب الآخر .. تولت القيادة السياسية التنسيق مع الاتحاد السوفيتي لإعادة تسليح الجيش ، وكان من الطبيعي أن التدريب المركز على هذه الأسلحة كان متوقفاً على وصول الأسلحة وباقي معداتها التكميلية أولاً حتى يمكن البدء في التدريب المكثف عليها .

والسؤال الذي طرح نفسه في ذلك الوقت هو : ما هي الاستراتيجية العسكرية التي يجب أتباعها على جبهة قناة السويس لحين وصول هذه الأسلحة ؟.

ونظراً لان المقارنة التسليحية - العامة والخاصة - بين مصر وإسرائيل كانت آنذاك غير قابلة للحساب فقد كان من الطبيعي أن تصدر الأوامر صارمة وقاطعة وصريحة بتفادي الاشتباك مع العدو ومحاولة ضبط النفس حتى لا نعطى لهذا العدو الرابط على الطرف البعيد لقناة السويس مبررات التدخل قبل أن يستكمل الجيش تسليحه وتستعيد القوات لكفاءتها القتالية .

إلا أن الأحداث أثبتت أن تقدير الموقف شئ .. ومشاعر البشر في ميادين القتال شئ أخر . والوثيقه الأصليه شئ وتداعي الأحداث نتيجة ردود الأفعال على أرض الواقع شئ أخر ، فمن المعلوم تاريخيا ... ثلاث أحداث هامة قد وقعت في الفترة الممتدة ما بين وقف إطلاق النار في التاسع من يونيو عام

١٩٦٧ وحتى زئير المدفعية المصرية يوم ٨ سبتمبر عام ١٩٦٨ ، تمثلت في معركة «رأس العش» في الأول من يوليو عام ١٩٦٧ ، واشتعال الجبهة يومي ١٤ ، ١٥ يوليو من نفس الشهر وإغراق المدمرة «إيلات» قبالة سواحل بور سعيد يوم ٢١ أكتوبر ١٩٦٧ .

وقد حدث عندما أعلن عن قرب وصول مراقب الأمم المتحدة لمتابعة وقف إطلاق النار على جبهة قناة السويس أن رأي الجنرال « موشى ديان » وزير الدفاع الإسرائيلي أن يسجل تكريساً للأمر الواقع أحقية إسرائيل في نصف مسطح القناة من ناحية سيناء حتى إذا ما أتفق فيما بعد على فتح القناة للملاحة العالمية يكون لإسرائيل - قانوناً - حق الحصول على نصف دخلها .

وفي إطار تحقيق ذلك أنزل بالقرب من المدخل الجنوبي من القناة عند السويس اعتباراً من ١٣ يوليو ١٩٦٧ زورقاً مطاطياً بمحرك به فردان أحدهما ضابط والآخر من الرتب الأخرى ، أخذا يجوبان القناة ذهاباً وإياباً أمام « لسان بور توفيق » تحت حراسة عربة نصف جنزير من طراز م١ أ ٣ على الجانب الآخر ، ولكن الأمر الذي كان لافتاً للنظر حقاً أن ضابط الصف الإسرائيلي كان يحمل علماً إسرائيلياً ضخماً لم يكن متسقاً مع طول الزورق نفسه في الوقت الذي لم تتجاوز فيه المسافة بينه وبين جنودنا المرابطين خلف أسلحتهم على الضفة الأخرى ٩٠ متراً ، وبالرغم من صراحة الأوامر - كما أسلفنا - أمام المشاعر الضاغطة فتح أحد الجنود نيرانه على الزورق ، وترك جنديان آخران سلاحهما وألقيا بأنفسهما في قناة السويس وقلبا الزورق الإسرائيلي ، وسحبا أول أسيرين إسرائيليين بعد هزيمة ١٩٦٧.. الملازم بحري (فيروفلاكسي أبراهام) و(الرقيب البحري يعقوب كاهانوني) .

دروس مستفادة

نخلص في هذه الجزئية من الدراسة بمجموعة من الدروس المستفادة تتبلور فيما يلي :

١- أن حرب الاستنزاف قد بدأت تاريخياً يوم الأحد ٨ سبتمبر ١٩٦٨ بقصف المدفعية المركز على القطاع الشمالي للجبهة ، حيث أن معركة رأس العش وعمليات الطيران يومي ١٤ و١٥ يوليو وإغراق المدمرة «إيلات» لم تكن مخططة أصلاً وإنما اندرجت تحت ما يعرف بإدارة المعركة نتيجة فعل من جانب العدو استلزم رد فعل .

٢- إذا لم تكن القيادة السياسية المصرية عندما اتخذت قرارها ببدء حرب الاستنزاف مدفوعة بعوامل سياسية وداخلية ضاغطة ، فإن المقاتلين على خط النار كانوا سيجبرونها على تبني هذه السياسة بتوالي الزمن وتداعيات الأحداث .

٣- أرجح أن القيادة السياسية قد أمرت القيادة العسكرية بعمل مسح ميداني لاستطلاع رأي القاعدة العريضة من الضباط والقادة على مختلف المستويات في الاسلوب الأمثل الذي يجب أتباعه على جبهة القتال لحين وصول الأسلحة والمعدات من الاتحاد السوفيتي والانتهاء من التدريب المركز عليها .

٤- أن التفكير الاستراتيجي لمرحلة ما بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ كان قد تحدد بأحد أقترابين هما :

أ - الاقتراب الأول :

أستعواض الأسلحة والمعدات التي دمرت في الحرب وعلى رأسها طائرات القوات الجوية إلى أن تنضغط الفجوة بين القوة الجوية الإسرائيلية ونظيرتها المصرية بعدها تبدأ حرب التحرير .

وكان يعوق هذا الاقتراب عند تنفيذه :

(١) محدودية عدد الطيارين الجاهزين للعمل على هذه الطائرات ، ففي الوقت الذي حققت فيه إسرائيل قبيل حرب يونيو ١٩٦٧ معدل ١,٥ -١- ٢ طيار لكل طائرة نتيجة تعاقدها مع طيارين من

خارج قواتها الجوية من جهة ، واستغلالها لنصوص القانون الخاص بعدم إسقاط الجنسية عن الطيارين الأمريكيين اليهود العاملين في الجيش الإسرائيلي نجد أن الطائرات المصرية كانت أكثر عدداً من الطيارين المصريين .

(٢) تواضع خصائص الطائرات الروسية في مقابل خصائص الطائرات الغربية عموماً والأمريكية على وجه الخصوص سواء من ناحية الكيف أو من ناحية مدة البقاء في الجو ، فالطائرة «الميج -٢١» كانت مدة بقائها في الجو ٢٠ دقيقة بينما «الميراج الفرنسية» ساعة و«الفانتوم الأمريكية ف - ٤» ساعة ونصف .

(٣) احتياج هذا الاقتراب إلى فترة زمنية قد لا تنتهي وخاصة إذا ما دخل سباق التسلح بين مصر وإسرائيل في دوامة ما يعرف بالسلاح والسلاح المضاد .

(٤) أن المعارك الجوية ليست طائرات وطيارين فقط ، ولكن مجموعة من الموجهين الجويين الذين يجب أن يكونوا على درجة عالية جداً من الكفاءة والفعالية .

ب - الاقتراب الثاني :

التزود بأسلحة ذات خصائص فنية يمكن استغلالها لتحييد القوة الجوية الإسرائيلية في الجو والمدرعات الإسرائيلية في البر وهما جناحاً الحرب الخاطفة التي نفذتها إسرائيل أبان حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ .

ويتمثل السلاح الأول في الصواريخ أرض - جو القادرة على الاشتباك مع الطائرات المعادية على الارتفاعات المنخفضة والمنخفضة جداً ، ويتمثل الثاني في المقذوفات الموجهة المضادة للدبابات .

وكان هذا الاقتراب يحتاج إلى وقت طويل نسبياً لاستيعاب هذه الأسلحة واستغلال خصائصها إلى أقصى حد .

ومن المقطوع به أن اختيار القيادة المصرية لأي من الاقترابين كان يجب أن يواكبه في كل الأحوال مجموعة من الإجراءات الحيوية التي كان يستحيل بدونها أن تبدأ حرب التحرير دون الانتهاء منها والتي تمثلت فيما يلي :

١- إعادة تنظيم الجيش بالاستفادة بالدروس التي تمخضت عنها حرب يونيو عام ١٩٦٧ .
٢- إعداد الدولة للحرب طبقاً للواقع الإستراتيجي العسكري الجديد .
٣- تطوير جهاز التعبئة وتدعيم أجهزة التقييم والتسجيل والانتقاء .
٤ الإعداد السياسي لحرب التحرير .

ولقد اختارت الإستراتيجية المصرية الاقتراب الثاني والتي أثبتت الأحداث فيما بعد أنه القرار الأقرب إلى الصحة والحكمة

انتقل التخطيط بعد التصميم على خطوات إستراتيجية اعداد البناء الى شكل الدفاع عن قناة السويس خلال فترة استعادة الكفاءة القتالية ، وكان أمام القيادة المصرية في هذه المرحلة أيضاً خياران هما :

الأول : الاشتباك مع القوات الإسرائيلية المتمركزة في سيناء بالتوازي مع إعادة التنظيم مع ما يواكب ذلك من أفعال وردود أفعال من الجانب الإسرائيلي بكل ما تحمله من نتائج وخسائر بأنواعها .

الثاني : التركيز على إعادة بناء الجيش ورفع كفاءته القتالية خطوة خطوة دون تسخين خط الجبهة

حتى لا نعطي الذريعة للإسرائيليين للتدخل في عملية إعادة البناء والتي بتكاملها تبدأ عملية تحرير سيناء فجأة وبضربة واحدة والقوات في أعلى درجات استعدادها .

وبالقطع .. فإن كل خيار منها كان له - كأي قرار مصيري - مزاياه وعيوبه ، فبالنسبة للخيار الأول وهو الذي تبنته القيادة المصرية فقد مر بأربعة مراحل هي :

المرحلة الأولى : وبدأت يوم ٨ سبتمبر عام ١٩٦٨ بقصف مركز للمدفعية على المواقع الإسرائيلية وقد جهتها إسرائيل في نوفمبر من نفس العام بغارات العمق على الأهداف المدنية بوادي النيل والبدء في قامة «خط بارليف»

المرحلة الثانية : وبدأت في ٢٠ يوليو ١٩٦٩ و استمرت في ٩ سبتمبر من نفس العام رداً على استئناف حرب الاستنزاف المصرية التي كانت قد أستؤنفت في ٨ مارس لهدم تحصينات «خط بارليف» والحيلولة دون إتمام بنائه ، فيها أستخدم سلاح الطيران الإسرائيلي كمدفعية طائرة .

المرحلة الثالثة : وبدأت في ٩ سبتمبر عام ١٩٦٩ وفيها مدت إسرائيل نطاق الاستنزاف المضاد إلى شاطئ خليج السويس والبحر الأحمر بغرض بعثرة القوات المصرية وخلخلة كثافتها القتالية وتشتيت جهودها .

المرحلة الرابعة : وبدأت في ٧ يناير عام ١٩٧٠ بعد أن تحققت إسرائيل من انهيار الدفاع الجوي تماماً وإغارتها بطائرتها الفانتوم والاسكاي هوك على أهداف عسكرية ومدنية تقع في ضواحي القاهرة وفي هذه المرحلة تمت الزيارة السرية للقيادة السياسية المصرية موسكو يوم ٢٢ يناير ١٩٧٠ والتي تم فيها موافقة الاتحاد السوفيتي على تزويد مصر بنظام متكامل ومتطور للدفاع الجوي تمثل في صواريخ أرض - جو من طراز سام - ٣ بأطقم تدريبها ، وكذا طائرات الاستطلاع بطياريها أيضاً والتي بعدها توقفت الغارات الإسرائيلية في العمق المصري اعتبارا من ١٨ أبريل عام ١٩٧٠ وبدء انتقال مبدأ حرب الاستنزاف المضاد إلى مصر والتي انتهت بإقامة شبكة الدفاع الجوي الكثيفة غرب القناة قبيل وقف إطلاق النار الساعة الواحدة من صباح يوم ٨ أغسطس عام ١٩٧٠ .

ننتقل إلى الخيار الثاني وهو التركيز على إعادة بناء الجيش دون الاشتباك مع العدو الإسرائيلي والقيام بالهجوم لتحرير الأرض بعد ذلك .

بالخوض في ثوابت العقيدة العسكرية الإسرائيلية ، فأنه يمكن تصور تسلسل سيناريوهات ردود الأفعال الإسرائيلية إزاء هذا الخيار كما يلي :

السيناريو الأول : قبيل بدء الهجوم المصري الشامل بطول جبهة قناة السويس . وفيه كانت إسرائيل ستنفذ عقيدتها القتالية بالقيام بضربة «وقائية» تذكر في بعض المراجع بالضربة «الاستباقية» وتذكرها مراجع أخرى بالضربة «الاجهاضية» وذلك قبل أن تتكامل مقومات الدفاع والتجهيز الهندسي لمسرح العمليات استعداداً للهجوم وخاصة فيما يتعلق بتجهيز المواقع الحصينة للصواريخ أرض - جو وزحفها بانتظام نحو خط المواجهة بكل ما تحمله من دلالات عن الاستعداد الجوي للتحرير

السيناريو الثاني : بمجرد بدء الاقتحام المصري لقناة السويس ، وهنا فإن الاستراتيجية الإسرائيلية كانت ستقوم بمجموعة من الإجراءات القتالية تنحصر فيما يلي :

١- عرقلة عملية الاقتحام بالاستخدام المكثف لأساليب الحرب الإلكترونية سواء في إطار المراقبة أو الإعاقة والشوشرة .

٢- قصف مدن القناة الثلاثه بالمدفعية البعيدة المدى من عيار ١٧٥ مم بكل ما يواكب ذلك من خسائر مادية ومعنوية .
٣- الهجوم جواً على الأهداف الحيوية في عمق الدولة و أصابتها بالشلل ، سواء في صعيد مصر أو القاهرة وضواحيها مستخدمة خليج السويس ومنطقة البحر الأحمر لاختراق المجال الجوي لمصر والاقتراب من أهدافها المختارة بكل ما سيحمله من ضغوط معنوية ونفسية ضاغطة سواء على صعيد المواطنين بالجبهة الداخلية أو للمقاتلين على خط النار .

على أن هناك نقطتين أود التأكيد عليهما في هذه الجزئية الفائقة الأهميه من هذا السيناريو هما :
الأولى : أن الاتحاد السوفيتي لم يكن راغباً في أن تسترد مصر بالقوة ما سبق وفقدته عام ١٩٦٧ بالقوة ربما لقناعته بأنه في حالة نجاح العرب في استرداد أرضهم بالقتال ربما يتوجهون إلى القوة العظمى الثانية طلباً لمعونتها في تحقيق سلام ما بعد الحرب ، أما في حالة عدم نجاحهم في ذلك فإن سمعة الاتحاد السوفيتي كقوة عظمى ومدى كفاءة أسلحته كانت ستصاب بطعنة في الصميم .
الثانية : إذا حدث ووافق الاتحاد السوفيتي في توقيت ما على قيام العرب بتحرير أراضيهم بالقتال وأستكمل في إطار ذلك شبكة الصواريخ أرض - جو سواء للدفاع عن عمق الدولة أو المنصوبة غرب القناة كي تهجم القوات تحت سترها ، فإن هذه الصواريخ كانت ستكون في الأساس من طراز سام - ٢ بكل ما كانت تحمله من قصور في التصميم ، وهي الصواريخ التي سافر من أجلها الجنرال «موشى ديان» عام ١٩٦٦ ومعه وفد عسكري إسرائيلي إلى فيتنام للوقوف على إمكاناتها وخواصها وأسلوب التعامل معها في حالة تفجير صراع مسلح كان يتم التخطيط له بإحكام بالغ لجر مصر إليه في توقيت كان ثلث جيشها فيه يستعد للرحيل من اليمن .

تقييم حرب الاستنزاف

١- أن الخوض في الأبعاد الحقيقية لهذه الحرب ، والوقوف على ضغوط حقائق الموقف الاستراتيجي التي أدت إليها سوف يقودنا إلى أنها كانت ستستغرق ٦ سنوات كاملة سواء أكان الخيار الاستراتيجي للتخطيط لها قد بدأ بتسكين خطوط وقف إطلاق النار مع إسرائيل حتى تستعيد القوات المسلحة المصرية لكفاءتها القتالية ، أو البدء بتسخين الخط مع الوقوف أولاً بأول على أوجه القصور سواء من ناحية التسليح أو التدريب نتيجة الصراع المستمر بين العقلية العسكرية الإسرائيلية ونظيرتها المصرية ثم التسكين استعداداً - كما حدث تاريخياً - لمرحلة التحرير .
٢- أن هذه الحرب فضلاً على أنها قد استجابت لضغط ملح من جانب الجماهير من أجل تحرير الأرض. فقد كشفت عن واحدة من أهم وأخطر الأسرار التي تحرص الدول على كتمانها وأعني بها العقيدة القتالية التي يتبناها جيش دولة ما أثناء المواقف القتالية المختلفة في صور معركة الأسلحة المشتركة الحديثة .

وفي هذا الإطار فإن التلاحم المباشر - شبه اليومي - مع العدو الإسرائيلي قد أدى إلى التعامل مع هذا العدو في ظل امتلاكه لناصية مفاهيم الحرب الإلكترونية من ناحية وفي ظل تفوقه الجوي والكيفي في باقي الأسلحة من ناحية أخرى ، وهو ما أدى إلى أن معظم العسكريين تطعموا ضد الغارات الجوية المعادية ، كما اعتادوا الحياة في ظل القصف الجوي وكسر رهبة طيارينا بالدخول في معارك جوية متكافئة مع الطائرات الإسرائيلية ، والكشف بتداعي الأحداث الخطط الإسرائيلية

والأسلحة الجديدة سواء التي كانت في حوزة إسرائيل أو التي كان من الممكن إمدادها بها سراً قبل الحرب أو أثناءها مما قلل إلى حد كبير من مفاجأة قواتنا .

٣- أن التعامل النفسي لدى العسكريين المصريين الذين كانوا يشعرون بوقع مهانة الهزيمة كان غلاباً وقاهراً ، وإني أرجح أن القيادة السياسية والعسكرية المصرية كانت ستضغط اضطرارا تحت ضغط العامل النفسي للعسكريين وتداعيات الأحداث إلى تبني سياسة حرب الاستنزاف مهما كانت أوامرها ضبط النفس .

٤- أن امتلاك إسرائيل لناصية مفاهيم الحرب الإلكترونية قد تبلور إلى حد كبير أثناء حرب يونيو عـ ١٩٦٧ ويرجع المحللون الاستراتيجيون نسبة كبيرة من النتيجة التي تمخضت عنها هذه الحرب في استخدام هذه المفاهيم ، ثم عاودت إسرائيل استخدامها كسلاح مؤثر اعتباراً من شهر يونيو عام ١٩٦٩ . الأمر الذي دفع المعلق العسكري الشهير «ادجار اوبلانس» في مؤلفه عن الحرب الإلكترونية في الشرق الأوسط إلى القول بأن حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية هي أول حرب إلكترونية في التاريخ

ونظراً لأن هذا النوع من الحرب لم يكن معلوماً للجيش المصري قبيل الحرب ، فإن حرب الاستنزاف قد أتاحت لمصر التخطيط الواعي والدقيق لاقتناء الأجهزة الملائمة لإمكانيات القوات المصرية بحيث استفيد منها إلى أقصى حد ، وروعي في نفس الوقت تأثيرها على العدو مع حماية موجاتنا الكهرومغناطيسية من مراقبة وتشويش العدو .

٥- أن الاشتباك شبه اليومي مع العدو الإسرائيلي طوال حرب الاستنزاف تحت سمع وبصر الخبراء والمستشارين السوفييت قد أتاح الوقوف على أوجه القصور سواء في التنظيم أو التسليح أو التدريب . بحيث عندما طلبت القيادة السياسية المصرية من القيادة السوفيتية أنواعاً معينة من الأسلحة والمعدات ذات التقنية العالية أو الخاضعة للأسرار الحربية ، كانت تقارير هؤلاء الخبراء خير معين في إقناع هذه القيادة بمعقولية المطالب المصرية.

٦- أن قصف مدن القناة الثلاث بواسطة المدفعية الإسرائيلية أثناء حرب الاستنزاف قد دفع بالمسئولين المصريين إلى اتخاذ قرار بتهجير أهالي هذه المدن إلى عمق الدولة في وقت مبكر .. بدلاً من اتخاذ إجراءات ترحيلهم - عند بداية الحرب الشاملة - مع ما يصاحب ذلك من ضغوط نفسية واقتصادية .

٧- أن تكلفة حرب الاستنزاف والتي بلغت ٢٣٥ مليوناً من الدولارات سنوياً نتيجة توقف النشاط الصناعي في منطقة القناة وسبعين مليوناً إعانات للمهجرين من إجمالي مصروفات المجهود الحربي والتي بلغت من عام ١٩٦٨ وحتى أكتوبر ١٩٧٣ حوالي ٨ آلاف مليون دولار ، كانت ستصرف في كل الأحوال سواء تبنت مصر الخيار الأول أم الخيار الثاني ، حيث أن كل تلك المصروفات تفرعت على الهزيمة عام ١٩٦٧ بما فيها إعداد الدولة للحرب نتيجة الأوضاع الاستراتيجية المستجدة التي تمخضت عنها هذه الحرب .

٨- أن دماء شهداء وجرحى ومعوقي الحرب أبان حرب الاستنزاف لم تضع هدراً . فقد شكلت هذه الدماء الضريبة الفادحة للفارق الكبير بين كفاءة وواقع وقدرة القوات المسلحة في الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ والخامس من أكتوبر عام ١٩٧٣ ، ولقد أفتدى هؤلاء الشهداء - بأرواحهم - زملاء لهم كانوا من المتوقع أن يكونوا في عداد الخسائر أثناء اقتحام قناة السويس بعد ظهر يوم السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ ، فخسائر هذا الاقتحام لم تتجاوز ٢٨٠ شهيداً بينما قدرها الخبراء السوفت بأكثر من مائة ضعف هذا العدد .

٣

الجانب الآخر في حرب أكتوبر المجيدة

من المسئول عن المفاجآت التي حاقت بإسرائيل في حرب أكتوبر ١٩٧٣

لواء أ.ح/ جمال حماد

مقدمة :

عقب إنتهاء حرب فلسطين عام ١٩٤٨ أصبح جيش الدفاع الإسرائيلي إسماً على غير مسمى فقد تحول هذا الجيش في واقع الأمر ليصبح جيش الهجوم الإسرائيلي فقد كانت حروب إسرائيل كلها قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ حروباً هجومية ويرجع السر في ذلك إلى أن القيادة الإسرائيلية وجدت أن الطريقة الوحيدة كي يتمكن جيشها الصغير الحجم من تحقيق الإنتصار على جيوش أعدائه الذين يفوقونه في العدد والعدة أن تكون ميزة المبادأة (Initiative)دائماً في جانبه في كل ما يتعلق بتحديد هدف الهجوم وزمانه ومكانه تمهيداً للحصول على المفاجأة التي تعد وفقاً لتعريف مشاهير القادة وفلاسفة الإستراتيجية أهم مبادئ الحرب وأعظمها أثراً في إحراز النصر .

وقد طبقت القيادة الإسرائيلية هذا المبدأ بنجاح مرموق في حربين كبيرتين هما حرب عام ١٩٥٦ (قادش) وحرب عام ١٩٦٧ (الأيام الستة) بالإضافة إلى عشرات من العمليات الهجومية المحدودة والإغارات المفاجئة ضد أهداف عسكرية ومدنية داخل الحدود العربية المتاخمة لإسرائيل (في مصر والأردن وسوريا ولبنان) بهدف بث الرعب أو الإنتقام وخاصة خلال سنوات الخمسينات والستينات .

ومنذ إنتهاء حرب ١٩٤٨ وحتى نشوب حرب أكتوبر ١٩٧٣ لم تتعرض إسرائيل لأي هجوم موجه ضدها بواسطة جيوش عربية نظامية وأدى ذلك إلى أن يفتقر الجيش الإسرائيلي لأية خبرة عملية بالحرب الدفاعية ولذا ففي الوقت الذي توافرت فيه لهذا الجيش خبرة عملية كبيرة في تخطيط وتنفيذ العمليات الهجومية كان قليل الخبرة بصورة واضحة بالحرب الدفاعية الحديثة وخاصة بالمبادئ الرئيسية التي تقوم عليها إدارة المعارك الدفاعية . ووفقاً لنظرية الأمن الإسرائيلية فإن المفترض - في حالة تعرض إسرائيل لهجوم يشن ضدها - أن تكون المرحلة الدفاعية قصيرة للغاية وأن تتولى

عملية صد الهجوم القوة النظامية الموجودة والتي تحظى بمعاونة مكثفة من سلاح الطيران الإسرائيلي الذي من المفترض أن لديه دائماً السيطرة الجوية في المنطقة . ومع إنتهاء هذه المرحلة التي يتم خلالها تعبئة قوات الإحتياط بصورة جزئية أو كاملة (حسب حجم وثقل الهجوم المعادي) يتحول الجيش الإسرائيلي دون إبطاء إلى مرحلة العمليات الهجومية .

حرب أكتوبر ١٩٧٣ :

جاءت لتكون نقطة تحول Turning Point في مسار الصراع العربي الإسرائيلي فقد تعرضت إسرائيل كدولة لمفاجأة إستراتيجية كاملة أفقدت الإسرائيليين ثقتهم في جيشهم الذي لا يقهر وفي جهاز مخابراتهم الذي كان يدعى أنه أقدر جهاز مخابرات في العالم خبرة بشئون الشرق الأوسط كما تعرضت القوات الإسرائيلية على جبهتي سيناء والجولان لمفاجأة تكتيكية أفقدت أفرادها توازنهم وأجبرتهم على الإنسحاب من مواقعهم الأمامية وكان الأمر الذي أدهش العالم هو نجاح مصر وسوريا في تحقيق المفاجأة على المستويين الإستراتيجي والتكتيكي برغم التطور الهائل في وسائل الإستطلاع الحديثة وقدرتها على خداع جهازي المخابرات الإسرائيلية والأمريكية في وقت واحد .

وقبل أن يمر ٢٥ يوماً على وقف إطلاق النار بين الجيوش المتحاربة تنفيذاً لقراري مجلس الأمن رقم ٣٣٨ الصادر في ٢٢ أكتوبر ٧٣ ورقم ٣٣٩ الصادر في ٢٣ أكتوبر ٧٣ اضطرت الحكومة الإسرائيلية تحت ضغط الرأي العام الإسرائيلي إلى إصدار قرار في ١٨ نوفمبر ١٩٧٣ بتشكيل لجنة لتقصى الحقائق على مستوى عال للتحقيق في أسباب التقصير الجسيم الذي ظهر خلال الحرب ونص القرار - بعد التشاور مع رئيس المحكمة العليا - على أن تتكون من خمسة أعضاء وأن تكون القضايا موضع التحقيق ومناقشات اللجنة سرية .

وفي ٢١ نوفمبر ٧٣ عين رئيس المحكمة العليا بحكم صلاحياته رئيسياً للجنة وبقية أعضائها على النحو التالي :

دكتور شمعون أجرانات	رئيس المحكمة العليا	رئيساً
السيد موشيه لنداو	القاضي بالمحكمة العليا	عضواً
دكتور اسحق نفنتسال	مراقب الدولة	عضواً
الجنرال يجائيل يادين	الأستاذ في الجامعة العبرية	عضواً
الجنرال حاييم ليسكوف	مسئول شكاوي الجنود	عضواً

ويلاحظ أن تشكيل اللجنة جاء متوازناً فقد حوى التخصصات المطلوبة لنجاح مهمتها وضمان حيادها إذا كان يضم إثنين من كبار أساتذة القانون وهما رئيس المحكمة العليا وأحد قضاتها كما ضم مراقب الدولة وهو مسئول عن مراقبة الجهاز الوظيفي في إسرائيل وضم كذلك إثنين من كبار القادة العسكريين المتقاعدين وهما الجنرال يادين رئيس الأركان في بداية الخمسينات والجنرال ليسكوف رئيس الأركان في بداية الستينات وفي أوائل إبريل ١٩٧٤ أي بعد حوالي أربعة شهور على تشكيل اللجنة وبداية عملها قامت هذه اللجنة التي أطلق عليها اسم رئيسها فأصبحت تدعى لجنة أجرانات بإصدار تقريرها الجزئي الذي أدانت فيه أربعة من كبار القادة العسكريين بتهمة التقصير وأوصت بإبعادهم عن مناصبهم ولم يلبث هؤلاء القادة طويلاً حتى تمت إحالتهم إلى التقاعد وهم : الجنرال

دافيد اليعازر رئيس هيئة الأركان العامة والجنرال شموئيل جونين قائد القيادة الجنوبية (التي تواجه الجبهة المصرية) والجنرال إيلي زعيرا رئيس شعبة الإستخبارات العسكرية والبريجادير (العميد) آرييه شاليف مساعد رئيس الإستخبارات للأبحاث .
وفي الوقت الذي أدانت فيه لجنة أجرانات تلك المجموعة المهمة من ضباط القيادة العسكرية اتضح أنها قامت بتبرئة القيادة السياسية التي كانت متمثلة في رئيس الوزراء جولدا مائير ووزير الدفاع موشي ديان من كل تهمة ومن كل مسئولية .
وقد ورد في البند ١٠ من تقارير لجنة أجرانات بشأن المعلومات وتقديرها وإستعداد الجيش الإسرائيلي ما يلي بالنص :
« إن بدء مصر وسوريا الحرب في عيد الغفران ١٩٧٣/١٠/٦ في الساعة ١٤ (الثانية بعد الظهر) فاجأ جيش الدفاع الإسرائيلي لأنه حتى ساعات الصباح الباكر في اليوم نفسه لم تقدر القيادة العليا لجيش الدفاع الإسرائيلي والزعامة السياسية أن حرباً شاملة على وشك النشوب ». وفي صباح اليوم نفسه عندما اتضح لهم أن الحرب ستنشب افترضت القيادة العليا خطأ أنها ستنشب فقط في الساعة ١٨ (السادسة مساءً) ومسئولية هذه الأخطاء في التقدير يمكن أن تلقى أولاً وقبل كل شئ على عاتق رئيس فرع الإستخبارات ومساعده الأول المسئول عن قسم الأبحاث في فرع الإستخبارات وهو الجهة الوحيدة في لدولة المهتمة بأبحاث الإستخبارات وقد فشل هؤلاء في تقدير الإنذار الكافي تماماً لجيش الدفاع الإسرائيلي .
وفقط في الساعة الرابعة والنصف صباحاً تقريباً في يوم عيد الغفران بلغ رئيس فرع الإستخبارات إستناداً إلى معلومات جديدة حصل عليها عن نية العدو ببدء القتال في الساعة ١٨٠٠ على الجبهتين (المصرية و السورية) .

وهذا الإنذار القصير لم يمكن من تعبئة الإحتياط بصورة منتظمة وأدى إلى تعبئة متعجلة لإحتياطيات القوات البرية وليس طبقاً لجدوال زمنية وإجراءات التعبئة السليمة . والخطأ الآخر بالنسبة للأربع ساعات بين ١٨ ، ١٤ (بين الساعة السادسة مساءً والثانية بعد الظهر) خفض المهلة الزمنية بين إستدعاء الإحتياط وقيام العدو ببدء الحرب وهذا الخطأ الثاني أدى إلى تشويش آخر في الإعداد للقوات النظامية في الجبهات وإنتشارها السليم وبخاصة على جبهة قناة السويس .

وكان رئيس الإستخبارات العسكرية المقصود في التقرير والذي أوصت لجنة أجرانات بابعاده عن منصبه هو الجنرال إيلي زعيرا وكان مساعده الأول الذي أوصت اللجنة أيضاً بابعاده هو البريجادير (العميد) آرييه شاليف المسئول عن قسم الأبحاث بجهاز المخابرات العسكرية .
وقد أدى تحيز لجنة إجرانات للقيادة السياسية بتبرئة ساحتها بينما انصبت اتهاماتها على هذه المجموعة من ضباط القيادة العسكرية إلى إثارة الغضب في نفوس الكثيرين من الضباط وكان أشدهم غضباً بالطبع هو الجنرال إيلي زعيرا نظراً لأن لجنة إجرانات في تقريرها اعتبرته المسئول الأول عن التقصير الذي جرى فى الحرب وهو الأمر الذي أدى - بالإضافة الى فقده لمنصبه المرموق - الى احاطته هو وأسرته بجو من العداء الشعبي العام حتى أنه من بين مئات الأشخاص الذين كانوا يتباهون بأنهم أصدقاؤه لم يظل على صلتهم به سوى عدد قليل منهم بينما اختفى الباقون وتخلوا عنه وأدرك الجنرال زعيرا - كما روى - أن المشكلة التي باتت تواجهه هي كيف يمكنه البقاء في المجتمع

الإسرائيلي .
ونتيجة لذلك الجو العدائي الذي أحاط به هو وأسرته لذا قرر الجنرال زعيرا اعتزال العمل العام في إسرائيل على الرغم من العروض الكثيرة التي عرضت عليه ابتداء من عرض البقاء في الجيش لتولى قيادة المنطقة الوسطى وانتهاء بعرض منصب رئيس مجلس إدارة أحد البنوك الكبيرة في إسرائيل عليه فقد رفض كل هذه العروض بشدة وصمم - كما روى - على أن يحطم تلك الأكذوبة التي اختلقتها لجنة اجرانات والتي ذهبت الى القول بأن التقصير والفشل في الأيام الأولى من حرب الغفران سببها فقط هو التقدير الخاطئ لإحتمالات الحرب الذي هو مسئولية جهاز المخابرات العسكرية الذي يتولى رئاسته الجنرال زعيرا .
وكان الأمل في تحطيم الأكذوبة - كما روى زعيرا - ضعيفاً ولذا ظل عشرين عاماً يمتنع عن التطرق علنا لأحداث حرب يوم الغفران وكان لموقفه هذا اسباب مختلفة لكن اهم هذه الأسباب هو صدق الدليل فإنه بدون تقديم الوثائق الرسمية التي تثبت أقواله لن يصدق
أحد . وقد وجد أنه من ناحية المسئولية الوطنية لن يتسنى له نشر أية وثائق خاصة بالدولة الا بعد مضي عشرين عاماً وفقاً للقانون الإسرائيلي مع مراعاة شطب الموضوعات التي تنطوي على كشف اسرار الدولة وتتعلق بأمنها . وبعد أن مضى على إنتهاء الحرب وإتفاقيات فض الإشتباك بين الجيوش المتحاربة ٢٠ عاماً قام الجنرال زعيرا بتأليف كتابه الخطير الذي سماه (حرب يوم الغفران ... أكذوبة في مواجهة واقع) ويضم الكتاب ٢١ فصلاً وخمسة ملاحق وهو يحوي العديد من المعلومات والقضايا المثيرة ويكشف الكثير من أخطر أسرار حرب يوم الغفران (حرب أكتوبر ١٩٧٣) التي لم تكن معروفة من قبل .
وقد أكد زعيرا أن الإنتقادات الحادة التى وجهها في كتابه إلى وزراء وقادة عسكريين إنما تقوم على وثائق وأدلة مكتوبة أما تقديرات الموقف الخاصة بأصحاب المناصب الرئيسية في جهاز الدفاع عام ١٩٧٣ واعتباراتهم وقراراتهم فيما يتعلق بأمن دولة إسرائيل فإن وصفها يرد في كتابه استناداً إلى «وثائق رسمية» كما أوضح زعيرا في كتابه مدى الأهمية لعرض الأحداث كما وقعت فى الحقيقة أمام الشعب لأن كشف القرارات الخاصة بقادة الدولة والجيش هو أساس راسخ في أى نظام حكم ديمقراطي فلا يعقل أن يقوم العدل وأن تقوم ثقة الشعب فى زعمائه فى النظام الذي تستطيع الزعامة فيه التهرب من المسئولية عن قراراتها تحت قناع السرية .
وقد أبدى زعيرا تخوفه من أن نشر كتابه بعد إنتهاء الحرب بعشرين سنة قد يثير تساؤلات وانتقادات كثيرة لدى العديد من الناس عن سر صمته طوال تلك المدة والإجابة على هذا السؤال كما قال هو أنه لم يجد معنى ولا فائدة في عرض الأمور على الشعب دون الإستناد الى الأدلة والوثائق الدامغة كما أوضح أنه لم يسكت فبعد حوالي عشرة أيام من إعلان القرار الجزئي للجنة قام بتسليم القاضي برطوف (سكرتير اللجنة) رسالة شاملة موجهة منه إلى اللجنة سجل فيها بالتفصيل كل تحفظاته على استنتاجات اللجنة وقدم الحقائق والأدلة المؤيدة لهذه التحفظات ولكنه لم يتلق أي رد على رسالته .

لماذا أغفلت القيادة الإسرائيلية تعبئة قوات الإحتياط ؟

في الفصل السادس الذي عنوانه » تناول لجنة اجرانات للإنذار « شرح الجنرال زعيرا الفرق بين تلقى الدولة الإنذار عن الإستعدادات وبين تلقيها الإنذار عن النوايا من وجهة نظره فأوضح أن تلقى الإنذار عن الإستعدادات يتوقف أساساً على مستوى تجميع الإستخبارات للمعلومات وهو ما ينتج عن أعمال

المراقبة والتنصت والتجسس والطلعات الجوية للإستطلاع والتصوير الجوي . ومن الممكن الإعتماد بشكل واقعي على وصول الإنذار عن استعدادات العدو للحرب . أما مسألة النوايا فهي مسألة مختلفة تماماً فان النوايا الفعلية لشن الحرب يحتفظ بها سراً وتكون معروفة فقط لمجموعة مصغرة للغاية في القيادتين السياسية والعسكرية وفي بعض الأحيان وخاصة في نظم الحكم الدكتاتورية ربما يكون الرئيس وحده هو الذي يعلم بموعد بدء الحرب وليس هذا فحسب بل أنه في بعض الأوقات يكون إعلان أحد الرؤساء عن نيته لشن الحرب هو أداة في لعبة سياسية عسكرية وليس وعداً ملزماً بتنفيذه وخير مثال على ذلك هو إعلان الرئيس الراحل أنور السادات بأن سنة ١٩٧١ ستكون سنة الحسم وقد اتضح بعد ذلك أنه لم تكن لديه أية نية لتنفيذ ذلك الإعلان وشن الحرب على إسرائيل في السنة التى حددها .

وقد حدد زعيرا في هذا الفصل معنى الإنذار فيما يتعلق بأمن إسرائيل بأنه » إنذار عن إستعدادات وحشود قوات وانتشارها في أوضاع يمكن منها مهاجمة إسرائيل في أي وقت « واوضح زعيرا أن القيادة العسكرية الإسرائيلية سبق أن استجابت للإنذار الذي تلقته من الإستخبارات العسكرية عن استعدادات العدو المصري وقامت على الفور بتعبئة قوات الإحتياط وقد فعل ذلك الجنرال ليسكوف رئيس الأركان عام ١٩٦٠ (ولو أن مصر لم تقم بمهاجمة اسرائيل فى تلك المرة) كما فعل ذلك ايضاً الجنرال اسحق رابين رئيس الأركان عام ١٩٦٧ (قبل حرب الأيام الستة) بينما لم يفعله رئيس الأركان الجنرال دافيد اليعازر ووزير الدفاع موشيه ديان قبل حرب اكتوبر ٧٣ على الرغم من أن صورة استعدادات مصر وسوريا للهجوم كانت أدق صورة تم عرضها بواسطة الإستخبارات على قادة الدولة بل هي أكثر الصور دقة وتفصيلاً منذ قيام دولة إسرائيل .

وقد أيد الجنرال يسرائيل تال نائب رئيس الأركان فى حرب أكتوبر ٧٣ أقوال الجنرال زعيرا فقد ورد ضمن محاضرة ألقاها على مجموعة من الضباط في ٢٠ يناير (كانون ثاني) ١٩٨٢ عن » مفهوم الإنذار في نظرية الأمن « وتم نشر أهم أجزائها فى الملحق ٥ من كتاب زعيرا » حرب يوم الغفران ... أكذوبة في مواجهة واقع « فقد قال ما يلى :

» والفشل في يوم عيد الغفران لم يكن فشل للإستخبارات فلقد قالت لنا الإستخبارات كل شئ - كنا نعرف كل المعلومات عن كل كتيبة وكل لواء وكل فرقة وكل سرب وتفاصيل كل المعدات الأخرى وعن تعاظم قوة العدو وما حصلوا عليه من اسراب الطائرات والصواريخ أرض أرض والدبابات الحديثة ت ٦٢ والجرارات ودبابات الجسور التي تعبر الخنادق والمواقع المضادة للدبابات وعرفنا كيف يستعدون بتشكيل هجومي كامل مع آلة حرب مستعدة للوثوب وبعد كل هذا نجد لدينا الوقاحة والبجاحة كي نقول أنه لم يكن لدينا إنذار !!« .

وقد رد الجنرال زعيرا فى الفصل الواحد والعشرين الذي عنوانه « الخلاصة » على الإتهامات التي وجهتها اليه لجنة اجرانات بأن أوضح أن دور ومسئولية الإستخبارات العسكرية في موضوع الإنذار يتحدد على مدى نجاحها أوفشلها في أن توفر للقيادة العسكرية المعلومات في الوقت الحقيقي حول التوقيت الذي يقوم فيه العدو بتعزيز قواته وحول نسب ذلك التعزيز . وعلى أساس هذه المعلومات يتخذ وزير الدفاع ورئيس الأركان الإجراءات اللازمة للحفاظ على نسبة التوازن المطلوبة بين قواتنا وقوات العدو . ويعتبر الخروج عن هذه المبادئ وربط استدعاء الإحتياط بتقديرات نوايا العدو خطأ خطيراً كما حدث قبل حرب يوم الغفران .

لقد قدمت الإستخبارات العسكرية - كما أكد زعيرا - للحكومة ولرئيس الأركان صورة انتشار جيشي مصر وسوريا بأدق صورة وفى الوقت الصحيح وقبل ثلاثة ايام من نشوب المعارك عرض التشكيل العسكري المصري والسوري وهو جاهز - وفقاً للنظرية السوفيتية - للدفاع والهجوم معاً .
وعلى عكس نظرية الأمن فإن صورة الموقف الخطير على الجبهتين المصرية والسورية والحشود الضخمة التي لم يسبق لها مثيل على الجبهتين لم تؤد الى تعبئة الإحتياط ولو حتى تعبئة جزئية . وبدلاً من ذلك انشغلت الحكومة ورئيس الأركان والإستخبارات العسكرية فى الأسبوع الذي سبق الحرب بتقديرات مختلفة حول نوايا الرئيسين السادات وحافظ الأسد وكان ربط تعبئة وحدات الإحتياط بنتائج هذه التقديرات هو أمر خطير ويتعارض تماماً مع نظرية الأمن .

وفي يوم الجمعة ٥ أكتوبر ٧٣ وفي الساعة التاسعة صباحاً (أي ٢٩ ساعة قبل نشوب الحرب) عرضت الاستخبارات العسكرية علي وزير الدفاع في الاجتماع الذي عقد في مكتبه والذي حضره مساعده الجنرال تسفي تسور ورئيس الأركان العامة الجنرال اليعازر ونائبه الجنرال يسرائيل تال ورئيس جهاز الاستخبارات العسكرية الجنرال زعيرا ومدير عام وزارة الدفاع إسحق عيروني .. عرضت الظواهر الخطيرة التي سببت القلق والتوتر لجميع الحاضرين وهو وصول ١١ طائرة نقل أفراد إلي مصر وسوريا لإخلاء أسر المستشارين السوفيت من القاهرة ودمشق وإعادتهم إلي موسكو وفضلا عن ذلك غادرت ميناء الإسكندرية جميع القطع البحرية السوفيتية التي كانت راسية في الميناء وانطلقت إلي عرض البحر بالإضافة إلي التعزيزات الإضافية الكبيرة لجيشي مصر وسوريا علي طول الجبهتين .
وعلي الرغم من تلك الظواهر التي كانت تؤكد قرب نشوب الحرب فإن تقدير الجنرال زعيرا صاحب تلك المعلومات الخطيرة والمقلقة « إن نشوب الحرب هو احتمال منخفض للغاية » ومن العجيب أن موقف زعيرا في ذلك الإجتماع يتناقض تماماً مع ما سبق أن شرحه من قبل فى كتابه عن ضرورة التفرقة بين الإستعدادات التي يجريها العدو والتي تستلزم وجوب تعبئة الإحتياط وبين النوايا الفعلية لشن الحرب التي تعد من الأسرار التي لايعرفها سوى نفر قليل من القيادتين السياسية والعسكرية للعدو والتي من الصعب الوصول اليها وان ربط تعبئة الإحتياط بالتقديرات عن النوايا - كما أكد زعيرا - هو أمر خطير ويتنافى مع نظرية الأمن .

ولكن وزير الدفاع ورئيس الأركان رفضا تقديرات رئيس الإستخبارات التي كانت تستبعد نشوب الحرب فقد قرر رئيس الأركان إعلان حالة الإستعداد « ج » وهى الحالة القصوى في جميع وحدات القوات المسلحة الإسرائيلية وكذا تعزيز الجبهات الثلاث (الشمالية والوسطى والجنوبية) بكل ما يمكن دفعه من القوات النظامية .
أما موشي ديان وزير الدفاع فقد توصل إلى استنتاجات مهمة عن الوضع الحقيقي للموقف فقد أكد أن مصر وسوريا تنويان شن حرب مفاجئة وأن المناورة في مصر والتشكيل الدفاعي في سوريا هما تغطية للإستعداد للحرب وأنه يتوقع نشوب الحرب صبيحة الغد أي في يوم عيد الغفران .
وقد أكد زعيرا في الفصل ١٧ من كتابه الذي عنوانه « خيال المآته » أن وزير الدفاع توصل إلى التقدير الصحيح فى الاجتماع الذي عقد بمكتبه فى الساعة التاسعة صباحاً يوم ٥ أكتوبر ٧٣ فقد حدد أن هجوم مصر وسوريا سوف يبدأ يوم عيد الغفران وأن خطتهما تعتمد على المفاجأة ولكن لا هو ولا رئيس الأركان إتخذا الإجراءات التي كان من المحتم اتخاذها في ذلك الوقت وهي التعبئة الفورية

الجزئية والسرية لوحدات الإحتياط .

وهناك سببان برر بهما ديان موقفه من تأجيل استدعاء الاحتياط أمام لجنة اجرانات وكما ورد في شهادته كان السبب الأول عسكرياً وهو الشعور بالثقة الزائدة في قوة الجيش النظامي وفي مقدرته على صد هجوم العدو حتى وصول قوات الإحتياط حتى لو لم تبدأ التعبئة إلا مع بداية الحرب هذا بالاضافة الى أن سلاح الطيران سوف يعاون القوات البرية بصورة فعالة منذ الساعات الأولى للحرب

وكان **السبب الثاني سياسياً** فقد خشي ديان - كما ورد في شهادته - من أن يؤدي استدعاء الاحتياط قبل الهجوم المصري والسوري الى أن تتهم الولايات المتحدة إسرائيل بمسئوليتها عن بدء هذه الحرب وكان متخوفاً من أن يدعى المصريون والسوريون بأنهم شنوا حرباً عاجلة على إسرائيل كرد على تعبئتها لقوات الاحتياط توطئة للقيام بالهجوم عليهما .
وفي تعليقه على شهادة موشي ديان وزير الدفاع أمام لجنة اجرانات قال الجنرال زعيرا في ذلك الفصل من كتابه أن قرار وزير الدفاع بعدم استدعاء الاحتياط يوم الجمعة ٥ اكتوبر كان قراراً سياسياً لا يخضع بالمرة لمسئولية الجيش بل هو من مسئولية القيادة السياسية . ويضيف زعيرا الى ذلك بأن موشي ديان وزير الدفاع لم يقبل خلال ذلك الاجتماع رأي مستشاريه بل انه لم يسألهم النصيحة وكان هو وحده الذي فكر في المشكلة وقام بتحليلها وتوصل الى استنتاج سياسي قرر بسببه الامتناع عن تعبئة الاحتياط واذا كان الأمر كذلك فلماذا برأته لجنة اجرانات ولماذا لم تعده مسئولاً شخصياً عن عدم استدعاء الاحتياط وعن تأخره بالتالي في الإشتراك في الحرب ؟ .

قصة السياسي العربي الذي جندته الموساد

في الفصل السابع من كتاب زعيرا يتضح لنا أن المخابرات العامة الإسرائيلية (الموساد) نجحت في تجنيد شخصية سياسية عربية يشغل صاحبها منصباً مهماً في بلاده مما أتاح له الفرصة لامداد الموساد الإسرائيلية بمعلومات دقيقة ومنتظمة بعد حرب يونية (حزيران) ١٩٦٧ عن اوضاع الدول العربية .
وقد وصف زعيرا في بداية الفصل السابع الذي عنوانه « التصور » ما حدث بقوله أنه في وقت ما بعد حرب الأيام الستة نجحت الموساد في الحصول من السياسي العربي العميل على معلومات ذات قيمة كبيرة وقد تم فحص هذه المعلومات المثيرة بدقة بالغة بواسطة عناصر تقدير المعلومات التابعة للإستخبارات العسكرية وكانت استنتاجاتهم أن مصدر المعلومات هو من المستوى السياسي وأن الثقة فيها عالية للغاية وهي تعطي صورة دقيقة وفي وقت حقيقي عن النوايا السياسية والعسكرية لعدد من الدول العربية وخاصة مصر وسوريا .
وقد اعتبرت الموساد أن تجنيد هذا السياسي العربي العميل هو ذروة نجاحها وأوج تفوقها ولذا اتبعت في توزيع المعلومات الواردة عن طريقه عادة جديدة لم تكن متبعة من قبل وهي أن تقوم بترجمة هذه المعلومات من اللغة العربية الى اللغة العبرية وتتولى بعدئذ توزيعها كما هي بنفس نصها على اعتبار أنها مادة خام - بلا تحليل أو تقدير - على رئيسة الوزراء وعلى يسرائيل جليلي (الوزير بلا وزارة ومستشار جولدا مائير الأول وكاتم أسرارها) وعلى وزير الدفاع موشي ديان وايضاً الاستخبارات العسكرية .

وعندما عين زعيرا رئيساً للإستخبارات العسكرية فى اكتوبر عام ١٩٧٢ عرض عليه ملف المعلومات الواردة من السياسي العربي العميل واسلوب توزيعها ونظراً لأهميتها قرر على الفور أن يتسلم رئيس الأركان ايضاً هذه المادة الخام للإطلاع عليها مثل رئيسة الوزراء والوزيرين جليلي وديان .

هذا وقد تولى الجنرال زعيرا مهام منصبه كرئيس للإستخبارات العسكرية بعد عامين ونصف من الغياب عن البلاد أمضاها كملحق عسكري لجيش الدفاع في العاصمة الأمريكية واشنطن وقد طلب من معاونيه فور تعينه أن يتلقى على الفور تقديراً للموقف وعرضاً لأهم المصادر التي يعتمد عليها هذا التقدير فشرحوا له أن الهيكل الأساسي فى المادة الاستخبارية التي يعتمد عليها تقدير الموقف هى المعلومات الواردة من ذلك السياسي العربي العميل وكانت تتلخص فيما يلي :

*مصر وسوريا تشنان حرباً ضد إسرائيل إذا فشلت الجهود السياسية الرامية لإعادتها الى حدود ١٩٦٧ طبقاً للقرار رقم ٢٤٢ الذي أصدره مجلس الأمن في ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ .

*الشرط العسكري الذي تضعه مصر لنفسها قبل شن الحرب هو احداث تغيير جوهري في ميزان القوى الجوي والذي تتمتع فيه اسرائيل الآن بتفوق ساحق . ومن أجل احداث هذا التغيير فان مصر تحتاج الى شراء نوعين من المعدات : الأول .. عدد كاف من اسراب الطائرات المقاتلة المتقدمة التي تكون قادرة على الوصول الى مطارات اسرائيل بالطيران المنخفض وبالتسليح المناسب لمهاجمة القواعد الجوية وأهداف حيوية أخرى في عمق اسرائيل ، والثاني .. صواريخ أرض – أرض من طراز سكود (التي كانت تعتبر في ذلك الوقت متقدمة) لتشكل تهديداً لمراكز تجمع السكان مما يحمل إسرائيل على التراجع عن مهاجمة أهداف مدنية في عمق مصر (سبق لمصر أن أصيبت بهزة نفسية فى أعقاب الهجمات الجوية الإسرائيلية على أهداف مدنية في عمق مصر عام ١٩٦٩ أثناء حرب الإستنزاف) ، كان هذا هو تصور (Conception)الرئيس المصري أنور السادات كما أكده السياسي العربي العميل وقد بنت اسرائيل من جانبها تقديراتها وخططها على إفتراض أن التصور حقيقي وأن رئيس مصر يسترشد به فى كل أعماله .

وبالفعل بعث السادات رسالة الى ليونيد بريجينيف رئيس الإتحاد السوفيتي في ٣٠ أغسطس ١٩٧٢ قال فيها : « لقد ذكرت فى محادثاتنا المتتالية أنه من الضروري أن يكون لدينا سلاح ردع يجعل العدو يتردد فى مهاجمتنا فى العمق ولايزال واضحاً أننا بدون سلاح ردع لن نكون قادرين بأي حال على العمل من الناحية العسكرية » وأكدت المعلومات الواردة من السياسي العربي العميل أن الهدف الرئيس للسادات هو إقناع الإتحاد السوفيتي بإمداد مصر بطائرات متقدمة وصواريخ أرض/ أرض سكود في أسرع وقت ممكن .
ونتيجة لتلك المعلومات طلبت القيادة العسكرية الإسرائيلية من قسم الإستخبارات التابع لسلاح الطيران الذي لا يعني فقط بالموضوعات الجوية أن يركز على موضوعين أولهما هو متابعة إمداد مصر وسوريا بطائرات مقاتلة قاذفة متقدمة وصواريخ أرض/ أرض سكود وثانيهما متابعة تدريبات الطيارين والفنيين المطلوبين لتشغيل الطائرات الجديدة والصواريخ أرض/ أرض . وكان أحد الإحتمالات أن يتم إيفاد الطواقم المصرية الى منشآت التدريب فى الإتحاد السوفيتي وكان تقدير استخبارات سلاح الطيران هو أن المدة الزمنية اللازمة لتأهيل طواقم تشغيل صواريخ سكود هى ستة شهور على الأقل وأن الحد الأدنى من الوقت للإستيعاب العملياتي للطائرات الجديدة هو ٢٤ شهراً .

وكان المأزق الذي واجه هيئة الأبحاث فى الاستخبارات العسكرية هو ذلك التناقض بين تنفيذ المطالب الرئيسية التي وضعتها مصر لنفسها كشرط لشن الحرب وبين التصريحات العلنية للسادات والتي أعلن فيها عن سنة الحسم فى ١٩٧١ اذ إنه وفقاً للمعلومات المؤكدة من السياسي العربي العميل بأن مصر حددت لنفسها شروطاً حتمية لن تخرج الى الحرب بدونها بدأت تصل الى الاستخبارات العسكرية ايضاً معلومات من مصادر أخرى عن نية مصر لشن الحرب بينما كانت معلومات العميل الموثوق بها تؤكد أن الشروط المصرية لم تنفذ .

وعلى أساس التجربة والخبرة واستناداً الى تجربة ١٩٧١ سنة الحسم التي لم يحدث فيها شئ والى المعلومات التى وردت من مصادر مختلفة عن أن الحرب التي على وشك الإندلاع في ديسمبر (كانون أول) ١٩٧٢ والتى لم تندلع تكونت في هيئات الأبحاث بالاستخبارات العسكرية ثقة بدرجة عالية فى معلومات السياسي العربي العميل التي كانت تؤكد أن مصر وسوريا تتجهان بالفعل الى الحرب ولكن ليس قبل تسلم الطائرات والصواريخ وانخفضت تبعاً لذلك صحة سائر المصادر الأخرى التي بلغت عن تواريخ حرب متوقعة عدة مرات .

وكانت قمة نجاح الاستخبارات العسكرية وزيادة ثقتها فى معلومات السياسي العربي وفي تقديراتها الصائبة عن احتمالات الحرب ما حدث من خلاف رئيسي بين موشي ديان وزير الدفاع والجنرال اليعازر رئيس الأركان من جهة وبين الجنرال ايلي زعيرا رئيس الاستخبارات من جهة اخرى فقد وردت أنباء موثوق بها من مصادر مختلفة عن حشود ضخمة واستعدادات هجومية مصرية على طول جبهة القناة خلال شهري ابريل ومايو ١٩٧٣ وقد رفض وزير الدفاع ورئيس الأركان تقديرات الاستخبارات العسكرية التي كانت تؤكد فى ذلك الحين عدم احتمال قيام مصر بشن أي هجوم في ذلك الوقت ضد اسرائيل . وتبعاً لذلك قرر رئيس الأركان في شهر مايو ١٩٧٣ رفع درجة الاستعداد فى القوات المسلحة الاسرائيلية الى الحالة ج (حالة الاستعداد القصوى) كما أمر باجراء تعبئة جزئية سرية لقوات الاحتياط مما كلف ميزانية اسرائيل ما يعادل أربعة ملايين ونصف مليون جنيه استرليني . ونتيجة لذلك الموقف الذي اتضح خلاله صحة تقديرات الاستخبارات العسكرية التي كانت مبينة على المعلومات الأساسية التي أرسلهاالعميل السياسي من قبل عن شروط السادات لدخول الحرب لذا أخذت صحة معلومات ذلك العميل تزداد قوة بمضي الوقت حيث أثبتت التجارب أنها دقيقة وممتازالنبأ الخطير الذي هز قيادات إسرائيل في فجر يوم ٦ أكتوبر ؟

فى حوالي الساعة الرابعة من صباح السبت الموافق ٦ من أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٧٣ وفى الوقت الذي كان فيه أهل تل أبيب مستغرقين في سبات عميق تداعبهم الآمال العذبة فى قضاء يوم حافل بالتعبد والصوم فى معابدهم تكفيراً عن خطاياهم فى مناسبة حلول يوم كيبور أو يوم الغفران وهو أقدم أعياد الشعب اليهودي ... شق حاجز السكون رنين أجهزة الهاتف في بيوت ثلاثة من كبار ضباط الجيش الاسرائيلي كانوا بحكم مناصبهم اقرب الأشخاص الى أولئك الذين يتولون مقاليد السلطة فى القيادتين العسكرية والسياسية والذين كانت في يدهم وقتذاك مسئولية قرار الحرب أو السلام .

كان الضباط الثلاثة هم إيلي زعيرا رئيس الاستخبارات العسكرية ويسرائيل لينور السكرتير العسكري لرئيسة الوزراء جولدا مائير ويشعيا هورفيف السكرتير العسكري لوزير الدفاع موشي ديان وكانت المكالمة قصيرة جداً ولاتتعدى بضع كلمات .. ورد نبأ يقول : إن مصر وسوريا تنويان شن الحرب اليوم .. ساعة الصفر .. ١٨ (الساعة السادسة) . وانطلقت مكالمات تليفونية محمومة تنقل النبأ الخطير الى المستويات العليا فى إسرائيل وكلفت جولدا مائير سكرتيرها العسكري بأن يستدعى الى مكتبها برئاسة الوزراء فى « الكرياه » فى الثامنة صباحاً مجموعة المطبخ وكان هذا الاسم يطلق على مجموعة الوزراء الأقوياء المقربين لجولدا مائير وهم نائبها إيجال آلون ووزير الدفاع موشي ديان والوزير بلا وزارة يسرائيل جليلي وقد أطلق عليهم هذا الاسم اشارة الى أنهم كانوا يطبخون القرارات معاً قبل عرضها على مجلس الوزراء .

وعندما استيقظ موشي ديان منزعجاً على رنين الهاتف وبلغه سكرتيره بالنبأ المفاجئ تأكد أولاً أن رئيسة الوزراء قد علمت مثله بالنبأ ثم طلب من سكرتيره رفيف أن يستدعي رئيس الأركان الجنرال دافيد اليعازر لمقابلته فى مكتبه فى السادسة صباحاً وأن يبلغ كبار العاملين بوزارة الدفاع كي ينتقلوا الى مكاتبهم فى الحال . ولم يكن رئيس الأركان قد نام سوى ساعات قلائل منذ غادر مكتبه بوزارة الدفاع الى بيته عند منتصف الليل وكان فى شدة الإنهاك بعد أن أمضى يوماً حافلاً باللقاءات والمؤتمرات مع كبار معاونيه وعندما رن الهاتف فى بيت الجنرال دافيد اليعازر رئيس الأركان حوالي الساعة الرابعة صباحاً استيقظ على الفور من نومه المضطرب واستمع فى ذهول الى صوت ايلي زعيرا المرتبك وهو ينقل اليه فى إضطراب ذلك النبأ الذي قلب تقديرات الاستخبارات العسكرية رأساً على عقب ولم تكن خطورة الموقف تسمح لرئيس الأركان باظهار استيائه لرئيس الاستخبارات من ذلك العجز الفاضح الذي ظهرت به إدارته فى تقديراتها الأخيرة الخاطئة بأن إحتمال الحرب (منخفض للغاية) واكتفى بأن طلب منه مقابلته فى مكتبه بوزارة الدفاع فى الخامسة صباحاً وعندما اتصل به سكرتيره العسكري بعد ثوان قليلة طلب منه استدعاء أعضاء هيئة الأركان العامة الى مكتبه فى نفس الموعد وتتكون هذه الهيئة من رؤساء الأفرع برئاسة الأركان وقادة الأسلحة المقاتلة والإدارية وقادة القيادات الثلاث : الشمالية والوسطى والجنوبية وهؤلاء جميعاً يشكلون قيادة المؤسسة العسكرية الإسرائيلية .

واتجه تفكير الجنرال اليعازر على الفور صوب السلاح الوحيد الذي اعتقد فى هذه اللحظات أن فى مقدرته إحداث التغيير فى الموقف العصيب الذي غدت فيه إسرائيل لصالحها عندما يتمكن من استعادة زمام المبادأة وعرقلة استعدادات المصريين والسوريين الهجومية عن طريق توجيه ضربة إجهاض جوية ضد تحضيراتهم فأسرع قبل أن يستكمل إرتداء ثيابه بالإتصال بالجنرال باني بيليد قائد السلاح الجوي وأصدر له أمراً إنذارياً بأن تكون أسرابه الجوية متأهبة للإنطلاق الى أهدافها فى الساعة الواحدة ظهراً .

وهكذا ومع بزوغ فجر ٦ أكتوبر عيد الغفران اقتنع المسئولون الإسرائيليون لأول مرة بأن الحرب سوف تنشب فى مساء ذلك اليوم على الجبهتين المصرية والسورية وكان الخطأ الوحيد فى التحذير الذي وصل الى الاستخبارات الاسرائيلية منحصراً فى التوقيت المحدد للهجوم فقد كان متأخراً أربع ساعات عن

الموعد الحقيقي الذي كان فى الساعة الثانية بعد الظهر .

ولم يكن أحد يدري طوال السنوات التي مضت على حرب أكتوبر حقيقة ذلك المصدر الخفي الذي نقل الى الاستخبارات الاسرائيلية فى أحرج ساعة فى تاريخ إسرائيل ذلك النبأ الثمين الذي لا يقدر بمال والذي أثر بلا شك على مجرى الأحداث فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ . وعلى الرغم من البحث الدقيق الذي أجريته عن طريق الإطلاع على أهم المؤلفات الإسرائيلية التي صدرت عن حرب يوم الغفران لمحاولة كشف الستار عن شخصية ذلك المصدر الخفي فإن محاولاتي لم تسفر عن نتيجة إيجابية محددة .

ولكن الجنرال زعيرا لحسن الحظ سجل فى الفصول (السابع والتاسع والحادي عشر) من كتابه « حرب يوم الغفران » القصة الحقيقية للنبأ الخطير الذي تم إبلاغه للإستخبارات الإسرائيلية فى حوالي الساعة الرابعة صباحاً يوم ٦ أكتوبر عن الهجوم المصري السوري والذي ظل مصدرة خفياً حتى كشف عنه الستار أخيراً مدير الاستخبارات العسكرية السابق وقد أمكن معرفة ذلك السر من خلال ما سجله زعيرا فى صفحات متفرقة من الفصول السابق ذكرها فى كتابه والتي أمكن لى تجميعها(على لسان رئيس المخابرات العسكرية الإسرائيلية) فيما يلي :
« سيظل يوم الجمعة الخامس من أكتوبر محفوراً فى ذاكرتي كأحد الأيام القلائل التي لا تنسى فى حياتي منذ بدأت تتدفق على فى منزلي ابتداء من ليلة ٥/٤ أكتوبر معلومات غريبة وليس لها تفسير عن إخلاء سريع لأسر المستشارين والخبراء السوفيت من سوريا جواً بواسطة طائرات نقل وبحراً على ظهر سفينة سوفيتية كانت ترسو في ميناء اللاذقية . وفي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل اتصلت تليفونياً برئيس الموساد« تسفي زامير » وأخبرته بما يحدث في سوريا وقال زامير أنه تلقى خبراً من مصدر موثوق فيه بأن شيئاً ما سوف يحدث ولذا فإنه سيطير فى الصباح إلى الخارج لمقابلة مصدر الخبر وجهاً لوجه لكي يحصل منه على المعلومات فقلت له : إذا كانت المعلومات إنذارية فعليك الإتصال بنا هاتفياً على الفور وأخبرنا بهذه المعلومات دون أن تنتظر أو تتمهل .

وعلمت بعد ذلك أن تسفي زامير رئيس الموساد قد اتصل به مصدر موثوق به وطلب منه الحضور يوم الجمعة ٥ أكتوبر كي يلتقي معه على الفور وحدد موعد اللقاء ليكون فى العاشرة مساءاً من ذلك اليوم .

وبناء على ذلك سافر زامير بالطائرة فى الصباح للقاء ذلك المصدر المهم وجهاً لوجه ليتلقى منه المعلومات الثمينة التي طلب منه الحضور بنفسه لتلقيها لأنه لا يستطيع إخطاره بها بأي وسيلة أخرى.
وأخيراً وصلت الإشارة التي كنت أنتظرتها بتلهف شديد فقد أتصل تسفي زامير رئيس الاستخبارات المركزية الاسرائيلية (الموساد) من الخارج هاتفياً بإدارته فى الساعة الرابعة صباحاً يوم ٦ أكتوبر وأنبأ أحد معاونيه فى هذه الإدارة بالتحذير الخطير الذي تلقاه من العميل الموثوق به خارج إسرائيل .
وسارع رجل الموساد بإجراء الإتصالات الهاتفية معي (زعيرا) وبكبار المسئولين فى إسرائيل على الفور لإبلاغهم بالتحذير الذي أيقظ قادة إسرائيل من نومهم وجعلهم يلهثون فى سبيل مواجهة الموقف

. لقد وصل أخيراً الإنذار الذي حدد اليوم والساعة لبدء الحرب والذي جعل المسئولين يقتنعون بأن الحرب ستنشب فى ذلك اليوم والذي أدى الى تعبئة وحدات الإحتياط » .
ومن تحليل المعلومات التي وردت فى كتائب رئيس الاستخبارات عن الإنذار الأخير الذي تم إبلاغه للمسئولين فى إسرائيل فى الرابعة صباحاً قبل نشوب الحرب بعشر ساعات اتضح أن مصدر ذلك الإنذار هو السياسي العربي العميل الذي تم للموساد تجنيده بعد حرب يونيو ١٩٦٧ . ولا شك فى أن تلك الشخصية التي إستمرت تزود إسرائيل لسنوات طويلة بأخطر الأسرار العربية هي شخصية مرموقة ولها وزنها الوظيفي والإجتماعي في بلدها بحيث أمكن لصاحبها معرفة يوم الهجوم الحقيقي بماله من إتصالات على مستوى عال دون شك كما أن له مكانة محترمة تسمح له بإستدعاء رئيس الموساد الإسرائيلي كي يتلقى منه الإنذار وجهاً لوجه .

وقد جرى اللقاء خارج إسرائيل وخارج أية دولة عربية بالطبع في مكان قريب إما فى قبرص أو إحدى الدول الأوروبية حيث يوجد هذا الشخص إما بحكم عمله أو أنه سافر من بلاده الى هذه الدولة خصيصاً كي يلتقي برئيس الموساد بعيداً عن الأنظار والشبهات وبرغم أن زعيرا كشف فى كتابه العديد من الأسرار فإنه حرص بشدة على عدم كشف شخصية ذلك السياسي العربي العميل إما لأنه لا يعرفه وهو أمر مستبعد أو لأن العميل لا يزال يعمل في خدمة الموساد وهذا ما نرجحه .

حقيقة اللقاء السري بين حاكم عربي ورئيسة وزراء إسرائيل

فى ثلاثة فصول من كتاب حرب يوم الغفران (السابع والتاسع والخامس عشر) وفي صفحات متفرقة أورد الجنرال زعيرا مدير الاستخبارات العسكرية السابق ومؤلف ذلك الكتاب قصة اللقاء السري الذي تم قبل نشوب حرب أكتوبر بعشرة أيام بين حاكم عربي ورئيسة وزراء إسرائيل جولدا مائير وخلال هذا اللقاء حذر الحاكم العربي رئيسة الوزراء من هجوم مصري سوري وشيك على إسرائيل . وقد حرص الجنرال زعيرا على عدم ذكر اسم ذلك الحاكم العربي ووضع له اسماً كودياً (المشار اليه) كلما تطرق الحديث اليه ولكنه ذكر اسمه صراحة مرتين فقط في الكتاب ولن أبوح باسم ذلك الحاكم حتى لا تزيد العلاقات العربية تدهوراً وفيما يلي ما سجله زعيرا عن تلك القصة الحقيقية التي تعد أغرب من الخيال :
« فى السنوات التي سبقت حرب يوم الغفران كانت تعقد بين الحين والحين لقاءات لمسئولين إسرائيليين مع شخص رفيع المستوى له مكانة محترمة وسوف أسميه هنا (المشار اليه) وبسبب مكانته الرفيعة كانت الثقة في صحة معلوماته عالية . وقد كان مصدراً للنوايا على المستوي السياسي والأمني وكان يمكن عن طريق ملاحظة وتمييز الإتجاهات داخل الدول العربية ونظرتها الى دولة اسرائيل . وكان ذلك مصدراً لفهم العالم العربي ومصدراً حيوياً لزعماء إسرائيل الذين يهتمون بايجاد السبيل للتفاهم وللتعايش مع العالم العربي الذي يحيط بدولة اسرائيل .

وكانت رئيسة الحكومة ووزير الدفاع يكنان تقديراً كبيراً (للمشار اليه) فقد كانا يعرفانه من لقاءات سابقة ويحترمان آراءه وإدراكه السياسي واستمرت الاتصالات معه على مر السنين . وطوال كل السنوات التى جرت فيها الاتصالات معه لم يصدر منه أي إنذارات عن حرب متوقعة ولكنه فى الواقع حذر كثيراً من أنه إذا لم يتم التوصل الى حل سياسي فان النتيجة ستكون حرباً ولا شك أنه كانت

توجد لديه - بحكم مركزه - مصادر معلومات استخبارية جيدة في دول عربية مثل مصر وسوريا . ولكن في ٢٥ سبتمبر ١٩٧٣ أي قبل نشوب الحرب بعشرة أيام هرع (المشار اليه) لينذر بالحرب التي أصبحت على الأبواب وطلب مقابلة أعلى مستوى في إسرائيل . وتمت المقابلة على الفور بصورة سرية بين المشار اليه الرفيع المستوى ورئيسة وزراء اسرائيل جولدا مائير ولم يحضر المقابلة أي شخص آخر .

وكانت قيمة المقابلة عظيمة إذ كانت من ذلك النوع من الأحداث التي تحدث مرة واحدة في الجيل فقد كانت مقابلة سرية بين رئيس دولة عربية ورئيسة وزراء اسرائيل شرح فيها لجولدا مائير النوايا السياسية والعسكرية الفورية لرئيسي دولتين عربيتين هما مصر وسوريا . لقد كانت معلومة عن نوايا معادية جاءت بطريق الحظ وتعد معجزة لا تأتي سوى مرة واحدة . لقد كان حدثاً غير عادي سواء من ناحية صورته العاجلة أو من ناحية مضمونة . فقد طرح (المشار اليه) لرئيسة وزراء اسرائيل الإنذار الذي من الصعب توقع أكثر منه موثوقية وأهدرت رئيسة الوزراء خلال اللقاء فرصة تاريخية لتسأل (المشار اليه) الأسئلة اللازمة وبصفة خاصة بخصوص توقيت شن الحرب على وجه التحديد » .

هذا ولم يكتف الحاكم العربي (المشار اليه) بلقاءاته وعلاقاته السرية مع الزعماء الاسرائيليين فقد مضى في تدعيم صداقته معهم الى أقصى حد حتى أنه بعث برسالة ودية الى موشي ديان وزير الدفاع عندما قدم استقالته وخرج من الحكم مطروداً تحت ضغط الرأي العام الإسرائيلي في حوالي منتصف عام ١٩٧٤ وفيما يلي نص هذه الرسالة :

« أود أن تعلم كم أنا مدين لك بالمتعة التي أحسست بها بفضل معرفتك الشخصية في إطار جهودنا للتوصل الى تسوية سلام بحل المشاكل التي تواجه دولتينا . وسوف أتذكر دائماً في نفسي حكمتك وفهمك ورؤيتك للمستقبل وموقفك المفعم بالخيال الخلاق والبناء إزاء المشاكل التي تواجهنا وحقيقة كانت عندك دائماً الشجاعة في التصرف حسب إعتقادك عندما عالجت هذه المشاكل ».

وإني سوف أكن لك تقديراً عميقاً كوطني حقيقي ومسئول وأرجو أن أشكرك مرة أخرى على أدبك الجم ، وإلى حين أن تتقابل طرقنا مرة أخرى كما آمل وأرجو أن تتقبل تمنياتي الصادقة » .

وقد نشرت صحيفة معاريف الإسرائيلية صورة هذه الرسالة في ٢٥ إبريل (نيسان) ١٩٩٣ عن طريق (نفتالي لافي) مستشار موشي ديان وأحد رجاله المقربين كما نشرها إيلي زعيرا في بداية الفصل السابع عشر من كتابه وذكر في هذه المرة اسم الحاكم العربي بصراحة باعتباره مرسل هذه الرسالة .

■ حلقة النقاش

كيف نمنع نشوب حرب جديدة

- تقديم الحلقة .... د. مصطفى خليل
- وجهة النظر السياسية .... د. أسامة الباز
- وجهة النظر العسكرية .... لواء أ. ح/أحمد فخر
- وجهة النظر الاقتصادية .... السيد/ جمال مبارك
- وجهة النظر الاجتماعية .... السيدة الوزيرة/ ميرفت التلاوى

التعقيب ـ المناقشات .... د. مصطفى خليل (رئيس الندوة)

تقديم حلقة النقاش

د.مصطفى خليل

اسمحوا لى أن أتوجه بالشكر لكل من ساهم وشارك فى الإعداد والتخطيط والقائمين على إدارة هذه الندوة الاستراتيجية ، ويتضح لنا من موضوع هذه الحلقة كيف نمنع نشوب حرب جديدة ؟ أن السلام هدف استراتيجى وإن الفكر السياسى المصرى يؤكد على ذلك : فى كل المحافل.

نسعد اليوم بنخبة ممتازة تضم المجالات الرئيسية وننظر إلى المحاور الأربعة .. فمعنا :

أ.د الوزيرة / مرفت تلاوى

الدكتور / أسامة الباز

اللواء أ.ح / أحمد فخر

السيد / جمال مبارك

ونفتتح أعمال الندوة كما هو مخطط بالمجال السياسى يليه العسكرى فالمجال الاقتصادى فالمجال الاجتماعى.

مع كل احترام وتقدير المنصة ورئاسة الجلسة للأقدمية

نبدأ بالمجال السياسى يتفضل دكتور / **أسامة الباز**.

■ الورقة الأولى

وجهة النظر السياسية

د. أسامة الباز

المستشار السياسي لرئيس الجمهورية

هناك نقطتان أجدهما لازمتين للتمهيد للدخول في صلب الموضوع وهما :

أولا : ضرورة تطبيق قاعدة « التبادلية » أو « المعاملة بالمثل » بمعنى أنه لكي نتجنب نشوب حرب جديدة في المستقبل ، فيجب أن يكون هذا التوجه متبادلا بين الطرفين ، أي يجب أن تكون سياسة إسرائيل هي الأخرى سائرة في هذا الاتجاه ، بحيث يكون العمل على تجنب نشوب حرب أخرى التزاما مشتركا ومتبادلا mutual and reciprocal بين الطرفين ، أما إذا كانت إسرائيل متوجهة إلى طريق آخر أو كان توجهها إلى تجنب حرب جديدة ضعيفا أو تكتيكيا غير ثابت ولا مستقرا ، فإن الالتزام يسقط عن الطرف العربي هو الآخر ، وذلك إعمالا لمبدأ التبادلية ، بحيث يكون هناك « توازن » بين مواقف وسياسات الأطراف ، وهذا مبدأ أساسي في العلاقات الدولية ، فإذا أخل طرف بهذا الالتزام فإنه يكون من حق الطرف الآخر أن يتخذ السياسة التي يراها مناسبة ، وإذا فرضنا أن إسرائيل اتبعت سياسة تكشف عن نيتها للإعداد لحرب جديدة ، فإن من حق العرب عندئذ - بل من واجبهم - أن يعدوا لكل شئ عدته .

ثانيا : أنه إذا كانت تصريحات معينة قد صدرت من مسئولين عرب أو رفعت شعارات معينة في دولهم مؤداها أن حرب أكتوبر هي « آخر الحروب » بين العرب وإسرائيل ، أو إذا أعلن القادة العرب أنهم ينظرون للسلام كهدف استراتيجي وليس تكتيكيا مثلما فعلوا في مؤتمر القمة العربي الذي عقد في القاهرة في يونيو ١٩٩٦ ، فإن هذه التصريحات أو الشعارات لا يجوز أن تؤخذ على أنها تشكل « التزاما » أو « تعهدا » قانونيا بعدم اللجوء للحرب تحت أي ظرف من الظروف ، بل أن

تلك التصريحات والشعارات لا تعدو أن تكون تعبيرا عن أمل أو أمنية ، وعلى أحسن الفروض ، فإنها تعكس توجها سياسيا يقوم في مرحلة معينة إذا توافرت له الشروط والمتطلبات اللازمة .

ومضمون ما ورد في البندين السابقين أنه إذا اعتنقت إسرائيل سياسة بعيدة عن الحرب أو التهديد بها والاعداد لها ، فإن هذا التوجه من الجانب العربي يمكن أن يظل قائما ، أما إذا تبنت سياسة معادية للسلام تقوم على محاولة فرض مطالبها ووجهة نظرها على العرب استنادا إلى شعورها بتفوقها على العرب عسكريا ، أو عملت على تعزيز قدراتها العسكرية بدرجة مبالغ فيها ، فلا يستقيم في هذه الحالة أن يفترض أحد أن العرب يظلون ملتزمين بمبدأ تجنب الحرب ، فإذا كان الموقف أو التعبير عنه قد صدر من جانب واحد ، فإن الموقف الذي اتخذه هذا الطرف يكون قابلا للتغيير من جانب واحد أيضا .

بعد هذا التقديم الهام ، نستطيع أن نقسم الحديث عن العوامل التي تؤدي إلى منع نشوب حرب جديدة إلى عوامل قانونية وأخرى سياسية ، وعوامل نفسية أو سيكولوجية على النحو التالي :

العوامل القانونية :

أولا : التزام الطرفين بمبادئ وقواعد القانون الدولي ، كما تستخلص من ميثاق الأمم المتحدة ومن الاتفاقيات المعقودة بين الطرفين ، ونشير في هذا الصدد إلى نصوص معينة هي :

أ- نص المادة ٣٣ من ميثاق الأمم المتحدة ، التي تقضي بأن « على الأطراف في أي نزاع يحتمل أن يهدد استمراره بالحفاظ على الأمن والسلم الدولي أن يسعوا أولا إلى تسويته عن طريق التفاوض ، والتحقيق ، والوساطة ، والتوفيق ، والتحكيم ، والتسوية القانونية ، واللجوء إلى المنظمات أو الترتيبات الإقليمية ، وأية وسائل سلمية أخرى يختارونها » .

ب- نص المادة الأولى من القسم « ب » المعنون مصر وإسرائيل في إطار كامب ديفيد ، ويقضي بأن تتعهد « كل من مصر وإسرائيل بعدم اللجوء إلى التهديد بالقوة أو استخدامها لتسوية المنازعات ، أو أية نزاعات تتم تسويتها بالوسائل السلمية ، وفقا لأحكام المادة ٣٣ من ميثاق الأمم المتحدة » .

ج- نص المادة ٣ من معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل ، الموقعة في ٢٦ مارس ١٩٧٩ ، التي تقضي في بندها رقم ١-ج بأن « يمتنع الطرفان عن التهديد بالقوة أو استخدامها سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ضد الطرف الآخر ، ويلتزم الطرفان بتسوية كافة النزاعات بينهما بالوسائل السلمية » .

ثانيا : أن على إسرائيل أن تلتزم في سياستها وتصرفاتها بما التزمت به في « إطار السلام في الشرق الأوسط » الموقع في كامب ديفيد في سبتمبر ١٩٧٨ ، من السعي إلى التوصل إلى سلام شامل وعادل ، وبعبارة أخرى فإنه يتعين عليها أن تتجه جديا إلى عقد اتفاقيات سلام على جميع الجبهات دون استثناء ، فإذا امتنعت إسرائيل عن التفاوض مع طرف عربي ، أو إذا أوقفت المفاوضات معه ، كما حدث عندما أوقفت المفاوضات مع سوريا في ربيع ١٩٩٦ لمجرد أنها رفضت أن تعلن عن موقف معين طالبتها إسرائيل بإعلانه من العمليات الانتحارية التي وقعت في تلك الفترة في الأراضي الفلسطينية المحتلة أو في إسرائيل نفسها ، فإن الرفض من جانب سوريا لا يبرر لإسرائيل أن توقف المفاوضات ، ومن جهة أخرى ، فإنه ليس من حق إسرائيل أن

تغيير من جانب واحد المرجعية القانونية التي بدأت المفاوضات بين الطرفين على أساسها ، وبالتحديد المرجعية وقواعد الإسناد terms of reference التي نص عليها مؤتمر مدريد ، وهي قرارا مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ ، ومبدأ « الأرض مقابل السلام » و « احترام الحقوق السياسية للشعب الفلسطيني » ، فليس من حق إسرائيل أن تختار طرفا دون آخر للتفاوض معه ، أو أن تفرض التفاوض مع طرف معين على أساس المرجعية التي نص عليها مؤتمر مدريد الذي بدأت على أساسه المفاوضات الثنائية والمتعددة الأطراف التي أجريت منذ خريف عام ١٩٩١ .

ثالثا : أن على جميع أطراف النزاع العربي الإسرائيلي التي وقعت معاهدات سلام أو اتفاقيات مرحلية أو تمهيدية أن تنفذ التزاماتها وتعهداتها بحسن نية ، وذلك تطبيقا لمبدأ « العقد شريعة المتعاقدين » pacta seunta servenda ، ويجب أن يكون تطبيق نصوص تلك الاتفاقيات الدولية تنفيذا كاملا وأمينا ، بحيث لا يتخير طرف التزامات معينة يفي بها وأخرى يخل بها ، أو يضع للوفاء بها شروطا لم ترد في الاتفاقية ، لأن هذا يعتبر إخلالا بالاتفاق كله ، فأي اتفاق يمثل « صفقة متكاملة » package deal تحدد حقوق والتزامات الطرفين بصورة متوازنة .

ويجب أن يتوفر في تنفيذ الأطراف لتعهداتهما حسن النية ، وهو ما يتنافى مع التعسف abuse في وضع شروط جديدة خارجة عن الاتفاق للوفاء بالتزامه ، كما أنه في حالة الاختلاف حول « تفسير « نص من النصوص الواردة في الاتفاقية ، يجب الالتزام بالأسلوب الذي نصت عليه الاتفاقية لحسم هذا الخلاف حول التفسير ، كما هو الحال في معاهدة السلام التي عقدت بين مصر وإسرائيل في مارس ١٩٧٩ ، التي نصت مادتها السابعة على أن « تحل الخلافات بشأن تطبيق أو تفسير هذه المعاهدة عن طريق المفاوضة ، فإذا لم يتيسر حل هذه الخلافات عن طريق المفاوضة فتحل بالتوفيق أو تحال إلى التحكيم » وهو ما حدث في حالة الخلاف الذي نشب بين مصر وإسرائيل حول موقع بعض علامات الحدود ، وهو الخلاف الذي اشتهر بالنزاع حول طابا » والذي تعللت به إسرائيل عام ١٩٨٢ لعدم انسحابها من طابا ، وكان من الممكن أن يؤدي هذا الخلاف إلى عواقب وخيمة ، لأن إسرائيل حاولت أن تستغل احتلالها لجزء من شبه جزيرة سيناء لكي تفرض على مصر قبول مواقع لعدد من علامات الحدود - أهمها العلامة رقم ٩١ الواقعة قرب « طابا » - تختلف عن المواقع التي كانت قائمة عندما احتلت إسرائيل سيناء في يونيو ١٩٦٧ ، وكانت مصر محقة عندما رفضت هذه المحاولة الابتزازية من جانب إسرائيل ، وأصرت على حسم النزاع بطريق التحكيم ، بعد أن فشلت المفاوضات في التوصل إلى حل للنزاع الذي اختلقته إسرائيل ، وجاء حكم محكمة التحكيم الصادر في ٢٩ سبتمبر ١٩٨٨ مؤيدا تماما لوجهة النظر المصرية ، وكانت إدارة القيادة المصرية لهذه المعركة - بجوانبها القانونية والسياسية - إدارة اتسمت بالحكمة والمهارة والصلابة في نفس الوقت ، فلم يقبل الرئيس محمد حسني مبارك أن تساوم إسرائيل بلاده على الانسحاب إلى خط الحدود كما تبينه علامات الحدود التي كانت قائمة عندما احتلت إسرائيل هذا الجزء من إقليم مصر عام ١٩٦٧ ، ولم يكترث بتهديدات إسرائيل عندئذ بعدم اتمام انسحابها إلى ما وراء خط الحدود بين مصر وفلسطين تحت الانتداب بدعوى أنه طالما كانت مصر ترفض التسليم بموقع الخط كما تحدده إسرائيل فإن الأخيرة لا تستطيع أن تفي بالتزامها بالانسحاب ، فلا تعرف إلى أين تنسحب

بالضبط ، ورغم أن الإدارة الأمريكية التي كانت قائمة عندئذ - وهي إدارة الرئيس ريجان - قد اتخذت موقفا يتسم بالسلبية بل والانحياز إلى إسرائيل ، وهو ما ثبت من الموقف الذي عبر عنه وزير الخارجية الأمريكي عندئذ « الكسائدر هيج » في مقابلة مع الرئيس مبارك في فبراير ١٩٨٢، فإن الرئيس مبارك رفض هذا الموقف الأمريكي ، وأخبر وزير الخارجية الأمريكي الذي نقل إليه التهديد الإسرائيلي أمرين :

الأول : أن تحدد واشنطون موقفها من هذا التهديد الإسرائيلي بعدم الانسحاب إلا اذا سلمت مصر بالمواقع التي تحددها إسرائيل لعلامات خط الحدود .

والثاني : أن يبلغ الحكومة الإسرائيلية التي كلفته بنقل تهديدها سالف الذكر إلى مصر أن الحكومة المصرية ترفض هذا التهديد وتحمل إسرائيل مسئولية الإخلال بتعهدها بالانسحاب « إلى ما وراء الحدود الدولية بين مصر وفلسطين تحت الانتداب » ، طبقا لنص المادة الأولى من معاهدة السلام الموقعة في مارس ١٩٧٩.

واضافة إلى هذا ، فقد أصرت الحكومة المصرية على تسوية هذا النزاع الذي افتعلته إسرائيل بطريق « التحكيم » ، رغم المحاولات المستميتة من جانب إسرائيل للجوء إلى » التوفيق « ، وذلك لسببين أساسيين :

الأول : أن عملية « التوفيق » لاتلتزم عادة بالأصول والمبادئ القانونية ، وإنما تتم عادة على أساس إرضاء الطرفين و « التوفيق » بين موقفيهما ومطالبهما ، وكثيرا ما يؤدي هذا إلى حل وسط لا يلتزم بمقتضيات القانون ، وإنما يقوم على تقسيم « المنفعة » أو « المزايا » المتنازع عليها بين الطرفين .

والثاني : أن نتيجة « التوفيق » لا تعتبر حكما ملزما للأطراف ، وإنما هي حل ودي عرفي ليست له سوى قيمة أدبية أو معنوية ، مثلما يحدث عندما يختار الأفراد الذين يثور بينهم خلاف ، فيتدخل بينهم صديق مشترك ، أو « واسطة خير» للتقريب بين المواقف ، وقسمة الفائدة « إلى نصفين » كما يقول الاصطلاح الدارج. أما التحكيم ، فإن نتيجته تكون ملزمة لا مساومة فيها ولا جدال حولها ، لأنها صادرة عن هيئة تعتبر « محكمة » يجب الرضوخ لحكمها ، ثم إن حكم محكمة التحكيم يتسم عادة بالوضوح حتى لا يكون هناك مجال لاستمرار الخلاف والمنازعة بين الأطراف .

العوامل السياسية :

أولا: أن يحرص الأطراف بكل جدية وحسن نية إلى تسوية الخلافات القائمة بينهم بالطرق السلمية وعدم تركها تتفاقم وتتصاعد ، وخاصة عندما يتعلق الأمر بخلافات أساسية ، تمس أمن الدولة وسلامة سكانها وأراضيها ، وفي مقدمة هذه الخلافات المنازعات حول الحدود ، لأنه طالما بقيت هناك منازعات حول حدود إقليم هذا الطرف أو ذاك ، فإن هذا كفيل بإشعال الموقف ، وليس من المستبعد أن يؤدى إلى نشوب عمليات عسكرية محدودة أو شاملة ، لأن الشعوب تعتبر الحفاظ على سلامة إقليمها وصون ترابها الوطني مسألة حياة أو موت ، وإذا شعر مواطنو أى دولة بأن سلامة أرضهم معرضة للخطر وأن هناك انتهاكا لحرمة إقليم دولتهم ، فإنهم لن يترددوا في خوض الحرب للذود عن « ترابهم المقدس » ، واسترداد الجزء المقتطع من هذا الإقليم مهما كلفهم هذا من تضحيات ، لأن الأرض تعتبر أساس الوجود .

وهنا ، تبرز مرة أخرى أهمية إصرار مصر على حسم الخلاف حول موقع علامات الحدود ، الذي عرف باسم الخلاف حول « طابا » بأسلوب قاطع ، وهو التحكيم ، لأنه إذا كان هذا الخلاف قد ترك للزمن فإنه كان كفيلاً بتوليد توترات مستمرة بين البلدين ، لا يستبعد أن تقود إلى عمليات عسكرية أو « جهادية » لاسترداد الجزء المسلوب من أرض الوطن .

ثانيا : أن يسعى الأطراف إلى الحفاظ على أعلى درجة من « التوازن » العسكري بينهم ، لأن عدم التوازن كفيل بأن يدفع أحد الطرفين أو يغريه بشن الحرب تحقيقا لمصلحة أو فرضا لموقف يمليه على الطرف الآخر ولا شك أن أوضح مثال لعدم التوازن العسكري في العصر الحديث ، هو انفراد أحد الأطراف بحيازة سلاح من أسلحة الدمار الشامل ، وأخطرها السلاح النووي ذو القوة التدميرية الهائلة ، ولذلك فإن إصرار إسرائيل على استمرار برنامجها النووي العسكري وعدم قبولها للمطلب العربي الخاص بتصفية هذا البرنامج في فترة زمنية معقولة يعتبر عاملاً يهدد استقرار عملية السلام ، طالما أن إسرائيل تصر على احتكار حيازة السلاح الفتاك ، ولا يمكن أن نستبعد – على الأقل في المدى الطويل – احتمال لجوء دولة من دول المنطقة إلى توجيه ضربة إجهاضية لمنشآت إسرائيل النووية ، مثلما حدث عندما قصفت إسرائيل المفاعل النووي العراقي رغم أنه لم يثبت أن هذا المفاعل كان مستخدما أو قادرا على انتاج أسلحة نووية ، وإنما كان توجيه تلك الضربة الجوية يهدف إلى إجهاض احتمال انتاج العراق لأي سلاح نووي في المستقبل وقد عاودت إسرائيل ترديد هذه النغمة في السنوات الأخيرة بشأن إيران ، ولذلك فليس لها أن تستبعد من تفكيرها احتمال لجوء دولة معينة إلى نفس الأسلوب ، ولذلك تبرز أهمية سعى مصر إلى إخلاء المنطقة كلها من أسلحة الدمار الشامل بأنواعها الثلاثة ، النووية والكيماوية والبيولوجية .

ويجب أن نأخذ بعين الاعتبار في هذا الصدد أيضا سعى إسرائيل المستمر لتطوير نظم صواريخها وغيرها من وسائل حمل الأسلحة النووية ، وهو أمر تحققه بالاستعانة بمعونات فنية ومالية من الخارج وخاصة من الولايات المتحدة الأمريكية .

ويساعد على التقليل من احتمالات نشوب الحرب أيضا ، أن يكون هناك توازن معقول في القوة العسكرية التقليدية conventional، فمع التسليم بحق كل دولة في الحفاظ على القوة اللازمة للدفاع عنها وردع أي عدوان ، فإن هذا لا يتنافى مع وجوب الحفاظ على القدر اللازم من التوازن بين دول المنطقة ، لأن الإخلال بالتوازن قد يغرى طرفا على الدخول في مغامرات عسكرية، وفي هذا الإطار نجد أنه في الوقت الذي تثير فيه إسرائيل ضجة كبيرة حول ما تسميه تنامي القدرات العسكرية المصرية ، وهى ضجة تزايدت بعد مناورة بدر ٩٦ ، فإننا نجدها – أى إسرائيل – تزيد إنفاقها العسكري ، فتضيف إلى الميزانية المخصصة للدفاع في العام القادم مبلغ ٤٠٠ مليون شيكل ، كي تصل تلك الميزانية السنوية إلى ٣٠.٣٣ مليار شيكل ، وهى المرة الأولى التي تزيد فيها إسرائيل إنفاقها العسكري منذ عام ١٩٨٥ ، وبذلك تصل ميزانية الدفاع إلى ١٦,٤٪ من إجمالي الإنفاق في الميزانية الجديدة .

ويضاف إلى هذا أن إسرائيل التي اقترحت تصفية المعونة الاقتصادية السنوية التي تتلقاها من الولايات المتحدة الأمريكية خلال عشرة أعوام بواقع ١٠ %سنويا ، أصرت على رفع المعونة العسكرية التي تحصل عليها من أمريكا بنصف هذا المعدل ، ومن المتوقع أن يعتمد الكونجرس

زيادة المعونة العسكرية لإسرائيل في السنة المالية القادمة قدرها ٦٠ مليون دولار ويتصل بهذه النقطة أن الحفاظ على السلام واستقرار الأوضاع في المنطقة يتطلبان عدم إقامة أحلاف عسكرية في المنطقة ، لأن إقامة تلك الأحلاف والمحاور يترتب عليها بالضرورة استقطاب القوى وتصنيف الدول إلى حليفة ومعادية ، وهو ما يؤدى إلى رؤية بعضها للبعض الآخر باعتباره خطراً على أمنها القومي ، وهذا في حد ذاته تطور قد يؤدى إلى سيادة مناخ الحرب ، إن لم تتسبب في نشوب الحرب فعلاً ، وتزداد خطورة هذه الأحلاف إذا عقدت بين أطراف غير عربية ، لأن هذا العنصر كفيل بزيادة احتمالات التوتر العسكري .

وبدلاً من هذا ، فإن جميع دول المنطقة يمكن أن تتفق بعد استقرار السلام في المنطقة على نظام معين للأمن الإقليمي ، لا يقوم على إقامة المحاور والأحلاف، وإنما ينطلق من اعتبارات التوازن التي يمكن بحثها في إطار المحادثات المتعددة الأطراف ، بحيث تكون كافة دول المنطقة - أو على الأقل معظمها - مشاركة في الالتزام بتعهدات معينة من أجل تقليل مخاطر اندلاع حرب جديدة .

ثالثاً: مدى انتشار التطرف السياسي والتعصب الديني في مجتمع معين : فإذا تصاعد المد المتعصب والمتطرف اليميني في إحدى دول المنطقة - كما هو حاصل في إسرائيل حالياً فإنه يؤدي حتماً إلى زيادة فرص زعزعة بنيان السلام وتقليل احتمالات تجنب حرب جديدة ، لأن الأحزاب اليمينية المتطرفة تميل بطبيعتها إلى تأزيم المواقف ، والسعي إلى تحقيق فوائد أكثر من تلك التي تحققت من قبل في عهد «نظم متساهلة » ، وعلى سبيل المثال ، سعى حزب المفدال الديني في إسرائيل ومعه تجمع من تسوميت وموليديت ويهودية التوراة - وكلها أحزاب يمينية رجعية ومتطرفة - إلى تخلي إسرائيل عن إعلان مبادئ أوسلو ، كما أن المنظمات التي تمثل المستوطنين تدفع الحكومة الإسرائيلية - أحياناً بالتنسيق والاتفاق معها - لاتخاذ مواقف حادة وعنيفة مع العرب ، وليس من المستبعد أن يؤدي هذا آجلاً أو عاجلاً إلى التصعيد الذي يصل إلى حد العمليات العسكرية ، ومن الشواهد على هذا أن عضواً معروفاً في حركة ميرتس الإسرائيلية اليسارية المعتدلة - لطيف دوري - صرح مؤخراً بأن التطرف الديني آخذ في التوسع والسيطرة على المجتمع الإسرائيلي إضافة إلى أن ثقافة العنف تنتشر وتتعمق داخله ، مما يشكل خطراً ملموساً على مستقبل الدولة العبرية ذاتها ، وبنفس المعيار ، فإذا انتشرت في الوسط الفلسطيني أو أى وسط أخر الاتجاهات المتطرفة الداعية للجوء للعنف ، الرافعة لشعار فلسطين من النهر إلى البحر ، فإن هذا كفيل بزيادة احتمالات اللجوء للقوة في المستقبل ، خاصة إذا تزامن هذا التوجه مع زيادة التوجه نحو التطرف في إسرائيل ، وباختصار ، فإن زيادة المد المتطرف في جانب يؤدي إلى رد فعل لدى الجانب الأخر ، وهو مما يدفع الوضع إلى حافة الهاوية ، ويزيد من احتمالات تهديد السلام واللجوء إلى القوة .

العوامل النفسية :

أولاً : ألا يشعر أي طرف في الصراع بأنه متفوق على الآخر ، خاصة في النواحي العسكرية والتكنولوجية والروحية ، لأن هذا الشعور بالتفوق يعتبر في حد ذاته أمراً مؤدياً إلى التأثير على رؤية الطرف الذي يوجد هذا الشعور لقدرته على حسم المواقف لصالحه وتحقيق أقصى قدر من مصالحه ، وإملاء طلباته ومواقفه على الطرف الآخر . ولا يهم أن يكون هذا الشعور بالتفوق

مستنداً إلى أساس حقيقي وصحيح أم لا ، فتلك مسألة نفسية ، لا تكون قائمة بالضرورة على اعتبارات عقلية وحسابات منطقية ، وإنما هي مشاعر تسيطر على جماعة معينة ، نتيجة التعبئة الإعلامية والتصريحات التي تصدر عن المسئولين في بلد معين ، والشحن العقائدي الذي تقوم به الأحزاب السياسية والتجمعات شبه السياسية خاصة تلك التجمعات التي تستند إلى مفاهيم وتعاليم دينية ، لأن مثل تلك الجماعات تستخدم في تعبئة جماهيرها منطق المطلق ، وهو منطق يقود بسهولة إلى الشعور بالتفوق ، وقد يتركز هذا الشعور حول « الإحساس بالقوة العسكرية الساحقة » ، أو الإحساس «بتفوق الحق» على حقوق الطرف الآخر ، لأنه حق تسانده أدلة مستقاة من الدين أو التاريخ ، مثلما هو الحال في الأحزاب الدينية الإسرائيلية وتنظيمات المستوطنين ، فكلا هذين التجمعين ينكران على الفلسطينيين أي حق في التواجد على أرض فلسطين ، التي تعتبرها هذه الفئات أرضاً منحها الله تعالى لليهود وحدهم ، أي دون غيرهم من الشعوب .

ثانياً : أن يشعر مختلف الأطراف أن اتفاقيات السلام التي توصلوا إليها عادلة وغير مجحفة ، فعندئذ فقط يكون السلام مستقراً وثابتاً ، وبعيداً عن القلاقل والهزات ، لأن غيبة الشعور بالعدالة تطلق العنان لنوازع الثأر والانتقام، سبيلاً إلى تصحيح الأوضاع القائمة على الظلم والجور ، وهو ما يؤدي إلى اشتعال الحرب مرة أخرى ، مثلما حدث عندما شعر الشعب الألماني بعد الحرب العالمية الأولى بأن اتفاقيات السلام كانت جائرة غير منصفة ، وأنه لا سبيل إلى تصحيح هذا الوضع إلا بالإعداد لحرب جديدة ، تتوفر فيها لألمانيا عناصر تفوق طاغية على غيرهم ، فانغمست الشركات الصناعية الكبرى في إنتاج الأسلحة المتقدمة بكميات هائلة ، كما بدأت جموع الشباب تنهال على مكاتب التطوع لاستعادة شرف ألمانيا التي عصفت به اتفاقيات السلام المجحفة .

ثالثاً : ألا يشعر طرف بأن الطرف الأخر يخشى الحرب ويخاف من نتائجها ، لأنه إذا أحس أحد الأطراف بأن الخوف يسيطر على الطرف الأخر ويشل تفكيره ، فإن الإغراء يكون شديداً أمامه لتحقيق أقصى قدر من الفائدة على حسابه ، وقد يؤدي هذا إلى شن عمليات عسكرية .

رابعاً : أن يتحسن مناخ العلاقات بين الشعوب المتصالحة ، ويقتضي هذا عملاً متبادلاً من الطرفين بنفس القدر فإذا لجأ طرف إلى اتخاذ مواقف عدائية وغير ودية مع الطرف الأخر ، أو إذا صدرت عنه تصريحات تسيئ إلى مشاعره القومية أو الدينية ، أو خاطبه إعلاميا كما لو كان هو اليد العليا التي تنظر إلى الآخرين من عل وتسفه أوضاع الآخرين أو تحقر شأنهم ، فإن هذا العنصر قد يدفع الأمور في اتجاه التصعيد ، إلى أن تصل الأمور إلى حد الحرب .

■ الورقة الثانية :

وجهة النظر العسكرية

لواء أ.ح/ أحمد فخر

مقدمة :

١- لكل دولة أهدافها القومية ومصالحها الحيوية وأسبقيات هذه الأهداف والمصالح تنعكس على استراتيجيتها العسكرية وسياستها القومية .

٢- السلام لا يعني تطابق الأهداف أو تطابق المصالح أو تماثل السياسات والاستراتيجيات ، ومن ثم ستتعرض علاقات الدول في ظل السلام إلى :

أ- اختلاف في المصالح .

ب- تناقض في الأهداف .

جـ- أزمات في العلاقات وغير ذلك .

٣- كل الاختلاف الرئيسي بين ظروف السلام وغيرها ، أن وسائل حل الاختلاف في المصالح أو التناقض في الأهداف أو إدارة الأزمات بين الدول وبعضها سيتم بطرق سلمية عن طريق العمل السياسي ، الدبلوماسي ، الحوار ، التفاوض ، الوساطة ، التحكيم ..الخ وليس بالأداة العسكرية ومن هنا تتغير المهمة العامة للقوات المسلحة من إعدادها لشن حرب إلى إعدادها لمنع نشوب الحرب بجانب المهمة الرئيسية للدفاع عن ارض مصر ، مجالها الجوي ومياهها الإقليمية .

٤- أول الشروط امتلاك قوة أسلحة حديثة ومتطورة قادرة على حسم أى صراع، إن مدرسة الفكر العسكري المصري تركز في تحليلاتها الإستراتيجية وتقييمها العسكري على مجموعة من العناصر الرئيسية التي قد تدفع بالأزمة باعتبارها نقطة ما بين الحرب والسلام وطريقة إدارة الأزمة إما أن تدفعها في اتجاه الحرب أو في اتجاه السلام .

٥- **أهم هذه العناصر الرئيسية هي :**

أ- نوايا الأطراف المحيطة أو الدول من خارج المنطقة والتي لها مصالح حيوية في المنطقة وأي

غموض لهذه النوايا قد يؤدي إلى الحرب .
ب- تنامي الإمكانيات العسكرية للدول المحيطة أو الدول التي تتمركز قواتها في المنطقة .
جـ- الغموض في الإمكانيات العسكرية للدول المحيطة يؤدي إلى تفسيرات خاطئة قد تدفع بالخلاف أو الأزمة في اتجاه الحرب .
د- حجم وشكل القوة المسلحة المحيطة ونوعية نظم التسليح بها وهل هي تقليدية فقط أم تقليدية ونووية ، مهامها الأساسية الدفاعية وقدراتها الهجومية ، فهذا فيصل بين تبني مفهوم الدفاع عن الدولة أو العدوان .
هـ- طبيعة التحالفات والمحاور العسكرية ، وما هو التهديد الذي تضعه هذه التحالفات والمحاور في اعتبارها لنتوقع مساحة وجغرافية أي حرب قادمة .
و- سرعة ونوعية اتخاذ القرار السياسي باستخدام القوة المسلحة ، وكلما كان أسلوب اتخاذ القرار مؤسس على استخدام القوة سريعاً ، كلما زادت احتمالات نشوب الحرب .
٦- إذن ما هي أهم الخطوات والإجراءات التي يمكن اتخاذها لمنع نشوب حرب ؟
أ - الوضوح والشفافية العسكرية في النوايا ، وهي تظهر في الوثائق الرسمية وغير السرية والتي تحدد فيها الدولة - أهدافها القومية ومصالحها الحيوية وأسبقيتها . الولايات المتحدة تفعل ذلك في إستراتيجية الأمن القومي الأمريكية التي يوقعها الرئيس الأمريكي ويصدرها مجلس الأمن القومي ، بريطانيا تفعل ذلك وتنشره في وثيقة الدفاع عن إنجلترا التي يصدرها رئيس الوزراء ، اليابان أيضاً تصدر سنوياً وثيقة معلنة باسم الدفاع عن اليابان . وألمانيا تفعل ذلك سنويا . مصر أيضا تفعل ذلك وتصدر ما تسميه الورقة البيضاء والتي حددت فيها منذ عام ١٩٨١ أن أهدافها القومية هي التنمية والاستقرار والسلام. أما إسرائيل فوثيقتها سرية .
ب - أيضا الوضوح والشفافية في الإمكانيات العسكرية وهي تجربة تطرحها الولايات المتحدة في وثيقة الإستراتيجية العسكرية التي يصدرها وزير الدفاع ، كذلك تفعل إنجلترا ، اليابان وروسيا منذ عام ١٩٨٧ عندما أصدر جورباتشوف وثيقة استراتيجية الكفاية الدفاعية ، مصر تفعل ذلك في الورقة البيضاء وإن كان توزيعها محدوداً .
٧- بالنسبة لحجم ومشكلة القوات المسلحة ونوعية نظم التسليح بها :
تملك القوة النووية أو أسلحة الدمار الشامل الكيماوية والبيولوجية يعطي القرار السياسي العسكري نوعا من الغرور نتيجة أن هذه أسلحة إبادة وليست أسلحة قتال تميز بين الأهداف العسكرية وغير العسكرية .
٨- ومن ثم فإن الغموض النووي الذي تتبناه إسرائيل لا يحقق الأمن أو السلام بل سيدفع أطرافا أخرى إلي الوصول إلي التوازن النووي .
٩- لذلك فإن البدء فورا في خطوات الاتفاق على تنفيذ مبادرة الرئيس حسني مبارك عام ١٩٩٤ يجعل منطقة الشرق الأوسط خالية من أسلحة الدمار الشامل ووسائل نقلها يقلل من فرص نشوب الحرب وهذا سيقتضي أيضاً شفافية في القدرات النووية الإسرائيلية كما حدث بين أمريكا وروسيا .
١٠- إن ضبط التسلح بالاتفاق علي أنواع وأعداد أنظمة التسليح المختلفة التقليدية وفوق التقليدية والاتفاق علي حد أعلي كاف للدفاع عن الدولة - كل طبقاً لمساحتها وأمنها وأهدافها

الحيوية – كما حدث في اتفاقية الأسلحة التقليدية في أوربا – سيزيد من الثقة بين الأطراف مما يقلل من فرص نشوب الحرب .

١١- تبني دول المنطقة استراتيجيات عسكرية تهدف إلي الدفاع عن أراضي الدولة وفضائها الجوي ومياهها الإقليمية وليس استراتيجيات عسكرية هجومية يقلل من فرص نشوب حرب وتعلن هذه الاستراتيجيات رسمياً .

١٢- الاتفاق علي الإخطار المسبق لعمليات التعبئة العسكرية ، طبيعة التدريبات والمناورات العسكرية ، تجارب إطلاق الصواريخ ، تجارب إطلاق الأقمار الصناعية ، الطلعات الجوية وغيرها ، يزيد من إجراءات بناء الثقة العسكرية بما يقلل من فرص نشوب الحرب .

١٣- إن تبادل المعلومات عن الصناعات الحربية والمخزون العسكري والمراقبة والتحقق من أي أنشطة عسكرية .

١٤- إن رفض قيام محاور عسكرية موجهة ضد دولة أو أكثر في المنطقة ورفض التحالفات العسكرية التي تشكل تهديداً لأمن الآخرين (فقد تكون هناك تحالفات عسكرية تخدم السلام مثل توسيع حلف الأطلنطي في إطار المشاركة العسكرية من أجل السلام (Partnerhsip For Peace) تقلل من فرص زيادة الشك وانعدام الثقة وخلق عداوات وبالتالي تقلل من فرص نشوب حرب .

١٥- أما بالنسبة للعنصر الأخير وهو سرعة اتخاذ القرار السياسي باستخدام القوة المسلحة لحل مشاكل وأزمات سياسية فيلزم أن تقوم القيادات السياسية بالمنطقة بإصدار بيانات علنية وملزمة لهم ولدولهم بألا تستخدم القوة المسلحة أو يهدد باستخدامها إلا للدفاع عن الدولة ومصالحها الحيوية وكآخر خطوة وآخر إجراء بعد استنفاذ كافة الوسائل السلمية الأخرى وأن تتفق دول المنطقة علي فرض عقوبات على من يخالف ذلك . بالإضافة إلي أنه في حالة حق الدولة في استخدام الأداة العسكرية فيلزم التناسب بين الفعل ورد الفعل فليس من المعقول أو المقبول أن إلقاء الحجارة يكون رد فعله طلعة سرب هليكويتر وإطلاق صواريخ أرض- جو ..

١٦- اتفاق دول المنطقة علي منع استخدام الفضاء للأغراض العسكرية وتوثيق العلاقات بين المفاهيم العسكرية لدول المنطقة والاتفاق علي إجراءات وآليات التحقق والتفتيش والمراقبة لأية تجاوزات لما اتفق عليه وأسلوب معالجتها وهذا يستلزم مركزاً إقليمياً للاتصالات العسكرية منعاً لسوء تفسير إجراء عسكري أو تبني أفكار غير دقيقة عن النوايا العسكرية للآخرين .

■ الورقة الثالثة :

وجهة النظر الاقتصادية

السيد/ جمال مبارك

عضو المركز المصرى للدراسات الاقتصادية

السيد الأستاذ الدكتور/مصطفى خليل

السيدات والسادة...

أود أن أبدأ حديثي اليوم ، متوجها بالشكر العميق ، والعرفان الدائم، للقوات المسلحة المصرية ، لهذه الفرصة التي أتيحت لي ، لأتحدث إلى هذا الجمع الكبير، في هذه المناسبة التاريخية، وهي ذكرى مرور خمسة وعشرين عاما على حرب أكتوبر المجيدة، وذلك من منظور اقتصادي ، له أهميته في هذه المناسبة الجليلة.. ولقد استمعنا جميعا أمس واليوم ، لكافة المداولات العميقة ، وحلقات النقاش الواعية، التي تدور حول حرب أكتوبر ، من منظورها السياسي والعسكري والاقتصادي والاجتماعي ، وقد يتساءل البعض في الداخل أو الخارج عن مغزى اهتمامنا المستمر والمتزايد بالاحتفال بهذه الذكرى ، والذي أخذ هذا العام شكلا جديدا ومختلفا، يتمثل في عقد هذه الندوة الاستراتيجية الهامة. وإني أعتقد كواحد من شباب مصر اليوم، أن أهمية مثل هذه الاحتفالات، تتركز في محورين أساسيين هما :

أولا: أنها فرصة للمصريين عامة وللشباب خاصة ، يؤكدون فيها تقديرهم واعتزازهم بجيل أكتوبر العظيم، الذي لولاه ما كان لنا أن نتحدث اليوم بكل الكبرياء الوطني ، والاعتزاز والفخر ، عن إنجازات الوطن منذ نهاية تلك الحرب الظافرة.

ثانيا: إنها أيضا مناسبة لشباب مصر الناهض ، الذي لم يعش فترة حرب أكتوبر بكل جلالها القومي وآثارها العظيمة ، ليتعرف عن قرب ومن جيل أكتوبر مباشرة ، على حجم هذا العمل العسكري

الأسطوري ، الذي تحقق في ظل ظروف بالغة الصعوبة على جميع المحاور ، أملا ورجاء أن يتسلح هذا الشباب الصاعد بالثقة في النفس ، والأمل في المستقبل ، وحتى يكون قادرا على مواجهة التحديات والمصاعب .

ولقد شاءت ظروفي الشخصية - وبرغم صغر عمري - في أثناء حرب ١٩٧٣ - أن أعيش عن قرب هذه المرحلة من منظور وطني وعائلي ، بسبب ظروف خدمة والدي العسكرية - كما هو الحال في ذلك الوقت لحشد كبير من شباب مصر اليوم - وإنني وإن كنت لا أدعي الحديث باسم شباب مصر ، إلا إنني على ثقة ويقين ، من أنهم يشاركونني اليوم، في توجيه تحية الإعزاز ، ونظرة الفخار ، ومشاعر التقدير والعرفان ، لجيل أكتوبر العظيم .. تحية سوف تظل أجيالنا القادمة ترددها كلما جاءت مناسبة تتصل بحرب أكتوبر المجيدة .

وإذا أردنا أن نتحدث عن حرب أكتوبر في عيدها الخامس والعشرين ، مع متابعة زمنية للاقتصاد المصري وتطوره ، فإنه يتعين علينا أن نتأمل قليلا ما حدث في سنوات الماضي القريب ، وأثر ذلك على المستقبل القادم .. وأبدأ هنا بأن أسجل أمامكم، ظاهرة تاريخية متكررة ، نرى فيها أن الحروب الكبرى التي تستند على أسس موضوعية من الحق والشرعية ، وإن كانت لا تحسم أحيانا القضايا السياسية والمشكلات الدولية ، إلا أنها تؤدي غالبا إلى تحولات عظمى بعدها ، وتصنع إنسانا مختلفا عند نهايتها ، أكثر صلابة ونضوجا ، أكثر قوة واحتمالا ، وأكثر وعيا وإدراكا. ولازلنا نذكر لأوروبا المعاصرة، أنها وعت درس الحرب العالمية الثانية ، واستوعبت نتائجها الضخمة، لا على الخريطة السياسية وطبيعة النظم القائمة فحسب ، ولكنها امتدت إلى أبعد من ذلك، بصورة أسفرت عن صياغة وجدان الأجيال الجديدة، وتكوين شخصيتها ، وتأكيد ملامحها الفكرية والثقافية والاقتصادية.. ونحن نعلم جميعا أن الحرب العالمية الثانية ، قدمت نتائج واضحة أثبتت الأيام سلامتها ، وهي أن الحرب ليست فقط صراعا سياسيا عسكريا لتحقيق أهداف استراتيجية معينة ، ولكنها في الحقيقة أيضا تعبير عن صراع اقتصادي مكتوم . لذلك فطن الأوروبيون ومعهم العالم كله إلى أن درء الحرب وإبعاد شبحها ، والتخفيف من احتمالاتها ، إنما يتحقق بالتركيز على العامل الاقتصادي قبل غيره .. ولم يكن « مشروع مارشال » - على سبيل المثال - إلا بداية لتفكير جديد كان من نتائجه أيضا ظهور المؤسسات الاقتصادية العالمية الجديدة في ذلك الوقت ، كالبنك الدولي وصندوق النقد ، واتفاقية التجارة العالمية . كما أدت تلك الحرب العالمية أيضا إلى ظهور « المجلس الاقتصادي والاجتماعي » بالأمم المتحدة ، باعتبارها المنظمة العالمية منذ انتهاء الحرب الكبرى . وقد تأكد لنا منذ ذلك الحين ، أن الحرب صراع اقتصادي أيضا وليست ظاهرة سياسية عسكرية فحسب .

ومن هذا المنظور أتصور أن حرب أكتوبر المجيدة ، كانت بداية لصحوة وطنية جديدة ، تكررت بعد ذلك في مناسبات مختلفة ، حتى أصبح من المكن أن تتكرر أيضا في المستقبل ، باعثة الأمل والثقة في الأجيال المتلاحقة ، للمضي قدما في تحقيق التقدم والازدهار للوطن .

وعلينا أن نتصور المصير المجهول الذي كان ينتظر هذه الأجيال ، إذا لم تحقق حرب أكتوبر ما حققته من إنجازات ، وعلينا أيضا ، أن نتصور كيف فتحت لنا تلك الحرب الظافرة ، آفاقا لتطور اقتصادي هائل ، كان يستحيل حدوثه لو لم تكن هناك حرب أكتوبر المجيدة . كما كان يستحيل التنبؤ بتحقيق كل الإيجابيات التي نعيشها اليوم ، إلا بمرور فترة طويلة على تلك الحرب ، ولازالت صورة ما كان يجري على أرض مصر يوم أن بدأت حياتي العملية ، فور تخرجي من الجامعة ، منذ خمسة عشر

عاما ، عالقة في ذهني دائما ..

وليعد كل منا الآن بذاكرته إلى الوراء ، وإلى عام ١٩٨٣ بالتحديد، حيث كنا نشعر جميعا بالركود الاقتصادي الشامل ، في ظل قطاع عام مترهل ، إلى جانب انهيار عالمي في أسعار البترول ، مضافا إلى ذلك أعباء الديون المصرية المتزايدة في ذلك الوقت ، بل وأعباء خدمتها أيضا مع عزوف شبه كامل من المستثمر المصري والأجنبي ، عن الاستثمار إلا في حدود ضيقة ، في وقت كان فيه الاقتصاد المصري اقتصادا مغلقا معزولا إلى حد كبير ، عن الاقتصاد العالمي .

فكان أن واجه المجتمع المصري في صلابة أصعب الاختبارات ، وأقسى الظروف فيما يمكن أن نطلق عليه : « معاناة الثمانينات الاقتصادية » ، رغم الجهود الجبارة التي بذلت في تلك الفترة ، لإخراج الاقتصاد المصري من غرفة الإنعاش ، ومروره من عنق الزجاجة ، منذ المحاولة الأولى للمؤتمر الاقتصادي المصري عام ١٩٨٢ ، مرورا بكل التحولات التي أدت إلى إعادة تشييد البنية الأساسية المنهارة ، والمضي على الطريق الصحيح نحو اقتصاد راسخ الأركان ، يتعايش مع تحولات العصر ، ويتمشى مع ظروف العالم الجديد . ولم يكن طريق التحول الجذري في الاقتصاد المصري ، والذي بدأناه منذ أوائل التسعينات ولازلنا نمضي فيه ، لم يكن طريقا مفروشا بالورود ، بل كان طريقا صعباً وشاقاً ، لأنه كان علينا استيعاب كل التوجهات الجديدة في الاقتصاد العالمي الحديث ، سواء ما كان منها متصلا بالهيكل الاقتصادي الموجود ، أو ما أرتبط منها بفلسفة النظام القائم ، والذي سعى إلى إقامة جسور الديمقراطية ، وتوسيع دائرة المشاركة ، ومساحة الحوار.

لذلك فإن التحولات التي طرأت على الحياة السياسية في مصر كانت مقدمة ضرورية لسياسة الانفتاح الإنتاجي ، وخلق مراكز جذب لرؤوس الأموال الأجنبية في مصر ، إلى أن جاءت حرب الخليج الثانية ، بنتائجها الكبيرة ، لتضع العالم وجها لوجه أمام مصر ، صاحبة القرار الرشيد ، والمصداقية التي لا تهتز .

ثم كانت لنا – أيها السيدات والسادة – وقفة تاريخية أخرى مع معركة من نوع آخر ، حققت فيها مصر نجاحا باهرا ، وهي معركة الديون المصرية ، التي يدرك كل من عاشوا ظروفها ، كيف كانت تلك المعركة ضارية وصعبة ، وذات تأثير مصيري على مستقبل الاقتصاد المصري ، حتى انتهت بإعفاء مصر من عشرات المليارات من الدولارات ، من مديونيتها الخارجية .

ولم يكن ذلك حدثا هيناً إذ أنني أعتقد أن مشكلة الديون ، كانت هي العائق الرئيسي أمام الاقتصاد المصري، وهي التي أدت أيضا إلى تأجيل عملية تحوله لعدة سنوات، حتى كان إعفاء مصر مما يقترب من ٥٠ %من ديونها الخارجية ، بمثابة طفرة واسعة في الإمكانات المتاحة أمام الاقتصاد المصري .

ولعله من حسن الحظ أن الذي جرى في مصر في تلك الفترة، قد تواكب مع أحداث عالمية كبرى تمثل علامة بارزة في تاريخ القرن كله ، إذ سقطت أيدلوجيات قسمت العالم لأكثر من سبعة عقود كاملة ، فضلا عن اختفاء كيانات سياسية ، وظهور دول جديدة ، وبروز مفهوم عصري للقومية ، جعل ركائزها الأساسية ذات طابع يتصل بالمصلحة المشتركة ، ولا يتوقف عند حدود العاطفة الوطنية .

وقد اقترن الحدثان معا من حيث التوقيت الزمني ، حيث تزامن خلاص مصر من وطأة الديون الخارجية ، مع خلاص العالم من آخر رموز الحرب الباردة ، ثم دخلنا إلى مرحلة جديدة ، سقطت بها الحواجز ، وتقدمت معها الاتصالات ، وظهرت فيها مفردات جديدة على الصعيدين السياسي

والاقتصادي ، مثل « العولمة » ، و « القرية العالمية » ، إلى جانب سقوط مفهوم الجزر المنعزلة ، والاتجاه إلى تحرير التجارة العالمية ، وتتويج ذلك منذ سنوات قليلة ، بالتوقيع العالمي على اتفاقية « الجات » ، والتي سوف تستكمل سريان مفعولها بعد سنوات قليلة .. وقد أدت كل هذه التطورات إلى اتجاه بارز للتكتلات الاقتصادية الناجحة ، والتي كان من أهم مظاهرها استكمال المؤسسات المالية والنقدية للاتحاد الأوروبي ، وكذلك دخول بعض التكتلات الاقتصادية الناجحة ، وكذلك دخول بعض التكتلات الآسيوية واللاتينية مراحل التنفيذ، وهو أمر أصبح يضعنا جميعا أمام حقيقتين مؤكدتين :

الأولى: أن التجربة الإنسانية ، هي ملك للبشرية كلها ، فهي لا تعرف الحدود ، ولا تعيش حبيسة دولة معينة ، فكل ما نشاهده في عالم اليوم ، هو تراكم لجهود إنسانية متعددة ، ونتيجة لسلسلة من الإسهامات المتعاقبة .

الثانية : إن الاختلاف في الرأي - حتى ولو كان مع خصم - لا يعني الخلاف المطلق ورفض تجارب الغير وإهمال إنجازاته ، بل على العكس ، إن على الإنسان أن يستفيد من الجميع، بغير استثناء ، سواء منهم الصديق البعيد ، أو الجار الخصم ، فالعالم مفتوح أمامنا ، نختار منه بغير تردد كل ما يتمشى مع ظروفنا ، أو يحقق طفرة في اقتصادنا ، بغض النظر عن أي حساسيات أو ذكريات أو دوافع .

ولنتأمل مصر اليوم ، والإنجازات الضخمة التي تحققت في السنوات الماضية ، وما جاءت به من عملية مدروسة لتحرير الاقتصاد المصري ، وفتح قنوات بينه وبين الاقتصاد العالمي ، مع بداية منطقية تمثلت في الحصول على اعتراف كامل من المؤسسات المالية والنقدية العالمية ، بأن آفاق المستقبل أمام الاقتصاد المصري واعدة ، وأن الطريق أمامه يبدو حافلا بالآمال الحقيقية والإنجازات المتوقعة .

ولقد أصبحنا نتلقى يوما بعد يوم شهادات عالمية من المؤسسات الدولية المختلفة ، التي تشيد بالأداء الاقتصادي المصري ، برغم كل الظروف الاقتصادية المضطربة عالميا ، وأصبحنا نتجه في ثقة وسرعة إلى فرص الاستثمار الكبير ، والاتجاه إلى رفع معدل الادخار الوطني ، كما شرعنا في بناء مؤسسات مالية ونقدية جديدة ، تتناسب مع الهيكل الجديد للاقتصاد المصري .

وظهر لدى الجميع - حكومة وشعبا - الإحساس بالمسئولية تجاه ضرورة تقبل النقد البناء ، واختلاف في الرؤى ، حول المسار الاقتصادي ، مادامت الأهداف واحدة ، والمصداقية كاملة ، والثقة متبادلة .

من استعراض كل ما قدمناه ، فإنني أتجه اليوم من جديد - وفي مناسبة الاحتفال بالعيد الخامس والعشرين لنصر أكتوبر المجيد - لكي أحيي ذلك الجيل العظيم ، الذي نعتبره نحن الشباب ، الجيل الذي أعاد الثقة إلى النفوس ، وفتح جسورا سليمة بيننا وبين العالم المعاصر ، وجعلنا ندرك معنى الإحساس بالمشاركة فيه .

فإذا كانت هذه بإيجاز هي المحطات الرئيسية والعلامات المضيئة على خريطة مصر الاقتصادية ، فإن السؤال لا يزال ملحا ، وهو هل نحن عازمون على المضي قدما في تعزيز قدرة الاقتصاد المصري ودعم ركائزه ؟ ولعلنا نضع السؤال بشكل مختلف لنتساءل عن طبيعة الدعامات التي تجعلنا نبني على ما تحقق ، ونضيف إلى ما تم ، حتى نضمن السلام والرخاء في منطقتنا المضطربة من عالم اليوم ؟

إذ أنه من المسلم به أن الصراع العالمي القادم - هو صراع يتزايد فيه دور الاقتصاد بحكم تزايد

الحاجات وتناقص الموارد ، ويكفي أن ننظر حولنا لكي نتحقق من طبيعة الصراع العالمي الدائر حالياً بين القوى الاقتصادية الدولية المختلفة ، للاستحواذ على النصيب الأكبر من الأسواق العالمية ، والتحكم ثم السيطرة على عملية تدفق رءوس الأموال في أسواق المال العالمية والاقتصاديات الوطنية وهو أمر يدعونا إلى مواصلة عملية التحرر الاقتصادي وتقوية دعائم الاقتصاد الوطني ، حتى نستطيع - وبالتدريج - الاندماج مع الاقتصاد العالمي لخدمة أهدافنا الوطنية ، ولتحقيق هذا، فقد أصبح لزاما علينا مواكبة المنظور العلمي التكنولوجي - على اعتبار أن الاستثمار البشري في هذا الميدان ، هو مطلب أساسي في مستقبل هذا الوطن - إذ أن الاستمرار في استيراد التكنولوجيا الحديثة ، سوف يضعنا بعد سنوات في موقع من يرضى بالتخلف ، وهو ما يدعونا إلى الأخذ بمفهوم الابتكار ، والإسهام في صناعة التكنولوجيا ، كما أصبح لزاما علينا أن نركز على التعليم وتدعيم سياسات البحث العلمي ، باعتبارها كلها أمور لازمة للحاق بركب التطور في قرن مقبل، كما أصبح لزاما علينا في الوقت ذاته أن نهيئ اقتصادنا والعنصر البشري فيه ، من عمال ومديرين ورجال دولة ، للتعامل مع الأوضاع الجديدة عالميا ، في ظل نظام دولي شرس، لا يعرف الرحمة ، ولا يشفق على الضعيف، ولكنه يحترم فقط الأقوى اقتصاديا ، ويحسب له كل حساب .

كما أصبح لزاما علينا أن نستمر في دعم المسئولية الاجتماعية للقطاع الخاص ، حتى يبقى النسيج الاجتماعي قويا وصلبا . كما أصبح لزاما علينا مع دخول العالم إلى عصر التكتلات الاقتصادية ، أن نحدد انتماءنا لكتلة اقتصادية فاعلة ، وأعتقد أن ذلك أصبح واجبا على كل الدول العربية أيضا ، بحيث نتجه جميعا إلى خلق تجمع اقتصادي عربي واقعي ، يضع في اعتباره كافة الظروف الدولية والإقليمية ، ويراعي كل الحساسيات العربية .

فقد حان الوقت لذلك ، لأن الكيانات الاقتصادية الصغيرة ، سوف تضيع في زحام عالم اليوم ، الذي يجري بخطوات واسعة فاقت كل التصورات .

ولعل البداية التي ظهرت مؤخرا ، وتبنتها جامعة الدول العربية ، تأخذ نصيبها من الجدية والاستمرار ، حتى لا تتكرر تجاربنا الفاشلة في هذا السياق .

بقى أن أضيف هنا ، أن تحقيق ذلك كله لا يتم إلا بثقة المجتمع عموما والشباب خصوصا ، في إمكانية تحقيق هذه الأهداف ، فالثقة بالذات ، هي الطريق إلى تحقيق الأهداف ، في إطار جو من الديمقراطية السليمة والحوار البناء ، واختلاف الرأي الذي يحترم فيه كل جانب رأي الآخر ، ولحسن الحظ ، فإن هذه كلها صفات لا تبدو بعيدة المنال على المجتمع المصري .

وأنتهز هذه الفرصة ، لأنوه إلى أهمية دور الشباب في بناء المستقبل ، وأجد لزاما علي في هذه المناسبة أن أسجل ملاحظتين هما :

أولا : إن تعبئة الشباب - كل الشباب - من أجل أهدافنا الوطنية ودعم اقتصادنا القومي ، قد أصبح ضرورة لا بديل عنها ، فالشباب هو صاحب الحق في المستقبل ، وهو بالتالي صاحب الحق في اتخاذ القرارات المتصلة به ، ولعلنا نلاحظ أن حجم مشاركته السياسية لا زال محدودا ، كما أن إسهامه في الحياة العامة ، لا يتناسب مع نسبته في التركيب السكاني للمجتمع المصري ، وهذا أمر يستوجب الحذر ، ويدعونا إلى فتح الأبواب واسعة أمامه للمشاركة في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية لمصر اليوم ، لأن التلازم بينهما قائم ، إذ لا يمكن الفصل بين السياسة والاقتصاد ، كما لا يمكن عزل الثقافة أيضا عن الواقع الاقتصادي لشباب اليوم .

ثانيا : إن التحدي الذي نواجهه اليوم وفي المستقبل ، يتمثل في ضرورة توحيد الهمم ، وتكاتف القوى الوطنية والشبابية ، من أجل تحقيق أهداف اقتصادية ، لا تقل صعوبة عن كل أهدافنا القومية وغاياتنا الوطنية .

« والتعبئة من أجل التنمية » ، ليس شعاراً أجوفاً ، ولكنه مطلب حيوي للشباب كله ، الذي ينبغي عليه هو الآخر أن يثبت جدارته لتحمل مسئوليات المستقبل ، والمضي نحو غايات نتطلع إليها جميعا

لذلك فإن الانفتاح الكامل ، والشفافية التامة ، هي أمور ضرورية لمواجهة كل انحراف ، ودعم كل ما هو إيجابي على أرض هذا الوطن ، وسوف يسعدنا جميعا ، أن نرى الشباب المصري يتبوأ بجدارة واقتدار ، المواقع المختلفة في كافة القطاعات ، لأن تلك هي مسئوليته التي لا يجب أن يتردد في الإقدام عليها .

السيد رئيس الجلسة ..

السيدات والسادة ..

إن عقد هذه الندوة الكبرى ، هي مناسبة غالية ، نطلب فيها من كل مصري ومصرية ، أن يراجع ما كنا فيه ، وما أصبحنا عليه ، وما نتجه إليه ، وذلك كله في إطار « روح أكتوبر» المستمرة معنا دائما .

فتحية لروح أكتوبر الظافرة ، وتحية إعزاز ووفاء لشهدائنا الأبرار ، وتحية تقدير لجيل أكتوبر العظيم ولنتعاهد جميعا على مواصلة العمل سويا بروح أكتوبر المجيدة ، حتى نواجه كافة التحديات والصعاب ، التي سوف نجتازها بإذن الله ، خصوصا وإننا نقف على الطريق الصحيح ، ونستند إلى القاعدة القوية التي لابد منها لتنطلق مصر نحو تحقيق ما تصبو إليه ، وما تؤهله لها حضارتها الشامخة وتاريخها العريق .

ولنتذكر دائما - كما أشرت من قبل - أن الحروب ظاهرة اقتصادية أيضا ، وأننا لن نمنع تكرارها إلا باقتصاد قوي ، وتوازن اجتماعي ، ومشاركة سياسية من أجل أجيالنا الحالية ، والأجيال القادمة بعدها على أرض الوطن .. معلم الحضارات ، وملتقى الثقافات .

وسوف تبقى مصر قلعة للأمن والسلام ، وواحة للاستقرار والتنمية ، لها ولمن حولها ، لأنها مصر صاحبة العطاء الذي لا ينتهي ، والمكانة التي لا تهبط ، والدور الذي لا يغيب ، فبروح أكتوبر ، سوف نواصل الطريق ، وبروح أكتوبر سوف ننتصر في معركة التنمية والسلام ، كما انتصرنا في معركة العبور والكرامة ، في مثل هذه الأيام منذ خمسة وعشرين عاما ، فالشعب الذي صنع نصر أكتوبر ، سوف ينتصر دائما بإذن الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الورقة الرابعة :

وجهة النظر الاجتماعية

السيدة الوزيرة/ ميرفت التلاوى

وزيرة الشــئــون الاجــتــمــاعــيــة

إن تكليفي بتنسيق عمل المحور الاجتماعي لهذه المناسبة الجليلة في هذه الذكرى الغالية لنصر أكتوبر العظيم .. لهو تكريم لكل إمرأة مصرية ، بل هو تكريم وتقدير لدور الجبهة المدنية .

كما أنه يعكس إدراكا متزايداً بأهمية الدور الشعبي في مساندة ومؤازرة القوات المسلحة لتحقيق النصر وقد تمثلت هذه المساندة في تماسك الجبهة الداخلية ورفع الروح المعنوية .. وقيام المرأة بمسئولية رعاية الأسرة في غيبة الزوج ، وتحمل الشعب المعاناة من نقص في المواد الأساسية التي كان الجيش في حاجة لها ، وتماسك الشعب بالرغم من الهزيمة القاسية حين رفض تنحي الزعيم ، حيث اعتبر ذلك بداية الصمود .. وخط الدفاع الأساسي للنصر .. أي ان النصر تحقق نتيجة تعاون القطاعين العسكري والمدني .

نقطة البداية في منع نشوب حرب جديدة هي الربط الوثيق بين التنمية ومنع نشوب حرب . ويتطلب بالضرورة بناء القوات المسلحة في حالة السلم . ومن ناحية أخرى يمكن القول أن التنمية البشرية الشاملة بكل جوانبها هي حماية حقيقية لمنع نشوب حرب جديدة . وينطلق هذا الموقف من كون أن استراتيجية السلام هي استراتيجية مصرية مستقرة التي تقوم على استنفاد كافة السبل السلمية قبل التفكير في استراتيجية الحرب .

أننا نؤمن بالتفاوض والحوار واستنفاد آليات السلم قبل أن تظهر بوادر الحرب لظروف خارجية

لذلك تسعى الدبلوماسية المصرية الهادفة إلى توفير مناخات عدم نشوب الحرب لأن مصر كما يعلم الجميع عالمياً - هي داعية سلام وحريصة على التوازنات الدولية والإقليمية .

وتلعب الجبهة الداخلية والأمان الاجتماعي دوراً استراتيجياً في نظرية الردع بمعنى أن السلام لا يحميه إلا القوة المتماسكة الفعالة .

والقوة العسكرية هي قوة محورية تحتاج وتعتمد بالدرجة الأولى على فعاليات وكفاءة أجنحة :

١. الأمن الاجتماعي
٢. التماسك الاجتماعي
٣. التعاظم الاقتصادي
٤. الدبلوماسية المرنة الهادفة
٥. الإعلام المتوازن

٦. الإيمان الراسخ
٧. الوطنية والانتماء لمصر
٨. التعليم المتكامل للتفكير العلمي المنظم
٩. العلوم والتكنولوجيا الداعمة للإنتاج
١٠. الابتكارات والإبداعات البشرية
١١. روح الفريق وإدارة الجودة الشاملة
١٢. ديمقراطية البناء والعطاء والحوار

وسوف أركز في كلمتي هذه على إعطاء تصور عن كيفية تفعيل الجوانب الاجتماعية لمنع نشوب حرب جديدة .. وذلك من خلال أبعاد عديدة أهمها :

أولاً : التنمية البشرية :

ويأتي الاهتمام بالتنمية البشرية في المقدمة حيث أن الإنسان هو ركيزة التنمية الاجتماعية وهدفها ووسيلتها وأن رأس المال البشري هو أهم وأغلى الثروات لدى الدول ... ولعل اليابان مثال حي لمجتمع نهض بسبب اعتماده على رأسماله البشري ، وتمتد مجالات عمل هذه التنمية لتشمل ما يلي :

١- اعداد الكوادر البشرية :

(أ)الاهتمام بالقضاء على الأمية والاستمرار في الارتقاء بالخدمات التعليمية والصحية والتدريبية

(ب)تحويل الإنسان المعدم إلى منتج .. أي تقوية العنصر الضعيف لكي يتحرك إلى الفئة الأقدر عن طريق زيادة قدراته التدريبية والإنتاجية .. وبحيث يتمكن من إعالة نفسه وأسرته بدلاً من اعتماده على تلقي المعونات والإحسان ، وزيادة قدرة البرامج الموجهة للتخفيف من حدة الفقر .

٢- الارتقاء بمستوى الإنتاج :

من ذلك التدريب التحويلي وزيادة مهارات العمالة والحرفيين حتى يستطيع المنافسة بإنتاجه في الأسواق العالمية .

٣- الارتقاء بمستوى المعرفة والتكنولوجيا :

استخدام التقنيات العالية وتعريف القوى البشرية بكل ما هو حديث في العلم والتكنولوجيا .

٤- تبني قيم العمل ومثله :

إذ يجب الحرص على الاهتمام بقيمة العمل ومثله ، وزيادة تفعيل الالتزام بقواعده وضوابطه واحترام القوانين والقواعد الحاكمة له وتزاوج المساءلة ، وإذكاء روح العمل الجماعي والتغلب على النزعة الفردية

٥- دعم التكافل الاجتماعي :

إذ يجب العمل على تعظيم المسئولية الاجتماعية لرأس المال بمعدلات متزايدة ومستمرة من أجل تقوية مبدأ التكافل الاجتماعي والتسامح والتفاهم بين الناس ، وتدعيم شبكات الأمن الاجتماعي .

٦- المشاركة الشعبية :

ان إفساح المجال للمزيد من المشاركة الشعبية في العمل الطوعي عن طريق منظمات المجتمع المدني مثل الاتحادات والجمعيات الأهلية ، تدعم قضية الديمقراطية وتتيح الفرصة للشباب بصفة خاصة لإبداء الرأي والفكر في القضايا العامة .

٧- دعم مكانة المرأة :

الاهتمام بالمرأة بصفتها نصف القوى البشرية وتمكينها من المشاركة الفعلية في قضايا المجتمع وإزالة المعوقات التي تقف ضد تقدمها مثل تلك المعتقدات التي لا تتناسب وظروف العصر .. يدعم بالتأكيد من عناصر القوة المجتمعية .

ثانياً : المحور الثقافي :

محورنا الثاني هو الثقافة بمعناها الأشمل .. فهناك مفهوم يجانبه الصواب وهو أن الثقافة تقتصر على الفنون والآداب الرفيعة فقط ، ولكن الثقافة أوسع من ذلك إذا انها كل ما أنتجته وأفرزته حضارة شعب.

ويجب أن يتواجد في مراكز الإنتاج والخدمات في الدولة مناخات تنظيمية إنسانية فعالة تشجع العطاء بالمعدلات الثقافية وتحافظ على المهارات والقدرات والطاقات للوقوف أمام التنامية الدولية - وللمشاركة في الناتج المحلي الإجمالي للدولة . وذلك في ضوء تكافؤ الفرص والآليات المعلنة للثواب والعقاب .

ومن هنا يتعين علينا بداية ، تعزيز روح التسامح .. التي تبدأ بالعلاقة بين أفراد الأسرة ، اذ يجب ألا تقوم على القهر أو العنف .. والعلاقات في العمل والشارع والمدرسة فضلاً عن العلاقات بين أتباع الأديان المختلفة ، والعلاقات بين الشعوب والحضارات المختلفة .

وبمعنى أخر يجب نبذ ثقافة العدوان التي ترفض العقلانية أو ترفض الغير رفضاً كاملاً أو ترفض الرأي الأخر .

كما يجب تقوية التعاون بين شركاء التنمية متمثلين فى الجهود الرسمية والأهلية ومنظمات المجتمع المدنى ورجال الأعمال والأحزاب على دعم عوامل الاستقرار والأمن الإجتماعى وتعميق قيم التسامح والترابط.

ثالثا: دور الدولة

يجب تقوية دور الدولة كمنسق فى منظومة العمل الاجتماعى فى هذه المرحلة من تاريخ تطورنا وذلك بدعم :

١- برامج الضمان الاجتماعى

٢- تقوية شبكات الأمن الاجتماعى

٣- الاهتمام بمجال الدفاع، والتأهيل الاجتماعى والتكوين المهنى

فى ضوء ذلك كله فإن موافقة السيد الرئيس حسنى مبارك على إقامة مؤتمر إجتماعى قومى لإبراز الأبعاد الاجتماعية للتنمية البشرية الشاملة يعتبر دفعة قومية تكشف عن حرص الدولة الشديد على إقامة التوازن الاجتماعى المطلوب بين كافة الطبقات العاملة فى المجتمع - ومن شأن ذلك دفع طاقات الابداع بين أفراد المجتمع.

وقد تفضل سيادته بالموافقة على رعاية عقد مؤتمر قومي للتنمية الاجتماعية على غرار المؤتمر الذى استهل به سيادته مسيرة الاصلاح الاقتصادى منذ أعوام قلائل، والذى أسفر عن الاتفاق على استراتيجية قومية نلمس ابعاد نجاحها كل يوم.

وما أشد حاجتنا اليوم كتنفيذين ومسئولين عن ميادين مختلفة من البعد الاجتماعى ان نوحد جهودنا فى قناة واحدة عظيمة التأثير.

ان منع نشوب حرب لن يتأتى إلا بتقوية المجتمع المصرى من جميع جوانبه فى إطار تنمية شاملة.

وإذا كان التعريف المعتمد للتنمية البشرية فى الوقت الراهن هو توسيع فرص الحياة أمام الأفراد وفتح آفاق الاختيار واسعة وعريضة. فإنه يمكن القول أن الهدف الاساسى لدور الدولة الاجتماعى هو كل ما سبق استعراضه هنا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

التعقيب على حلقة النقاش

د.مصطفى خليل

أود أن أشرح بعض النقاط التي حدثت في أثناء المفاوضات لبيان مدي الصعوبة في التفاوض مثلا مع الإسرائيليين، فإنهم يوجهون العناية للناحية العسكرية ،عند النظر للضفة الغربية فهم يستخدمون كلمة إعادة تمركز القوات في مناطق مختلفة،وهنا عندما يتفاوض المفاوض يأخذ في الاعتبار كل كلمة ومعناها وما تؤدي إليه .

والنقطة الثانية التي أريد توضيحها أنه بعد ٢٥ دقيقة من توقيع اتفاق السلام بين مصر وإسرائيل طلب «سايروس فانس »موعداً ليبلغنا أنه إذا حدث خلاف بين مصر وإسرائيل فسوف تتدخل الولايات المتحدة لحل الخلاف وبالطبع كانت مفاجأة لأن في المادة الثامنة علي ما أذكر من اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل أنه لو حدث خلاف سيحل عن طريق التفاوض، وذكرت أنه مخالف للاتفاقية وذكرت أننا لا نستطيع أن نجعل علاقاتنا بالولايات المتحدة مرتبطة بترمومتر العلاقة بيننا وبين إسرائيل إذا حدث تحسن في العلاقة بيننا وبينها سنجد العلاقة تتحسن بيننا وبين الولايات المتحدة ، وإذا لم يحدث تحسن في العلاقات بيننا وبين إسرائيل نشعر بوجود أزمة بيننا وبين الولايات المتحدة .ولكن الذي يشد انتباهي في الوقت الحاضر أننا نشاهد في الصحف الأمريكية أنه إذا حدث خلاف بيننا وبين إسرائيل تذكر الصحف في الفقرة الأولى أنه خلاف وتذكر في الفقرة الثانية مباشرة أنه خلاف بيننا وبين الولايات المتحدة فهو أسلوب في الدعاية لجذب الرأي العام الخارجي بالنسبة لهذه الأمور. وهناك أيضا نقطة أساسية هي «اتفاقيات السلام».المفاوضات في الحقيقة تتم ثنائية بين إسرائيل وبين كل دولة من الدول العربية. وذكر الدكتور أسامة أن اتفاق كامب ديفيد لم يكن اتفاقاً ثنائياً بين مصر وإسرائيل ولكنه اتفاق مع جميع الدول العربية .وبالنسبة لاتفاق مصر وإسرائيل فانه اتفاق له طبيعة خاصة لأن مصر بها قناة السويس وخليج العقبة .وهذا يفرض عليها التزامات محددة.وبالنسبة لموضوع سيناء فإلي أي مدي يمكننا تقبل تقسيم سيناء إلى ثلاث مناطق ومنطقة رابعة في الجانب الإسرائيلي.الخلافات بين الأردن وإسرائيل مختلفة. الخلافات التي بين الفلسطينيين وإسرائيل أيضا مختلفة فعندما تم توقيع اتفاق أوسلو بين فلسطين وإسرائيل كان اتفاقاً سرياً أي بمعني أننا نؤكد أن مصر أو حتى الولايات المتحدة طبقا لما يقولونه لم تكن تعلم مواد هذا الاتفاق،إننا كنا نعلم أنه يوجد مفاوضات بين الطرفين لكن لم نكن نعلم مضمون الكلام أو شكله حينما يتم هذا الاتفاق وبعد ذلك أجد نقاط خلاف بين الطرفين،أنا لم أتدخل أساسا ولم أقل كيف ينفذ هذا الاتفاق أو لو حدث خلاف

كيف يتم حله ، هناك ظروف وتطورات معينة ليس لنا دخل فيها ويطلب منا أن نتدخل والحاصل وباستمرارأنه ذات مرة قال أحدهم أن الاتفاق بيننا وبين مصر اصبح ما يسمي « COLD PEACE »

قلت له التطبيع معناه أن يذهب السياح من مصر إلى إسرائيل مثلما يأتي سياح من إسرائيل قال نعم قلت له تعرف كم دفعت أنا في الكونتننتال بركفست في فندق بإسرائيل قال كم قلت أربعة وعشرين دولاراً قلت إن هذا لم يحدث أبداً أنا ذهبت لمعظم الدول الأوروبية وفرنسا وخلافها .إذن لماذا يأتي المصريون إلى إسرائيل وماذا يفعلون ؟ الآن يربط مصر وإسرائيل ٢٢ اتفاقية تطبيع الاتفاقية المصرية الإسرائيلية بسيطة وسهلة جدا. ذلك كان اتفاقا علي أننا في ظرف ٦ شهور من توقيع المعاهدة المصرية التي كانت في مارس ١٩٧٩ ندعوهم للتفاوض في اتفاقيات تطبيع وعندما رجعنا إلى القاهرة دعوت الجانب الإسرائيلي، وجاءوا وبدأنا المفاوضات وانتهينا إلى ٢٢ اتفاقية تطبيع، لم يكن في اتفاقيات التطبيع أي مساس بالسيادة المصرية أو وضع أي التزام في تنفيذ أي بند من اتفاقيات التطبيع لأنهم في الخارج اليوم(وبكل أسف) كثير من الأمريكيين ليسوا فاهمين للأوضاع، مسئول كبير يقول أن الرئيس مبارك ضدنا لأنه عقد اجتماعاً بين السعودية وسوريا في الإسكندرية، قلت له لماذا ؟ الوضع بالنسبة لمصر عندما يقول الفلسطينيون مثلا أن إسرائيل لم تحترم توقيعاتها فما هو المنتظر منا.. هل منتظر أن أقول للجانب الفلسطيني اقبل أي شيء يفرضه عليك الإسرائيليون عندما يجتمع سيادة الرئيس مع الجانب الفلسطيني أو الجانب الإسرائيلي الذي نطلبه هو احترام التوقيعات، من أين أقول أن مصر مسئولة عن جميع الاتفاقيات التي تتم بين الدول العربية وبين إسرائيل أو أقول لو حدث خلاف بين أي دولة وبين إسرائيل أن مصر ملزمة أن تدخل حرباً لتعيد الأمر إلى وضعه، لا اعتقد أني ملوم بذلك وأقول ذلك لأننا نسأل ماذا يستطيع الفلسطينيون في الوقت الحاضر؟ والسياسة المتبعة لنتنياهو أول ما جاء لم يخف الأهداف ولا الطريقة التي يتفاوض بها، وقال اتركوا لي العرب والفلسطينيين أنا أستطيع أن اتفق معهم بمعني انه يستطيع أن يضغط عليهم، عامل الوقت بالنسبة له لمصلحته وليس لمصلحة الفلسطينيين، سيفعل ما يشاء ولا يريد أحداً أن يتدخل ويدعم الجانب الفلسطيني، طبيعي أن المفاوضات عملية شاقة وطبيعي أن مركز مصر عملية متعبة جدا وأود أن أقول أن الناحية الاقتصادية التي ذكرها «جمال» في منتهى الأهمية. سياسة البترول في حرب ١٩٧٣ وأنا هنا أتكلم بمنتهى الثقة ، لا أحب أن أقول أنا عملت ولكن سياسة البترول ١٩٧٣كانت أحد مفاتيح الحل، أنا سافرت مع سيد مرعي وأنا كنت مسئولاً عن هذه السياسة ،مصر لم تطلب قطع البترول أو فرض حظر علي البترول علي وجه الإطلاق، أو استخدام البترول كسلاح لأني ظللت أشرح أن عمري ما احب أن نشهر في وجه الخصم أي سلاح، لأنه في هذا الحال سيشهر سلاحاً اقوي بالنسبة لي. في هذا الوقت هناك اتفاقيات بين الدول الأوروبية لتخزين احتياطي يكفيهم ٣ اشهر، في نفس الوقت أي دولة لو انقطع عنها البترول ستتأثر، هناك إلزام للمجموعة الأوروبية أن تمدها بالبترول .حظر البترول الدول العربية لم تقدر علي تحمله لأنه يشكل ٩٠ إلى ٩٥ ٪من ميزانيتهم ودخلهم، ومصر حينما اقترحت عليهم سياسة لم تقترح أن يوقفوا بترولهم أو منعه أو نشهره كسلاح، لان البترول سلعة استراتيجية وسلعة اقتصادية بمفهوم انك تقدر أن تحدد الإنتاج منه، بهذه الطريقة ترفع السعر، وإذا كان هناك اتفاق مع دولة وأخلت به فأستطيع أن أمنع البترول عنها ، إذن الدعاية التي ظهرت أن مصر تهدد بأن تشهر البترول كسلاح غير حقيقية. لقد رأيت أن اشرح هذه النقطة لأهميتها .

المناقشات

سؤال إلى السيد جمال مبارك :

-سؤال : هل يمكن اعتبار التحالفات الاقتصادية في المنطقة أحد العوامل الاقتصادية لمنع حروب جديدة في المنطقة ؟

الأجابة : النقطة الأولى ، أنه يجب علينا أن نستفيد من تجارب الغير بدون أى حساسيات فمن غير المقبول أن يكون هناك فرق كبير عند المقارنة بين الدخل القومي في مصر والدخل القومي في إسرائيل، ومن الممكن عمل مقارنات بين دول أخرى كثيرة ، فمصر بالرغم من أن دخل الفرد فيها أقل كثيراً من دول أخرى كثيرة ، ولكن في السنوات الأخيرة حدثت طفرة كبيرة ، وبالتالي لا بد أن نستفيد من خبرات وتجارب الدول الأخرى ، سواء كانت دول صديقة أو غير صديقة ، فلا يمكن رفض تجارب ، وخاصة التجارب الناجحة ، ونقتبس منها ما يفيدنا من أى دولة أو أى منطقة في العالم .

بالنسبة للتكتلات الاقتصادية ،إذا ماعدنا إلي الحرب العالمية الثانية ، نرى أن من أحد الأسباب الرئيسية التي ساعدت علي قيامها كانت معاهدة « فرساي » التي أنهت الحرب العالمية الأولي ، والشروط المجحفة الاقتصادية ، وشروط أخرى ، وخاصة الشروط الاقتصادية في ألمانيا وبذلك ظهر نظام هتلر ، وهو الذى بدأ يسترجع مساندة الشعب بشكل عام لأنه يحارب الظلم وهذه الاتفاقية ، كما يحارب ظروفا اقتصادية صعبة ، وبالتالي كانت هي من إحد الأسباب التي قامت عليها الحرب العالمية الثانية ، عندما نعود إلي التجارب التي حدثت في أوربا في العشرين سنة الماضية بعد الحرب العالمية ، حيث قامت بعض المنظمات وتوجت موضوع الوحدة الأوربية ، كل نوع من هذه التجمعات

الاقتصادية يؤدى إلي نوع من التشابك في المصلحة العامة لكتلة معينة ،أو لمنطقة معينة ، وبالتالي يكون أحد العوامل التي تقلل من مخاطر حدوث نزاعات أو حروب أو الخ ، كما نشير إلي التكتلات الاقتصادية التي قامت في مناطق كثيرة من العالم ، كانت تجمعها وحدة المصلحة الاقتصادية ، وتشابك المصالح في كل هذه الكتل ،تقلل كثيراً من فرص نشوب نزاعات أو حروب وهناك أمثلة كثيرة في العالم العربي ، أدت إلي مشاكل كثيرة وما زالت تؤدى لها .

بالنسبة للنقطة الثانية ،من الناحية العلمية ، في العالم المتغير الذى نعيش فيه اليوم هناك صعوبة متزايدة فى أن تستطيع الدول أن تنمو وتحقق معدلات نمو مرتفعة ، وتزيد من نصيب الفرد من الدخل القومي ، في ظل الكيانات الاقتصادية الصغيرة ، في ظل دول تعمل منفردة ومنعزلة عن العالم وعن اقتصاديات أخرى ، فالعالم كله يكون تكتلات اليوم ، فمن المستحيل أن نستمر نحن كمصر أو الدول العربية ، أن يستمر كل طرف منفردا بالرغم من أنه يجمعنا كثير من العوامل الاقتصادية المشتركة ، وغيرها في العالم العربي ، وأنا اعتقد أن هناك ضرورة ملحة لتجمع اقتصادي عربي ، واعتقد أنه كما نستفيد من تجارب الغير فلا بد أن نستفيد من بعض التجارب الفاشلة التي مرت علينا ، فتجربة التجمع الاقتصادي العربي فشلت وذلك لأسباب كثيرة ، فاعتقد أنه هناك مطلبا قوميا وأيضا شعبيا قويا أن يكون هناك تجمع اقتصادي عربي قوي يستطيع ان يواجه العالم المتغير الشرس الذى يتغير كل يوم ولابد أن نبدأ بداية جديدة و لابد أن تكون هناك نظرة واقعية عملية ، فإذا كنا قد استطعنا سابقاً التجريب ثم فشلنا ، فاليوم ليس لدينا وقت بجانب التغير ، وليس لدينا الخيار لنضيع سنة أو ثلاثا لنحاول في تجارب فاشلة أخرى ، فلابد أن يكون هناك تكتل اقتصادي عربي من الناحية العربية ومن الناحية العملية ، ومن ناحية مصر علي وجه الخصوص ، لابد لنا في السنوات القليلة القادمة أن ننتمي إلي كتلة اقتصادية فاعلة و نتمني أن تكون هذه الكتلة اقتصادية عربية.

بالنسبة للنقطة الأخيرة ، منع نشوب حرب أخري، كل هذه المحاور متداخلة ومتشابكة وهنا نتكلم عن التكتلات الاقتصادية كعنصر واحد في المحور الاقتصادي أعتقد أنه من الضروري أن نركز عليه وهو قد يكون عاملا كبيرا ليس لمنع نشوب حرب أخرى فقط ولكن لتقليل التوترات والاضطرابات في المنطقة .

سؤال إلى د.أسامة الباز

– سؤال : هل يمكن في ظل وجود رئيس الوزراء الإسرائيلي الحالي «نيتانياهو» أن نمنع حرباً جديدة في المنطقة ؟

إجابة : نحن نفضل ألا يعتبر النزاع نزاعاً مع شخص أو مسألة شخصية وإنما نحن نتحدث عن سياسات وممارسات الحكومة وليس شخص رئيس الوزراء لأنه ليس مطروحاً على الساحة وهو يعبر بصورة أو بأخرى عن سياسة جزء من النخبة الحاكمة ويحظى بدعم شعبي معين قد لا يشكله نسبة كبيرة أكثر من ٥٠ ٪أو ٥٥ ٪ ولكنه يعبر عن تيار معين ، فالمهم بالنسبة لنا أن نتساءل عما إذا كان من الممكن في ظل السياسات والممارسات الإسرائيلية الحالية أن نمنع نشوب حرب جديدة في المنطقة ، ورداً على هذا هو الأتي :

إذا استمرت السياسات والممارسات الإسرائيلية الحالية فإن هذا كفيل في الغالب بأنه لا يمكن الأخذ

بالحتميات فنحن في مجال السياسة لا يمكن التحدث عن الاحتمالات وليس الحتميات ولذلك فإننا نقول الأتي إذا استمرت السياسات والممارسات الإسرائيلية فإن احتمالات ظهور أعمال عنف وتوتر متزايد ومتصاعد تكون احتمالات عالية ، فاحتمال اللجوء للعنف يكون موجوداً ويتزايد كلما تصاعدت هذه السياسات والممارسات .

من حيث المبدأ هل يمكن أن تعتبر هذه التراشقات أو أعمال العنف تؤدى إلى حرب شاملة ، في تقديري لا ، لأن من الصعوبة أن تثور حرب لأنها ليست محتملة في تقديري لأن الطرف الإسرائيلي خصوصاً يعرف مدى تكلفة شن حرب سوف يتعرض فيها إلى خسائر تتجاوز الذي هو على استعداد لدفعة ومن ثم سوف يتجنب توصيل الوضع إلى ما يتحتم معه نشوب حرب شاملة .

مداخلة :د/ يوسف بطرس غالي

إن ما طرحه الدكتور «مصطفى خليل» بأنه توجد فجوة تعتبر ١٧ ضعفا بين دخل الفرد في مصر ودخله في إسرائيل هذه حقيقة ، ولكن هل هذه الحقيقة يعتد بها ، هل هي مجال حقيقي للمقارنة بين اقتصادين فالمنطقة منطلقها من روح أكتوبر أن هذا البعد في المقارنة غير صحيح ، فالمقارنة بين اقتصادين لا تتم عند المستوى الساكن ، فاليوم عندنا فرق ١٧ ضعفا، العبرة هل سيظل هذا الفرق ١٧ ضعفا ؟ هذه هي العبرة الحقيقية ، والرد المباشر أن الاقتصاد المصري صحيح أنه يقع ١٧ مرة أقل من دخل الفرد في إسرائيل ولكن قدرته على النمو تقع أربعة أضعاف أعلى من قدرة الاقتصاد الإسرائيلي على النمو ، فإننا قد وضعنا القاعدة الحقيقية لتحقيق معدلات نمو مرتفعة في برنامج إصلاح استغرق على الأقل عشر سنوات ، وإذا أخذنا بنيان الاقتصاد المصري وتحويله من اقتصاد حرب إلى اقتصاد قادر على النمو يستغرق ثماني عشرة سنة ، فالاقتصاد الإسرائيلي اقتصاد نضج وأستتب في معدلات النمو التي تتبع الاقتصاديات الناضجة ، بمعنى ٢ أو ٣ ٪ في بعض الأحيان تصل إلى ٤ ٪ ولكنها لا تتعدى هذه الأرقام ؟ الاقتصاد المصري قادر على تحقيق معدلات نمو ٨٪ وقادر على الاستمرار في هذه المعدلات .

لواء أ.ح / أحمد فخر

سؤال : لقد طرحت مبدأ مركز اتصالات بالقاهرة لمنع نشوب حرب جديدة في المنطقة ؟ توضيح هذه النقطة (اقتراح).

إنني طرحت الشفافية مقابل الغموض في النوايا والإمكانيات ، كما طرحت أن الاحتكار النووي يمنع أي خطوة في نشوب حرب جديدة ، وأيضاً في ضبط التسلح في بعض إجراءات بناء الثقة حتى لا تحدث حرب بطريقة خطأ ، فمن الممكن سقوط طائرة في أرضنا ، كما من الممكن أن يكون هناك في القاهرة مركز اتصالات يستقبل كافة الأنشطة المتفق عليها ، ثم تذيع القاهرة بعد ذلك علي كل الدول حتى لا يحدث سوء فهم .

بالنسبة للشق الآخر من السؤال وهو « ألم يكن من المناسب وجود منظمة إقليمية في المنطقة علي غرار الجامعة العربية وهذا بالطبع أقوى من الاقتراح الأول ؟ »

هناك مثل يقول « لا تعبر الكوبرى بدون أن تصل له » فهنا نتكلم عن منظمة إقليمية قد تضم

إسرائيل ، منظمة اجتماعية اقتصادية سياسية ثقافية الخ تضم إسرائيل التي ما زالت تحتل الجولان وتقوم بإعادة الانتشار وترفض الانسحاب من الضفة أو الاعتراف بالدولة الفلسطينية ، وهناك مشاكل حدود بين الدول العربية وبعضها ، وهناك أزمة ما زالت نفسية بين الكويت والعراق ، هذا الكلام مبكر جداً ، فالمنظمة الإقليمية تقوم عندما يكون الهدف السياسي والاقتصادي والاجتماعي واحداً ، فما زالت هناك حالات من التعنت وعدم الالتزام القانوني بما تم الاتفاق عليه فحكومة إسرائيل لا تحقق ما اتفقت عليه ، فهذا الاقتراح مبكر جداً فنحن نقول الجامعة العربية هل نجحت في السوق العربية المشتركة ؟، ثم نأتي لها بمنظمة إقليمية فيها دول لم تصل إلي درجة التحاب والصداقة والنظرة السياسية الواحدة ، فمن الخطأ أن نفكر اليوم في منظمة إقليمية ، فهذا الاقتراح ليس أكثر من آلية لزيادة الثقة بين دول المنطقة .

الجلسة الختامية

توصيــات الندوة

د. مـــصطـفى خلـيل

السيد الرئيس محمد حسني مبارك
رئيس الجمهورية القائد الأعلى للقوات المسلحة
السادة الحضور

لقد كان من دواعي اعتزازي وفخري أن يقع اختيار القوات المسلحة علي شخصي لتولي رئاسة تلك الندوة الاستراتيجية عن حرب أكتوبر المجيدة.. ويزيد من إحساسي بالاعتزاز أن تلك الندوة تحظى برعاية سيادتكم كرئيس للجمهورية وبطل من أبطال الحرب وصناع ملحمة النصر العظيم .. وتفضلكم بإلقاء كلمة الافتتاح ، وتشريفكم اليوم في الجلسة الختامية . لقد انعقدت تلك الندوة لتحقيق أهداف بالغة الأهمية تستهدف الحفاظ علي قوة الدفع وتعميق الآثار الإيجابية التي تولدت عن حرب أكتوبر في عقول ووجدان الأجيال المقبلة من أبناء شعبنا.

وعلي مدار ثلاثة أيام متتالية ، ومن خلال أربعة محاور رئيسية – سياسي، عسكري، اقتصادي واجتماعي.

تم مناقشة خمسة موضوعات أساسية ثلاثة منها تناولت مراحل الاستنزاف والتخطيط وإدارة الحرب ثم استعرضت الندوة في الموضوع الرابع نتائج حرب أكتوبر بعد ٢٥ عاماً وتطرقت بعد ذلك في حوار هادف وبنظرة موضوعية تناولها الخبراء والمفكرين في المجالات المختلفة إلي موضوع كيفية منع نشوب حرب جديدة في المنطقة.

ويمكنني القول بصدق وأمانة أن الندوة بموضوعاتها الهامة وأوراقها العلمية وما دار حولها من تعقيبات ومناقشات قد حققت الأهداف التي انعقدت من أجلها علي أكمل وجه.

وقد خلصت الندوة بعد هذا الاستعراض الشامل والعميق لموضوعاتها إلي عدد من التوصيات أوجزها في الآتي:

أولاً: المحور السياسي:

١- أن يظل السلام هو الهدف الإستراتيجي لمصر.

٢- إن مبدأ الأمن والحدود الآمنة هو هدف جماعي لا يجب أن يقتصر علي دولة دون غيرها.

٣- إن مصر ستظل دولة محورية في جميع أحداث الشرق الأوسط ويلزم أن تكون استراتيجيتها وتحركها في إطار هذا المحور.

٤- وضع برنامج سياسي نشط يهدف إلي تنفيذ مبادرة الرئيس مبارك بجعل منطقة الشرق الوسط منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل .

٥- تأكيد العمل علي عقد مؤتمر دولي لمكافحة الإرهاب من أجل اتخاذ التدابير المشتركة للقضاء علي مخاطره وتجنب تداعياته.

ثانياً : المحور العسكري:

١- أهمية الاحتفاظ بقوات مسلحة قوية وفعالة للحفاظ علي السلام ومنع انفراد أحد الأطراف بالقوة الفائقة حيث أن الخلل في توازن القوي أحد الأسباب الجوهرية لنشوب الصراعات.

٢- يشجع المشاركون في الندوة الاتجاه المصري نحو توسيع قاعدة الإنتاج العسكري الدفاعي بما يحقق أكبر قدر من إنتاج احتياجات القوات المصرية والعربية ويقلل من حجم الواردات العسكرية.

٣- يؤكد المشاركون في الندوة- بالرغم من كل العقبات والصعوبات الحالية- إن الأمن القومي العربي المتكامل هو إحدى ركائز القدرة الدفاعية العربية التي تساهم في منع نشوب حروب جديدة في المنطقة.

٤- توصي الندوة بإنشاء مركز اتصالات إقليمي - مقره القاهرة- يستقبل ويوزع الاخطارات المختلفة عن الأنشطة العسكرية لدول المنطقة في إطار بناء الثقة.

٥- استمرار القوات المسلحة فى دعم عمليات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة و زيادة التعاون مع الدول المختلفة فى المجال العسكري من خلال التدريب المشترك و الزيارات وتبادل الآراء و الخبرات مع تلك الدول .

ثالثا :توصيات المحور الاقتصادي

١- أهمية تنمية القدرة الذاتية للإقتصاد المصري و بما يخدم التنمية الاقتصادية و تقليل الاعتماد على الخارج مع دعم دور القطاع الخاص فى التنمية.

٢- أهمية الاتجاه إلى السوق العربية المشتركة بإعتبارها أحد الخيارات المطروحة و دعم الدور المصري فى هذا الاتجاه .

٣- أهمية استخدام ورقة التعاون الاقتصادي مع دول الشرق الأوسط و إبقائه رهنا بتحقيق السلام الشامل و العادل لدول المنطقة كافة.

٤- تكثيف التحرك على محاور التعاون مع دول العالم الثالث فى سبيل الدفاع عن مصالحها الاقتصادية من خلال الآليات الدولية المطروحة.

رابعا توصيات المحور الاجتماعي

١- اعتبار البعد الاجتماعي قضية قومية تمنح اكبر قدر من الدعم المادي و الأدبي لتقوية الأمن الاجتماعي فى مختلف صوره و تعدد جوانبه فى المجتمع المصري .

٢- أثبتت حرب أكتوبر أن الفرد هو ركيزة المجتمع و هو محور النجاح فى تنفيذ جميع الخطط و السياسات و يجب وضع استراتيجية متكاملة تعنى بالفرد فى جميع مراحل حياته .

٣- تأصيل روح العمل الجماعي بين أبناء الجيل فى مسيرتهم التعليمية و منهجهم العملي فى شتى المجالات و ترسيخ روح الفريق لتكون نمطا و منهجا في حياتنا الاجتماعية و فى أعمالنا المهنية على اختلافها و تنوعها .

٤- إن ابرز الدروس المستفادة من حرب أكتوبر هو القدوة التي تمثلت فى القادة على مختلف المستويات و هو ما يجب أن نحرص عليه فى اختيار القادة و القيادات فى شتى المواقع حيث أن القدوة الاجتماعية و الاخلاقية ضرورية فى بناء و تقدم المجتمع .

٥- دعوة المثقفين فى مختلف المواقع المؤثرة فى فكر ووجدان الإنسان المصري للتركيز على القيم الأصيلة فى إبداعاتهم (مراعاة خطورة تأثيرهم على الشعب) .

٦- لقد كانت الوحدة الوطنية فى حرب أكتوبر نموذجا لانصهار أبناء الشعب المصري فى بوتقة واحدة دفاعا عن الوطن ويجب الحفاظ عليها .

السيد الرئيس

السادة الحضور

اسمحوا لي أن انتهز هذه الفرصة لأعبر عن عظيم شكري و امتناني للقوات المسلحة على إقامتها لهذه الندوة العلمية الراقية التي ستثرى بلا شك فترة من امجد فترات التاريخ المصري المعاصر .

و إن اشكر جميع القادة و العلماء و المفكرين الذين ساهموا فى الندوة بأوراقهم البحثية و تعقيباتهم و مناقشاتهم حول موضوعات الندوة .

و ندعو الله سبحانه و تعالى أن يجعل مصر بلداً آمنا قويا دائما.. عزيزا أبدا.. تحت القيادة الرشيدة التي يقود مسيرتها رمز البطولة والوطنية

الرئيس محمد حسنى مبارك

و السلام عليكم و رحمة الله وبركاته

كلمة السيد الرئيس

محمد حسني مبارك

رئيس الجمهورية
القائد الأعلى للقوات المسلحة
فى ختام الندوة

الأخوة والأخوات الأعزاء

تابعنا باهتمام وتدقيق أعمال الندوة في اليومين الماضيين واطلعنا على ما ألقى فيها من أبحاث قيمة وما دار على هامشها من مناقشات مستفيضة اتسمت في مجموعها بالالتزام بالمنهج العلمي الموضوعي الذي يستحقه هذا الحدث العظيم باعتباره من اكبر أمجاد الشعب المصري العريق والأمة العربية قاطبة ، ومن ثم فانه يستحق منا ومن الأجيال المتعاقبة من أبنائنا مزيدا من البحث المتعمق والتأمل المستغرق طوال السنوات والعقود القادمة ، لان هذا كفيل بان يضئ أمامها الطريق ويفتح الباب إلى مستقبل مشرق يتحقق فيه للوطن المفدى مزيد من العزة والتنمية والتقدم ، تحت مظلة وارفة من الأمن والاستقرار تتيح لهذا البلد ان يقوم بدوره الريادي الذي لا غنى عنه إقليميا ودوليا وتضمن تدفق ينابيع العطاء المصري في سبيل رفعة المجتمع الإنساني كله ، وتعزز إسهامه في الارتقاء بالنظم القيمية والأسس الأخلاقية والمستويات العلمية للعالم في الألفية الثالثة ، التي لم يعد يفصلنا عن بدايتها اكثر من ١٥ شهرا .

لقد كانت تلك الحرب المجيدة هي أهم العوامل التي نقلت مصر والأمة العربية من الظلمات إلى النور ومن الشعور بالعجز والقلق إلى الثقة التامة بالنفس والقدرة على تحقيق الهدف ، ومن هنا يكون ضروريا ألا نعتبرها حدثا عارضا مضى وانقضى ، بل إنها يجب ان تظل علامة مهمة على الطريق ومرحلة فاصلة ، تمثل الانتقال إلي حالة جديدة تماما ، ستظل شعلتها مضيئة في عقولنا وقلوبنا ،يعيش كل معانيها وابعادها نابضة بالحياة في أعماق نفوسنا ، وتبقى مجسدة ماثلة في وعينا الجماعي قرونا عديدة ، لأن الحرب ليست فقط ذروة الدراما الإنسانية ، حين يخرج المقاتل في سبيل الله والوطن طالبا للنصر أو الشهادة ، وانما هي قبل ذلك لحظة كاشفة حاسمة تختبر فيها معادن الشعوب ، وتمتحن بها ارادات البشر ، ولذا فإنها تعد من اخطر الأحداث في تاريخ الأمم ، وتمثل أهم القرارات التي يمكن ان يتخذها قائد سياسي ، بالتشاور بطبيعة الحال مع القيادات العسكرية المؤهلة التي تتحمل العبء الأكبر في التخطيط والتنفيذ .

ولهذه الأسباب مجتمعة يكون من الواجب على أي مجتمع مستنير كالمجتمع المصري ان يوجه اكبر قدر من اهتمامه إلى الخروج من هذا الحدث العظيم بالدرس والعبرة ، بعد ان يلجأ إلى تحليله بكل تجرد وموضوعية ، بعيدا عن الهوى والغرض ، حتى تكون الملحمة ، بكل أبعادها وآثارها جسرا مؤديا إلى مستقبل افضل ، وليست مجرد مناسبة احتفالية

تلقى فيها الأشعار والخطب وتصبح نسيا منسيا ، لأن الهدف من وراء هذا البحث المدقق والدرس المتعمق هو الوصول إلى مراتب أعلى في الأداء والعمل الوطني ليس فقط في ساحة الحرب وميدان القتال بل في كل مجالات العمل القومي .

ونسجل هنا ان كثيرا من الأبحاث التي قدمت في الندوة قد عنيت بهذا الجانب في أثناء تغطيتها للنواحي التي ركزت عليها ، وربما جاز لي ان أضيف إليها بعض الأفكار والخواطر التي يمكن ان تذكر في عداد الدروس والعبر ، دون ان يمثل هذا أي انتقاص من قدر ما أبداه الباحثون والخبراء ، الذين شاركوا في الندوة وأسهموا في نجاحها وفي تحقيق الغرض الأساسي من عقدها بعد مرور ربع قرن على وقوع الحدث التاريخي ، الذي سيظل حدثا فاصلا بين أوضاع جائرة استقرت ، وجثمت على صدورنا إلى حين ، وبين عهد الخلاص الكبير الذي استعاد فيه العرب أرضهم وكرامتهم وفتحوا به الطريق إلى عصر جديد من النهوض الوطني والتقدم .

١ - أول هذه الدروس ، التي اقترح ان نستلهمها من هذا الحدث التاريخي الكبير ، هو أن جانبا كبيرا من نجاح حرب أكتوبر يرجع إلى أنها كانت حرب تحرير وطني وقومي ، تحققت لها كل متطلبات الشرعية داخليا وخارجيا ، سواء من الناحية القانونية أو الأخلاقية أو السياسية ولم يستطع أحد ان يجادل في توافر هذا العنصر ، فليس هناك من يستطيع ان ينكر على شعب حقه في تحرير أرضه المحتلة بالغصب والقوة ،لأن احتلال أرض الغير هو عمل غير مشروع لا سند له في القانون وقواعد السلوك الدولي ، ومن ثم فان إنهاءه يصبح حقا مشروعا يسلم به الجميع ، بل انه فريضة قومية تأخذ أولوية على كل ما عداها ، وتحتل مكانا بارزا متقدما في قائمة الأهداف القومية ، ولذلك فإنه من المهم ألا يعطى المقاتل في سبيل الحق أي انطباع بأنه مقدم على عدوان أو يفتري على حق غيره ، أو يهدده و يتوعده أو يطلق العنان لعبارات الزهو الزائف وشعارات الطنطنة الفارغة ، بل عليه ان يثبت للعالم ، ويكرر دون ملل ، أن ما يهدف إليه هو إحقاق الحق وتصحيح ما اعوج من أوضاع .

وإذا كان الخصوم قد عجزوا عن الطعن في شرعية هذه الحرب وطبيعتها ، فإنه من المؤسف ان نرى قلة قليلة تردد عن قصد أنها كانت مناورة سياسية ، وليس لهذا التخبط من تفسير سوى الجهل والهوى ، أما الجهل فيعود إلى أن على كل من يتصدى لدراسة الحرب والحديث عنها أن يدرك أن الحرب لا يمكن ان تكون مقصودة لذاتها ، أي تشن لمجرد التدمير والخراب ، وانما تكون الحرب في أعلى درجاتها وأسمى صورها عندما تصبح وسيلة تؤدى إلى هدف

عادل ومشروع وهو ممارسة التأثير على إرادة الخصم ودفعه إلى قبول الاحتكام إلى العقل والرضوخ للحق وقواعد الشرعية ، وقبول إنهاء أي أوضاع متعارضة مع أحكام القانون الدولي والعدالة .

وبهذا المعنى كانت حرب أكتوبر حرب تحرير وطني بكل معنى الكلمة ولو كره المغرضون الذين يفتون بغير علم ، أو يتحدثون بغير قدرة على الفهم لأنها هي التي أدت إلى تحرير كل

شبر من الأرض المصرية ، وهي التي دفعت إسرائيل إلى الدخول في مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية وتمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقه في تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة ، ومهما صادفت عملية السلام من عقبات لأن إنكار حق أي شعب في تقرير مصيره وتحرير أرضه هو موقف يتعارض مع حركة التاريخ ، ومن ثم فلا يمكن ان يكتب له البقاء والاستمرار وسوف تكون حرب أكتوبر هي شعلة النور التي ستؤدي إلى استكمال تحرير الجولان المحتل ، والشريط المحتل في الجنوب اللبناني ، وإذا أضفنا إلى هذا معاهدة السلام التي وقعتها إسرائيل مع الأردن ، أصبح واضحا أن السلام الشامل الذي فتحت حرب أكتوبر الطريق إليه من أوسع الأبواب هو سلام ينهي كل أشكال الاحتلال ويقوم على التحرير الكامل للتراب الوطني طبقا للنموذج الذي أرسته معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية .

ولست بحاجة إلى أن اذكر في هذا المقام ان الجمود الذي تشهده المفاوضات الخاصة بالمسار الفلسطيني لا يحقق مصلحة لأحد بل إنه يهدد بعواقب وخيمة جميع الأطراف وأولها إسرائيل، فليس من مصلحتها ان تضيع تلك الفرصة التاريخية لتحقيق مصالحه شاملة تقتلع النزاع من جذوره وتبشر بعهد جديد ، يقوم على التعايش الخلاق ونسيان الماضي بآلامه ورواسبه الحزينة. وأكرر نصحي المخلص للشعب الإسرائيلي أن يحسم أمره وان يختار بشجاعة بين تحقيق السلام والأمن والاستقرار ، وضم الأراضي الفلسطينية التي لا يحق للإسرائيليين ان يغتصبوها ظلما وافتراء لان الإكراه لا يثبت وضعا ولا يترتب عليه حق لأحد وكل ما يترتب عليه هو إطالة الصراع وإراقة الدماء وتهديد مستقبل الأجيال القادمة من أبناء الشعبين .

أما هؤلاء الذين يحاولون تشويه الحقائق وتحويل الأنظار عن تعنتهم بإلقاء اللوم على مصر ، فسوف تخيب مساعيهم وتفشل مخططاتهم لأنها بنيت على الغش والخداع ، فمصر لا تقوم بدور المحرض والمعوق ، فليس هذا من شيمتها ولا هو أمر يليق بقدرها ودورها ، وإذا كانوا يظنون ان مصر تنزلق إلى هذا لمجرد ان تثبت وجودها وتستعرض قدرتها فليس لنا إلا ان نقول لهم : كبرت كلمة تخرج من أفواههم .. إن تقولون إلا كذبا ، ولو كانت مصر تميل إلى وضع العقبات في طريق المفاوضات ، لكان الحال غير الحال ، ولما استطعتم ان

تتوصلوا إلى أي اتفاق ، مهما حاول الأدعياء منكم ان يتقولوا ويزيفوا الحقائق ، فلو لم نعمل على إزالة العقبات وتضييق هوة الخلافات لما كنتم قد استطعتم ان تحققوا أي تقدم ، وانتم بتلك الأكاذيب والأوهام لا تخدعون إلا أنفسكم لأن الحقيقة ظاهرة للعيان كالشمس الساطعة لا يمكن ان تحجبها الأباطيل والافتراءات ، ونحن لسنا من المنافقين والمرائين الذين يظهرون غير ما يبطنون .ولسوف يدرك الواهمون والمكابرون عاجلا أو آجلا انه كما بدأت عملية السلام بمبادرة مصرية ، فسوف تكتمل حلقاتها عندما يشاء الله بجهود مصرية ، وبإسهام صادق ونزيه من الشعب المصري وحكومته ، فتلك رسالتنا التي لا نحيد عنها ، وهذا هو التزامنا المبدئي والأخلاقي الذي لا تفريط فيه ولا مساومة بشأنه .

ان إسرائيل تحسن صنعا إذا هي وجهت تفكيرها إلى إعادة النظر في مجمل سياساتها وأسلوب تعاملها مع العرب ، وكونت لنفسها رؤية لدورها الذي يتفق مع حجمها وموقعها على الخريطة السياسية في المنطقة ، واتبعت سياسة إيجابية معتدلة وأن تشجع العرب على الانفتاح عليها والثقة بنياتها ، بدلا من التحدث عن أدوار الآخرين والافتراء على موقفهم ، في الوقت الذي تعزز فيه إنفاقها العسكري ، وتطور نظم الصواريخ التي تستخدم لأغراض حربية مستعينة في كل هذا بمعونات مالية وفنية وتكنولوجية تتلقاها من دول أخرى ، على نحو لا ينسجم مع الأهداف والمفاهيم المطروحة لعالم اليوم والغد ، وهي تعلم جيدا ان كل هذا لن يجديها نفعا . ولن يدفع عنها ضررا ، وكل ما هناك انه قد يعود بالمنطقة إلى سباق جديد للتسلح ، وهو أمر لا يحقق مصلحة أحد .

٢- أن حرب أكتوبر كانت حرب الشعب المصري بكل طوائفه وطليعته المقاتلة من رجال القوات المسلحة وبمشاركة في خندق واحد مع القوات المسلحة في سوريا الشقيقة التي تم تنسيق الخطى والخطط معها في إطار من الثقة المتكاملة والإيمان العميق بوحدة الهدف والمصير ، فلا مجال والحال هذا لإضاعة الوقت في جدل عقيم حول ما إذا كان صاحب الفضل في الحرب هو أنور السادات أم جمال عبد الناصر ، فكل منهما أدى دوره البارز في إعداد الدولة والمجتمع والقوات المسلحة للحرب ، وما يمكن ان تؤتي تلك الأدوار الفردية-مهما علا قدرها - ثمارها وتحقق أهدافها بدون الإرادة الجماعية والوعي الوطني الرفيع الذي وحد الشعب وقواته المسلحة .

٣- أن حرب أكتوبر في عقيدتها العسكرية وتخطيطها الإستراتيجي و التكتيكي وتوقيتها وتطوير أسلحتها ووسائل المواجهة فيها كانت حربا مصرية وسورية خالصة في كل شئ ، لم نعتمد فيها على أحد من الغير ، ولم نترك جانبا منها لقوى أخرى ، وإن كنا لن نكرر فضل الأصدقاء الذين تعاونوا معنا قبل الحرب بالإمداد وبالأسلحة والمعدات ، وهؤلاء الذين آزروا نصرنا بالوقوف إلى جانبنا قبل الحرب وبعدها سياسيا ودبلوماسيا في المحافل الدولية .

٤- أن النصر جاء نتيجة طبيعية لتوظيف العلم وأتباع مناهجه وأصوله وإجراء حسابات دقيقة في جميع المجالات الاستراتيجية والسياسية والجيوبولوتيكية قامت على أساس قواعد مدروسة أخذت بعين الاعتبار الإمكانات المتاحة بحيث توافرت لقرار الحرب كل شروط النجاح ومتطلباته وفي مقدمتها تحديد هدف واقعي تحشد له كل الإمكانات والطاقات وترتب له كل الأوضاع الدولية والعربية المواتية ، وتجند لخدمته القيادة الماهرة القادرة ، التي أعطت المثل والقدوة للعطاء في أبهى صوره و أعلى درجاته ، واتصالا بهذا فان قرار شن الحرب والتخطيط لخوضها والأداء المبدع في كل مراحلها التزام بعدم إضاعة الممكن سعيا وراء المستحيل ، وهو أمر يعجز عن فهمه أو التسليم به من كانوا في جهلهم غارقين لا يعرفون شيئا عن فنون الحرب وقواعدها ولا يدركون أبدا الظروف التي كانت محيطة بها في كل مراحلها والإمكانيات التي كانت متاحة في كل يوم دارت فيه رحى الحرب .

٥- أن حرب العاشر من رمضان تمت في كل مراحلها من التفكير إلى الإعداد والتنفيذ من خلال مفاجأة استراتيجية أذهلت العالم كله ، أفقدت الخصم توازنه وتماسكه وقد استطاعت القيادة المصرية السياسية والعسكرية المقتدرة ، ان توفر للحرب هذا العنصر المهم بالرغم من ان مصر سعت سعيا حثيثا طوال السنوات التي سبقت شن الهجوم المفاجئ لكي توفر للحرب الأرضية المناسبة في المجتمع الدولي ولكي تضمن تأييد الحكومات والشعوب المختلفة لحق العرب في تحرير أرضهم بالقوة بعد ان انقضت سنوات طويلة على صدور القرار ٢٤٢ من مجلس الأمن . وقد حرصت القيادة الحكيمة على ان تثبت للعالم أننا سعينا بكل ما نملك للتوصل بالوسائل الدبلوماسية والتحرك السياسي إلى آلية مناسبة لتنفيذ هذا القرار، ولا يخفى على محلل يلتزم بالإنصاف و الولاء للحقيقة ان هذا الذي حدث كان يمثل معادلة بالغة الصعوبة قائمة على حسابات دقيقة ومن ثم فإنها تشكل نموذجا يستحق الدراسة و التحليل الدقيق بموضوعية وعلمية .

٦- إن انتصار اكتوبر كان الشرط الذي لا غنى عنه لتحيق السلام فلم يكن من المتصور بأي حال أن تدخل مصر في عملية جادة لبناء السلام في ظل خلل قائم في ميزان القوى ، وفي ظل إحساس عربي باليأس والإحباط ، وفي الجانب المقابل كان هناك وعي زائف بالقوة التي لا تقهر وشعور غير مبرر بالتفوق على العرب واعتقاد سقيم بأنه ليس أمام العرب إلا قبول ما تجود به إسرائيل وتفرضه عليهم صاغرين ، وتلك أوضاع لا تمكن الأطراف من التوصل إلى اتفاق متوازن يقوم على تكافؤ الحقوق والالتزامات والحقوق المتبادلة بين الطرفين ولذلك فبمجرد ان زلزلت حرب أكتوبر الأرض تحت أقدام المؤسسة الإسرائيلية الحاكمة وقيادتها المدنية والعسكرية اصبح الطريق مفتوحاً على مصراعيه للدخول في مفاوضات جادة ومثمرة ولو تأخرت نتائجها على بعض المسارات إلى حين .

٧- أن القوات المسلحة بذلت جهدا خارقا لتحقيق أقصى استفادة ممكنة من الأسلحة التي كانت متوافرة لديها ، وتمكنت بهذا من تحييد عنصر التفوق الذي كانت تتمتع به إسرائيل في بعض نوعيات العتاد والسلاح ، ولسنا نسجل هذه الحقيقة لكي نقلل من قدر السلاح الذي كانت تحوزه القوات المسلحة ، وانما نقررها لكي يكون واضحا في الأذهان ان العنصر البشري القادر على الخلق والإبداع ، يظل عنصرا حاكما في أي صراع مسلح ، وان الإنسان يستطيع أن يسخر ملكاته العقلية لتحسين موقفه وخدمة أهدافه ، حتى إذا كان الخصم يتمتع بمزايا نسبية في بعض المجالات ، وكثيرا ما ملأ الإسرائيليون الدنيا ضجيجا بقولهم أن المهم ليس هو السلاح ، وانما اليد التي تحمله ، وجاء الوقت لكي يتحققوا من ان هذا القول الذي كثيرا ما تشدقوا به قد انطبق هذه المرة ، ولكن في غير صالحهم ، وان المقاتل المصري لم يكتف بالاستخدام الأقصى للسلاح الذي كان متاحا أمامه ، وانما استخدم قبل كل شئ عقله ووجدانه ، فسخر كل ملكاته ومواهبه لخدمة الهدف الأسمى ،وجاء الأداء على ارفع المستويات التي يمكن ان يصل إليها البشر .

٨- أن حرب أكتوبر المجيدة أتاحت لمصر والعرب لأول مرة في تاريخ الصراع مع إسرائيل أن يتحولوا إلى موقع المبادأة والفعل سواء في المجال العسكري أو السياسي أو الإعلامي ، واصبح العرب مبادرين لا يكتفون بتلقي مبادرات الخصم واعداد ردهم عليها ، وانما صاروا يملكون زمام الأمور بأيديهم ويوجهونها الوجهة التي تحمي مصالحهم وتخدم قضيتهم ، وهذا تطور نستطيع ان نحتفظ بجوهره وأسلوبه في كثير من القضايا الأخرى لأن القدرة على الفعل والمبادأة تحققان لصاحبهما مزايا لا تنكر وفوائد لا تحصى في شتى المجالات .

٩- أما فيما يتعلق بأهمية تعزيز التلاحم الاجتماعي وتقوية الانتماء الوطني وتوفير تماسك الجبهة الداخلية كعنصر حاسم في تحقيق الأهداف القومية ، فلم تكن حرب أكتوبر معركة انفردت بها القوات المسلحة وحدها وانما تحملت فيها هذه القوات -التي يعتز بها كل مصري ومصرية -المسئولية الأولى وعبء المواجهة الحاسمة ، وهذا أمر لن يمحى من الذاكرة ومن تاريخنا أبدا وسيظل كل مصري يفخر به في كل العصور ، ولكن هذا لا يمنع من تقرير حقيقة لا تنال من هذا الإنجاز الكبير ، وهي ان القوات المسلحة المصرية التي كانت تستند إلى جبهة داخلية صلبة استطاعت ان تكون رأس الحربة لتحرك الشعب المصري، بل والأمة العربية بأسرها ، فلا توجد أسرة في مصر لم تقدم شهيدا أو مصابا أو مقاتلا ، ومن هنا جاءت الحرب ملحمة اندمجت فيها القيادة والقوات المسلحة والشعب في منظومة متكاملة مباركة ، وكان جديرا بها ان يرعاها الله سبحانه وتعالى ويكتب لنا التوفيق والنجاح .

١٠- أن نصر أكتوبر هو الذي هيأ البيئة المناسبة للتنمية الاقتصادية والبناء الداخلي ، ولولاه لظلت جهود التنمية في مصر تراوح مكانها ، وإذا تحركت فبمعدلات محدودة

وإيقاع بطئ غير محسوس ، أما بعد ان فتح النصر الطريق إلى السلام والاستقرار ، فإنه اصبح لزاما علينا ، ان نوجه مواردنا وقدراتنا لعملية التنمية بكل جسارة وطمأنينة ، وبكل إيمان بأن التنمية المستمرة المتصلة هي الطريق الوحيد لتأمين حقوق الوطن والمواطن ، وان تلك التنمية بمعدلاتها الجديدة قادرة على الوصول إلى الآفاق الفسيحة التي نتطلع إليها بأبصارنا وأفئدتنا

أيها الاخوة الأعزاء

أن أيماننا كامل لا يتزعزع بقدرتنا على تحقيق أهدافنا وأمانينا الوطنية في كل المجالات ، بعد أن تمكنا من الانتقال من وطأة الهزيمة إلى بهجة النصر ، ومن مرارة الاحتلال إلى شرف تحرير التراب الوطني ، ومن الشعور بالإحباط إلى الإحساس بالفخر والاعتزاز..

ويجب ان تدرك الأجيال الجديدة من أبنائنا أن حرب أكتوبر كانت في جوهرها عبورا بمصر والأمة لعربية كلها إلى فجر جديد ، لا يقتصر على تحرير الأرض وممارسة السيادة ، وانما يمتد إلى استعادة الثقة بالنفس ، والتمسك بالأمل ، والسير على طريق البناء والتقدم في كل ربوع مصر ونجوعها ، نستلهم دروس كل ما هو إيجابي في تاريخنا الحافل ، وهو رائع وكثير واضعين نصب أعيننا الأداء الرفيع لقواتنا المسلحة في تلك الأيام المباركة من أكتوبر ١٩٧٣ منطلقين إلى آفاق أوسع وأبعد ، ونحن اعمق إيمانا واشد صلابة واكثر شموخا متطلعين إلى مستقبل زاهر لبلادنا الحبيبة .

وسوف تظل روح أكتوبر المجيدة تسري في جسد الأمة فتمنحها الثقة وتعطيها الأمل والقدرة على مواجهة اعتي التحديات .

سوف تظل روح أكتوبر الخالدة معينا لا ينضب وشعلة مباركة لا تنطفئ بل تبقى متوهجة إلى الأبد لكي تمنحنا القدرة على الإنجاز والشجاعة في التجديد والتطوير المستمر والتحلي بمراجعة الذات وتصحيح الخطوات لأن صالح المجتمع فوق كل اعتبار .

سوف تبقى روح أكتوبر جذوة حية مباركة ، تذكرنا دائما بان قوتنا تكمن في وحدتنا ، وان تماسك جبهتنا وترابط صفوفنا هما العنصران اللازمان لأي نجاح أو تقدم وان يدا واحدة لا يمكن أن تحقق الإنجاز الذي نعمل على تحقيقه لأن يد الله مع الجماعة ، وليس منا من يدعو إلى الفرقة أو يسعى إلى شق وحدة الصف .

والله يوفقنا ويرعى مسيرتنا.

إنه نعم المولى ونعم النصير...

طبعت بإدارة المطبوعات والنشر للقوات المسلحة


طبعت بإدارة المطبوعات والنشر ق. م